الجمهورية العربية السورية
وزارة الثقافة

جغرافية دار الإسلام البشرية

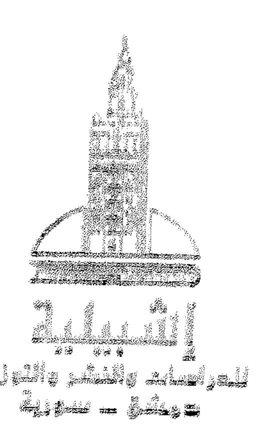
حتى منتصف القرن الحادي عشر

تأليف

اندريه ميكيل

ترجمة

ابراهيم خوري



اندريه ميكيل

جغرافية دار الإسلام البشرية

حتى منتصف القرن الحادي عشر

الجزء الثاني

الجغرافية العربية وتصورها العالم

الأرض وممالك الأغراب

القسم الثاني

ترجمة: ابراهيم خوري

منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
١٩٨٥

العنوان الاصلي للكتاب :

ANDRÉ MIQUEL

La géographie humaine du monde musulman jusqu'au milieu du 11e siècle

Géographie arabe et représentation du monde : la terre et l'étranger

MOUTON PARIS - LA HAYE

الفصل السادس

أوربة الشرقية

هل نستطيع أن نتحدث عن أوربة الشرقية، وعن أوربة باختصار؟ نحن نعلم علم اليقين أن النصوص الجغرافية العربية تلقت تراث العصور القديمة، فعرفت أروفى، أحد أقسام المعمورة الأربعة التقليدية، والثلاثة الباقية لوبية، واتيوفيا، واسقوتيا (١٤٨٤) . وتضم أروفى الأندلس (اسبانية الاسلامية) ، والصقالب ، والروم (العالم الروماني البيزنطي)، والفرنجة، لكنها تترك لأسقوتيا بلدان نهر الفولغا (نهر اتل)، الممثلة في الخزر، إلا انها تشمل من طنجه « الى مصر » (جميع إفريقية الشمالية) (١٤٨٥) .

ولا يعثر على أثر لمفهوم أوربة فيما عدا هذه الذكريات القديمة. لذلك لاقيمة له في الحالة الراهنة ، إلا أنه يسهل عرضنا ، فيسمح لنا على الأقل بتجميع البلدان التي تتألف منها الآفاق الشمالية الغربية من دار الإسلام (١٤٨٦) . وغالباً ما يكتنف الغموض هذه الآفاق التي يتميز عنها الروم وحدهم بشيء من الوضوح (١٤٨٧)، لأسباب تاريخية بديهية.

لماذا اذن لا نخفف نصيب الخيار الاصطلاحي ، ونتحاشى أن

ندخل في كتلة أروفى ، الغامضة بحد ذاتها ، وباسمها المصطنع ، لجؤثة جديدة مصطنعة أكثر منها ، تقسّمها الى أوربة شرقية وأوربة غربية ؟ واذا لم يظهر مفهوم أوربة الشرقية إلا في ذهنية متأخرة جداً زمنيا ، وقصد بها أوربة الصقالبة أو المصقلبة حتّى نهر الفولغا وجبل القبق ، لماذا نأتي على ذكرها ، على الرغم من التاريخ ، منذ القرنين ٣ — ٤ هـ / ٩ — ١٠ م ؟ الحقيقة أن نوعا من الحدود يتضح في غمرة الغموض ذاته : نعني الحدود التي ترسمها ، على وجه التقريب حقاً ، لا المعرفة، بل الجهل . عندئذ ندرك أن معرفة أوربة الشرقية ، وهذا واقع ، ليست رديئة الى حد كبير ، وأن المصنفين لم يهملوها الى الحدّ الذي نظن ، كما لو أن ضباب الجهل الذي يغطي قارة أوربة يستكثف كلّما اقتربنا من البلدان الأطلسية . والدليل على صحة كلامنا ، أن كتاب حدود العالم ، الذي أريد له أن يعطي صورة شاملة عن الكرة الارضية مثلما يستدل من اسمه ، تجاهل عمداً أو كاد (١٤٨٨) أوربة الغربية ، في حين وصف الروم وخص اوربة الشرقية بأحد عشر فصلاً متتابعاً (١٤٨٩) . ولدينا دليل آخر لعله أقوى ، وإن لم يصغ صراحة : ففي المدونات التي سجلها ابراهيم بن يعقوب في رحلته الى أوربة ، يلمح ، وراء تمييزه بين الفرنجة والصقالبة ، الى شعور غامض بوجود تقسيم آخر بين رومة و « البرابرة » (١٤٩٠) .

بقي أن نقول ان البلدان المدروسة في هذا الفصل لاتشكل مجموعة متجانسة حتّى لو توصلنا الى تقسيمها في الآفاق الأوربية من دار الإسلام . فلم يعد بوسعنا أن ندرس مناطق العالم في متن النصوص بكتل كبيرة ، مثل الشرق الأقصى وإفريقية وآسية الوسطى . فهنا لدينا جبل

القبق ، وفيه أمم وممالك كثيرة ، يتصاف فيها بجرأة وفوضى الكفر والايمان ، الغريب والمسلم ، العدو والحليف ، ويتداخلون ، حتّى لينحصر أقصى عدد منهم في أصغر رقعة . وأما نحو الشمال ، فعلى النقيض ، لا نجد إلا بضعة أسماء في أنحاء شاسعة : خصوصا الخزر ، والبلغار ، والروس والصقالبة (١٤٩١) . اذن ، من جهة أولى ، تسود قاعدة التداخل والتشابك ، في شعور من الانتماء المشترك الى بلد متميز جدا ، يشمل جبالاً عالية تنضوي تحت اسم جبل القبق ، الوحيد (١٤٩٢) . ومن جهة ثانية ، تنتشر في أماكن أخرى ، جماعات إتنية كبرى وأمم موزعة ومتباينة جداً ، وبلدان فسيحة الآفاق ، لكنها تتلاشى بعض الشيء في اتساعها الشاسع .

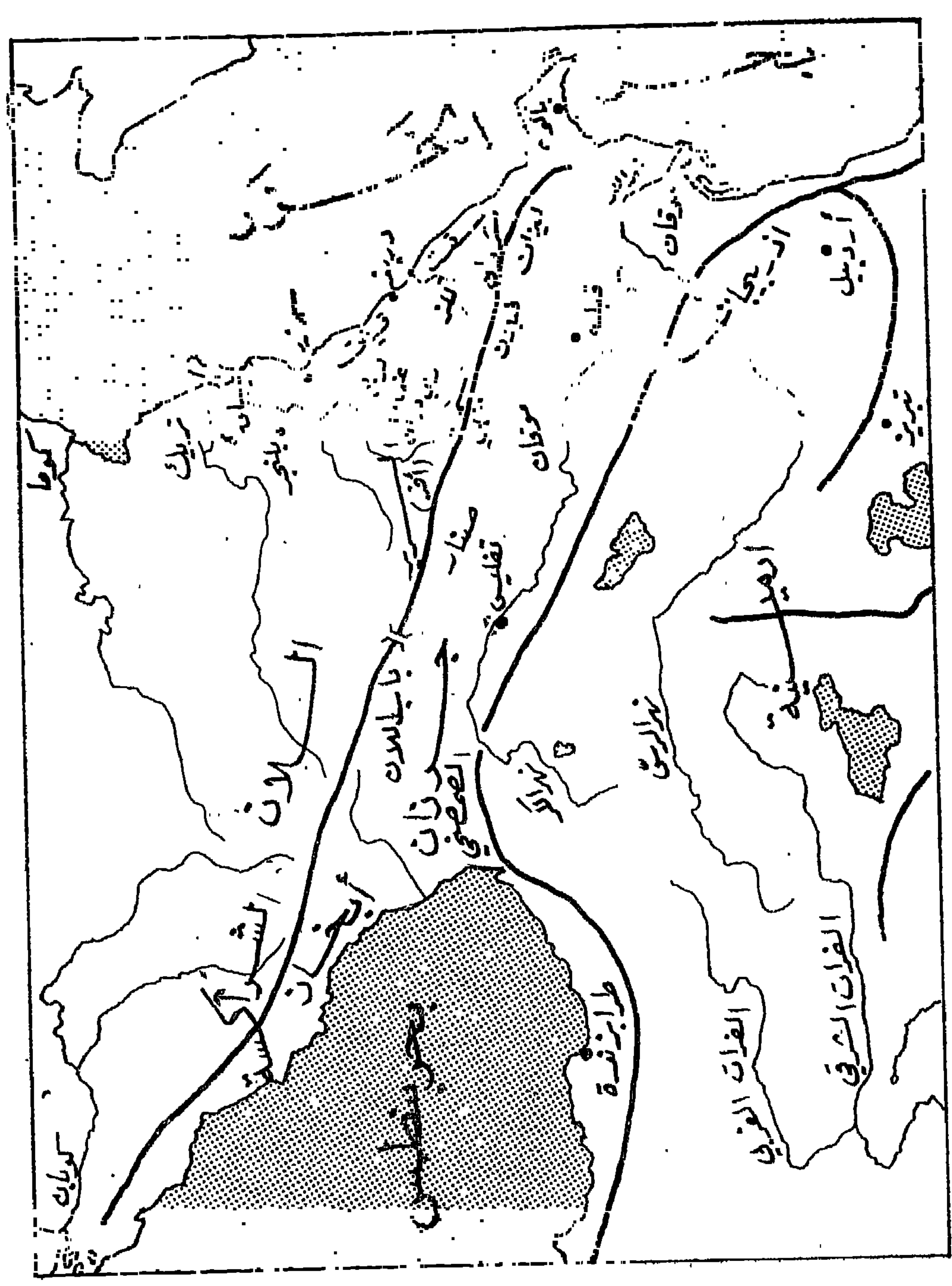
وهكذا يفرض نهجنا نفسه تلقائيا : فبعد ان وضعنا على الخريطة أمم القبق وممالكه ، سنحاول أن نحدد الخصائص الثابتة لهذه المنطقة من دار الإسلام في القرنين ٣ ـ ٤ هـ / ٩ ـ ١٠ م ، وعلى وجه الإجمال ثم نستعرض تباعا الأمم التي يتألف منها سائر أوربة الشرقية . وسنتبع في كل من هاتين النظرتين الإجماليتين طريقة دائرية : ففي بحث جبل القبق ، سيقترب مسلكنا من مسلك المسعودي ، أحد المؤلفين الوافري المادة.ونبدأ عرض البلدان الأخرى بالبلغار،ونتزل نهر الفولغا(نهراتل) صبباً ، ونتبع بحر بنطس ، ثم نتعمق في البر ، ونعود الى الشرق الى الروس : ولا نستلهم هنا من النصوص ، لذلك يتيح لنا نهجنا في الحد الأدنى أن تختتم موضوعنا بقصة فذة عن غريزة الحب (ايروس) والموت .

جبل القبق الشرقي

يمثل المسعودي بالتأكيد ، مثلما قلنا منذ قليل ، المؤلف الذي يجب أن يحذى حذوه دون سواه في دراسة مسالك جبل القبق (شكل-٢٧) (١٤٩٣) : فوصفه لهذا الجبل العظيم ليس من أدق جميع الأوصاف فحسب ، بل استخدمت مقاطع كثيرة منه أساساً لكتابة مصنف آخر - قيمته كبرى - اهتم كثيراً بهذه المنطقة : نعني كتاب حدود العالم (١٤٩٤) .

اذن يبحث المسعودي جبل القبق مبتدئاً من المشرق هنا ، من ولايتي اذربيجان وأرّان ، أسهل جهات الولوج اليه ، وأيسر سبل الدخول اليه منذ الأزل. ففي هذه الأنحاء الشرقية ، أقام الساسانيون ولايات كثيرة تحت إمرتهم ، وجددت دار الإسلام تقليدهم في عهد ملوك سلالة يزيد بن مزيد بن زائدة ، وكان ملوك شروان شاه أنفسهم تابعين لسلالة محمد بن مسافر في أذربيجان . ويمتد بلد شروان (شرفان) من دربند شمالاً ، على الحصون الماثلة في الجبال والبحر ، حتى باكوه ، وهي معدن النفط الأبيض . . . ، وليس في الدنيا . . . نفط أبيض إلا في هذا الموضع ، وفي هذه النفاطة أطمة وهي عين من عيون النار ، لاتهدأ على سائر الأوقات ، تتضرم الصعداء . (١٤٩٥) .

لكن ، لا يعني القول تحت إمرة ملك مسلم ، حتماً ، أن الاسلام في هذه الثغور قد عم جميع الأماكن على حد سواء . فنحن نذكر بلدين خاضعين مباشرة لسلطة المزيديين خضوعاً مكن هذه السلالة العربية من خلع ملكيهما وإضافة لقبيهما الى لقبهم : فشروان شاه هو ايضاً ليزان شاه وخرسان شاه (١٤٩٦) . ولا يروى لنا شيء كثير عن ليزان الواقعة



شكل ٢٧ - . جبل القبق

على المنحدر الجنوبي من جبل القبق ، إلا أنّها مهد السلالة المزيدية ، وتنتج أقمشة صوف مشهورة (١٤٩٧) . لكن نعرف عن البلد الآخر الذي تقطن فيه أمة أللكز،على السفوح الشمالية هذه المرة، في أفضل الاحتمالات ، فيما يتعلق بشروان ، أنهم ليسوا سوى ثغر او تخم ، لا ينقادون الى ملك شروان ، جاهلية ، ولهم أخبار طريفة في المعاملات (١٤٩٨) .

وتقع موقان (الموقانية) ، البلد الآخر الخاضع الى سلطة شروان شاه ، بين جبل القبق ونهر الكر . ويشبه اسمه اسم السهوب الممتدة على ضفة هذا النهر اليمنى وعلى شواطىء بحر الخزر(١٤٩٩).وتوصلنا المملكة المجاورة الى خارج مملكة المزيديين بالمعنى الضيق، والى خارج دار الاسلام . وتسمى هذه المملكة قبلة ، وتحمل اسم دار ملكها المسلمة ، وما حولها من العمائر والضياع نصارى ، ويأوي اليها اللصوص والصعاليك والدعار . مع ذلك ، لم تقطع صلاتها تماماً ببلدان شروان شاه ، لأن الإصطخري يخبرنا بوجود علاقات ودية بين قبلة وبين أهل ليزان الذين يحرسون أبواب جبل القبق (١٥٠٠) البعيدة الى ناحية الشمال .

وتظل حالة فيلان لغزا (١٥٠١) ، ويبقى علينا لإنهاء بحث التبعيّة المزيدية أن ننتقل الى شواطىء بحر الخزر ، التي ترتبط ، في رأي المسعودي (١٥٠٢) بسلطة شروان شاه حتى دربند . وهنا تمتد بلاد مَسْقَطْ ، حيث تعيش بعض أقوام الخزر المهجرين (١٥٠٣). أما دوبند ، فلم تعد سوى مدينة بسيطة . وهي موضوع رئيسي في الجغرافية العربية الإسلامية ، يتناقله المؤلفون حسبما يشاؤون ، ويسمونها باب الأبواب ، او الباب باختصار (١٥٠٥) . وتتقبل دار الإسلام

فيها التقليد الفارسي ، الذي جعل هذا الممر سوراً يدفع أذى الأمم المتصلة بجبل القبق من الخزر واللان والأفر وأنواع الترك وغيرهم من أنواع الكفار المتربصين . هنا بنى الملك الساساني العظيم ، كسرى انو شروان، نظام دفاع طغى على جميع استحكامات أسلافه وأنساهم جميعاً.

وذكر أن الباب والابواب حائط بناه انو شروان ، وان طرفاً منه في البحر ، قد أخرج ركنه من البحر الى حيث لا يتهيأ الحيلة فيه ، ومد سبعة فراسخ (ويقول بعض المؤلفين الى أربعين فرسخاً ، أي ٢٣٠ كم) الى موضع أشب وجبل وعر لايتهيأ سلوكه ، وهو مبني بالحجارة المنقورة المربعة ، لايقلّ الحجر الواحد منها خمسون رجلا ، وقد بقيت هذه الحجارة وأنفذ بعضها الى بعض بالمسامير ، وجعل في هذه السبعة فراسخ ، سبعة مسالك على كل مسلك منها مدينة قد رتب فيها قوم من المقاتلة ، وعلق على كل مسلك باب ، وعرض السور في أعلاه ما يسير عليه عشرون فارساً لا يتزاحمون ، وإن بمدينة الباب على باب الجهاد فوق الحائط أسطوانتين من حجر ، على كل أسطوانة صورة أسد من حجارة بيض ، وأسفل منهما حجران عليهما صورة سبعين ، وقرب الباب صورة رجل من حجر مابين رجليه صورة ثعلب في فمه عنقود من عنب . والأسدان طلسما الحائط

وتحتفظ دار الإسلام بذكرى هذه الأعمال الخالدة . إلا أنها لها هي أيضا مآثرها البطولية وأبطالها الذين حاربوا وراء هذا الحائط ، واستشهدوا أحيانا، ، مثل سليمان بن ربيعة الباهلي . ولم تترتب نتائج على هذه الملاحم ، لكنها عينت في دربند (باب الأبواب) أحد حدود دار الإسلام ، الذي تتحطم عليه الانتفاضات المحتملة للأمم الشمالية، لاسيما الخزر . وإذا كان حائط آنو شروان قد دخل في الأساطير ،

فان استحكامات دربند المسلمة ، المرممة أو الجديدة ،عوضت عن القديم بدقة كبيرة . ويحدثنا الإصطخري وابن حوقل عن سور وجدار يتقدم في بحر الخزر فيه مرسى للسفن ، به بناء قد بني كالسد، من صخر ورصاص وفي هذا السد باب مغلق على ماء هذا المرسى قد استحكم من وصيده بعقد قد عقد على نفس الماء من تحته ، وعلى فم المدخل الذي تدخل فيه السفن سلسلة حديدية ممدودة وعليها قفل . ولم يهمل شيء من الاحتياطات الحربية الضرورية . وأصبحت دربند فرضة بحر الخزر الجنوبي والسرير (الأفر) واللان « وبلدان الكفر » ومرسى الكتان ، وبها زعفران وثعالب سود ورقيق .

قلنا إن دربند (الباب) تمثل نهاية مملكة بني مزيد ودار الإسلام ، وتعين الحدود . لكن لايجوز أن نتصور أوضاعاً حاسمة على جانبي هذه الحدود . فوراءها ، تطوف جماعات من الخزر في وادي سمور الأدنى (١٥٠٦) ، وهي ممن نزحوا عن بلدان نهر الفولغا .وبعدها، استقر أناس من العرب ممن بقوا من حملات المسلمين ضد خزر الفولغا ، واعتمد بقاؤهم على نجدة جيرانهم من أهل الباب ، وعلى امتناعهم بآجام وغياض وأشجار تلك الديار (١٥٠٧) .

ولننتقل بعيدا الى ناحية الشمال . قضي الأمر هذه المرة . قطعاً ، لم لم يعد الإسلام منتشراً في هذه المراكز الأمامية من مملكة الخزر، عند أمة قيتق (خيزان) . وملكهم رجل مسلم ، يزعم انه من العرب من قحطان. وينكر ابن رسته هذا الكلام الوارد عند المسعودي ، ويقول : ولهم ملك . . . يتمسك بثلاثة أديان . اذا كان يوم الجمعة صلى مع المسلمين ، واذا كان يوم السبت صلى مع اليهود ، وصلى يوم الأحد مع النصارى .

فكل من جاءه زعم أن كل فرقة من هذه الأديان يدعو الى دينه ويزغم أن الحق بيدها ، وأن سوى دينها باطل . فهو يتمسك بالكل حتى يدرك حق الأديان . ويعبد أهل مدينة رنحس شجرة عظيمة . والملك وأهل مملكته شر على أهل دربند (١٥٠٨) .

اخيراً نذكر بلنجر (١٥٠٩) وسمندر (١٥١٠) ، وهما دارا مملكتي خزر قديمتان ، انتقل الملك عنهما الى مدينة أتل على نهر الفولغا الأدنى . وتتجلى هجمات المسلمين بوضوح في هذا الانكفاء الى الشمال . والتقى ابن فضلان ببعض البلنجار ممن اسلامهم سطحي، حتى عندالبلغار. وهنا في مدينة بلنجر ، بين جبل القبق وبحر الخزر ، بنى أنو شروان إياه استحكامات أخرى . وتراءى له في صلواته ومواقفه أن دار الإسلام ستخلف الساسانيين . وأكد له طالع من البحر أنه رأى هذا الثغر مسدودا سبع مرات وخراباً سبع مرات ، وأن الله بعثه لسد هذا الثغر الى الأبد . أما سمندر ، ففيها خلق من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية ، وكلهم خزر ، وملكهم قرابة لملك الخزر ، وبين صاحب السرير (الأفر) وملك سمندر هدنة . وهم أوطياء ، يحبون الغريب ، إلا انهم لصوص . ولهم بساتين وكروم كثيرة . ويقول لنا ابن حوقل : إنه لن تمضي ثلاث سنوات إلا وقد عاد ريع سمندر كما كان ، بعدما أتت عليه غارة الروس عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م . وسمندر مدينة حقيقية ، وهي « مجمع الناس » الوحيد في بلد الخزر (١٥١١) : ومنازلها خركاهات ، وأبنيتهم من خشب منسوجة بالقضبان ، وسطوحهم مسنمة ومغطاة باللباد (١٥١٢) : وعلى مقربة من نهر الفولغا ، نعود الى المشاهد البشرية في السهوب الكبرى الأوراسية التي استعرضناها في الجانب الآخر من هذا النهر العظيم .

جبل القبق الاوسط : الآفر واللان

لكنّ لنبق أيضا في جبل القبق ، فلا زلنا بعيدين عن إتمام دورته ، ولنرجع من شواطىء البحر باتجاه الجبل ، فوراء قيتق ، يحدثنا المسعودي عن أمة الكرج (١٥١٣) ، وهم أصحاب أعمدة ويحكمهم برزبان مسلم . ثم مملكة غميق ، وأهلها أناس نصارى ، ولهم رؤساء (١٥١٤) ثم مما يلي الجبل دوماً ، الزريكان ، « عمال الزرد » ، وهم ذوو ديانات مختلفة ، وبلدهم بلد خشن ، قد امتنعوا بخشونته على مَنْ جاورهم من الأمم (١٥١٥) .

أخيراً يأتي جيرانهم السرير ، او على وجه أدق ، أهل السرير (١٥١٦) ، لأن لفظ السرير يدل ،مثلما ورد عند الإصطخري وابن حوقل (١٥١٧) ، لاعلى الأمة ذاتها ، الأفر (الابر) ، بل على المملكة التي تفخر بأنها تلقت عرش (سرير) الذهب (١٥١٨) من ملوك الفرس الساسانيين الذين انتصرت عليهم جيوش دار الإسلام (١٥١٩). وتنبسط سهولهم بين اللان وبلد دربند ومشارف سمندر ، وتشمخ جبالهم ، ولهم عشرون ألف شعب بالإجمال ، لكن طريقان وحيدان حقيقيان ، أحدهما طريق الجبال العالية ، والآخر الممر الكبير الشرقي، باب الأبواب متنفس تجارة السرير .

والأفر أمة أزاحت أمة تدعى سوار (سبير) (١٥٢٠) . وهم في الواقع ، على حد مايقال لنا ، مجموعة أمم ، لهم ملك واحد يسمى صاحب السرير (١٥٢١) . وعامتهم نصارى ، او عبدة أوثان في رأي مؤلفين آخرين ، ماعدا بعض الجماعات الإسلامية التي يحكمها مسؤول عنها . ويروي ابن رسته أنهم يعبدون رأسا يابسا ، ويمارسون عادات

مأتمية غريبة : فاذا مات لهم ميت وضعوه على الجنازة ، وأخرجوه الى الميدان ، فتركوه ثلاثة أيام . ويحملون على الميت الذي على الجنازة برماحهم ، يدورون حول الجنازة ويشيرون اليه بالرماح ولا يطعنون، مهولين عليه حتّى ترجع روحه الى جسده اذا كانت عرجت به .

مهما يكن يدين ملكهم بدين النصرانية ، ويقيم في قلعة على رأس جبل أربعة فراسخ في اربعة فراسخ (١٥٢٢) . ويشرف منها على بلد غني ، له ١٢٠٠٠ او حتّى ١٨٠٠٠ قرية ، يستعبد منهم من يشاء . ويهادن جيرانه : دار الإسلام وبلد سمندر واللان ، ويتبع سياسة مصاهرة سلالية مع اللان لتوطيد التحالف بينه وبينهم . والخزر أعداؤه الوحيدون الذين يغير عليهم من الجبل الى السهل ، هم والذباب العملاق الذي يهاجم البشر إذا لم يأخذوا حيطتهم ويزودونه باللحم .

وتتكرر خصائص وسط الأبر الأساسية في الشمال الغربي عند اللان (١٥٢٣) : وبمملكة اللان ألف قرية كبيرة ، وجبال وأنهار وأشجار ، وغنى وعمائر غير منفصلة ، حتّى إن الديوك اذا تصايحت تجاوبت في سائر أنحائها لاشتباك العمائر واتصالها (١٥٢٤) . وملك اللان نفسه نصراني ، وعامة أهل مملكته كفار يعبدون الأصنام، ونصارى ، تحرروا من النفوذ الرومي الذي كان يتم بواسطة الأساقفة مما يدل ، كما نرى ، على استقلال حساس . ويقال لملك اللان بغاير أو كركنداج ، ويركب في ثلاثين الف فارس ، ويتمتع بنفوذ على مجمل ممالك جبل القبق الأوسط .

واللان أمة فارسية ، أجداد الأوفستي الحاليين ، وهم أربع قبائل ، منها دخساس (رخساس ، رخس آس) وطولاس (طوال اس)

(١٥٢٥) . ويقال لدار مملكتهم مغص . واذا كان لملك اللان العديد من القصور والمتنزهات ، فأشهر قلعة في جبل القبق الأوسط ، باب اللان ، المسماة حالياً ممر داريال . واحتلت هذه القلعة واستردت عدة مرات ، وتشرف منذ عهد الأشغانية ، على الطريق والقنطرة والوادي ، ولو كان رجل واحد في هذه القلعة لمنع سائر ملوك الكفار أن يتجاوزوا في هذا الموضع « لتعلقها بالجو » (١٥٢٦) . ولهذه القلعة عين ماء عذب . ويحرس سورها كل يوم ألف رجل من أهلها مرتبون بالليل والنهار . وكان باب اللان بيد المسلمين عندما كتب المسعودي عنه ، فاستيلاؤهم عليه موقت ، والموقع متنازع عليه ، وربما يحمل الى العرب الرزق والأقوات من البر من ثغر تفليس ، على مسيرة خمسة أيام عبر بلدان الكفار .

جبل القبق الغربي والجنوبي :

يجاور الشراكسة أو الكشك (الكسك) (١٥٢٧) اللان في الشمال الغربي . وهم أمة منقادة الى دين المجوسية ، وينزلون بين الجبل والبحر . بالفعل تمتنع من اللان بقلاع لها على ساحل البحر . ويقربون في البحر من بلاد طرابزنده (١٥٢٨) ، والتجارة تتصل بهم منها في المراكب وتتجهز من قبلهم أيضا . وبأرضهم أقمشة ناعمة وحتى ثمينة كالكتان (البياض) والديباج الرومي والسقلاطوني . وهنا ، كما هي الحال عند الخرلخ ، تخف قسوة الجبال ،ويصبح رجال الكشك أنقى أبشارا وأصفى ألواناً ، ونساؤهم أصبح وجوهاً وأقوم قدودا وأحسن شكلاً (١٥٢٩) ، وهن موصوفات « بلذة الخلوات » . ولو ملكوا عليهم ملكاً ، واجتمعت كلمتهم ، لم يطقهم أحد من الأمم .

وبعيدا الى الشمال (١٥٣٠) ، فيما يلي هذه الأمة على البحر ، تستبهم الجغرافية ، عند ذكر أمتين عظيمتين غامضتين ، يقال لهما السبعة بلدان ، وإرم ذات العماد . وبين ارم وبين بلاد الكشك « نهر عظيم كالفرات » ، يصب الى بحر بنطس : الكوبان ؟ مهما يكن ، تطغى الأساطير على سفوح جبل القبق الشمالية ، وتتغذى هذه الأمة من سمكة عظيمة تأتيهم في كل سنة فيتناولون منها ، ثم تعود ثانية فتتوجه نحوهم من الشق الآخر فيتناولون منها ، وقد عاد اللحم على الموضع الذي أخذ منه أولاً (١٥٣١) . أما البلاد فتوصف على الوجه التالي ، الذي يتراءى لنا فيه تضريس كارستي مجمّل : «بين جبال أربعة ، كل جبل منها ممتنع ذاهب في الهواء ،وبين هذه الجبال الأربعة من المسافة نحو من مائة ميل صحراء ، في وسط تلك الصحراء دارة مقورة كأنها خطت ببيكار ، وشكل دائرتها خسفة مجوفة في حجر صلد منخسف كما تدور الدائرة ، استدارة تلك الخسفة نحو خمسين ميلا قطع قائم يهوي سفلاً كحائط مبني من سفل الى علو يكون قعره على نحو من ميلين ، لا سبيل الى الوصول الى مستوى تلك الدارة ، ويرى فيها بالليل نيران كثيرة في مواضع مختلفة ، وبالنهار يرى قرى وعمائر وأنهار تجري بين تلك القرى وناس وبهائم ، إلا أنهم يرون لطاف الأجسام لبعد قعر الموضع . لا يدري من أي الأمم هم ، ولا سبيل لهم الى الصعود الى جهة من الجهات ، ولا سبيل لمن فوق الى النزول اليهم بوجه من الوجوه » (١٥٣٢) .

ولنرجع الى الجنوب (١٥٣٣) الى وقائع يخف فيها تنميق الأساطير ، نجد أن أمة الأبخاز (١٥٣٤) تلي أمة اللان ولا تضاهيها بالقوة . ويخلط أحياناً بينهم وبين جيرانهم في الجنوب ، الجرزية

(١٥٣٥) ، الذين يصعب تمييزهم عن أرمينية . « والجرزان أمة عظيمة منقادة الى دين النصرانية»، وعاداتها قريبة جداً من عادات الروم . وتقلق حياة دار الإسلام : وقد امتنعت عن أداء الجزية الى صاحب ثغر تفليس المسلم ، على حد قول المسعودي ، فانقطع الوصول من دار الإسلام الى ثغر تفليس لإحاطة أمم من الكفار الأقوياء بها (١٥٣٦). والحق يقال أن الصراع بين البلدان تقليد قديم منذ بنى كسرى أنوشروان بأرض جرزان مدينة يقال لها صغدابيل وأنزلها قوماً من الصغد وأبناء فارس وجعلها مسلحة .

ثم تلي مملكة جرزان مملكة يقال لها الصمصخي ، نصارى وفيهم جاهلية ولا ملك لهم . (١٥٣٧) . ثم تلي مملكة هؤلاء الصمصخية بين ثغر تفليس وقلعة باب اللان ، مملكة يقال لها الصنارية (١٥٣٨) . ويزعمون أنهم عرب . ويدعى ملكهم كرسكوس حسب المسعودي، وسنحاريب حسب ابن حوقل (١٥٣٩) . وهو تابع لشروان شاه (١٥٤٠) .

وهكذا نعود بعد انغلاق الحلقة ، الى جبل القبق الشرقي ، الذي انطلقنا منه : حيث تلي مملكة الصنارية مملكة شكي (١٥٤١) : وهم نصارى وفيهم خلق من المسلمين من التجار وغيرهم من ذوي المهن . ويتبعون المسافريين مباشرة أو عبر شروان شاه (١٥٤٢) .

كل جبل القبق

لاتكتفي الجغرافية الإسلامية بأن تدور حول جبل القبق ، مستعرضة أهله أمة أمة ، بل تتطلع الى تحديد صورته العامة أيضا

(١٥٤٣) . فتعطي أولاً صورته طبعاً ، فهو جبل عظيم جداً : طوله خمس مائة فرسخ ، على حد قول ابن الفقية ، أي مايعادل ٢٨٠٠ كم ، وليس أقل (١٥٤٤) ، أو أيضاً مسيرة شهرين في كل من الاتجاهين، حسب المسعودي (١٥٤٥) . وجرت محاولات كثيرة لإدراج جبل القبق في سلاسل جبلية أخرى ، أشدها طموحاً (١٥٤٦) ، وأكثرها تجرداً عن كل خلفية مقدسة محاولة ابن حوقل . ذلك أن تقليداً ثابتاً يربط جبل القبق بالجبال النبيلة : كسيناء أو العرج بين المدينة ومكة (١٥٤٧) . ونستشف من خلال هذه النظرية ذكرى جبل قاف ، جبل الحدود(١٥٤٨).وتواجهالنصوص الجغرافية الوقائع الجغرافية،ويشتدتحفظها حيال هذا التمثل ، إلا أنها تختار مع ذلك جبل القبق كاطار قصة عن طرف العالم ، هي القصة القرآنية عن صخرة موسى وعين الحياة(١٥٤٩).

وهو جبل عظيم ، وشاهق ، تسحق كتلته كل شيء . وتكاد تدوينات الحيوان والنبات مثلا (١٥٥٠) تتلاشى تماماً : فتتوجه الأنظار الى الحاجز الهائل ، وتتثبت عليه : « وهذا الجبل ذو أودية وشعاب وفجاج ، ذاهب في الجو ، كثير الغياض والأشجار ، وتسلسل المياه من أعلاه ، وعظيم الصخور والأحجار » (١٥٥١) .

كيف نعجب والحالة هذه لأن فيه أمما « لايعرف بعضهم بعضاً لخشونة هذا الجبل » (١٥٥٢) ؟ وتتكرر باستمرار مواضيع كثرة الأجناس واللغات.فيقول ابن الفقيه(١٥٥٣):(وجبل القبق)فيهاثنانوسبعون لساناً كل إنسان لايعرف لغة صاحبه إلا بترجمان . ويقول المسعودي (١٥٥٤) : وفي هذا الجبل اثنتان وسبعون أمة ، كل أمة لها (ملك و) لسان بخلاف لغة غيرها . . . وحوله أمم لايحصيهم إلا الخالق » .

ويقول ابن حوقل (١٥٥٥) : ويحيط به (بالقبق) ألسنة مختلفة كثيرة للكفار . ويقول المقدسي (١٥٥٦) : يقال إن به سبعين لساناً .

ويلوذ الإنسان « بالأبواب » ليتجول في هذه البلاد المجزأة ، وليدخل اليها أيضاً ، اذا لم يشأ أن يلف حول طرفيها (١٥٥٧) . ويعرف ابن خرداذبه الأبواب بأنها « قصور انما سميت أبواباً لأنها بنيت على طرق في الجبل » ، وعلى وجه أدق « بأنها أفواه شعاب في جبل القبق فيها حصون » ، ويعطي عددها بالتمام والكمال (١٥٥٨) : ٣٦٠ قصراً .

لكن لماذا بنيت هذه الأبواب ، ومن يمتلكها ؟ دار الإسلام، وريثة التقاليد الفارسية ، مثلما قلنا ، أم أهل البلاد (١٥٥٩) ؟ ذلك أن الناس يضطرون على الدوام الى الدفاع او الهجوم في جبل القبق ، في هذه اللعبة السياسية المعقدة التي تفترضها الحدود المتشابكة. وهكذا، يعتبر أهل الجبل جبلهم ملاذاً (١٥٦٠) ، أو على العكس ، اذا نظرنا اليه من اسفل ، عش عقاب قد تنطلق منه شرارة الحرب في كل لحظة (١٥٦١) .

مهما يكن ، كما يلمح المسعودي (١٥٦٢) ، لا يمثل جبل القبق بالنسبة الى دار الإسلام حماية طبيعية ، بل حاجزاً ، اذا شئنا ، وحيد الاتجاه ، لايسمح إلا بمرور الكفار اليها أي نحو دار الإسلام (١٥٦٣) . ولا يتجلى القدر فيه بحد ذاته ، بل بالفكرة التي أوحاها الى البشر ببناء خطوط دفاع ، تفخر بها بعد فارس دار الإسلام وريثتها في تلك الأصقاع .

لكن لنستطلع هذا النص الموضح جداً ، حتى في غمه وقلقه أمام

التاريخ : « لو أن الله بفريد حكمته وعظمة قدرته ورحمته ، لم يسبغ نعمه على ملوك الفرس في تأسيس مدينة دربند ، وبناء هذا السور الماد الى البر والبحر والجبل ، وإشادة الحصون ، وإسكان عدة أمم من الناس لهم ملوك معلومة ، لا جتاحت حتماً ملوك الجرز واللان والأبر والترك وغيرهم ممن ذكرنا ، أصقاع برذعة واران وبيلقان وأذربيجان ، وزنجان ، وأبهر ، وقزوين وهمذان ودينور ونهاوند وأطراف كورتي الكوفة والبصرة ، ووصلوا الى العراق . لكن أقام الله في وجههم تلك الحواجز المنيعة ، التي أقتضاها ضعف دار الإسلام وانحطاطها ، وغلبة الروم على المسلمين ، وصعوبة الذهاب الى الحج ، والتقاعس عن القيام بالجهاد ، وانقطاع الطرق وتعرضها الى الأخطار ، وانفصال قواد الأجناد واستقلالهم فيها على غرار مافعل قواد الإسكندر بين وفاته وبين ملك أردشير بن بابك بن ساسان ، الذي اعاد توحيد بلاده وقضى على انقساماتها الداخلية ، ونشر فيها الأمن والامان ، وعمم الزراعة في الأرض ، حتى جاء اليوم الذي بعث الله برسوله محمد ، فأزال الكفر ، وقضى على الاديان الأخرى . وحالف النصر دار الإسلام حتى هذا التاريخ (٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م) الذي بدأت فيه أركانها تتزعزع وتنهار في عهد خلافة أمير المؤمنين ابي اسحق ابراهيم المتقي بالله » (١٥٦٤).

يذهب بنا هذا النص بعيداً عن جبل القبق ، ويخرجنا حتى عن نطاق المكان — فالعالم أجمع يتسامى في الزمان ، الزمان المقدس الذي انخرط فيه . فقد تأملت دار الإسلام تاريخها ، فزاد تشاؤمها لاسيما أن الانحطاط لم يعد ينصب حتماً على أمجادها ، كما كانت الحال في تناوبات الماضي المنتظمة ، ورجعت الى الوضع الذي أعقب وفاة

الإسكندر . لكن أتى المخلصان أردشير العلماني ومحمد الدّين (١٥٦٥) . ويتجه العالم الى الانهيار الآن ، فممن ننتظر الخلاص ؟ لانقصد خلاص البشر ، بل الخلاص من شرورهم : فقد تقاعسوا عن القيام بواجباتهم ، وأصبحت أعمالهم وحدها بعد الآن مسؤولة عن مستقبل دار الإسلام، وبالتالي عن مستقبل العالم ، ويدرأ ما اتخذوه من احتياطات ضد الخطر الداهم من جبل القبق اللعين . فمن جهة أولى ، يقف العراق ، وسط العالم (١٥٦٦) ، بالتالي ، الحضارة ، وقد وصلت اليه البرابرة . بموجات متلاحقة تحمل أسماء البلدان الإسلامية . ومن جهة أخرى ، ينتصب جبل القبق، مصدر قوى الشر، التي تتأهب كما هي الحال الآن، لأن تسكر السدود المقامة في وجه حياة تلك الأودية. وبذا، نعود —عن طريق التاريخ— الى دور الجبل الأسطوري على حدود العالم: لاعلى حدوده المكانية، التي أثبتت الجغرافية انعدام وجودها ، بل حدوده الزمنية . فلم يعد جبل القبق نهاية المعمورة على الخريطة ، ولعله أصبح في التاريخ نهاية العالم المتحضر .

بلغار نهر الفولغا (نهر اتل)

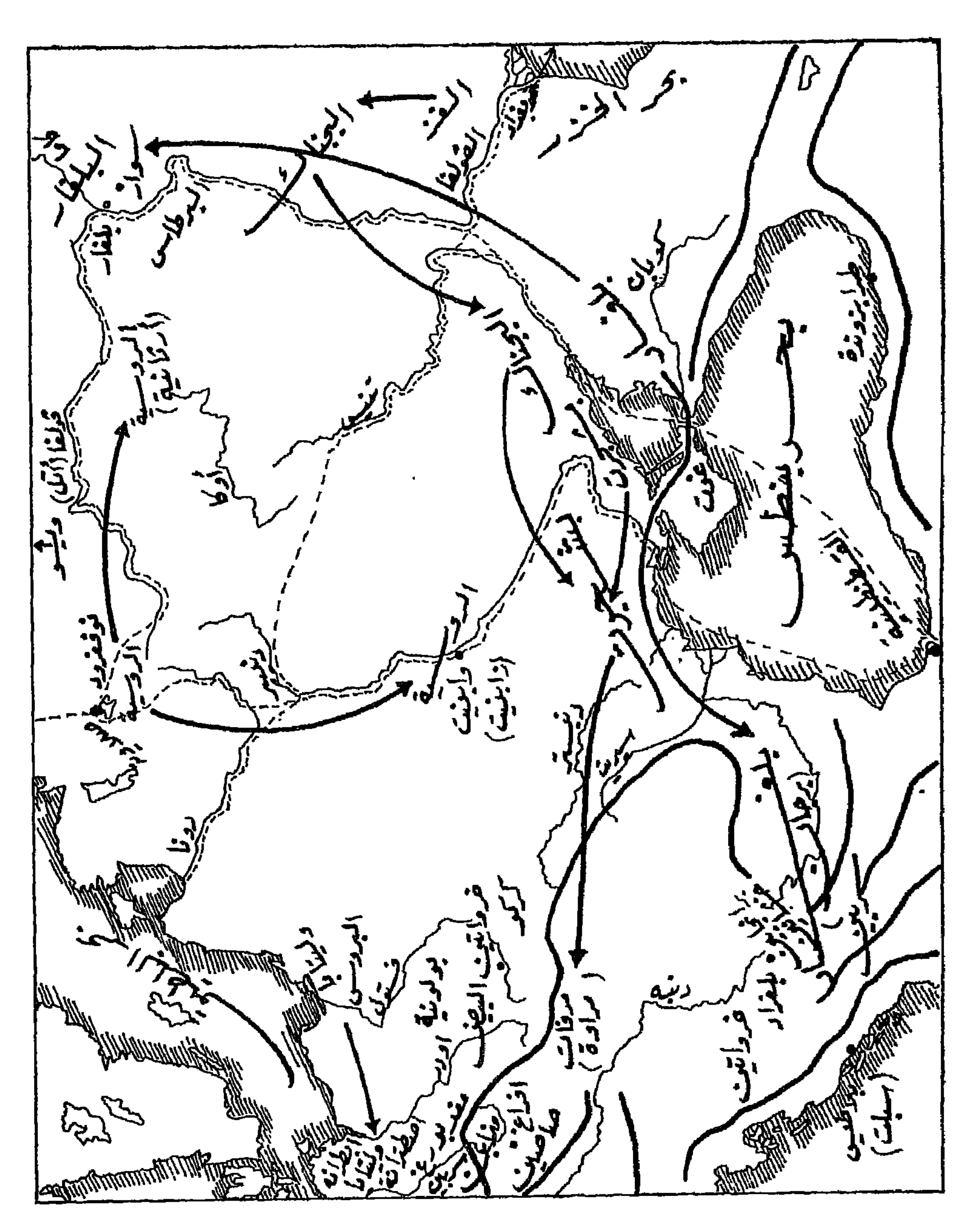
لنتبع الآن طريقاً (شكل ٢٨) ثانية ، تقودنا عبر الأصقاع الكبرى في شرق أوربة وعبر التاريخ أيضا ، إذ لابد أن نعيد له حقوقه ، التي تعترف له النصوص الجغرافية بها في الغالب، بسبب الغموض أو الجهل. ولنأخذ البلغار ، وتقديمنا لهم على غيرهم ، مثلما قلنا (١٥٦٧) ، عمل كيفي . إلا أن التاريخ يرفض هذا الزعم . فما دمنا في جبل القبق ، ففي جبل القبق ، ينبغي أن نفتش عنهم . بالفعل نزلوا في الأنحاء الشمالية الغربية من هذا الجبل العظيم ، على ضفاف نهر كوبان

وشواطىء بحر ميوطس ، وبقوا فيها حتى القرن الأول الهجري / السابع الميلادي. وتتجاهل النصوص الجغرافية هذه الناحية بالذات (١٥٦٨) ، وتنقلنا فوراً الى الموضعين (١٥٦٩) ، اللذين هاجروا اليهما : نعني بلدان الدانوب ، وملتقى الفولغا والكاما بالنسبة للجماعة التي نعنى بها.

ولا بد من تمحيص النصوص الجغرافية بدقة مزدوجة: فيهمنا أن نميز ، جهد المستطاع ، الأمة البلغارية المقصودة ، لكن علينا أيضاً أن نتناول جميع البلغار معاً ، لأنهم يشكلون طبقات الترسيب التاريخي المتتالي . فأول طبقة وأقدمها ، يعطيها كتاب ابن رسته (١٥٧٠) ، ويكمله كتاب حدود العالم (١٥٧١) . ويورد الإصطخري طبقة أخرى ، يتممها ابن حوقل والمقدسي بدورهما ، ويضيفان إليهما معطيات تعود الى عصرهما . وتقع بين الطبقتين السابقتين ، شهادة ابن فضلان الواقعية التي تتطلب انتباها خاصاً جداً (١٥٧٢) .

وكان البلكار (المسمون بلكار الخارج) في أوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي (١٥٧٣) واقعين بين الروسية (١٥٧٤) ، والبرداس ، والبجناك (١٥٧٥) ، والغز والخزر ، ويقطنون في الإقليم السابع . وهم نزول على حافة نهر اتل (الفولغا) ، ويحلون في أرض من الغياض والمشاجر الملتفة. ويتاجرون (١٥٧٦) بالفراء (كالسمور والقاقم والسنجاب) ، ودراهمهم الغنلك . وتغزو البلكارية برداس ويغيرون عليهم ، ويسبونهم ، ويشترون الرقيق من الروسية . وهم قوم لهم زرع وحراثة ، يزرعون كل الحبوب كالحنطة والشعير والدخن وغيرها .

ولهم دواب ودروع وسلاح شاك ، ويبدو أنهم منظمون في



شكل ٢٨ .– أوربة الشرقية (الخطوط المتقطعة : طرق التجار الروس)

مملكة قوية . والبلكارية ثلاثة أصناف ، صنف منهم يسمى برصولا ، والصنف الآخر اشجل ، والثالث بلكار . والثلاثة متعادون ، إلا أنهم يتحدون في وجه أعدائهم . ومن مظاهر وحدتهم أيضاً ، اللغة ، المعتبرة « خاصة بهم » (١٥٧٧) ، والسلطة الملكية . فهم يؤدون الى ملكهم الدواب ، واذا تزوج الرجل منهم أخذ الملك منه دابة ، واذا جاءتهم سفن المسلمين (١٥٧٨) للتجارة ، أخذوا منهم العشر . ويسمى ملكهم المش (١٥٧٩) ، وهو ينتحل الإسلام . وأكثرهم ينتحلون الإسلام . وفي محالهم مساجد وكتاتيب ، ولهم مؤذنون وأئمة . وملابسهم شبيهة بملابس المسلمين ، ولهم مقابر مثل مقابر المسلمين (١٥٨٠) . والكافر منهم يسجد لكل من لقي من محبيه . وبالصيف يفترشون الأرض بالخركاهات . وفيما خلا هاتين الناحيتين الأخيرتين ، الأمور مألوفة عندهم .

ويبدو البلكار في هذه المرحلة أمة وصلت الى منتصف الطريق بين بداوة الفرسان المحاربين من جهة وبين الاهتمامات الحضرية التجارية والزراعية من جهة أخرى . مع ذلك ، لاشك ان هذه الاهتمامات سوف تتغلب على مدى قصير تقريباً ، يساعدها التوسع الاقتصادي ، وتمدين المدن ، وازدهار دار الإسلام . فحتى قبل منتصف القرن الرابع الهجري : / العاشر الميلادي ، يكاد نص الإصطخري (١٥٨١) يخلو من ذكر البداوة . ومهما يكن ، زال عهد تأدية الدواب الى الملك ووجود القبائل . وتفسر « شهرة البلكار » على ضوء موقع بلدهم كمركز تجارة دولية ، مع اختصاصهم بالكستّر (القندس) ، وتوفر أصناف عديدة عندهم ، يعطي المقدسي قائمة بها : وهي الفراء والجلود

المتنوعة ، وغراء السمك ، وأسنان السمك ، والنشاب ، والسيوف ، والدروع ، والنعال ، والقلانس ، والخلنج (١٥٨٢) ، والرقيق ، والشمع ، والعسل ، والأغنام ، والبقر .

وقطعاً ، ترسخت قوة البلغار في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . فأخضعوا مثلاً جيرانهم البجغرد . ولم يعودوا مسلمين في أكثريتهم ، مثلما قال ابن رسته (١٥٨٣) ، بل مسلمين بأجمعهم ، مما يشير بلا ريب الى آثار سفارة ابن فضلان (١٥٨٤) ، ومدنوا المدن مثل بلغار ، « المجتمع المتواضع » حسب الإصطخري . مع ذلك فيها مسجد جامع شأنها شأن جارتها سوار (١٥٨٥) . وعدد الناس في هاتين المدينتين ١٠٠٠٠ نسمة ، إلا ان كتاب حدود العالم (١٥٨٦) يصحح هذا الرقم لآخر القرن الرابع الهجري : العاشر الميلادي ، فيقول إن بلغار تستطيع أن ترسل الى الجهاد المقدس ٢٠٠٠٠ فارس ، يضاف إليهم فوارس سوار غير المحددين . ويأوي جميع هؤلاء الناس ، الذين يتغذون بالحنطة بكميات وافرة ، ويلبسون القراطق « التامة ، والروس القراطق الصغيرة » ، الى أبنية من خشب في الشتاء ، وبالصيف يفترشون الأرض في الخركاهات ، حسب التقليد البدوي .

وينفرد ابن حوقل (١٥٨٧) بالإساءة الى هذه الصورة ، فيشير الى الرقيق البلغار ، الذين يسبيهم محاربو خوارزم الأتراك بلا ريب ، وخصوصاً الى خرجة الروس الرهيبة في نهر اتل عام ٣٥٣ هـ / ٩٦٤ م ، وتخريبهم بلدان البلغار والبرطاس والخزر (١٥٨٨) . مع ذلك ، يختتم ابن حوقل ببارقة أمل ، ويتنبأ بنهوض الخزر (١٥٨٩) بعد مرور الكارثة ، ويصح تطبيق توقعه على البلغار : والحق يقال — والتاريخ شاهد — أن نهوضهم تم بالفعل (١٥٩٠) .

أخيراً ، استعرضنا في هذه العجالة بلد البلغار عبر التاريخ ، وفاتنا ناحية لايتضمنها الزمن حقيقة : هذا البلد ذاته الذي لا يتغير لا هو ولا نهره العظيم (١٥٩١) ، ولا مناخه خاصة . وهنا ، يشعر الرحالة أنه على طريق القطب : قليل صيف البلغار ، مثل نهار شتائهم ، قصير جداً ، حتى لا يتهيأ للإنسان أن يسير فيه إلا فرسخا أو فرسخين تقريباً ، ولا أن يفرغ من طبخ قدره حتى يأتي الصباح (١٥٩٢) .

البلغار في دارهم : ابن فضلان

نعرف قصة (١٥٩٣) السفارة التي بعث بها الخليفة المقتدر الى ملك البلغار ، بناء على طلب هذا الأخير . وكانت غايتها الرسمية توفير وسائل تمكن البلغار،الذين اعتنق بعضهم الإسلام سطحيا،من ترسيخ إيمانهم وبناء مجتمعهم على الشرائع الإسلامية . لكننا نظن بأن السياسة والاقتصاد تدخلا في هذه القضية ، فكان المقصود أيضاً تأمين مصلحة التجارة الكبرى وتجنب عقبة الخزر الذين كان وجودهم على نهر أتل الأسفل يقطع الطريق بين روسية الشرقية وبين دار الإسلام الشمالية ، نعني السواحل الجنوبية من بحر الخزر وخراسان وخوارزم (١٥٩٤)

وضمت البعثة التي ذهبت من بغداد في ١١ صفر ٣٠٩ هـ / ٢١ حزيران ٩٢١ م ، شخصاً رئيسياً ، هو ابن فضلان . ولا نأبه في الحقيقة لدوره الخاص في البعثة . ففي جميع الأحوال نحن نعتبره شخصاً أساسياً ، لأن قصة الرحلة التي خلفها لنا صادرة عن شاهد عيان رأى مباشرة ، وكتب وثيقةً استثنائيةً لا تتعلق بالبلغار وحدهم ، بل بالخوارزميين والغز والبجناك والبجغرد ، إضافة الى بعض المعلومات

عن الروس والخزر . إلا أن العمل يتركز على البلغاراو الصقالبة (١٥٩٥) على حد تسمية ابن فضلان لهم في غالب الأحيان .

طبعت وترجمت رسالة ابن فضلان عدة مرات : ونلدين الى م . كنار بترجمة فرنسية تمثل حواشيها نموذجاً (١٥٩٦) يضم المراجع والإيضاحات . وهذا يعني أن الطريق تمهدت أمام وصف المواقف الذهنية التي تعكسها الرسالة ، بعد أن عرض علماء الدول القضايا التاريخية الصرفة ، إن لم نقل حاوها . ولا يجوز أن تعوقنا قضية صحة النص بكامله . فاذا كانت يد مجهولة قد أضافت الى ما يفترض أنه التقرير الأصلي الذي جاء موجزا عندما رفع الى ديوان الخليفة ، بعض التفاصيل الخاصة بالعجيب ، لجعله ينسجم في مجمله مع ذوق العصر (١٥٩٧) ، فان ذوق العصر بالذات هو موضوع بحثنا ، حتى قبل الصحة التاريخية إياها .

لكن ماذا تقول الرسالة ؟ يستوفي نصها في البدء عرض معطيات تسلسل الرحلة – قصة السفر ، لقاء الملك ، الاستقبال ، تركيز البعثة ، قضايا اعتناق الإسلام (١٥٩٨) – ثم ينتقل الى الأحداث المتزامنة ، اي إعطاء لوحة البلغار بهذه الألفاظ : « ورأيت في بلده من العجائب مالا أحصيها كثرة (١٥٩٩) . تحوي هذه الجملة كل شيء . ذلك أنه يصعب جداً في الغالب أن نتحدث عن الخرافة فيما سوف يدونه ابن فضلان تحت عنوان العجائب . والأصح أن يقال بأنه يدون أموراً مذهلة لا أموراً عجيبة . ثم إن نوعية التدوين ورصانته وموضوعيته ، تزيل في الغالب صفة العجيب ، وسنعود الى هذه النقطة فيما بعد . لكن في قبلية هذا العجيب ناحية هامة : فهي تثير اهتمام (١٦٠٠) جمهور مولع بالنوادر ، بالمعطى الذي نزمع أن نقدمه له .

وتدخل المواضيع المعروضة على انها عجيبة بسهولة تامة في تصنيف كمي ، تأتي في طليعته ، متقدمة جدا ، مواضيع المناخ والحيوان والنبات (١٦٠١) . ثم تجيء ، سبّاقة بوضوح ، الملكية ، والاعراف الاجتماعية ، والاعراف العائلية ، والتغذية ، والتنظيم الداخلي ضمن المجتمع بكامله وعلاقاته الخارجية (١٦٠٢) . في النهاية ، تلي في مجموعة ثالثة ، طبغرافية البلد ثم التجارة في آخر القائمة تماما (١٦٠٣).

بالتالي ، ننسق دراسة بلد البلغار ، تلقائيا تقريباً ، حسب قوتها في ضمير المؤلف أو شدة تأثيرها في وجدانه إذا فضلنا . ولا شك أن ابن فضلان لا يسوقها دوماً على هذا النحو ، ويودع بعضها في شتى ثنايا اللوحة . مع ذلك ، يتعذر نقض التصنيف الكمي . وتعالج بعض المواضيع – وبعضها بالغ الأهمية ، كالمناخ والأعراف الاجتماعية على وجه التخصيص – في الصفحات الأولى من وصف العجائب : وتبدأ (١٦٠٤) بالطقس بدقة . اذن علينا نحن أيضاً أن نوليها اهتماماً خاصاً . مع ذلك ، حبذا لو سمح لنا أن ننتهي بما بدأ به ابن فضلان، تقيدا منا بقاعدة تقليدنا الأدبي الخاص بنا .

المملكة والمجتمع البلغاريان

يتلخص كل مايتعلق بالتجارة (١٦٠٥) ، في السوق القائمة على حافتي نهر أتل ، وفي جلب أغنام الترك وجلود السمور والثعالب من بلدان البحيرة البيضاء وبحيرة اونيغا . ولا غرابة : فالتجارة تسبق الدبلوماسية ، إلا أن التقرير أو « البرقية » ، على حد قول الدبلوماسيين، يعطي الحصة الكبيرة للدبلوماسية . لذلك يلحون على عرض البلد وخصوصاً على المقار الملكية قرب ثلاث بحيرات على مسافة بعيدة من نهر اتل

(١٦٠٦) ، أو اذا توغانا الى الشمال على أحد روافد نهر كاما ، المسمى الجاوشيز ، وهو نهر متوسط العمق ، يجتاز رقعة تتناوب فيها الغابات والغياض (١٦٠٧) .

وموقع مملكة البلغار الدولي أهم أيضاً . وعلى ملك الصقالبة ضريبة يؤديها الى ملك الخزر (١٦٠٨) . وابن ملك الصقالبة رهينة عنده ، مما دعـــا ملك الصقالبة أن يكاتب الخليفة مستنجداً به لإزاحة هذه الوصاية (١٦٠٩) . أما التنظيم الداخلي (١٦١٠) ، فيجمع آثار حالة البداوية وخصائص المملكة المركزية . فقد بقيت الجماعات القبلية، سواء كانت من أصل غريب وانصهرت ، مثل برنجار (١٦١١) ، أم منسوبة الى البلغار ، مثل سوار او سواز (١٦١٢) وملكهم في طاعة ملك البلغار ومصاهر له معاً . لكن تتوازن هذه البقايا القبلية مع ضريبة خاصة تؤدى الى الملك الذي يأخذ عطاءات عينية (١٦١٣) ، أو أيضاً عشر جميع السلع المستوردة من جنوب نهر أتل وعشر جميع الرقيق القادمين .

ويشهد الاهتمام بالمؤسسة الملكية ذاته على عظمتها . وتستطيع دار الإسلام ، التي تمثلها السفارة رسمياً وسياسياً ، أن تطلب تعديل أصول السلوك في هذه النقطة او تلك ، إلا أن هذه الأصول سبق وجودها وجود دار الإسلام (١٦١٤) . فاذا ركب الملك ركب وحده بغير غلام ، ولا أحد يكون معه . فاذا اجتاز في السوق ، لم يبق أحد إلا قام وأخذ قلنسوته عن رأسه . ولا بد لكل من يعترس من زلة للملك على قدر الوليمة ، وساخرخ من نبيذ العسل وحنطة.وللملك حصة من غنائم الغارات . وكل من يدخلون الى الملك ، حتى أولاده ، يأخذون

قلانسهم ويجعلونها تحت آباطهم ، ثم يومؤون اليه برؤوسهم ، ويجلسون ثم يقومون حتى يأمرهم بالجلوس ، وكل من يجلس بين يديه ، فانما يجلس باركاً . وقبة الملك كبيرة جداً ، تسع ألف نفس وأكثر ، مفروشة بالفرش الأرمني ، وله في وسطها سرير مغشى بالديباج الرومي . ويجمع في الحفلات الرسمية امرأته وأولاده وملوكه وقواده . ومتى تمت المراسم وقدمت الهدايا ، تنثر الدراهم الكثيرة على الملك وعلى امرأتة . ثم يدعو الملك بالمائدة فتقدم وعليها اللحم ، المشوي وحده . ويبتدىء الملك فيقطع لقمة ويأكلها وثانية وثالثة . ثم يقطع لقمة لكل من المدعويين على التوالي ، وتجيؤهم موائد صغيرة إفرادية . ومتى فرغوا من الطعام ، يحمل كل واحد منهم مابقي على مائدته الى منزله . ويدعو الملك بشراب العسل ، فيشرب قدحاً ويقوم قائماً ، حتى إذا فعل ذلك ثلاث مرات ، تنتهي المأدبة وينصرف المدعوون من عنده .

وينعكس الانتقال من وضع البداوة الى وضع الحضر ، الذي يشاهد على مستوى التنظيم الاجتماعي ، على عادات الحياة اليومية . ويدونه ابن فضلان ، حتى ولو فاتته صياغته الدقيقة . ففي التغذية ، مثلا ، يمكن ان نميز اقتصاد القطف مع التفاح الأخضر البري والعسل وماء شجرة الخدنج السكري ، ثم الممارسات البدوية مع استهلاك لحوم الدواب والتيوس ، ثم الزراعة مع استنبات الحبوب كالدخن والحنطة والشعير (١٦١٥) . لكن لاتزال الخبرة تعوز هذه الزراعة الحضرية البدائية . وهم يحفرون في الأرض آباراً ، ويجعلون الحبوب فيها ، فليس يمضي عليها أيام حتى تتغير وتريح . ويعملون من الشعير على وجه التخصيص حساء يحسونه الجواري والغلمان . وليس لهم زيت ولا

دهن البتة . وانما يقيمون مقام هذه الأدهان دهن السمك ، فكل شيء يستعملونه فيه يكون زفراً .

ولا يجادل أحد في ضعف تطور المنازل : فليس لديهم مدن حتّى الآن ، ولا أبنية من خشب كالتي سوف تشاهد بعد بضعة عقود (١٦١٦) ، ولا شيء سوى قبة البدو الكبيرة (١٦١٧) . ولا يقول لنا ابن فضلان عن الألبسة والهندام ، إلا أنهم كلهم يلبسون القلانس ، ويغتسلون جميعاً عراة تماماً في ماء النهر (١٦١٨) .

وتبدو الولادة والميراث صفات مأخوذة عن التقاليد التركية المنغولية ، شاذة جداً حتّى إنها دفعت الإسلام المناضل لأن يقول كلمته فيها على لسان ابن فضلان : كيف يقبل أن يكون الجد أحق بالمولود من أبيه ، أو أن يرث الأخ أخاه دون ولده (١٦١٩) ؟ كذلك تدخل الإسلام ، وهذه ناحية قديمة بلا ريب ، في العادات المأتمية : فأصبح الميت يغسل غسل المسلمين ويدفن في لحد . إلا أن الممارسات العتيقة بقيت قائمة : فعند وفاة أحد الأحرار على الأقل ، لابد أن ينصب مطرد بباب قبته ، ويحمل على عجلة تجره وبين يديه مطرد . ويحضر سلاحه ، ويدفن بعضه معه ، ويجعل الباقي حول قبره . ولا تبكي النساء على الميت ، بل الرجال منهم يبكون عليه . مع ذلك يوافي العبيد ومعهم جلود مضفورة يضربون بها جباههم . وتمتد هذه الطقوس على سنتين ، فاذا انقضتا حط الرجال المطرد ، وأخذوا من شعورهم ، ودعا أقرباء الميت دعوة (١٦٢٠) يعرف بها خروجهم من الحزن .

اذن يبدو أن تأثير الإسلام لم يتعد هوامش النظام العائلي . لكنه اصطدم أيضاً بمزيد من صمود نظام العلاقات الاجتماعية (١٦٢١) .

فهنا لايشاهد أي أثر للشريعة الإسلامية ، بل على العكس ، الدليل الثابت على مقاومة الوسط العنيدة : وقد قال ابن فضلان : « وما زلت اجتهد أن يستتر النساء من الرجال في السباحة ، فما استوى لي ذلك » .

بالتالي لاشيء — حتى ولا مجال السحر والكهانة — إلا ويندرج هنا في نظام طريف ، إما بلغاري صرف ، أو منسوب الى العالم التركي المنغولي ، كأصول الاستقبال : تقدم الأغذية الأساسية ، أي أغذية مجتمع بلغ حالة متوسطة بين البداوة والتحضر ، مثلما قلنا ، أو اللحم المجفف والجاورس والخبز . وكالمعتقدات : يتبركون بعواء الكلاب كثيراً ويقولون : : سنة خصب وبركةٍ وسلامةٍ . وكالمحرمات : اذا كانوا يسيرون في طريق فأراد أحدهم البول ، فبال وعليه سلاحه ، انتهبوه وأخذوا سلاحه وثيابه وجميع ما معه . أيضاً . اذا وقعت صاعقة على بيت لم يقربوه ويتركونه على حاله وجميع من فيه من رجال ومال. وكالعادات : تسود فيها الحرية التامة ، مثلاً ، ينزل الرجال والنساء الى النهر ، فيغتسلون جميعاً عراة ، لا يستتر بعضهم من بعض ، لكنهم يقتلون السارق ، كما يقتلون الزاني بتقطيعه بفأس وتعليق كل قطعة منه على شجرةٍ (١٦٢٢) . وكعقوبة القتل : اذا قتل الرجل منهم الرجل عمداً أقادوه به ، واذا قتله خطاءً صنعوا له صندوقاً من خشب الخدنك وجعلوه في جوفه ، وسمروه عليه . وجعلوا معه ثلاثة أرغفة وكوز ماء. ونصبوا له ثلاث خشبات مثل الشبائح ، وعلقوه بينها ، وقالوا : «نجعله بين السماء والأرض، يصيبه المطر والشمس ، لعل الله أن يرحمه» . ويقول ابن فضلان : « فلا يزال معلقاً حتى يبليه الزمان وتهب به الرياح». أخيراً الموت ، لكن هذه المرة موت الكائن الفذّ ، حامل القوى الخارقة ، الذي يستحسن كسبه بايجاد اتصال بين الأرض والهواء

(١٦٢٣) ، بين الجسد والروح ، بين الحياة والموت ، بين الانسان والمقدس : عندما يرى البلغار أن إنسانا له حركة ومعرفة بالأشياء قالوا : « هذا حقه أن يخدم ربنا » ، فيأخذونه ويجعلون في عنقه حبلاً ويعلقونه في شجرة حتّى يتقطع .

بلد البلغار : الطقس المتقلب

نبدي ملاحظتين عن النبات (١٦٢٤) : يتلاشى النبات بالمعنى الذي نفهمه ، مثاما أبنا من قبل في حديثنا عن أراضي أجنبية أخرى ، أمام اختيار نباتات غريبة أو مفيدة ، أو مفيدة وغريبة معاً . إلا أن هذا الاختيار ذاته ليس منهجياً ، ولا يتضمن تصنيفاً ، كما نقول اليوم : ويبقى تقديم بعض النبات المحدود محاولة مجازفةٍ ، ويرتبط تدوينه بلحظة كتابته (١٦٢٥) ، أو حتّى بآليات بسيطة . من كتابته .

وقد عرفنا من قبل الدخن والقمح والشعير ، وتستنفد هذه المحاصيل الثلاثة ما يزرع في الحقل البلغاري الفقير الذي لم يكد يخرج من مرحلة البداوة . وتضم الغابة الخدنج أو الخدنك (١٦٢٦) ، وشجر البندق الكثير الذي يؤلف غياضاً تكون الغيضة أربعين فرسخاً في مثلها ، والتفاح البري الأخضر والشديد الحموضة ، وشجراً له ماء « أطيب من العسل » ، إن أكثر الإنسان منه أسكره كما يسكر الخمر ، ورقه كالخوص في طرف ساقٍ مفرط الطول : لعله شجر الخدنج السكري ، وأخيراً نبتة تعطي حباً كالرمان الأمليسي : لعلها العنبية ؟

أما بشأن الحيوان (١٦٢٧) ، فيشار بسرعةٍ ، وتلميحاً أحياناً ، الى الدواب والتيوس والنحل والسمك . ويحير الكلب أكثر منها ، مثلما رأينا ، بسبب الاعتقاد المرتبط بعوائه . وتكثر الحيات عندهم ، ويعظم

بدنها في الغالب ، ولا تؤذي أبداً ، وتتلون وتتقلب حسب أشجار الغابة . أخيراً ، نذكر حيواناً يتحدث عنه ابن فضلان سماعاً ، ويقول إنه يعيش في « الصحراء الواسعة » : بدنه بدن بغلٍ ، وحوافره وذنبهُ مثل أظلاف الثور وذنبه ، ورأسه رأس جمل ، اذا رأى فارساً قصدهُ ، ثم زج به في الهواء واستقبله بقرنه ، ولا يعرض للدابة . ويصاد بالسهام المسمومة لأجل قرنه الذي تعمل منه الطيفوريات . ويختتم ابن فضلان بقوله : « وذكر بعض أهل البلد أنه الكركدن » . ليكن ، لكن يرجح جداً أنه كركدن مستحاثي ، تغذي ذكراه قصصاً تثابر على التحدث عنه بصيغة الحاضر (١٦٢٨) .

بقي أن نستعرض الظاهرات الجوية ، التي يتطرق اليها ابن فضلان ، ويتبسط فيها (١٦٢٩) في وصفه بلد البلغار . ويصاب الواصف بذعرٍ دائم . وحتى بقلق واضح ، أمام الطقس المتقلب . وأمام الطقس السائد أولاً : فهنا ، خطر الصواعق مستديم ، ويحمر الشفق قبل المغرب ، ويحمر كل شيء حين تطلع الشمس . وقبل مغيب الشمس ، تسمع أصوات شديدة في الجو ،وإذا فيه أمثال الناس والدواب ، واذا في أيدي الأشباح التي فيه رماح وسيوف ، تهمهم عالياً وتتشابه جداً ، حتى ليقبل المؤمن على التضرع والدعاء ، إذ من يثبت أنهم ليسوا جناً يقتتلون فعلاً (١٦٣٠) ؟ ويرى الأفق الأحمر ذاته عند بزوغ الشمس ، التي تطلع « كغمامة كبرى » وحتى تتكبد السماء ، ويحمر كل شيء في البلد من الأرض والجبال وكل شيء ينظر اليه الإنسان .

لاشك أن شعراً أصيلاً ينشأ هنا من الإحساس المحض بهذا المشهد الرائع . إلا أن التقلب مصدر العجيب ، يمس أيضاً الناحية الأخرى من

الزمن أي الجانب الذي يمضي ويقاس : أو بالأحرى — في هذا البلد الغريب — الذي يقاس قياساً سيئاً . ولا يهمنا موضوعا القدر التي ما آن لها أن تنضج بين المغرب والغداة ، ولا المسافات التافهة التي لايكاد يقطعها الإنسان في نهار فصل الشتاء (١٦٣١) ، مثلما تهمنا الصعوبات التي يلقاها المسلم في معرفة أوقات صلواته الخمس الشرعية في غضون هذه المدة المتبدلة الى حد كبير ، أو لوحة ليلة من ليالي الربيع ، ليلة ١٣ — ١٤ محرم ٣٦٠ : ١٣ — ١٤ أيار ٩٢٢ م ، عندما جاس ابن فضلان خارج القبة يراقب السماء التي يطلع القمر ساعة في أرجائها ولا يتوسطها ، والليل القليل الظلمة الذي يعرف الرجل الرجل فيه من أكثر من غلوة سهم . ولا يغيب الشفق الأحمر الذي قبل المغرب البتة ، ويتحول شيئاً فشيئاً الى فجر ، في حين لايرى سوى خمسة عشر كوكباً يكاد ضوؤها لاينضاف الى ضوء السماء المنتشر .

ولا نبالي بعد هذا ، سواء نجحت السفارة تاريخياً أم لم تنجح (١٦٣٢) . فقد نجحت بالنسبة الينا نحن الذين نستطيع بعد عشرة قرون ، بفضل أذكى أعضائها ، أن نقيس تأثير الغربة في ضمير المسلم البغدادي . ويبدو هذا التأثير قوياً جداً حتى إنه ينتزع من هذا الوجدان بصورة طبيعة ، خارج الدروب المطروقة ، نفحات الشعر الصادق الأزلي . فقد جاء من العراق الذي كان يعتبر مركز العالم (١٦٣٣) ، وأشعره هنا تفاوت طول النهار والليل الشماليين (١٦٣٤) بنسبية نظام قيمه (١٦٣٥) وبنسبية أسس حياته ذاتها أيضاً .

وندرك والحالة هذه أن مسألة صحة رسالة ابن فضلان برمتها ينبغي أن يعاد النظر فيها في إطار منطلقها ، وليس حسب قواعدنا

نحن : فعبر مواضيع الغربة ، تطرح كل قضية وضع دار الإسلام خارج مناطقها التقليدية فالامم والعروض والمشاهد والعادات ، كانت كلها جديدة بالنسبة اليها . بالتالي ، يحتمل جداً أن تكون « الروعة » قد ألفت الجزء الأساسي من نص الرسالة الأصلي . ولو رفض بعض العلماء اعتبارها منه . مع هذا التحفظ بأن ما كان يهم ابن فضلان ليس الروعة ، بل ماهو ضروري فقط (١٦٣٦) .

البرطاس

اذا نزلنا نهر أتل ، نصل الى البرطاس (البرداس) (١٦٣٧) . ولعلهم فنلنديون ، تفاوت تتريكهم ، ويتكلمون اغة خاصة بهم . في جميع الأحوال ، هم كثر ، ولهم رواء ومنظر وأجسام ، وهم مقيمون على طاعة ملك الخزر . ويغيرون على بلكار والبجناك (١٦٣٨) ، ويغير هؤلاء عليهم ويسبونهم (١٦٣٩) . ويقال لنا بأنهم ينتسبون بدينهم الى عالم الترك، والى الغز بوجه أدق . وتختار الجارية عندهم من أرادت من الرجال بصرف النظر عن سلطة الأب . ومنهم من يحرق الميت ، ومنهم من يدفنه . وليس لهم رئيس يضبطهم ويجوز حكمه فيهم . وفي كل محلة منهم شيخ أو اثنان (١٦٤٠) يتحاكمون اليه فيما يقع بينهم . واذا كان من أحدهم على الآخر إقدام أو ظلم أو إصابة بجراحة أو طعن لم يكن بينهم اتفاق واجتماع على صلح .

ولبرطاس أرض واسعة في سهل . وهم في مشاجر . وأكثر أشجارهم الخلنج (١٦٤١) . ولهم مزارع (١٦٤٢) . ولهم جمال كثر وبقر ، وأكثر أموالهم العسل والفراء : كالدلق والفنك ، والثعالب

الحمر والبيض والبقع أو السود (١٦٤٣) . وتتنافس ملوك العرب والعجم في لبس الثعالب السود لتدفئتها العالية .

وتأتي أكثر هذه المعلومات من ابن رسته (١٦٤٤) . ويكتفي سائر المؤلفين بتلخيصه أو ببعض التدوينات الطفيفة . ونتفهم هذا التقص الشامل جيداً جداً : فدار الإسلام تهتم قبل كل شيء ، اذا صعد المرء نهر اتل من مصبه ، ببلدان ضفته اليمنى ، أي البجناك وأخلافهم الغز ، لأنهم يقابلون واجهتها الشمالية الشرقية من جرجان، في الزاوية الجنوبية الشرقية من بحر الخزر ، الى ماوراء النهر ، مروراً بخراسان وخوارزم . أما على ضفة أتل اليسرى ، صعداً فتقع منازل البرطاس ، وهي بعيدة عن المراكز السابقة ، لاسيما أن من أراد الوصول اليها من أسفل النهر ، يضطر أولاً أن يجتاز حاجزاً هائلاً ، يحمل اسم أمة الخزر القوية التي تدخل في نزاع مع دار الإسلام لأتفه الأسباب.

الخزر : البلد وتاريخه

لاجدل في أن الخزر عنصر رئيسي في شبكة العلاقات الخارجية لدار الإسلام . بالتالي،اهتمت النصوص الجغرافية بهم اهتماماً جلياً عظيماً (١٦٤٤مكرر) ،ترتسم فيه ثلاثة تيارات،يمثلها ابن خرداذبه (آخر القرن ٣ / ٩ م) ، وابن رسته (اوائل القرن ٤ ﻫ / ١٠ م) ، وأخيرا ابن فضلان(حوالي ٣١١ ﻫ/٩٢٣ م) (١٦٤٥).ويعرض المؤلفون الآخرون حول هذه الصيغ الثلاث الأساسية بعض التكرارات ، والتجميعات ، والتصحيحات أو الإضافات . وأبرزهم ابن حوقل الذي يتوسع كثيراً في نصه اعتماداً على الإصطخري (١٦٤٦) ، ويتحسس تحسساً خاصاً وضع الواجهة الشمالية من دار الإسلام .

ونبدأ بالتاريخ : فأقدمه يعيدنا الى الزمن الذي كانت فارس الساسانية فيه تبذل جهدها لايقاف زحف الخزر نحو تخوم جبل القبق الشمالية ، بالحروب ، والمصاهرات السلالية والحصون الشهيرة التي تحدثنا عنها من قبل (١٦٤٧) . وتندرج الحملات الإسلامية ، خصوصاً حملة مروان بن محمد في عهد الأمويين ، في هذا التقليد من « الصد » : وقد رأينا من قبل أنها نجحت على الأقل في إبعاد دار مملكة الخزر من بلنجر وسمندر ، إلى الشمال الى بلدان نهر أتل ، ولم تترك لدار الإسلام والحق يقال ، سوى سيطرة ضعيفة جداً على البلد الواقع وراء دربند (باب الأبواب) (١٦٤٨) . ثم اتت الغارات الروسية على وادي نهر أتل . وقد استطاع الخزر في المرة الأولى أن يتخلصوا من الروس بثمن زهيد بفضل خداع بارع ، لكنهم دفعوا ثمناً باهظاً جداً فيما بعد ، لعله كان ثمن خداعهم ، عندما تعرضوا الى غارات روسية أخرى مدمرة هذه المرة ، إن لم تكن قاضية(١٦٤٩) تماماً أو مباشرةً .

وتدخل الخزر في أسقوتية القديمة ، ويجاورون أفلاغونية في هذه الكرتوغرافية ذاتها . وبذا نصبح على نطاق واسع في إطار التقريب (١٦٥٠) . وتطفو على السطح ذكريات أخرى تأتي من الأزمنة التي لم يكن فيها الشرق ، الجاهلي ثم الإسلامي ، قد اقترب بعد ، ولو بالسلاح ، من بلد الخزر النائي ، الذي يظن على نحو غامض ، بأنه يؤدي الى بلدان أخرى مجهولةٍ أكثر منه أيضاً : نعني بلدان ياجوج وماجوج ومنشك وماشك (١٦٥١) .

ويمكن تحديد موقعهم بطرق اخرى : فهم في الجناح الأيسر

من طير العالم عند ابن الفقيه . أو بوجه أدق ، في الإقليمين (١٦٥٢) الخامس والسادس . أو أيضاً : يتجاور الخزر مع أمم كثيرة—

تعدد بسخاء يسيء إلى الخريطة والتاريخ منها البرداس ، والغز والأبر (السرير) ، والبجناك . والمجغرية وحتى البشغرد والروسية (١٦٥٣) . ويقول ابن فضلان (١٦٥٤) تذعن لملك الخزر الملوك الذين يصاقبونه ، تماماً كالعبد لمولاه . مع ذلك يستدعي الواقع مزيداً من التدقيق،ويضيف الشك حسب عقود السنين وهذا امر محير.فالبرداس قطعاً في طاعة ملك الخزر ، ويخرج منهم عشرة آلاف فارس . ويقال إن الخزر فيما تقدم قد خندقت على نفسها اتقاء المجغرية (ابن رسته) . وينقض الأبر (السرير) من جبالهم الشامخة في القبق على السهل ، في حين تعبر الغز بخيلها على نهر الخزر المتجمد (المسعودي) . أما الروسية ، فينزلون في وادي نهر أتل ، ويحرقون ويسفكون الدماء . (ابن حوقل)

لنحاول أن ندقق في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . ينزل الخزر على ضفة نهر أتل (١٦٥٥) اليمنى . وهم متحالفون مع الروم (١٦٥٦) ، وتدخل في طاعتهم أصقاع واسعة جداً ، يقطنها البرطاس وحتى البلغار في الشمال (١٦٥٧) وتصل الى نهر تنيس في الغرب . وينتشرون نحو الجنوب باتجاه جبل القبق وعلى طول بحر الخزر (١٦٥٨) . في النهاية يؤلف البحر،هذا البحر الذي أطلقوا عليه اسماً من أكثر الأسماء شيوعاً (١٦٥٨ مكرر) ، مع السهوب المجاورة له ، والنهر العظيم الذي يصب فيه ، القاسم المشترك الكبير لبلد الخزر : وهو بحر شواطئه منبسطة وقاسية لاطرق فيها ، إما أن تنتشر فيها الغياض والأشجار ، أو المفاوز المقفرة ، أو الأنحاء الدائمة الأمطار (١٦٥٩) . ولا تعود الحياة الى الظهور إلا عند الماء العذب ،

قرب مصبات الأنهار . وعلى تخوم هذا البلد ، حول بمدينة سمندر الكثيرة البساتين والكروم (١٦٦٠) ، وعلى جانبي نهر أتل الأسفل حيث تسود في السهل ، مثلما سوف نقول ، زراعة لاتزال في منتصف الطريق عن الزراعة الحضرية .

أما النهر ذاته ، أتل (أو : نهر أتل لأن الأسم مشترك بين النهر وبين المدينة القائمة على مقربة من مصبه) ، وهو نهر الفولغا حالياً (١٦٦١) ، فيأتي حسب المؤلفين من أصقاع متباينة جداً (١٦٦٢) ، مما يدل على وجود التباسات بين حوض نهر أتل وأحواض رافده نهر كاما ، ونهر الأورال (ييق) ونهر امبا ، ونهر تنيس (١٦٦٣) وحتى نهر ارتش (١٦٦٤) . وأهم من ذلك رؤية المراكب في نهر أتل (١٦٦٥) الذي يزيد عرضه عن عرض نهر جيحون (اوكسوس) ، ويستغرب بقاء دلتاه مجهولة أو على الأدق مقلوبة . ويقال إنه يتشعب الى نيف وسبعين فرعاً ، تجتمع بأعلاه في نهر واحد غزير وهادر ، ويبلغ من كثرة هذه المياه وغزارتها أنها تنتهي الى البحر عن أماكن تتساقط اليه يقرب بعضها من بعض ، ويجري في البحر ، ويغلب على مائه حتى يجمد في الشتاء في وسطه لعذوبتها وحلاوتها ، ويتبين في البحر اونه من لون ماء البحر .

الحياة في بلد الخزر

ترتبط الخزر بالعالم التركي (١٦٦٦) بعلاقات غامضة . وتبرز النصوص الجغرافية القرابة(١٦٦٧)بينهما من جهة،وتبين الفوارق في الوقت ذاته . فلسان الخزر غير لسان الترك ولسان الفارسية ، ولا يشاركهم لغتهم لسان من السنة الأمم . (١٦٦٨) . « وليس يشبه الخزر الترك »

جسديا ، إذ الخزر بأجمعهم سود الشعور . وهم صنفان : فصنف يسمون قره‌خزر ، وهم سمر يضربون ، لشدة السمرة ، الى السواد كأنهم صنف من الهنود (١٦٦٩) ، وصنف « بيض ظاهرو الحسن والجمال » .

ولباس الخزر وبلغار وبجناك القراطق التامة ، ولباس الروس القراطق الصغار . وجاء في مكان آخر أن لباس الخزر ومن داناهم « القراطق والأقبية » ، وليس عندهم شيء من الملبوس وإنما يحمل اليهم من الروم ومما يصاقب بحر الخزر من الأصقاع الإسلامية (١٦٧٠). ولا يعتد بطول اللباس للحكم على مجتمع بكامله ، فهذه القرينة ضعيفة ، وأقوى منها الغذاء : فالغالب على قوتهم (١٦٧١) السمك ، وهو أدمهم (١٦٧٢) ، ثم الأرز والخبز (١٦٧٣) . ويستدل من الغذائين الأخيرين على وجود حد أدنى من المنشآت الزراعية الثابتة عندهم . فهذا التحضر السائر قدماً ، اذا جاز هذا القول ، وارد في النصوص الجغرافية : فالمسعودي يعتبر الخزر وحدهم جنساً من الترك كحاضرة ، وفي كلامه بعض المبالغة بلاريب (١٦٧٤) . إلا ان بعض المؤلفين الآخرين يوردون تفصيلا أدق : فيتحدثون عن أشجار في دار المملكة أتل وحتّى حولها (١٦٧٥) ، في حين يروى بأن قراها (١٦٧٦) ليست كثيرة ، غير أن مزارعها مفترشة ، تمتد بدقة على عشرين فرسخاً أي ١١٥ كم . مما يدل على وجود زراعة واسعة ، تتخير الترب الخصبة (١٦٧٧) ، ولا تأبه كثيراً بقطع الأرض . فليسوا فلاحين بالمعنى الصحيح ، انّما هم أناس يمضون فصل الشتاء في المدينة ، ويخرجون في الصيف بأجمعهم الى ما يرومون حراثته ، في شبه بداوة من نوع جديد ، ومتى حصدوا

زرعهم ، حملوه بالعجل الى النهر ثم نقلوه في السفن التي تنزل نهر أتل الى المدينة ، وما قرب منها ينقل بالعجل اليها .

وتعتبر المدن (١٦٧٨) برهاناً آخر على تحضر لم يكتمل بعد إنجازه . واذا أغفلنا ذكر داري المملكة القديمتين ، بلنجر وسمندر ، اللتين صارتا على اطراف المملكة بعد أن تركزت هذه الأخيرة على جانبي نهر أتل الأسفل ، وجدنا أن جميع الأسماء المعطاة لنا ، وهي خمليخ (١٦٧٩) ، والبيضاء ، وسارشغر ، وأتل ، وخزران ، تدل على مدينة واحدة . وهذه المدينة قطعتان ، إحداهما من غربي النهر وتسمى خزران ، والثانية شرقية وتسمى أتل . وتمتد أتل على نحو فرسخ ، ويحيط بها سور له أربعة أبواب ، أحدها يلي النهر . وهي المدينة بالمعنى الصحيح ، بها تجار ، وخلق كثير من المسلمين ، لهم مساجد وكتاتيب ، وما يميز المدن من أسواق وحمامات . مع ذلك ، دورها مفترشة ، وابنيتها كالخركاهات (١٦٨٠) من خشب قد غشيت بلبود إلا شيئاً يسيراً بني من الطين . أما خزران ، فمقر الملك وقطعة محظر الدخول اليها . فيها حاشية الملك وجيشه والخاصة ، والخزر الأقحاح . وفيها قصر الملك ، وهو من آجر (١٦٨١) ، وليس لأحد بناء من آجر غيره ، ولا يسوغ الملك ذلك لغيره .

ولا تكتفي هذه المدينة بأن تتنعم بسور واسع جدا ، بل يهجرها قسم من أهلها متى جاء الصيف ، وتحمل بوضوح كبير سمة بداوة لاتزال حديثة ، حتى ليظن بأنها قطعة من السهب ذاته ، لا قطعة خسرها السهب حقيقة . وتعيش من الحركة كالسهوب ، فتضيف الى المزارعين المتنقلين فيها قوافل التجارة التي تراقبها . وتتلقى قطعتها الشرقية (أتل)

مايصلها عبر نهر اتل وتنيس : لاسيما الرقيق ، والفراء (خصوصاً القندس) والبقر والأغنام والشمع والعسل . وتعيد توزيعها جميعاً ، برا ، على أنحاء خوارزم ، وبحراً ، على مراسي الزاوية الجنوبية الشرقية من بحر الخزر ، على جرجان وأبسكون ، ومنهما الى فارس وبغداد (١٦٨٢) . وتذهب من أتل بالاتجاه المعاكس الثياب (١٦٨٣) ، مثلما قلنا .

ويجب تدقيق هذه الوظيفة التجارية . فأتل في الأساس مدينة مرور ، وإعادة توزيع سلع ، يخرج منها ماجلب اليها ، ولا يحمل منها إلا غري السمك (١٦٨٤) المصنوع محلياً . ويلعب الروس والتجار المسلمون الأدوار الأولى (١٦٨٥) في هذه التجارة .

لا ريب أن هذه التجارة تغني بلد الخزر (١٦٨٦) . إلا أن هذه الثروة لاتعتمدعلىانتاج محلي ، فتنطوي على نواحي الضعف في صميم تكوينها . فاذا انتقلت محاور التجارة ، فسد كل شيء (١٦٨٧) . مثال : لايمكن ألا تتأثر وظيفة المرور التي يقوم بها نهر أتل ومدينة أتل بين البلغار وخوارزم ، بالتموينات المباشرة التي يحصل عليها الخوارزميون من غاراتهم على بلد البلغار . وهكذا تتكشف في النمط الحربي أو السلمي — لنتذكر سفارة ابن فضلان — ثابتة في السياسة الإسلامية في هذه الأصقاع ، نقصد الحرص على الالتفاف على عقبة الخزر ، واختصار طريق تجارة أتل (١٦٨٨) : وهذا حل واضح جدا ، كله أرباح — اقتصادية ورسوم مرور (١٦٨٩) — ولا خسارة فيه ، مادام البلد لاينتج شيئاً . لذلك تبدو أهمية مواقع الخزر هائلة من الناحية الستراتيجية ، ومعدومة من الناحية الاقتصادية .

المجتمع الخزري

مجتمع الخزر مجمع أديان متنوعة : إسلام ، ونصرانية ، ويهودية ، ووثنية ، ومجمع إثنيات أيضا يضم الخزر طبعاً ، والروس والصقالبة . وأغراباً أخر ، بدءا ممن يجيء منهم من بلدان دار الإسلام . ويشكل المسلمون (١٦٩٠) جماعة قوية وحتّى غالبة (١٦٩١) ، تتمتع بنظام خاص ، سندرسه ، مع غيره من الأنظمة في الفصل قبل الأخير من هذا الكتاب . وقلنا بأنهم يسيطرون على جانب هام من العمليات التجارية ، لكنهم يقدمون أيضاً نخبة جند الملك . والحقيقة أن هذه الصفوة لان،اعتنقوا الإسلام (١٦٩٢) ، يعرفون باللارسية ، حصلوا على حرية إظهار دينهم ، وعلى ألا يحاربوا أهل ملتهم متى كان لملك الخزر حرب مع المسلمين (١٦٩٣) والجاهلية (الصقالبة والروس) هم جند الملك المرتزقة وعبيده . ويبيعون أبناءهم لهذه الغايات ، ويقال بأن لا النصارى ولا اليهود يستعبدون أولادهم، ونضيف بالأحرى المسلمين (١٦٩٤) . والنصارى أقوياء أيضاً . ويرى الإصطخري أن النصارى والمسلمين يؤلفون أقوى فئة ، وفي كلامه مبالغة . ويقول المسعودي : « فاذا اتفق المسلمون ومن بها من النصارى ، لم يكن للملك بهم طاقة » (١٦٩٥) .

في جميع الأحوال ، يبقى اليهود على حدة . ولا يعني هذا القول أنهم يمثلون كتلة معينة . واذا كان بعض المؤلفين يعتبرون اليهودية طاغية ، أو حتّى دين الخزر الوحيد ، فإن النصوص على العموم ، تشدد على تفوق اليهود الواقعي أكثر مما تلح على أهميتهم العددية . ذلك أن اليهودية دين الملك وضباطه ووزرائه أو خاصته ، وعامة

دين جميع الخزر من جنسه . وهذا التهود حديث ، لأن الملك تهود في خلافة هارون الرشيد (١٧٠ هـ / ٧٨٦ م — ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م) بيد أن الاندفاع الحاسم تم في وقت لاحق أيضاً ، عندما نقل ملك الروم أرمنوس الأول من كان في ملكه من اليهود الى دين النصرانية وأكرههم ، فتهارب خلق من اليهود من أرض الروم الى أرض الخزر (١٦٩٦) عام ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م .

أمام هذا التنوع الكبير ، تطرح معرفة ما إذا كانت توجد إتنية نوعية خزرية في منجاة عن تأثير العوامل الخارجية ، أو إذا كان المجتمع المحلي ، على النقيض ، يتحدد بما يأخذه عن جميع المجتمعات ، واذا كان هذا المجتمع ، في هذه الحالة ، يضع هذه الاستعارات جنباً إلى جنب ، أو يدرجها في نظام جديد . فمن جهة أولى ، يبدو جليا أن « الوثنية تقاوم : فالسجود كتحية شائع ، ويعيدنا حرق الموتى مع دوابهم وسلاحهم وحليهم ، إلى العالم التركي المنغولي . إذن يستطيع الإصطخري وابن حوقل أن يعلنا بحق بأن الغالب على أخلاقهم أخلاق أهل الأوثان ، وأن أعرافهم تخالف أعراف دين الإسلام واليهود والنصارى (١٦٩٧) .

لكن من جهة أخرى ، تأثرت هذه الوثنية التقليدية بالحضارات الأخرى تأثيرا واضحاً جداً . فرسم دار مملكة الخزر أن يكون فيها قضاة سبعة : اثنان منهم للمسلمين ، واثنان للخزر يحكمان بحكم التوراة ، واثنان لمن بها من النصرانية يحكمان بحكم الانجيل ، وواحد منهم للصقالبة والروس وسائر الجاهلية يحكم « بأحكام الجاهلية ، وهي قضايا عقلية » . فهل هذا تجاور حضارات

اذن ؟ لاشك . مع ذلك ، هذه العدالة نصف المفوضة نصف المحتفظ بها ، تحكم في لاعلم لها به من النوازل العظام ، بما توجبه شريعة الإسلام ، ويجتمع الفرقاء (١٦٩٨) عند القضاة المسلمين ويحتكمون اليهم .

وهكذا يبدو أن شبه تنظيم إجمالي شرع يرتسم بتردد . ولا يسع حضارة من الحضارات ألا تتأثر بالاجتهادات التي يطبقها او يخرج بها الآخرون الى جانبها . وتتطلع دار الإسلام اعتماداً على أهمية أهلها (١٦٩٩) الى لعب الأدوار الأولى في هذه الجموع . لكن في النهاية ، يسود انطباع يغلب فيه الاعتقاد بأن لدى كل طائفة القدرة اللازمة للبقاء لاتستطيع أن تبنين البناء الكلي (١٧٠٠) . وبذا يخضع نهر أتل الأسفل الى شعار التعايش الواقعي لنقص التساهل على مستوى المبدأ .

مملكة الخزر : الرمزية الملكية

يتجلى الالتزام بالتقاليد الإسلامية باعتدال في هذا اللفيف من المدنيات . وعلى النقيض ، تسود الأعراف الخزرية على جهاز المملكة على نطاق واسع . ويتساهل المرء بقضية الضريبة : ففيما عدا توظيف الملك على أهل القوة واليسار فرساناً ، لاتستدعي تعليقاً خاصاً ، لا الوظائف على أهل المحال والنواحي بما يحتاج اليه الملك من كل صنف ، ولا عشور التجارات ، أو الأرصاد : فلا شيء فيها يخرج على المألوف في تاريخ مصلحة الضرائب (١٧٠١) .

أما الجيش (١٧٠٢) ، فينفرد بخصائص مميزة أطرف بكثير . وقد وصلت شهرة الجندي الخزري الى بغداد والروم (١٧٠٣) . وهو فرد في مواكب عساكر « لهم جمال ظاهر » (١٧٠٤) ، يغزون

البجاناكية في كل سنة وتكفي مغازيهم لتدريبهم . وإذا خرج ملكهم لوجه من الوجوه هيئ بين يديه مثل شمسة على صنعة الدف يحتمله فارس يسير به أمامه ، فهو يسير وعسكره خلفه يبصرون ضوء تلك الشمسة . ويخرجون بأسلحة تامة محلاة وأعلام وطرادات وجواشن محكمة . ويكون ركوبه في عشرة آلاف أو اثني عشر ألف فارس ، ممن وظف على الأغنياء (١٧٠٥) ، أو ممن هو مرتبط وأجري عليهم لقاء خدمة إجبارية دائمة . واذا مات منهم رجل ، أقام الملك غيره مكانه لكي لاتنقص جيوشه . وليس لهم جراية دارة ولا أرزاق معلومة في شهر معلوم ، بل يوصل اليهم اليسير في المدة الطويلة والأوقات المتراخية اذا حزبهم خوف أو لزمهم حرب اجتمعوا له (١٧٠٦) . أما حرس الملك الخاص — اللارسية الذين تحدثنا عنهم من قبل — فأربعة آلاف الى سبعة آلاف ، حسب التقديرات ، بين رامحة وناشب بالجواشن والدروع والخوذ .

ويخضع الجميع الى انضباط لايرحم ، يجعل الجندي يستقتل في مكانه ولا يولي الدبر بوجه ولاسبب، لأن من الأفضل له أن يموت في ساحة الوغى من أن يموت بأمر الملك الميتة التي تنتظر الهاربين . يضاف الى ذلك العار والعذاب للقواد الذين يحضر نساؤهم وأولادهم فيوهبون بحضرتهم لغيرهم ، وهم ينظرون . وكذلك دوابهم ومتاعهم وسلاحهم ودورهم . وربما قطع كل واحد منهم قطعتين وصلب . وربما علقوا بأعناقهم في الشجر . وربما جعلوا ، اذا أحسن الملك اليهم ، ساسة خيل .

ولا سلطة للملك خارج هذه الصلاحيات . وهو لايقوم بقيادة

الجيوش، بل يعتبر رمزاً . وتناط به وظيفة سحرية ، وهو وسط بين المقدس والإنسان ، وعلى هذا الأساس بلا ريب ، يتدخل في حالة الهزيمة ، لكي يدرأ القدر ، فيبت بموت المسؤولين عنها . لكن فيما يتعلق بسائر الشؤون، فقد رأى الجغرافيون جيداً ، وسجلوا بدقة أصالة المؤسسة الملكية عند الخزر (١٧٠٧) . اذن ما هو إطارها ، وماهي ممارستها وعلاماتها ؟

فأولا، من هو الملك؟ تميز النصوص الجغرافية (١٧٠٨) بين الملك وبين الخاقان . فالملك الذي يدعى أيضاً «به» أو «خاقان به» (١٧٠٩) ، صاحب السلطة الحقيقية : فهو الذي يقود الجيوش ويسوسها ويدبر أمر المملكة ويقوم بها ، ويظهر ويغزو . ويعين في وظائف السلطة ، ويفرض العقوبات . ويمثل في الحفلات العامة سلطة الدولة . ويخلفه رجل يقال له كندر خاقان (١٧١٠) ، ويخلف هذا أيضاً رجل يقال له جاوشيغر (١٧١١) . إلا أن المسعودي يوضح بدقة : « ولا تستقيم مملكة الخزر لملكهم إلا بخاقان يكون عنده في دار مملكته ومعه في حيزه » . ويعقب ابن حوقل بدقة أيضاً موسعا في هذه النقطة نص الإصطخري : « واذا أرادوا أن يقيموا ملكاً بعد هلاك ملكهم ، جاء هذا الخاقان به ، فذكّره الله ووعظه وعرّفه ماعليه وله من حقوق الملك وأثقاله ، وما ينوبه من الإثم والوزر فيما يتكلفه ، إن قصّر فيه أو عمل بغير الواجب منه ، وأتى غير الصواب والحق في أحكامه . فربما لم يجبهم من عملوا على ولايته ، اذا سمع ذلك القول ورعاً وزهداً ورغبة عما يسمعه مما يناله فيما يزعم أن الله يجعله له بتركه الولاية وضعفه عن القيام بها . »

يؤكد هذا التفكير الطويل(١٧١٢) تأكيداً عظيماً على المراسم الأساسية لسلطة الملك . فليس للخاقان، أو الخاقان الكبير ،أو طرخان (١٧١٣) ، وهذا اسم آخر له ، من الأمر والنهي في الخزر شيء ، غير أن الجميع يعظمونه ويسجدون له لأنه رمز المملكة والقيم عليها . ولا تضاهي أهمية مبدأ السلالة أهمية الجدارة الشخصية . ولا تصلح الخاقانية إلا في أهل بيت معروفين لاتتعداهم (١٧١٤) ، فاذا بلغت أحداً منهم ، عقد له ولا ينظر الى ماحاله عليه من العسر واليسر والتقتير . وبائع خبز شاب في أسواقهم أحق بالخاقانية التي لاتنعقد إلا لليهود .

ويمر تمجيد الرمز الملكي أي الخاقان بسمات معروفة من الأبهة والعظمة(سرير في قبة ذهب لايضرب إلا لخاقان عند بروزه ، ومضاربه فوق مضارب الملك ، ومسكنه في البلد أرفع من مسكنه،قصر مبني من آجر ليس لأحد أن يبني به) ، تضاف اليها العزلة . ولا يدخل الى خاقان إلا زوار نادرون في أمور جسام . وحتى الملك ، يدخل اليه متواضعاً يظهر الإخبات والسكينة ، حافياً ، يتمرغ له في التراب ، ويسجد ، ويوقد بين يديه الحطب . وفيما عدا هذه المقابلات ، يعود القصر الى عزلته ، بعيداً عن النهر (١٧١٥)، في أقصى خزران، القطعة الملكية . ويعيش خاقان في جوف قصر (١٧١٦) . واذا ركب هذا الملك الكبير في حرب (١٧١٧) ، ركب سائر الجيوش لركوبه ، ويكون بينه وبين المواكب ميل ، فلا يراه أحد من رعيته ، إلا خر لوجهه ساجداً له ، لايرفع رأسه حتى يجوزه (١٧١٨) .

ويبرز م . كانار ازدواج السلطة وعزلة الخاقان ،فيكشف عن مسحة المقدس السائدة « لدى الأمم الحامية البدوية ، التي تعزل الملك

تماماً عن الناس » (١٧١٩) . فالملك حاكم يستمد سلطته من السماء (١٧٢٠) ، ويفصل على هذا الأساس بالدرجة الأخيرة في القضايا العويصة (١٧٢١) ويبلغ من طاعة الخزر لملكهم أن أحدهم ، ربما وجب عليه القتل،ولا يحب الملك قتله ظاهراً،فيأمره أن يقتل نفسه ، فينصرف الى منزله ويقتل نفسه ، بحرية ، لايكرهه على هذا العمل سوى رهبة سلطة سماوية في النهاية .

ولا تتجلى هذه السلطة السحرية البتة ، مثلما تظهر في الحرب : فالخاقان يركب وتركب معه سائر الجيوش ، طلباً لعون القوى السماوية . وقد رأينا أنه يقتص من المنهزمين لدرء القدر . لكن حذار، اذا أجدبت أرض الخزر أو توجهت عليهم حرب لغيرهم من الأمم ، نفرت الخاصة والعامة الى ملك الخزر ، فقالوا له :« قد تطيرنا بهذا الخاقان وأيامه وقد تشاءمنا منه » ، فاقتله أو سلمه الينا نقتله . فاذا لم يستطع أن يدافع عنه ، ربما سلمه اليهم فقتلوه ، وربما تولى هو قتله .

لكن دعونا نقلع عن إكراه الآلهة ، واذا نلنا رضاهم، لنتحاش أن نطمح بدوامه الى الأزل . فاذا استلم الملك وظيفته ، خنقه خاقان الخزر بحريرة ، فاذا قارب أن ينقطع نفسه ، قيل له كم يحب أن تكون مدة ملكه ، ثم يحرر . فان بقي بعد ماذكره بلسانه ، قتل بعد بلوغه أجل مدته . إذن تجري الأمور كما لو كان ملكان ممكنين فقط : ملك شؤم ينتهي مثلما قلنا بقتل الملك ، أو ملك سعيد ، لكن محدود زمنياً ، أي بوفاة الخاقان الطبيعية ، أي بقضاء الله (١٧٢٢) ، وإما بقتله لتجنب غضب السماء حيال تمسكه بالسعادة (١٧٢٣) .

اذن من هو الملك الإنسان بعد كل هذا ؟ فما دام الخاقان يقوم

بمهام هذا المنصب الذي يتجاوزه ، فهو كل شيء : إنه يوحي برهبة تأتي من الآخرة ، وهو غني ، ويتطلع ولو رمزياً على الأقل ، إلى امتلاك العالم : فلمدينة أتل أربعة أبواب حسب الجهات الأصلية (١٧٢٤) ، وله خمس وعشرون امرأة ، كل امرأة منهن ابنة ملك من الملوك الذين يحاذونه ، وتزيد ذريته باضافته الى هؤلاء الحرائر ، ستين من الجواري السراري ، ما منهن إلا فائقة الجمال . وكل واحدة من الحرائر والسراري في قصر مفرد ، لها قبة مغشاة بالساج ، ولكل واحدة منهن خادم يحجبها ، ويوافي الملك بها متى أرادها .

لكن ، متى مات الملك ، بأجله أو قتلا ، يختفي ذكره تماماً وتبنى له دار كبيرة تحت الأرض ، فيها عشرون بيتاً ، مغشاة كلها بالديباج : تسعة عشر اذن لافائدة منها ، إلا لتضليل التحريات المحتملة عن ضريحه . هذا اذا توصلوا فقط الى اكتشاف مكانه . ذلك أن هذا الضريح يحفر إما في سرير نهر ، بعد أن يحول ليسمح بالأشغال ، أو في الأرض ، ثم تمهـد الأرض وتسوى وتفرش بالحجارة المكسرة كالكحل ، وتطرح النورة(١٧٢٥) فوقها . وتتخذ احتياطات قصوى ، إذ تضرب اعناق الذين يدفنونه . وهكذا يلغى كل اتصال ، في حالة المتوفى ، بالشيء المقدس الذي كان يحتويه في حياته ، والذي التحق به بعد مماته — بالتسامي — ويناط بشخص آخر ، بخليفته ، أن يعيد الاتصال . وهكذا يلغى أيضاً الفضاء الإجمالي الذي كان يتطلع اليه العاهل المالك . أو بالأحرى ، يصبح هذا الفضاء الشامل ، لكن البشري ، الفضاء المطلق : أي فضاء الأزلية ، ويقول الخزر عن ميتهم إنه « قد دخل الجنة » ، ونتفهمهم : لأنه إذا كانت الآخرة حقيقة من الناحية المبدئية ، ما لايمكن تصوره ومفهمته على الأرض ، ينبغي

أن تصبح هذه الأرض لاشيء ولا مكان لها في الوجود ، ولن يكون لها (١٧٢٦)

وجود أمم معروفة بين نهري تنيس ودنبه : البجاناكية والمجغرية

تتم كتابة التاريخ في ردود فعل مسلسلة بين بحر ميوطيس ونهر دنبه الأوسط . فقد طرد الغز (١٧٢٧) قبائل البجناك . فزحفت البجاناكية نحو الأودية السفلى من نهري تنيس والدنيبر ، وطردت المجغرية منها بدورها . ونود قبل تتبع المجغرية أن نبقى قليلاً مع محتلي الأراضي الجدد (١٧٢٨) . ويعرف مؤلف كتاب حدود العالم تاريخهم جيدا ، ويروى أن عند هؤلاء الأتراك الخركاهات واللبود وقطعان الغنم السائمة . وأرض البجناك غنية ، لكنهم يتعرضون إلى غارات الخزر والبرطاس وسبيهم . والحق يقال أنهم أشداء يجوبون الآفاق . ويوصلهم ابن حوقل الى الأندلس ، لأن الإنسان يعطي الثري، حتى في هذه الناحية . (١٧٢٩) .

ويتحرك كل شيء في هذه البلدان الواقعة الى شمال بحر بنطس وعلى ساحله ، وتتغير الخريطة تبعاً لذلك : ويذهب المسعودي الى حد إدخال البجناك في جملة الروم (١٧٣٠) والإصطخري أرصن منه ، يقول بأنهم في جوار الروم (١٧٣١) ، مما يوصلنا الى المجغرية . وهم نازلون مثلما قلنا في أنحاء بحر ميوطيس الشمالية (ليبيديا) ، وضغط عليهم البجناك عام ٨٩٣ أو ٨٨٩ ضغطاً قوياً ، وردوهم الى بلد اتلكز ، بين نهري الدنيبر وسيريت . وفي مطلع القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، لاحقهم البجناك مجدداً إلى أصقاع أبعد أيضاً باتجاه الغرب ، وانتصروا عليهم واحتلوا أماكنهم بأنحاء نهر دنبه

الأسفل ، على حد تلميح الإصطخري باحتراس شديد بلا شك . أما المجغرية فشرعوا بعد ذلك يتقدمون نحو السهول البانونية ، حيث سيقرعون أجراس الحزن على مملكة مراوة الكبرى (مرفات) : وبذا نبلغ أبواب بلدان الصقالبة (١٧٣٢)

اذن يمكن أن يتحدد نزول هؤلاء المجغرية في ثلاثة أماكن مختلفة حسب العصور . إنما يطلق اسمهم أحياناً أيضاً على أمة درسناها من قبل (١٧٣٣) ، نعني البشجرت الذين يتنازلون أحياناً بالمقابل عن اسمهم إلى المجغرية. وسوف يقوم حق التقويم التعقيد الذي جعلنا نتردد من قبل (١٧٣٤) في تقسيم تدويننا الى بشجرت في أحد الاماكن ، ومجغرية في غيرها : وكاد يستحيل علينا أو يدفعنا الى المغامرة في معظم الأحيان . لكن يفضل دوماً ، الآن وسابقاً ، الاعتماد على الوقائع الثابتة .

وما دام البحث يختص بالمجغرية ، نأخذ من ابن رسته نصاً يبدو صادقاً ، باستثناء (١٧٣٥) كلماته الأولى . فهو يقول إن حداً من بلادهم يتصل ببحر الروم ، وينصب الى ذلك البحر نهران ، أحدهما أكبر من جيحون . لاشك البتة أن المقصود نزول المجغرية بليبيديا ، وهذا البحر « الرومي » هذه المرة ليس البحر المتوسط ، بل بحر بنطس أو بحر ميوطيس أو بالأحرى الإثنين معاً ، اذ يشار الى نهري تنيس والدنيبر (١٧٣٦) في الواقع .

وتجتمع المجغرية حول ملكهم ، الذي يركب في مقدار عشرين ألف فارس . وهم عبدة نيران ، ويغيرون على جميع الأمم المجاورة لهم (١٧٣٧) : وقد رأينا أن الخزر كانت قد خندقت على نفسها اتقاء المجغرية . وهم أغنياء ، يلزمون الصقالبة بالمؤن الغليظة ،

ويسيرون بالسبايا الى كرخ (١٧٣٨)،وتخرج الروم اليهم،فيدفعون اليهم الرقيق ، ويأخذون منهم الديباج الرومي والزليات ، أخيراً بلادهم واسعة ذات شجر ومياه ، وأرضهم ندية ، ولهم مزارع كثيرة ، ولهم قباب،يسيرون مع الكلاء والخصب . ويصطادون السمك من الأنهار في الشتاء .

ويسوقنا الإصطخري الى ميدان متين آخر ، يتبعه ابن حوقل (١٧٣٩) فيه مثل ظله . فيميز النص بعناية بين بشجرت النازلين في جوار الغز وبين بشجرت الداخل ، يعني المجغرية المتاخمين لبجناك ، وهم وبجناك أتراك في جوار الروم . ولعل ذكر المسالك يقدم لنا إحالة بعيدة جداً والحق يقال إلى نزول المجغرية في اتلكز (١٧٤٠) .

بقي أن نتحدث عن كتاب حدود العالم (١٧٤١) الذي ينقل عن ابن رسته والإصطخري معاً ، مما يؤدي الى تداخل تقليدين : فمن جهة ، يشير مكان « المجغرية » على خريطة العالم العامة ، بوضوح الى بشجرت ، وليس الى المجغرية الذين نتكلم عنهم هنا . لكن يكرر الوصف صفة صفة تقريباً وصف ابن رسته ، الذي ينطبق ، مثلما قلنا ، على مجغرية ليبيديا . فيما عدا فارقين فقط : يقال لنا بأن المجغرية « سفلة » ، وهذا على الأقل غير منتظر في نص مشبع تماماً بقيمتهم الحربية (١٧٤٢) ، ويجاورون — رغم موقعهم الإجمالي على الخريطة ، مثلما رأينا منذ قليل — البلغار النصارى ، مما يحيلنا الى إقامة المجغرية في اتلكز (١٧٤٣) .

ختاما ، نقول إن كرتوغرافية البلدان المجغرية تشبه لغزاً متبدلا ، على غرار تاريخهم . لكن لايزال عنصر ناقصاً في هذا الغموض الكبير : هو عنصر وصولهم الى السهول البنونية مع إخضاعهم مراوى (١٧٤٤) .

نحو أوربة الدانوبية : امة بلغارية أخرى ، باسم ولندر

قلنا منذ قليل إن مراوى توصلنا الى أبواب أرض الصقالبة . ولعل البلغار أيضاً يزيدون من تقريبنا منها . ونروي القصة باختصار : فقد انطلقت أمة البلغار التركية من الأنحاء الشرقية من بحر ميوطيس (١٧٤٥) في القرن الرابع الميلادي ، وتفرقت . وبقي بعضهم في مكانه . وانتقل غيرهم الى ملتقى أتل ــ كاما ، حيث رأيناهم ووصفناهم. واندفع آخرون أيضاً ، حوالي عام ٦٧٨ حتّى البلقان الدانوبي ، حيث أسسوا مملكة قوية امتدت ، في عهد قيصرهم سيميون (٨٩٣ــ ٩٢٧) حتّى بحر اذريس . لكن لن تلبث هذه النواة الأولى البلغارية الحالية ، أن تفقد بسرعة خصائصها الأصلية بسبب قيامها في صميم بلد الصقالبة : فقد تصقلبت ، واعتنقت نصرانية الروم الأرثوذكس (١٧٤٦) في عام ٨٦٥ م .

اذن كانت الأمور بسيطة ، لو أن مصادرنا لم تشوش هذا التاريخ، ولولا أن البلغار يحملون أسماء كثيرة : مثل بلغار ، وبلغاري ، طبعاً، لكن أيضاً بلغار الداخل ، أو صقالبة أو أيضاً برجان ، وهم يشتركون في هذه التسمية الأخيرة مع البرشان (برغوند) .

وينزل البلغار على شواطىء بحر بنطس وضفاف نهر دنبه (١٧٤٧) ، ويتاخمون الروم ، خصوصاً عند تراقية (١٧٤٨) ، « ولايتها الثانية »، ولا ننسى آصلهم التركي (١٧٤٩) ، فهم يشتركون مع القسطنطينية بسيرورة يتناوب فيها الرضوخ لها والحرب معها . فتارة يشار الى اعتناقهم النصرانية (١٧٥٠) ، ويدرجون في جملة الروم (١٧٥١) ، في استباق للتاريخ أو تخلف عنه ، وطورا يشدد على نزاعهم مع

القسطنطينية ، وعلى غاراتهم ، فيعزى إلى تهديدهم إياها بناء أسوار أشادها في الواقع الأمبراطور انسطاس (٤٩١ – ٥١٨) (١٧٥٢) .

وتصل تجارات البلغار الى فارس (١٧٥٣) عن طريق الخزر ، إلا أن أهميتها لاتضاهي أهمية قوتهم العسكرية الخارقة : «فهم أمة عظيمة منيعة شديدة البأس ، ينقاد اليها من جاورها من الأمم » ، وتشن الغارات حولها الى ساحل بحر الروم ، وحتى الى بلاد الجلالقة ، على حد ما يؤكد لنا . ويقال على وجه التخصيص بأن جماعة منهم أتت المسلمين وأنجدتهم في حملتهم على بلاد فندية عام ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م ، وكان نفر منهم ركبوا في مراكب الطرسوسيين ، فأتوا بهم الى بلاد طرسوس. كيف نعجب لهذا البأس ، عندما نعلم أن الغارة البلغارية تستطيع أن تضم ٥٠٠٠٠ فارس ، يقاتل الفارس منهم المائة من الفرسان والمايتين من « الكفار » (١٧٥٤) .

فيما عدا ذلك ، يبدو البلغار وكأنهم منتظمون في مملكة منيعة ، يعد ملكها من بين ملوك العالم حاملي الألقاب (١٧٥٥) . وبلدهم واسع ، ومنهم الى القسطنطينية نحو من شهرين متصلين عمائر ومفاوز (١٧٥٦). ولا يذكر شيء تقريباً عن عاداتهم وعن حياتهم . وينبغي أن نفتش في نصوص غير جغرافية عن معلومات تتعلق مثلاً بطقوس الدفن عندهم ، التي تذكرنا أصلاً بطقوس عرفناها من قبل : يدفن الميت مع حوائجه المألوفة ، وطعام وشراب ، ويضيف اليها البلغار كائناً حياً هو امرأة المتوفى (١٧٥٧) .

ويتميز نصان على الأقل بوحدتهما من بين جميع النصوص الرصينة أو المتفرقة أو الغامضة ، التي لايمكن أن تنسق إلا

بعد مطالعة كتب المؤلفين كاملة . فالنص الأول لابراهيم بن يعقوب، (١٧٥٨) ، الذي زار بعض بلدان أوربة الغربية حوالي عام ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م . لكنه لم يصل الى البلقارين ، على حد قوله باصرار . إلا أنه التقى في مغدبورغ برسلهم الى « الملك هوته : اوتون الأول ، مؤسس الامبراطورية الرومانية الجرمانية المقدسة . كان سفراؤهم يلبسون ثياباً مكسمة وسيورا مرصعة بالذهب والفضة ، وقد أعلموه أن البلغار نازلون إلى شمال القسطنطينية ، والى غرب البجناك (١٧٥٩) وجنوبهم، وأخيراً الى شرق « خليج فندية » . ويلبس ملكهم التاج ، ويدير مملكة منظمة ، ببلاطها وبيت مالها وإدارتها : باختصار ، بكل ما يؤهله ليكون في عداد ملوك العالم العظام . ونضيف هذه الناحية التي تدل على رصانة المعلومات : فالبلغار مسيحيون ويلمون بلغات كثيرة ، وقد ترجموا الإنجيل الى اللغة الصقلبية (١٧٦٠) . لكن متى تنصروا ؟ عندما أقلقت إحدى الغارات البلغارية أحد ملوك الروم ، فتملق لملكهم، وأغدق عليه الهدايا ، وزوجه كريمته ، التي نصرت زوجها (١٧٦١).

ويعود تاريخ النص الثاني الى حوالي العام ألف،وهو لإبراهيم بن وصيف شاه ، مؤلف مختصر العجائب (١٧٦٢) : وهي عجائب تميل أحياناً ، كما سوف نرى ، إلى الاندساس ضمن تدوينات تبدو أقرب الى الحقيقة . تقع مملكة البرجان على مسيرة خمسة عشر يوما من القسطنطينية ، ومساحتها ثلاثون يوماً في عشرين . وليس فيها دين سماوي ، بل مبادلات تجارية ، تحل فيها الأبقار والأغنام محل العملة . ومجتمعها عنيف ومنظم بآن واحد : فالمولى يضرب عبده بالعصا ، ومتى مات ، تموت معه حاشيته وحتى أسرته التي تحرق أو تدفن حية معه . إلا أن الإناث مفضلات في المواريث (١٧٦٣) . وبلد

البلغار بلد الدواب الوحشية التي لاتركب ، تحت طائلة عقوبة الموت ، إلا في حالة الحرب . وإذا كان البلغار يرسلون الى القسطنطينية رقيقاً من الذكور والإناث لإظهار خضوعهم لها ، فانهم لايلينون في الحرب. ويخرجون من حصونهم المسورة بالخشب ، وينقضون على الروم والصقالبة والجرز أو الأتراك (١٧٦٤) وتشبه غاراتهم غارة أمة لاتزال بدوية : فتمشي جماعات النساء والأولاد وراء النبالين .

نقابل الآن النصين السابقين المقتضبين ، المتساويين بالرصانة ، بنص من كتاب حدود العالم (١٧٦٥) . فهذا الكتاب يميز اصطلاحاً بين برجان وبلغاري . فالبرجان لهم تراقية ، وينزلون في أرض موهوبة طبيعياً ، لاسيما بالمياه ، إلا أنها فقيرة ، تنتزعها السهوب من الزراعة. وهي في طاعة الروم ، الذين يفرضون عليها خراجاً . أما البلغاري فأهل جبال، منهم عبدة أوثان، ومنهم من انتحل النصرانية ، ويحاربون « الروم الآخرين » دوماً في جميع الأحوال .

ويبحث نص ثان من كتاب حدود العالم في بلغار « الداخل » ، ويرتبك في وضعهم على خريطة العالم . فهؤلاء شجعان ، يحبون الحرب ، وهم أشرار كالأتراك . ويحاربون الروس ، ويربون الأغنام ، ويتاجرون مع الأمم المتاخمة لهم . لكن لا مدن لهم .

وبذا يقسم تداخل العديد من التقاليد (١٧٦٦) الأمة الواحدة الى أمم كثيرة ، يضيف اليها أيضاً كتاب حدود العالم اسم ولندر (١٧٦٧) الغامض . ولا يعثر على هذا الاسم قبل كتاب الحدود إلا عند المسعودي ، مما يزيد صعوباتنا صعوبة. وتروي النصوص الجغرافية عنهم في مروج الذهب (١٧٦٨) مايلي : كان للروم في تخوم أرضهم الشمالية مدينة عظيمة

يونانية يقال لها ولندر ، فيها خلق كثير ومنيعة بين الجبال والبحر . وفي سنة ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م ، تجابه جيشان ، أو عالمان في معركة كبرى تحت أسوارها . فمن جهة أولى ، وقفت النصرانية ، تمثلها القسطنطينية ، ومن الجهة الثانية عالم « الترك » ، الذي اعتنق بعضه الإسلام (١٧٦٩) بأممه الأربعة : نوكرده ، وبجنى ، (١٧٧٠) ، والمجغرية (باسم بشجرت) ، والبجناك . وتقلد البجناك تدبير المعركة ، فيما يبدو ، في الوقت الحرج . فهزم الروم ، وقتل منهم ومن المتنصرة ٦٠٠٠٠ حتى كان يصعد الى سور المدينة على جثثهم ، وافتتحت المدينة ، وقام السيف يعمل فيها ، وسبي أهلها . وخرج عنها الترك حتى نزلوا على سور القسطنطينية ، واتصلت غاراتهم بأرض الجلالقة .

وفي كتاب التنبيه والإشراف (١٧٧١) ، يذكر المسعودي القبائل ذاتها ، ويقول إنهم منعوا الطريق من القسطنطينية الى رومية ، وهو مسافة نحو أربعين يوماً ، وغلبوا على أكثر البنود الرومية الخمسة التالية : طافلا (وفيها دار المملكة القسطنطينية) (١٧٧٢) ، وتراقية ، وسالونيكة ومقدونية ، وبلبونيسة ، وخيموا هناك . وفي النص تفصيل حاسم ، يجمع هذه القبائل في فئة واحدة من أجناس من الترك بدو يسمون « الولندرية » ، نسبة الى مدينة ولندر . واشترك البرغز مع هؤلاء الواندرية في الغارة على الروم .

أما كتاب حدود العالم (١٧٧٣) ، فيشير ، باسم فندر ، الى أمة متنصرة (١٧٧٤) ، تتزل من الغرب الى الشرق ، بين الجبال والبرطاس ، ومن الشمال الى الجنوب ، بين المجغرية والخزر . فماذا نستخلص من جميع هذه المعلومات ؟ قد تحيل وندر (أو ولندر) الى اونوغندور ،

وهو اسم الأمة البلغارية في موطنها الأصلي ، في شرق بحر ميوطيس (١٧٧٥). لكن يبدو فعلاً أن مجمل النصوص الجغرافية تتعلق بتاريخهم اللاحق ، عندما كانوا مختلطين بالمجغرية ، ويتبعونهم في تقدمهم الى الغرب ، منذ النصف الثاني من القرن ٣ هـ / ٩ م (١٧٧٦) . وقد استمرت هذه الهجرة ، مثلما نعلم ، في سيرها البعيد الى الغرب ، بتأثير البجناك ، حتى بلغت نهر دنبه الأوسط (١٧٧٧) . مع ذلك ، توازت ملحمة أخرى مع هذه الملحمة المجغرية المسماة اونوغندور، أو بالأحرى اختلطت بها وتشابكت معها ، وبانت بلغارية صرفة بقيام اتحاد بلغاري ولندري موجه ضد الروم ، كما ورد عند المسعودي . في النهاية ، تحيل واندر في هذا الوضع الى بلغار البلقان الداتوبي ، وينبغي التفتيش عن مدينة ولندر في حصن دبلتوس في ضواحي بورغاس . وعلى وجه الإجمال ، يندرج اسم ولندر لا في المكان ، بل في التاريخ على ثلاث مراحل : تاريخ مشوش ، ومتشنج ، سواء تعلق الأمر بالتاريخ الذي يتكون أو بالتاريخ الذي يكتب ، ثم التاريخ الذي تتواصل فيه النزاعات على الأرض بصورة طبيعية في تداخلات (١٧٧٨) النصوص.

الصقالبة : أمم غازية

آن أوان الدخول الى ديار الصقالبة (١٧٧٩) . لكن من أين ؟ فمتى كتبنا اسمهم تبدأ الصعاب . ذلك أننا نعرف أنهم أمة عظيمة ، تنزل في أراضي شاسعة . ويميل الباحثون كثيراً إلى إطلاق اسم صقالبة على جميع أوربة الشرقية ، حتى نهر أتل وحتى مشارف جبل القبق . وتدخل في هذه التسمية كل الأمم التي وصفناها منذ قليل حتى الروس الذين سنتحدث عنهم في آخر هذا الفصل ، إما لأن نوعاً من التأثير

الجغرافي المتبادل يضمها في مجموعة واحدة مع جيرانها الغامضين ، وإما لأن تسمية صقالبة تحل محل اسم هذه الأمة أو تلك صراحة ، رغم معرفتنا بها . وقد قلنا هذا الكلام عن بلغار أتل (١٧٨٠) ، لكن هيهات (١٧٨١) أن تكون هذه الحالة وحيدة .

اذن تتلخص القضية في معرفة ما إذا كان الصقالبة موجودين في هذه النصوص الواسعة ، واذا كانوا حقيقيين ومشهورين بأنهم صقالبة . لكن تظهر هنا صعاب جديدة : فقطعاً هذا الفصل فصل التاريخ المتقلب . فعلى غرار جيرانهم في الشرق يتحرك الصقالبة ، أو على الأقل تحركوا في الماضي . فكيف نوزعهم ؟

يشاء حسن حظنا أن تتضمن النصوص الجغرافية تقسيماً واضحاً جداً في معالجة الوثائق . فمن جهة أولى ، يقف أكثر الباحثين ، ويتحدثون عن الصقالبة ، احتراسا أو جهلا ، بل يعطون معلومات عامة عنهم ، تتخللها — انما نادراً جداً — بعض البلدان أو المدن . ومن جهة ثانية يقف المسعودي وابراهيم بن يعقوب ، اللذان يطمحان بكتابتهما إلى تكوين رؤية واضحة عن تنظيم الصقالبة بأجمعهم في عصرهما . مع ذلك لايقاطعان التقليد كليا : فأعمالهما تنطوي على معلومات إجمالية عن الصقالبة ، أعطيت على هذا الأساس مستقلة ، عن وصف شتى أقوامهم .

في النهاية ستتبع في دراستهم النهج التالي : نتخير في البدء المعلومات الإجمالية عن وضع بلدان الصقالبة . ثم ندقق هذه النظرة الإجمالية جهد المستطاع ، فنصف أممهم أمة أمة معتمدين في الأساس على مايقدمه لنا المسعودي وابراهيم بن يعقوب . اخيرا نعود

الى الصقالبة على وجـه العموم ، ونحاول ان نستخلص تصور دار الإسلام لهم في القرنين الثالث الهجري / التاسع الميلادي والرابع الهجري/ العاشر الميلادي .

قلنا في عنوان هذا البحث عن الصقالبة، إنهم أمم غازية . بالفعل، ينزلون في جميع مانسميه اليوم أوربة أو يكادون ، دون أن يتخلوا عن الزحف بعيداً الى ماوراء نهري ييق وأتل نحو الأسرار الخفية في الشمال والشرق . من بحر المغرب الى بلدان ياجوج وماجوج في رأي ابن رسته (١٧٨٢) : وهم أمم غازية أيضاً بالمعنى الضيق ، الذي يريده التاريخ : فالمسعودي يوصل الصقالبة الى بلاد الخزر ، ويحدد منازلهم في الجدي ، « الى أن يتصلوا بالمغرب » ، على حد قوله . ويمثل هذا التوسع في الواقع إحدى الخصائص الكبرى لتاريخ الصقالبة الأول (١٧٨٣) .

ويبذل بعض المؤلفين جهدهم لإعطاء تفاصيل دقيقة : فيقول كتاب حدود العالم إن أرضهم واقعة بين بلغار بحر بنطس ، والروس والأراضي الغامرة في أقصى الشمال ، لكن باتجاه متردد كثيرا حتى إنه يضعف جداً قيمة الخريطة المكونة على هذا الأساس (١٧٨٤) . أما ابراهيم بن يعقوب فأعقل ، ويتحدث عن بلد متصل يمتد من سواحل بحر الروم الى بحر المغرب ، لكن من ناحية الشمال (١٧٨٥) ، هذا الشمال الذي يتكرر مثل نوع من الأرض الحرام يرد نحوها الصقالبة (١٧٨٦) . ويشار في أماكن أخرى الى متاخمتهم مقدونية أو الروم ، ويدرجون معهم أحياناً : فيلمح المؤلفون الى البلغار الذين شرعوا يعتنقون النصرانية ، على حد ما جاء عند المسعودي والأصطخري

وابن حوقل ، أو يتصورون بلاد الروم تصوراً واسعاً جداً يختلط في النهاية ، كما هي الحال عند الاصطخري وابن حوقل أو عند ابن الفقيه ، بقسم كبير من أوربة (١٧٨٧) . مهما يكن ، أوربة هي المقصودة ، إلا أن الغموض شديد ، ولا يسع أحد أن يذهب في الدقة إلى أبعد من هذا الحد . ونختتم هذه الفكرة بما ابتدأناها به . فنقول : تبدو بلاد الصقالبة بقعة متبدلة ، لكن نزاعة الى التوسع ، وتتغير حدودها المبهمة ، فتتنقل على الدوام مع حدود أوربة الواقعة الى شمال بحر الروم .

وتتجلى بعض التباينات في الموضوع : فالمسعودي يدخل الصقالبة في « ألامة»الثالثة ، التي تضم معهم في العصور القديمة اليونانيين والروم والافرنجة ،ومن اتصل بهم من الأمم في الجربى(الجدي)وهو الشمال وكانت لغتهم واحدة ويملكهم ملك واحد (١٧٨٨) . هذا في الماضي أما اليوم ، فيعثر على الصقالبة مع الوشكاس ، والجلالقة ، والجرمانية ، والبلغار ، ودوماً الافرنجة ، الذين كانت رومية دار مملكتهم (١٧٨٩) ، ولا تزال . وفي مكان آخر ، يدخل المسعودي ذاته في قسمة الأقاليم السبعة ، الصقالبة في الإقليم الخامس الذي يمتد من آسية الوسطى الى جبال البيرينه . (١٧٩٠) . ففي أروفى ، وهي أروفانا أو أروفى الكرتوغرافية القديمة (١٧٩١) ، كما نشاء ، الناحية الوحيدة الثابتة هي أن الاندلس كان على الأرجح البلد الوحيد الذي نجا من سيطرة الصقالبة (١٧٩٢) الاسمية . من يعجب لهذا الطموح ، عندما يعلم أن أرضهم تمتد على مسيرة شهرين في الاتجاهين (١٧٩٣) ؟

فاين تقع البحار والأنهار في هذه الأصقاع الشاسعة العديدة المبهمة؟

قطعاً ، نعرف بحر الروم (١٧٩٤) على حدود الصقالبة ، لكن في الجهة المقابلة ، خلف الصقالبة ، في نواحي الشمال ، بحر تولية الغامضة (١٧٩٥) . وقد يخص الصقالبة في بعض الأحيان ، ببحر واحد ، ونهر أو عدة أنهار بلا تدقيق إضافي ، ونحن الذين نلقي الضوء على نهر أتل الشهير (١٧٩٦) من خلال التسميات معتمدين على سياق النص . ويبدي ابن خرداذبه والمسعودي (١٧٩٧) جهداً صادقاً في إعطاء الأسماء : كنهر تنيس (أو تنايس) أو دنبه (دنابى ، ملاوة) (١٧٩٨) . ويخرج نهر تنيس ، الذي ينزل على ضفافه كثير من ولد يافث (١٧٩٩) ، من « بحيرة عظيمة » ناشئة في الشمال من التقاء عدة أعين . ويكون مقدار جريانه على وجه الأرض نحو ثلثماية فرسخ (١٧٠٠ كم ونيف) في عماير متصلة ، ويمر ببحر مؤوطيس حتى يصب في بحر بنطس . أما نهر دنبه ، فعليه دور الناجين (١٨٠٠) والمراوة من الصقالبة ، ويكتنفه العجيب : فعرضه ثلاثة أميال (أقل من ستة كم بشيء طفيف) ، ويفترض ، بغرابة ، اتصاله بالأنهار الكبرى في آسية الكبرى : جيحون (أوكسوس ، امودار يا) ، ونهر الشاش (سيحون،اياكسارت ، سيرداريا) (١٨٠١)

أخيراً ، في نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، أتى ابن حوقل في موضوع بحر بنطس بشيء جديد حقاً ، بناه على مفهوم غامض ، لكنه جاء برؤية صحيحة عن بلد الصقالبة . فهو يتبع الإصطخري (١٨٠٢) ، ويفرع بحر بنطس من صميم الأراضي المجهولة ، ويقول : يأخذ خليج من البحر المحيط بنواحي ياجوج وماجوج ،

ويشق بلد الصقالبة ، ويستمر مغرباً الى نواحي اطرابزنده ، ثم يقطع أرض الروم على القسطنطينية حتى يفرغ في بحر الروم ، بعد أن تشرع اليه الأنهار التي بنواحي الصقالبة .

والتدقيق الأخير هو أن الغزو يتضافر مع البحر في تجزئة الصقالبة . فالبحر قطع بلدهم نصفين : نصف يسببه الخراسانيون من ناحية البلغار ، والنصف الشمالي يسببه الأندلسيون « من جهة جليقية ، وافرنجة ، وانكبردة ، وقلودية» (١٨٠٣) . وضروب الغموض في التفاصيل ضئيلة الأهمية ، في المشرق والمغرب بالسواء . ولعلها تحجب عنا شأنها شأن غيرها ، حدود أرض الصقالبة ، لكنها تلقي الضوء على توزعهم إلى قبيلين ، إياهما يعرف التاريخ ، صقالبة الشرق وصقالبة الغرب(١٨٠٤) .

أجناس الصقالبة

يصعب على المرء ، ان يتبين سبيله بين خريطة غامضة وتاريخ متقلب . فابن رسته يتحدث عن مدينة وابنيت ، الواقعة من جهة حدود البجناك والصقالبة . وهذا أول غموض عنده، يرد في كتاب حدود العالم أيضاً . فهل ينبغي أن نقرأ هذا الرسم المبهم زانبت (سمبتاس) ، وهو اسم آخر لمدينة كييف ، لكن كييف أيضاً عاصمة البوليان الصقالبة ، ولم تخضع حتى الآن للروس (القرن التاسع) ولم تتعرض حتى الى غارات الخزر (١٨٠٥) في تاريخها السابق .

ويقول ابن رسته أيضا : بعد الخروج من سالونيقية ، ينتهي المرء الى مدينة عظيمة فيها أسواق ، وتسقيها أنهار ، وعليها سوران وخندق : وهي مطرن، وفي الحقيقة قطرن، كيتروس، الواقعة على حوالي ٤٠ كم الى جنوب غرب سالونيقية . ثم تأتي مملكة تنصرت في عهد « الملك » بسوس (بسلس) ، حتى تنتهي الى مدينة يقال لها بلاطيس (سبلتو ، سبليت) . هنا تبدو الأمور أوضح : فنحن في مقدونية

وصربية في عهد الامبراطور البيزنطي باسيل الأول(٨٦٧–٨٨٦)(١٨٠٦)

بالمقابل يزداد الغموض في المقطع التالي عند ابن رسته :
واسم رئيسهم سوبنج ، له يطيعون ، ومسكنه في وسط بلادهم ، وينزل في مدينة جرواب . وإن أخذ لصا في مملكته ، جعله في جيرة ، عمالة أقصى بلدانه (١٨٠٧) . ويلهو العلماء بتعريفات المدن . فجرواب تحيل في الحقيقة الى خرفات ، ويمكن قراءة الرسم أيضا خرداب ، المدينة الصقلبية الواردة في كتاب حدود العالم . وربما دلت خرفات على الخرواتيين ، لكن من منهم ؟ الشماليون النازلون على نهر فستول الأعلى ، في منطقة كراكوفية ؟ يفضل فيما يبدو اعتماد قراءة زوبانتز (مركز مديرية) لرسم سوبنج وسفيتوبلوك الأول (٨٧٠ – ٨٧٤) ، ملك مراوة ، جار الخرواتيين الجنوبيين (١٨٠٨) ، وربما ملكهم لرسم سويت بلك .

وندرك أن جميع ماتقدم ، متفرق ، لا دقة فيه ، ويثير أسئلة لايجيب عنها . وكان المسعودي (١٨٠٩) أول من حاول إعطاء نظرة إجمالية كاملة . فرجع الى جنس منهم يدعى وليتابا (ولتز)، فلته عندبلين كان الملك فيهم قديماً في صدر الزمان،وكان ماكهم يدعى ماجك (١٨١٠) . وقد نزلوا على شواطىء بحر البلطيق الشرقية ، ثم نزحوا الى شرق نهر الالب ويعدد المسعودي على التوالي في نسختي المروج ، العادية ونسخة نص البكري : اصطترانة ، ويدعى ملكهم بصقلابج (فكسلاف ؟) (١٨١١) ، وصبرابه التي قرأها ت . كوالسكي ابطرانة : أي ابطرني أو اوبودريد (١٨١٢) ، سكان مكلنبورغ الحالية،ثم دولابة (دودلبي) ويدعى ملكهم وانج صلاف (١٨١٣) ، ثم نامجين ، ويدعى ملكهم غرانة (١٨١٤) وهذا الجنس أشجع أجناس الصقالبة وأفرسهم ، ثم منابن ، ويدعى ملكهم رتمير ، ويرى فيهم علم ماركار البديع قبيلة غلوماسي

(١٨١٥) ، ثم سربين ، وهم جنس مهيب وجاهلية : سرب أو سراب أو السرب البيض بين نهري الإلب وسال (١٨١٦) ، ثم مراوة ، ويسميهم كتاب حدود العالم مرفات . وهو غامض جداً من ناحيتهم (١٨١٧) ، ثم الخرواتين أو حيرواس : أي الكرواتيين ، دون تمييز دقيق بين الشماليين منهم أو الكرواتيين البيض الذين لاينفصل مصيرهم عن مصير بوهيمية – مورافية ، وبين كرواتيي إيليرية (١٨١٨) ، ثم صاصين ، الذين يرى فيهم بعض المؤلفين السكسون . وبعضهم الآخر التشيكيين (١٨١٩) وهذا الاحتمال أرجح ، ثم الخشانين أو حشيبين ، أي جودوسكاني ، ولعلهم نازلون حول كوشيفو ، على بعد حوالي ٨٠ كم الى شرق جنوب شرق بلغراد (١٨٢٠) . أخيرا ، برانجابين عند ملتقى نهري دنبه وملاوه (١٨٢١) .

ولا تخلو نظرة المسعودي الإجمالية من المنطق على الرغم من كثرة غموض الرسوم : فهو يمضي فيها من الشمال الى الجنوب ، من بلدي برندبورغ ومكلنبورغ حتى خرواتيي سهول الدانوب ، مروراً بالكتلة المركزية المؤلفة من بوهيمية – مورافية وسربين وكرواتية البيضاء . ويزيد المسعودي فيضيف أيضاً الى أجناس الصقالبة الممالك الرئيسية (١٨٢٢) .

فالأول من ملوك الصقالبة ، على حد قوله ، ملك الدير ، وله مدن واسعة وعمائر كثيرة ، ويقصد تجار المسلمين دار ملكه بأنواع من التجارات . وهذه المدينة لغز (١٨٢٣) ، يظن أن مدينة كييف تتراءى وراءها ، أوأفضل منها مدينة كراكوفية (١٨٢٤) ، اذا أخذنا بعين الاعتبار « الطريق » الذي اتبعه المسعودي ، والمملكة « التي

تلي » (على الخريطة أو في المرتبة ؟) (١٨٢٥) : نعني مملكة إفراج (براغ) . وهكذا تدعى بوهيمية باسم دار مملكتها مثل دولابه (دودليبي) وصاصين (التشيك) المعروفتين من قبل . ولها عمائر واسعة ، وبها منجم ذهب ، وجيوش كثيرة . وتحارب الروم والإفرنج والبزكرد وغيرها من الأمم ، والحرب بينهم سجال . ويحيل الروم والإفرنج الى الجرمانية . لا باسم ناججين الذي يطلقه عليهم الصقالبة ، لكن بأسماء أخر تستعرض تاريخ ملوكهم : من كونرارد فرنكونية (متوفي عام ٩١٩) الى أوتون الأول (٩٣٦ — ٩٧٣) ، مؤسس الامبراطورية الجرمانية الرومانية المقدسة (١٨٢٦) أما البزكرد فتعيد الى ذاكرتنا أمة عرفناها سابقاً ، نعني بشجرت ، أي المجغرية ، النازلين هذه المرة في بنونية (١٨٢٧) آخر مطافهم . ويقصدهم المسعودي في كلامه اللاحق (١٨٢٨) ، عندما يذكر الأمة الصقلبية العظيمة الثالثة ، ويقول عنها : هذا الجنس أكثرهم عدداً وأشدهم بأساً ، مما يدل على أنه لايجوز أحياناً أن يعطى لفظ صقالبة معنى دقيقاً جداً ، بل يجب توسيعه وتضمينه جميع أوربة الشرقية . ويتحسس المسعودي نفسه هذا التموج ، لأنه يعود في الختام الى وليتابا الذين كانت ملوك الصقالبة تنقاد الى ملكهم في قديم الزمان ، ويؤكد بأن هذا الجنس « أصل من أصول الصقالبة معظم » (١٨٢٩) .

طريق رحلة ابراهيم بن يعقوب

زار اليهودي الأندلسي ابراهيم بن يعقوب أوربة الغربية والوسطى عام ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م وترك عن الصقالبة الغربيين ، لوحة ، تمثل تقدماً لاجدل فيه بالمقارنة بمعطيات المسعودي ، وتتميز فيه الحقب

والتواريخ بوضوح تقريباً . ولا شك أن ابراهيم يتردد شأنه شأن عصره ، ويميل أحياناً الى اعتبار قسم من أرض الجرمان ، على الأقل في الشمال (١٨٣٠) صقلبياً . لكنه يقودنا الى صميم الموضوع – ويبقينا فيه – لأنه مر ببعض أصقاع الصقالبة .

ويشير أولاً الى أن الصقالبة يجمعون في الواقع أمماً متنوعة ، انضم اليهم غرباء جاؤوا من الشمال : كالجرمان والإسكانديناقيين بلا أدنى شك . ثم يقول إن وحدة الصقالبة الأصلية حل محلها ، في عصره ، أربع ممالك كبرى : هي مملكة البلغار ، وقد تحدثنا عنها من قبل ، ومملكة بويشلاي ، ومملكة مستو ، ومملكة ناكون (١٨٣١) .

ثم يباشر وصفه التفصيلي مبتدئاً بالمملكة الأخيرة (١٨٣٢) . وهي في الواقع المملكة الأولى على الطريق الذي سلكه على الأرجح : بالفعل ، ربما استطاع أن يجمع هذه المعلومات عن أبطرانة مكلنبورغ – شويرين التي ملكها ناقون (ناقون + حوالي ٩٦٥) ، في مغدبورغ حيث استقبل في بلاط أوتون الأول (١٨٣٣) . وتنزل ابطرانه في «أقصى غرب » بلدان الصقالبة ، ويجاورهم السكسون ، « وبعض » المورمان (نورمان : في هذه الحالة الدانماركيون) . وتقع دار ملكهم ، غراد ، التي قيل لنا بأن اسمها يعني « الحصن الكبير » ، على أحد عشر ميلاً من المحيط (طبعاً بحر البلطيق) ، ومائة ميل عن مغدبورغ (١٨٣٤) ، إذ يمر الطريق بجسر خشب طوله ميل : فعلى أي نهر يكون غير نهر الإاب ؟

وبلد ناقون غني ، تحمل منه الدواب ، ويفد اليه التجار بلا أدنى شك ، لتدني أسعاره . ويروع جيوش أعدائه ، التي لاتتوغل فيه إلا

بجهود كبيرة . ولا عجب في ذلك . ففيه الغياض والأشجار والمخاث في جميع أنحائه . وله أيضاً محاربون شاكو السلاح ، بدروعهم وخوذهم وسيوفهم وحصونهم الشهيرة التي تعطي دار ملكهم صورة عنها . وهم يختارون هذا المرج أو ذاك ، العاج بالمياه . لبناء قلاعهم . ثم يحددون محيط السور المزمع إشادته ، مستديراً أو مربعاً ، حسب الأبعاد المرغوب بها . ويحفرون حفرة ، يستخدمون ردمها لرفع متراس ، يدعمونه بألواح خشبية وبجذوع مدورة . ويكتمل الجهاز بباب يطل على جسر خشبي .

والمملكة الثانية (١٨٣٥) مملكة بويصلو (بولسلاف ، بولسلاس الأول : ٩٢٩ – ٩٦٧م) ، ملك بويمه (بوهيمية) . ينطلقون من مغدبورغ (١٨٣٦) ، ويمرون في طريقهم بسلسلة مدن حصينة : كقليوى (كالب) (١٨٣٧) ، ونوبغراد (نوفيغراد، نينبورغ) الواقعة عند ملتقى صلاوة (سال) وبودا (بود) ، مثلما يقال لنا بدقة، والمبنية من حجارة مكلسة . ثم تأتي على نهر صلاوه أيضاً : مملحة اليهود : سالزموند (١٨٣٨) ؟ ومنها ينتقلون الى وادي ملداوه (مولد) مع بورجين أي ورزن (١٨٣٩) بلا شك . وبعد ٢٥ ميلا ، يبدأ بلد الغابات والجبال والمجثات التي تعبر على جسر ن خشب : أخيرا في نهاية الطريق فراغه (براغ) ، بلد الناس الغريبي السمرة وسود الشعر (١٨٤٠) .

وتمتد المملكة الكبرى من كراكو (١٨٤١) (كراكوفية) الى فراغه، على مسيرة حوالي ثلاثة أسابيع تقريبا (١٨٤٢) . وتجاورها الأتراك (المجغريون) على طولها . ويوافي التجار دار الملك المبنية من

الحجارة المكلسة : فمنهم الروس والصقالبة القادمون من كراكو ، ومنهم المسلمون واليهود و « الترك » الآتون عن طريق بلدان المجغرية . وتعطي فراغه الجميع مقابل العملات البيزنطية (١٨٤٣) الرقيق (١٨٤٤) والقصدير والجلود المدبوغة . وقطعاً ، تسود التجارة في بويمه ، أسلم وأنشط بلدان الشمال . ويبيعون فيها بأثمان زهيدة مؤونة شهر من القمح وعلف دواب من الشعير لشهر أو أكثر وأسحار الدجاج بخسة . وعندهم سروج ولجم ودرق (١٨٤٥) ووشاحات هلالية حياكتها متباعدة جداً « لاتستعمل لشيء » إلا للمبادلات . وتحوي منازلهم أوعية مليئة بها ، وهي ثروة بيتية يغترف منها لشراء الحنطة والطحين والدواب والذهب والفضة ، باختصار كل مايرغب الإنسان بابتياعه .

وتعتبر بويمة أكثر بلدان الصقالبة ازدهاراً ، أما مملكة مشقو (مشقو الأول ، دوق بولونية من عام ٩٦٠ الى عام ٩٩٢) فأوسعها (١٨٤٦) . وهذه « المملكة الشمالية » غنية بالأغذية واللحوم والعسل والحرث (١٨٤٧) . وتخصص ضرائبها (١٨٤٨) لدفع مرتبات شهرية لجيش رهيب ، قوامه ٣٠٠٠ دارع ، يعادلون عشرة أمثالهم ، ويتلقون من المملكة جميع عددهم من ألبسة ودواب وأسلحة . ويدفع الملك نفقات تربية كل طفل يرزقونه ، ذكراً كان أم أنثى ، ويزوجه متى كبر ، ويؤدي باسمه مهره الى العم أو الأب ، حسب الحالة . وهذه الهبة الأخيرة قيمة ، اذا علمنا أن المهر غال عند الصقالبة كما هو عند البرابرة : ويكفي المهر الموهوب لتأمين ثروة لوالد فتاتين أو ثلاث فتيات ، ولإفقار والد ذكرين .

ونقدم الآن عرضاً إجمالياً وتفصيلياً : يضاف الى الممالك الأربع (بما فيهم البلغار) أمم أخرى . صقالبة أو غير صقالبة . منهم الروس الذين سنراهم فيما بعد الى شرق بلد مشكو . وفي الشمال ، البروس (١٨٤٩) (البروسيون) ، النازلون على المحيط (بحر البلطيق) ، الذين يتكلمون لغة خاصة بهم ، لا يفهمها جيرانهم ، ويشتهرون بشجاعتهم ، التي تدفعهم الى الموت والسيف بيدهم عوضاً عن الاستسلام.

وتنزل الولتابا في شمال غرب مملكة مشكو في الغياض، ولا يراهم ابراهيم تماماً مثلما يراهم المسعودي : فهم صقالبة ، لاينقادون الى سلطة ، ملكية أو غيرها ، ولا يقبلون إلا بأحكام شيوخ القبيلة . ويمتهنون الحرب والملاحة . ويعرف المشكو شيئاً عن بأسهم . وتقع عاصمتهم على البحر ، ولها ١٢ باباً ، وهي مرسى منظم (١٨٥٠) بدقة .

ويكتمل الوسط الصقلبي ببعض الأمم الأخرى الهامة أيضاً : كالفرنجة ، والروم ، والمجغرية (١٨٥١) ، وفي أماكن أخرى ، طودشكيون (تودسك) ، انقليون (هنخاريون) ، بجناك،روس ، خزر (١٨٥٢) . وتتنوع صلاتهم ، فهي حربية ، تحتدم وتهدأ ، أو سلمية أحياناً ، وتقوم على أساس علاقات تجارية تفرض عليهم معرفة اللغة الصقلبية .

البلدان الباردة وأهلها

تترافق دراسة شتى أمم الصقالبة ، مثلما قلنا ، مع معلومات عامة ، أو غير مخصصة بدقة بهذه الأمة أو تلك منهم : حتى إن وحدتهم المركزة ، على الأقل في الماضي (١٨٥٣) ، تبرز أيضاً ، سواء صيغت

عن وعي أو لا وعي - في الوقت الراهن الذي يحصر مؤلفو الجغرافية (١٨٥٤) أنفسهم فيه .

وتتضح لنا صورة بلاد الصقالبة (١٨٥٥) ، مما علمناه عنهامن قبل من غياض ومشاجر ومجثات ، اذا أضفنا إليها القصب والأشجار الملتفة ، وفصلنا بينها بأرضين غير مسلوكة فيها عيون مياه ، وتصورنا القصور والحصون منتصبة في جميع أنحائها . وهم قوم يرعون الخنازير (١٨٥٦) ويربون النحل (١٨٥٧) ، وعندهم بغال وخيل وطيور . ولديهم طير سبا (١٨٥٨) . فما هو صاحب هذا الأسم الغامض ؟ يقال لنا بأنه مجمع بالأخضر ، ويقلد نبرات الصوت البشري أو أصوات الحيوانات ، مما يدفعنا مادامت له هذه المواهب ، الى التفكير بالزرزور (١٨٥٩) . في جميع الأحوال ، الطير الآخر واضح وضوح اسمه : تترا . إنه الدجاجة البرية بنوعيها الأسود والموشى . وهي أجمل من الطاووس ، ولحمها لذيذ الطعم ، ويصل صوتها اذا أطلق من أعلى الشجر الى مسافة فرسخ : وهذا يكفي لوصف الخريس بنوعيه : الطهيوج الكبير ، وديك الخانج (١٨٦٠) .

ويتلخص سماء الصقالبة بمعادلة المطر — البرد . هل يتصور أحد، عندما يأتي من سهوب الشرق الأوسط (١٨٦١) ، أن الماء قد يسبب القحط ؟ مع ذلك . . . هنا عند الصقالبة ، لايميت جرح الجفاف البتة : فالرطوبة تتداركه على الدوام ، ويأتي التهديد مما هو بركة في مكان آخر ، نعني من هذه الرطوبة التي تتحول الى مطر كثيف ومتواصل . ويرتبط الازدهار — الذي يقال لنا بأنه عظيم — في بلدان الصقالبة ، بوضع الغيوم .

وتذهل ثنائية البرد – الحر أيضاً لأنها مقلوبة . فالبرد حتى الشديد منه ، سليم دوماً ، في حين الحر قتال . ذلك أن مزاج الصقالبة ، الجامد ، لايتماسك إلا بالبرد.فمتى جاء الحر ، ذاب وغلى ، وأعقبه الموت . وهكذا يفسر الرعب من فكرة النزول الى مادون خط عرض معين ، في هذه الحالة ، الى بلد اللومبار : فماذا تقول أوربة المتعطشة إلى الشمس (١٨٦٢) ؟

البرد ، دائماً البرد . يحدثنا المؤلفون عنه بشيء من السحر (١٨٦٣). فليالي القمر والنهارات الصافية تراه يتفاقم : عندئذ ، في الجمد القاسي ، تتحجر الأرض ويتجمد كل شراب ، وتنسد الآبار والأحواض بالجليد القاسي كالقرميد وعلى الذقون ،ويتخذ التنفس شكل زجاج لاتكسره إلا حرارة الملجأ الذي سيعثر عليه في النهاية . أما انفكاك الجليد فينشأ في الليالي المظلمة والنهارات الغائمة . عندئذ تجتاح الكارثة النهر،عندما تنشطر المراكب باصطدامها بجبال الجليد(١٨٦٤) ولا ينجو من الغرق إلا الشباب وحدهم أو الرجال البواسل الذين يتعلقون بهذه الكتل المميتة .

هل يحدث البرد الأبخرة المرضية ، مصدر الأمراض المستوطنة كالجمرة والبواسير (١٨٦٥) . مهما يكن، يفسر البرد الخصائص الجسدية والأخلاقية عند الصقالبة : « إن سلطان الشمس ضعف عندهم (الصقالبة والأفرنجة ومن جاورهم من الأمم) لبعدهم عنها ، فغلب على نواحيهم البرد والرطوبة ، وتواترت الثلوج عندهم والجليد. فقل مزاج الحرارة فيهم ، فعظمت أجسامهم ، وجفت طباعهم ، وتوعرت أخلاقهم ، وتبلدت أفهامهم ، وثقلت ألسنتهم ، وابيضت ألوانهم حتى

أفرطت فخرجت من البياض الى الزرقة ، ورقت جلودهم ، وغلظت وازرقت عيونهم أيضاً ، فلم تخرج من طبع ألوانهم ، وسبطت شعورهم ، وصارت صهباً لغاية البخار الرطب ، ولم يكن في مذاهبهم متانة وذلك لطباع البرد وعدم الحرارة »(١٨٦٦) .

وتتداخل مواضيع البرد والرطوبة ونقص النور مع موضوع آخر يعتبر من أكثر مواضيع الجغرافية شيوعاً ، نقصد موضوع الإقليم المركزي ، إقليم بابل ، الإقليم الرابع ، المرادف للتوازن . فمتى ترك البشر أو ابتعدوا عن وسط العالم ، وعن عمل الشمس المعتدل ، تنتزع طبائعهم . فبين نضج الجنين الأقصى ، الذي يخرج الولد أسود كالحاً كالزنج والحبشان ، وبين النضج المعتدل ، الذي يخرجه أشقر وأصهب كما عند الصقالبة ، توجد مجموعة من الحالات المتوسطة ، يمثل الإقليم الرابع كمالها ، مع ألوان مثالية انضج ناجح جداً ، يجعلهم « بين فطير لم يختمر ونضيج قد احترق » (١٨٦٧) .

والصقالبة شرسو الأخلاق ومختلفو الطبائع ، وبشعون ، لكنهم أشداء وشجعان (١٨٦٨) فهل يعتبرون أمة عظيمة على مستوى العالم ؟ لاشك البتة : فلولا انقساماتهم (١٨٦٩) ، لما تمكنت أمة أخرى أن تقاومهم ، على حد تأكيد ابراهيم بن يعقوب (١٨٧٠) الذي يعرف عمن يتحدث لأنه رآهم . اكن فلنذهب الى أبعد من ذلك ، ونحكم على الصقالبة حسب القابهم . ولنأخذ الانساب أولاً : فهم من ولد ماذاي بن يافث(١٨٧١).وتحمل ملوكهم ألقاباً(١٨٧٢).ويدخل ملكهم الأكبر في عداد ملوك العالم العظام — اوائلهم — ويسمى قناز (١٨٧٣) . أخيراً أما بالمساحة ، فتمتد بلدان الصقالبة على ٢٤٥٠٠٠٠ فرسخ

مربع (١٨٧٤) ، مما يجعلهم بين الأراضي المتوسطة والأراضي الواسعة : على مستوى دار الإسلام أو الهند أو الصين . واذا كان مايهم في النهاية في تقويم إحدى الحضارات ، هو العلاقة بين المساحة وبين عدد سكانها (١٨٧٥) ، فان الصقالبة يؤيدون جيداً جداً صحة الموقع المحدد لهم على التقريب . ذلك أنه على هذه المساحة الواسعة ، يعيش سكان لم يحدد عددهم بالأرقام ، لكن تعطينا كل المعلومات المجمعة — فيما يتعلق بشتى الأمم والممالك وثروتها ومدنها— انطباعاً بأنهم هامون جداً . وجملة القول ، أن المساحة تبدو هائلة نسبياً ومعمرة جيداً نسبياً مما يضمن للصقالبة مكاناً مشرفاً ليس فقط على خريطة الأمم ، لكن في سلم الحضارات .

الحياة اليومية

ويلبس الصقالبة (١٨٧٦) قراطق كتان فضفاضة ، أكمامها مزمومة عند المعصم وخفافاً طويلة الساق . ويعيشون في بيوت من خشب، (١٨٧٧) . وليس لهم كروم ، وأنبذتهم من عسل يستنبذونه ويحفظونها في حباب من خشب لعام كامل (١٨٧٨) . وأطعمتهم الألبان واللحم : لحم البقر أو الأوز ، لا لحم الدجاج الذي يظنون أنه يحدث مرض الشلل والجمرة (١٨٧٩) .

وليس لدى الصقالبة حمامات ، لكنهم يستعيضون عنها على طريقتهم ويقول لنا ابراهيم بن يعقوب (١٨٨٠) أنهم يسدون ،على غرار ما يفعلون بمراكبهم ، شقوق بيوتهم الخشبية ، المسماة إصطبا (١٨٨١) ، بمادة يجمعونها من جذوع أشجار شبيهة بالمخ (ليشن)(١٨٨٢).ويبنون في زاوية من البيت فرناً من حجر ، ويفتحون طاقة مقابلة في السقف،

لإخراج الدخان منها . ويغلقونها هي والباب عندما يكون الفرن محمياً . ويسكبون ماءاً غزيراً على الفرن المحمي حتى الاحمرار . فتتصاعد في البيت غيوم البخار . ويحمل كل واحد منهم رزمة عشب بيده ليجتذب اليه البخار ، الذي يجعل الجسم يتنفس ويوسع مسامه ، ويفرز صبباً من العرق الزائد . وهكذا يتخلصون من الجرب والقروح .

وتؤثر هذه اللوحة في المخيلة . فاذا كنا كابن رسته ،لا نعرف الإصطبه إلا من بعيد جداً ، من خلال مطالعات غامضة أو منمقة (١٨٨٣) ، نتصورها سرباً محفوراً تحت الأرض ، ينتشر البخار فيها ، فتدفأ ، ويلقي أهل البيت ثيابهم ، ويبقون فيها الى أيام الربيع .

والزراعة نشاط الصقالبة الكبير . فهم يتقدمون على جميع الأمم الشمالية بها بفضل جهودهم ونجاحهم في هذا المضمار . ويزرعون في بساتينهم (أويقطفون) التفاح والاجاص(الكمثري)، وربما الدراق . وأكثر زروعهم الدخن ، الذي يأخذون منه محصولين أحدهما في الربيع والآخر في وسط الصيف . وهم قوم يرعون الخنازير مثل الغنم ، ويربون النحل، ويخرج من الحب الواحد عندهم مقدار عشرة أباريق (١٨٨٤) .

مع ذلك لاتستنفد الزراعة كل نشاطهم : فهم يصنعون المراكب (١٨٨٥) ، وأوعية الخشب (١٨٨٦) ، والأسلحة (زرد رائعة ، سهام ، رماح ، أترسة) (١٨٨٧) ، والآلات الموسيقية : كالأعواد ذات الأوتار الثمان والصندوق المسطح لا المحدب ، والمزامير التي يبلغ طولها ذراعين والطنابير والآلات الموسيقية الأخرى التي تجهلها دار الإسلام (١٨٨٨) .

أخيراً ، يتعاطون على وجه التخصيص التجارة : فهم وسطاء

بين نهر أتل الأوسط والأندلس (١٨٨٩) ، ويتاجرون مع جميع الأمم المجاورة لهم (١٨٩٠) . ولهم في مدينة جرواب الكبيرة سوق في الشهر ثلاثة أيام يتبايعون فيها ويبيعون (١٨٩١) . لكن أي السلع ؟ أشرنا من قبل الى عدد منها (١٨٩٢) . ونضيف اليها جلود السمور والثعالب التي ينقلها التجار الصقالبة الى الأندلس والى الشرق الإسلامي (١٨٩٣) عبر الخزر .

وحذار أن ننسى الرقيق ، أحد الأصناف الكبرى في هذه التجارة : فمواكبهم تطوق حوض بحر الروم ، مثل الكماشة العملاقة المخيفة، من الربح والفاقة ، فمن جهة ، يعثر عليهم في صقلية والأندلس ، وتبعث بهم الأندلس الى المغرب ومصر والشام والجزيرة والروم . وفي الشرق ، نجدهم عند الخزر ، حيث يؤلفون مرتزقة الملك ؛ وتنقلهم المجغرية والبلغار الى الروم وخراسان وخوارزم وبغداد (١٨٩٤)

وصيد الإنسان هذا ، منتظم وفظيع ، يصحبه الخصي . ويترك الرقيق فحولة اذا سيق سبيهم الى الشرق ، أما رقيق الأندلس ، فيخصيهم التجار اليهود (١٨٩٥) قبل دخولهم هذا البلد ، الذي يستوردهم ويعيد تصديرهم . ويخصون على « مستوى البطن » ، إما مرة واحدة ، أو على مرحلتين : فأولا يشق المزودان ليتسنى إفراغ البيضتين . ثم تجعل تحت القضيب خشبة ويقط من أصله ، ثم يجعلون مرود رصاص في منفذ البول الجديد الى أن يبرؤوا كي لايلتحم . قلنا هذه فظائع منظمة : والبرهان أسلوب المقدسي غير المباشر ، عندما يتحدث عن هذا العمل ويرويه بلسان الفقهاء أو الجراحين ، وعن آثاره وعن رأي العلماء في وضع المخصي الشرعي . ونرتعش نحن الآن أمام قلة إحساس

جالب الرقيق ومهربيهم ومولاهم ، وكل من يعتبر ذلك حضارة هنا أو هناك ، سواء انتمى إلى الإسلام أو اليهودية أو المسيحية (١٨٩٦) .

حيث الموت يسحر أكثر من الحياة

تذهل المرأة الصقلبية مؤلفي الجغرافية على غرار المرأة التركية ولاسباب مماثلة (١٨٩٧) . فمتى تزوجت ، تتوارى عن الأنظار ، على الأقل عندما تكون ملكة ، بمحض إرادتها ولغيرة زوجها . لكن يالنزواتها قبل الزواج ؟ فاذا أحبت إحدى الفتيات رجلاً ، ذهبت اليه، واستسلمت تماماً الى ملذاته . وهذه الممارسة شائعة جداً حتّى إن وصول الفتاة عذراء الى الزواج ، يدفع الى الشك بأنها مصابة بعاهة جسدية أو عقلية، وتتعرض الى الطلاق (١٨٩٨) .

والموت أغرب من ذلك أيضا ، وهو يرادف النار والتضحية (١٨٩٩) . وتضيف الممارسات المأتمية الانتحارات الى وفاة المحارب ، وتنسب هذه الطقوس كلها تارة الى الصقالبة ، وطورا الى أمة من ممهم ، نعني الصرب على وجه الدقة . فالمحارب يأخذ معه أسلحته وحليه ودوابه ، ورفاقه ونساءه . ذلك أنه لايطلب من الزوج اللحاق بزوجه الى الآخرة ولا يشيع العكس إلا على نطاق ضيق ، إلا أن العازب على يقين أن احدى المتطوعات ستتقدم بعد وفاته لتشاركه الموت . ونساؤهم ، اذا مات لهم ميت ، قطعن أيديهن ووجههن بالسكين (١٩٠٠) . واذا زعمت إحدى نساء الميت أنها تحبه ، عمدت الى شنق نفسها ثم يحرقونها . وتشد بنفسها الحبل في عنقها ، وتقف على كرسي ، يؤخذ من تحتها ، وتبقى معلقة حتّى تختنق وتموت .

أتمثل هذه الحالة مأساة ؟ كلا ، بل عيداً ، لأن في ترك هذا العالم

رحمة من رب (١٩٠١) الميت ، ويسمح الانتحار باستباق نداء الرحمة . ومن هنا الأناشيد والموسيقى التي تحيي الموت وذكراه : فاذا انقضى للميت سنة ، عمد أهله الى مقدار عشرين حبا من العسل ، فذهبوا بها الى تلّه ، واجتمعوا وأكلوا وشربوا وانصرفوا .

يتضح لنا أن الصقالبة تذكرنا ، بهذه التضحيات الحماسية والجنونية ، بالأمم النازلة الى الشرق بعيداً عنهم . ويفضل المؤلفون الجغرافيون، الحساسون جداً لسحر النار ، أن يدققوا في هذا الشرق، الذي تذكرهم به الصقالبة ، بشكله الهندي .

وهذا يعني أننا في صميم الجاهلية . فلا شك أنه أشير (١٩٠٢) الى اعتناق الصقالبة التدريجي لدين النصارى . مع ذلك ، على وجه الإجمال ، تسود الجاهلية ، خصوصاً لدى الملوك (١٩٠٣) . في جميع الأحوال ، تعتبر خدمة الملك (١٩٠٤ (أول واجب ديني . والملك يتنقل ، مثل المرضى أو الجرحى ، على عربة بأربع عجلات ، على محمل ، معلّق بسلاسل الى أربعة أعمدة زاوية ، لتمويت رجات الطريق (١٩٠٥) . ويجبي الملك الضرائب ثياباً ، ويعاقب اللصوص (١٩٠٦) بالخنق أو الإبعاد .

دين الصقالبة

يقام طقس ديني للملك .. اذن يعتبر وكيل الإله ، الساحر على الارض . فمن هو رب الملك ؟ النار العادية أم الشمس (١٩٠٧) ؟ من هذه الناحية ، ترد ملاحظة دقيقة هامة عند ابن رسته : « وهم (الصقالبة) كلهم عبدة نيران . وأكثر زروعهم الدخن ، فاذا كان

أيام حصادهم أخذوا من حب الدخن في مغرفة ، ثم رفعوها الى السماء، ويقولون : يارب أنت الذي رزقتنا : فتممه علينا » (١٩٠٨) » .

لكن أهم منه المسعودي (١٩٠٩) . فهو يحدثنا عن البيوت المعظمة عند الصقالبة ، وكلها مبنية على الجبال ، وتجمع العناصر الطبيعية والنشاط البشري . فالبيت الأول « له خبر في كيفية بنائه ، وترتيب أنواع أحجاره ، واختلاف ألوانه ، والمخاريق المصنوعة له فيه على أعلاه ، وما من مطلع الشمس في تلك المخاريق المصنوعة ، وما أودع فيه من الجواهر والآثار المرسومة فيه ، الدالة على الكائنات المستقبلة ، وما تنذر به تلك الجواهر من الأحداث قبل كونها ، وظهور أصوات من أعاليه لهم ، وما كان يلحقهم عند سماع ذلك » .

واتخذ البيت الثاني على الجبل الأسود ، « تحيط به مياه عجيبة ذوات ألوان وطعوم مختلفة عامة المنافع » ، وكان لهم فيه صنم « عظيم » ، على صورة رجل قد انحنى على نفسه وهو شيخ بيده عصايحرك بها عظام الموتى من النواويس ، وتحت رجله اليمنى صور أنواع من النمل ، وتحت الأخرى غرابين سود من صور الغداف وغيرها ، وصور عجيبة لأنواع من الأحابيش والزنج » (١٩١٠) .

والبيت الثالث على جبل لهم يحيط به خليج من البحر قد بني بأحجار المرجان الأحمر ، وأحجار الزمرد الأخضر ، في وسطه قبة عظيمة، تحتها صنم عظيم أعضاؤه من جواهر أربعة : زمرد أخضر ، « وياقوت أحمر ، وعقيق أصفر ، وبلور أبيض » ، ورأسه من الذهب الأحمر ، وبازائه صنم آخر على صورة جارية ، وكان يقرب له قرابين ودخن ، وكان الصقالبة ينسبون هذا البيت الى حكيم كان لهم في قديم الزمان »

ولا تؤلف الجبال الثلاثة إلا جبلا واحداً في الواقع بثلاثة أوجه متكاملة : هو الجبل الكوني ، مركز العالم ، الذي يدل على الفاصل بين العناصر الثلاثة الأرضية والمائية والهوائية (١٩١١) . فبالجبل تعتبر الأرض (ض) حاضرة دوماً بداهة : وهي مضمنة طبيعياً في الهواء (ه) في البيوت الثلاثة ، لكن مع التشديد على هذا الإدراج في البيتين ٢ (طيور) و ٣ (عطور) :

ض ⊇ ه   ض ⊇ ه   ض ⊇ ه

أما الماء (م) ، فالأرض تتضمنه (ماء العيون) في البيت ٢ ، وهي مضمنة في (وضع شبه الجزيرة) في البيت ٣ :

ض   م ⊇ ض   ض ⊇ م

وهناك تصييغ آخر ممكن في حالة عنصرين فقط . ليكن موضوع الحركة (ح) : إنه وحده حاضر في البيت ١ . ويضمن السكون (ن) الحصر في البيت ٣ . والعنصران حاضران (الحركة ببزوغ الأعين وعكسها بالتمثال) في البيت ٢ ، ولهما قسم مشترك ، هو « تقاطعهما » ، أي : حركة الشيخ ، التي تعتبر حركة (« تحريك ») وانعدام حركة (إذ تخص شيئاً غير متحرك : التمثال) :

ح   ح ∧ ن   ن

وفي حالة ثلاثة عناصر ، ينطبق أبسط توزيع ، بوحدات متميزة، على مظاهر النشاط البشري الذي تكشفه البيوت : كهانة (ك) في البيت ١ ، طب (ط) (١٩١٢) في البيت ٢ ، دين (د) (صنم ، ضحية) في البيت ٣ :   ك   ط   د

ويحتمل قيام توزيع آخر : اذ يتعارض موضوع الحياة ــ البداية، الذي ترمز له الشمس المشرقة في البيت ١ ،مع موضوع الموت ــ النهاية، الموجود في جميع الأماكن في البيت ٢ ، في حين يتسامى كلاهما في الإلهي أي الأزلي في البيت ٣ : نشير بهذه المناسبة الى الإحالة الى الزمن الأسطوري (« في عهد غابر » : في قديم الزمان) والى موضوع المبنى الدائم : إذ ان البيت والصنم مصنوعان من حجر أو معدن لا يتغيران :

ة   ت   ة ÷ ت ← ل

ويتوزع موضوع الألوان بطريقة مختلفة : ففي البيت ١ ، يسيطر النوع المطلق ، وفي البيت ٢ ، تتضمن هذه السيطرة حقلا واسعاً من الأسود ، وفي البيت ٣ ، يبرز (١٩١٣)اللون الأصفر (عقيق وذهب) على وجه أخص ، في حين يرجع النوع الى ثنائية : أربعة ألوان موزعة على فئتين (١٩١٤) ، فئة الألوان الغامقة (أخضر ، أحمر) وفئة الألوان الفاهية (أصفر ، أبيض) :

نم   س ⊇ نم ص ⊇ نم/٢

وفي حالة أربعة عناصر ، يمكن أن يتجاور عنصر واحد مع كل من العناصر الثلاثة الباقية : فالبصر ، الحس الممتاز لأنه يقترن بالضوء والنار (١٩١٥) يكون دوماً خاضراً ، الى جانب السمع (وسطاء الوحي) في البيت ١ ، والمذاق (ماء العيون) في البيت ٢ ، والشم (عطور) في البيت ٣ :

ر ، ع   ر ، ق   ر ، ش

ويزداد تعقيد توزيع « الممالك » . ففي البيت ١ ، يستقر الإله في أعلى البيت (١٩١٦) ، ويجمع الكون ، فيشتمل أولاً على البشر ، الذين أشادوا البيت ، ويتضمن البشر بدورهم المعادن التي تشتغلها التقنية البشرية . إلا أن المعادن ذاتها ، متى أصبحت جزءاً من البيت ، تصير محتواة في الإله :

ج ≧ ب ⊇ ل

ويتدخل عنصر جديد ، هو المملكة الحيوانية ،(١٩١٧) في البيت ٢. ويخضع الحيوان والإنسان (عظام) الى الإله بشكله المأتمي. إنما يستقر الإله في بيت يحيط به العنصر المعدني (عيون) ، ويحصره (١٩١٨) :

ب   ى ≧ ل ⊇ ج

أخيراً في البيت ٣ ، يصبح البشري متضمناً في الإلهي : فالجارية تخضع الى الصنم وتقدم له التضحية . وكما هي الحال في البيت ١ ، لا تتضمن المعادن (أعضاء الصنم وأجزاء البيت) في الإلهي إلا بواسطة عمل بشري ، يبني البيت ويصنع التمثال . إلا أن البيت ، بموقعه على شبه الجزيرة ، كالأرض التي تحمله (١٩١٩) ، محاط بالعنصر « المعدني » بشكله المائي :

ج ≧ ب ⊇ ل ≧ ج

اذن لدينا على وجه الاجمال :

ج ≧ ب ⊇ ل   ب ، ى ≧ ل   ج   ح ⊒ ب ⊒ ل ⊒ ج

ويتضح من هذه الأوضاع أن الإله يحتوي ثلاث مرات ،ويُحتوى مرتين : فهو في العالم لكنه يجمع هذا العالم ويسيطر عليه في الوقت ذاته : أما المعدن ، فمحتوي وحاوي بعدد من المرات متساو بدقة . فهو يحتوي الإله مرتين : أليس أحد مقرّاته ؟ ويحتويه الإله مرتين لكن عن طريق الإنسان : وليس له تماس بالإله ، أو بالأحرى تماسه بالإله قائم ، لكنه لايدركه . فالإنسان ضمير هذا التماس ، ووسيط بين العالم والإله الذي يسكن هذا العالم ، بالتالي يصبح بلا شك ، من جهة وجوده في العالم ، محتوياً (٣ مرات) أكثر منه حاوياً (مرتين) . إنما ، سواء احتواه الإله وحده ، أو العالم بواسطة الإله ، فالقاعدة على الدوام تماس مباشر مع الإله . وهكذا تراعى مكانة الإنسان الخاصة بين الخليقة : ليقارن بالحيوان الموجود مرة واحدة ، لأنه محتوى ، بمشيئة الإله ، في علاقة بسيطة بالعالم (١٩٢٠) .

بقي ، لننتهي ، أن نلقي نظرة على تنظيم العالم الإجمالي . فموضوع التنوع (١٩٢١) موجود وحده في البيت ١ ، ويتحول الى ثنائية بارزة جداً في البيت ٣ : فئتان كل فئة من لونين (١٩٢٢) ، صنمان ، نوعان من الحجر في البيت . أخيراً في البيت ٢ ، يقترن النوع (عين ، عظام) والثنائية (رجلا التمثال) بالوحدة (التمثال) . في النهاية ، المقصود عنصر واحد ، هو التنوع الأساسي في العالم ، الذي تستطيع مهارة البشر ، كما هي الحال في البيت ٣ ، أن تنظمه (١٩٢٣) جزئياً ، إنما يقدر الاله وحده (البيت ٢) ، حسب مشيئته ، أن يحفظه على حاله ، أو ينظمه أو يحوله الى وحدة ، أي الى ذاته :

ت ، ت/٣ ، ت/ت ت/٢

وهكذا ، تضمن الجبال الثلاثة ، في التصبيغات التي ترمز اليها ، توزيع العناصر وطبقات الخليقة ، والنشاطات والوظائف التي تؤلف العالم . ولا يختص جبل منها بناحية معينة ، بل تتقاسم كل شيء ، في علاقات تتباين في كل مرة ، وتنوع الإمكانات كما تشاء . ويتأكد التوزيع الثلاثي لجبل الكون ، من توزيعات أخرى ، ليست سوى مقاييس تنظيم كمية بين طرفي السلسلة التي تحتوي وحدانية الإله وتنوع العالم لا المتناهي الذي خلقه . لذلك يبقى — بمؤشر لايقر له قرار — الميزان يتأرجح الى الأزل بين حرية الخليقة وحتمية نظام يبدعه الإله وحده ، ويشكل الإنسان في غائيته وسيلة تحقيقه ومقاربته الناقصة معاً . بقي علينا أن نعرف ما اذا كان المؤلف المسلم (١٩٢٤) ينكب في النهاية ، من خلال تصور الغريب للعالم ، على تصوره الخاص .

الروس والورنك والويسو

نعرف الجدل القديم : هل ينبغي أن نفهم بلفظ الروس الصقالبة أم إحدى الأمم الاسكندنافية ، المسماة الورنك (١٩٢٥) ، الذين جاؤوا من بحر البلطيق عن طريق منطقة نوفوغورود ونهر دنيبر الأعلى ؟ لابد لنا أن نتناول اليوم المسألة التي لاتخلو من الأصداء السياسية، بطرق جديدة نسبياً : فيرجح أن الروس (وهم في الأصل مجموعة من المحاربين الدانمركيين) ، نجحوا في التسلل خفية ، بتصقلبهم ، الى مجتمع صقالبة شرقيين ، تنظم قديماً وشرع يتحضر ، ويحتل فيه البدو (الخزر ، البجناك ، المجغرية) مكاناً أساسياً . لكن لايمكن إنكار دورهم في تأسيس المملكة الروسية الأولى ، المسماة مملكة كييف ، إنما لايجوز المبالغة به (١٩٢٦) أيضاً ، مثلما حصل حتى الآن في هذه المدة الطويلة .

ولا يرد ذكر الورنك في النصوص الجغرافية (١٩٢٧). ولعل كتاب حدود العالم يحيل اليهم في أحد رسومه الغامض جداً . فاذا صح هذا التوقع ، يعيش الورنك في جزر صغيرة . ويأتي تيار ماء (بحر البلطيق ؟) قوي من مناطقهم ، التي تجاور توليه في أقصى الشمال ، « ويلتقي » في شمال الصقالبة ببحر مايطس : المقصود في الواقع إحدى البحيرات الكبرى الروسية (١٩٢٨) .

ويشار الى أمم أخرى في هذه الأنحاء الشمالية من روسية : فاسم يغسون يرد في كتاب حدود العالم الذي يقول عنه إنه اسم بلد كيماك. لكن يجب أن نفهم انه يوغره (يوره) ، أي الأقوام اليوغورية في ييق الشمالي والأوبي : أي فوغول واوستياك (١٩٢٩) ويقرنهم (١٩٣٠) كتاب الحدود بالويسو ، الذين يحيلون الى قوم فنيين : الفس ، النازلين في جنوب شرق بحيرة اونيغا . ويعرفهم ابن فضلان من حديث سمعه من ملك بلغار أتل ، أفضى له فيه بأن وراء بلده بمسيرة ثلاثة أشهر قوماً يقال لهم ويسو ، الليل عندهم أقل من ساعة . ويقطع تجار البلغار هذه الطريق الطويلة ليشتروا من الويسو جلود السمور والثعلب الأسود (١٩٣١) .

وقد صنف مينورسكي (١٩٣٢) مراجع دراسة الروس تصنيفاً واضحاً ، فجعلها فئتين حسب معرفتها أو جهلها وجود مملكة كويابه ، القرن التاسع . والواقع أن هذا التقسيم يكاد يكون مصطنعاً ، وإن كان مقبولاً ، لأن الفارق كبير بين مجموعتي المصادر . بالفعل يتحدث الإصطخري وابن حوقل (١٩٣٣) وحدهما عن مملكة كويابه . وترجع جميع النصوص الأخرى بجلاء الى تاريخ سابق . وتتميز

حالتان خاصتان . فكتاب حدود العالم ، المكتوب في آخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، يجمع الاتجاهين . أما ابراهيم بن يعقوب ، الذي زار البلغار عام ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م ، فقد التقى بروس يبدو أنهم اسكاندينافيون (١٩٣٤) أقحاح ، ولا يشير البتة الى كويابه .

ولعل المقصود إحدى الجماعات الثلاث التي يتحدث عنها الإصطخري ، نعني ارطانية وادي نهر أوكا ، مادام ابن فضلان (١٩٣٥) يجعل هؤلاء الروس ينزلون على نهر أتل . وليس مايمنع إجراء هذه المقاربة ، لأن الإصطخري كتب حوالي ٣١٨ — ٣٢١ هـ / ٩٣٠ — ٩٣٣ م ، اذن في عهد ابن فضلان بالذات تقريباً . وقد تكفي هذه المقاربة على الأقل لاستبقاء حالة ابن فضلان مثارة . مهما يكن ، تقتضي معطيات ابن فضلان بحثاً على حدة لكثرتها ولهجتها الصادقة الواقعية .

ونستميح القراء عذراً الآن ، اذا سرنا في بحثنا خلاف مجرى التاريخ ، وبدأنا بالنهاية ، بالإصطخري وابن حوقل (١٩٣٦) ، لكن أيضاً ، مثلما قلنا ، بالدلالة الضعيفة، نقصد من الناحية الكمية الصرفة. ولنضع على حدة بعض المعطيات عن نهر أتل ، « نهر الروس » هنا ، ونهر الروس وكثيرين غيرهم في أماكن أخرى ، وعن تصدير العسل والشمع والفراء الى الخزر ، وأخيراً عن الغارات الروسية على مناطق البلغار والخزر (١٩٣٧) . فماذا يبقى ؟ بضعة أسطر ، هي بالذات التي لفتت انتباه مينورسكي (١٩٣٨) .

فالروس تجار ، يذهبون حتى القسطنطينية ليبيعوا جلود السمور السيبيري والثعلب الأسود ، والرصاص وبعض الزئبق . وتتم معظم

تجارتهم بالسفن بالأنهار . وهم قوم غامضون وشرسون ، ومعادون عند الاحتكاك بهم ، يحفظون سر ما يعملون ، ولا يخبرون بشيء عن البلد الذي جاؤوا منه . فماذا نعرف عنهم ؟ أنهم يحرقون أنفسهم اذا ماتوا ، ويحترق مع مياسيرهم الجواري منهم بطيبة أنفسهن ، وأن بعض الروس يحاق لحيته ، وبعضهم يفتلها كمثل أعراف الدواب أو يضفرها ، وأن لباسهم القراطق الصغار .

أخيراً نعرف على التخصيص أنهم ثلاثة أصناف . فصنف منهم أقرب إلى البلغار ،وملكهم في مدينة تسمى كويابة (كييف) . ولا يهمنا إلا قليلاً أن نعلم اذا كان المقصود بلغار الدنابى أو أتل ، لأن مملكة كويابه تمت في هذين الاتجاهين (١٩٣٩) . وصنف أعلى منهم يسمون الصلاوية(١٩٤٠) : وهم صقالبة بداهة ، لكن ربما وجب التدقيق واعتبارهم سلوفين نوفوغورود ، الذين نزل عندهم النورمان في البدء(١٩٤١)وصنف منهم يسمون الارثانية ، وملكهم مقيم بأرثا ، وهم أهماج .ويبلغ الناس في التجارة معهم الى كويابه ونواحيها . أما أرثا ، فلم يدخلها أحد من الغرباء لأنهم يقتلون كل من يطأ أرضهم منهم . لكن أين تنزل هذه الأمة الروسية ؟ الأرجح ، اذا كان اسمها يحيل حقاً الى ارزأة ،أحد بطون أمة الموردف ، أن تستقر في حوض اوكا (١٩٤٢) .

نظرة إلى الروس من بعيد

لاشك أننا نعرف بعض الروس ، مثل هؤلاء التجار الذين يرسم لنا ابن خرداذبه مسالكهم (١٩٤٣) حتى بغداد ، حيث يقوم الرقيق الصقالبة بدور التراجمة لهم . مع ذلك يظل الروس غامضين على الرغم هذه الاتصالات المباشرة : من جهة ، مثلما رأينا ، لأنهم هم أنفسهم

يحرصون على هذه الناحية ، ومن جهة أخرى ، لأن الإنسان ينسب العجيب أو الغموض الى القادمين من الآرجاء النائية ، وهذا أمر مألوف . ويثير اليعقوبي سلب اشبيلية عام ٢٢٩ هـ / ٨٤٤ م ، فيقول « دخلها المجوس (النورمان) (١٩٤٤) الذين يقال لهم الروس » ، فسبوا ونهبوا وقتلوا وحرقوا . ولا نعرف في جميع الأحوال إن كانوا نورمان أو صقالبة . لكن يتحدث مؤلفون آخرون عن الصقالبة : فهل هذه إشارة الى نزول الروس في ماكان بالفعل ويبقى بلد الصقالبة؟ كلا ، فوراء اسم صقالبة ، ينبغي أن نفهم هنا ، بأعم معنى له ، أوربة الشرقية ، بلا زيادة ولا نقصان (١٩٤٥) .

وفي الأمور الباقية الأخرى ، يلهم مصدر مشترك ابن رسته وكتاب حدود العالم والمقدسي أيضاً ، مثلما أبان مينورسكي جيداً (١٩٤٦) . فهم يعطوننا مع المسعودي ، الذي تبدو أخباره مستقلة بعض الشيء ، كل مايتوفر لدينا من معلومات عن الروس (١٩٤٧) . وهنا يستمر التمييز بين الروس والصقالبة . ولا ريب البتة أنه لابد أن نعود ، كما يقول مينورسكي ، الى الفترة الحرجة لاستيطان الإسكندنافيين التدريجي ، قبل تأسيس مملكة كويابه الروسية : ويتضح بجلاء وجوب التشديد على عدم امتزاج (١٩٤٨) عنصري الروس والصقالبة حتى الآن .

فهل الروس وافرو العدد (يعطى رقم مائة الف رجل لهم) ، أم على الأصح ، أمم كثيرة وأنواع شتى ؟ ومنهم من يقال لهم اللوذعانة ، وهم الأكثرون ، أي في الواقع اللتوانيين (١٩٤٩) ويتألف مشهد بلدهم الطبيعي من أشباه جزر ، بها مشاجر وغياض ، وهي وبية ندية اذا وضع الإنسان رجله على الأرض تزلزلت الأرض من ندوتها .

وميل الروس الى الأعمال الزراعية ضعيف . وهم يتعاطون الملاحة والحرب وقنص حيوانات الفراء ، التي تؤلف مع السيوف ورقيق السبي اصنافا رئيسية في التجارة النائية (١٩٥٠) : من جهة أولى حتى دار الإسلام عن طريق البلغار والخزر ، ومن جهة أخرى حتى القسطنطينية أو رومية أو الأندلس .

والروس حمر (١٩٥١)،لهم نظافة في لباسهم، ويكرمون أضيافهم، ويحسنون الى من يلوذ بهم من الغرباء (١٩٥٢) ، وكل من أقدم عليهم بمكروه أو ظلم أعانوهم ودفعوا عنهم (١٩٥٣) ، ويحسنون الى رقيقهم ، ويتنوقون في ثيابهم لأنهم يتعاطون التجارة (١٩٥٤). ولهم رجلة وبسالة اذا نزلوا بساحة الحرب . ولهم السيوف اللدنة . وإن استنفروا . خرجوا جميعهم ولم يتفرقوا وكانوا يداً واحدة على عدوهم حتى يظفروا . وليس اقدامهم على الظهر ، وإنما غزو هم ومعالجتهم في السفن ، وهذه ناحية هامة . في جميع الأحوال ، سواء ركبوا الدواب أو السفن فالغزو،على حد ما جاء في النصوص الجغرافية، القضية الكبرى بين الروس وجيرانهم الذين تدمرهم غارات الروس المقاتلة (١٩٥٥) .

والروس أمة جاهلية ، لاتنقاد الى دين ولا الى شريعة (١٩٥٦) . ولهم ملك ، يسمى خاقان روس ، على غرار الأتراك ، يؤدون له عشر مالهم.وإن ادعى أحدمنهم على آخر دعوى حاكمه الى ملكهم واختصما. فان قطع بينهما كان الذي يريد . وان لم يتفقا على قوله ، أمر أن يتحاكما بسيفيهما ، فأي السيفين كان أحد كانت الغلبة له (١٩٥٧) ، على حد قول ابن رسته ، فخرجت العشيرتان ، فقامتا بأسلحتهما .

ولهم أطباء منهم (١٩٥٨) ، يحكمون على ملكهم ، ويتجلى بهم

الدين في المجتمع الروسي مهما قيل عنهم . ويزعم ابن رسته بأنهم شبه أرباب لهم ، يأمرونهم أن يتقربوا الى خالقهم بما يريدون . وإذا حكمت الأطباء ، يأخذ الطبيب الإنسان والبهيمة منهم ، فيطرح الحبل في عنقه ، فيعلقه في خشبة حتى تفيض نفسه (١٩٥٩) .

ويلبسون سيوراً من جلد ، ويتسور الرجل منهم بأسورة الذهب ، ويضعون على رؤوسهم قلانس مطرزة حتى أعناقهم من الوراء . ويسترعي الانتباه مالهم من سراويل اتخذ الواحد منها من مائة ذراع ، اذا لبسها اللابس منهم جمعها على ركبتيه وشدها عندهما . ولا يبرز أحدهم لقضاء حاجة وحده ، إنما يصحبه ثلاثة نفر من رفقائه يتحارسونه بينهم ومع كل واحد منهم سيفه المسلول ..

فالسيف للحرب والسيف للصداقة ، والسيف لجميع الحياة . واذا ولد لرجل منهم مولود ، قدم الى المولود سيفاً مسلولاً ، فألقاه بين يديه ، وقال له « لا أورثك مالاً ، وليس لك إلا ما تكسبه لنفسك بسيفك هذا » والسيف رفيق الإنسان ، يصحبه على الدوام حتى بعد وفاته . ذلك أن الجليل منهم ، اذا مات ، سواء حرق او دفن . (١٩٦٠) يجعلون معه سواره وسلاحه ، ودوابه وثيابه ، وطعاماً وأباريق شراب ، ومالاً صامتاً ، وامراته التي كان يحبها .

الروس عن كثب : ابن فضلان

« ورأيت الروسية » : هذا ماكتبه ابن فضلان وحده . فقد أرسل في سفارة الى بلغار نهر أتل ، الذين يوافيهم جيرانهم الروس في تجاراتهم . فجمع مباشرة أو كاد ، جملة معلومات نادرة (١٩٦١) عن هذه الأمة الغامضة جداً عادة والنائية .

والروسية شقر حمر ، أبدانهم تامة كأنهم النخل . ومن حد ظفر الواحد منهم الى عنقه ، مخضر شجر وصور . ولا يلبسون القراطق ، لكن يلبس الرجل منهم كساء يشتمل به على أحد شقيه ، ويخرج إحدى يديه منه . ومع كل واحد منهم فأس وسكين لايفارقانه ، وسيوفهم مشطبة افرنجية . أما نساء هؤلاء المحارين بثيابهم الفضفاضة ، فمولعات بأطواق الذهب والفضة ، وخصوصاً بعقود الخرز الأخضر ، لا لأنها حلي فقط ، بل لأنها سمات تمييز اجتماعي ، يرتبط عددها بدقة بثروة الزوج : فكلما زادت ثروة الزوج عشرة آلاف درهم ، زيد طوق في عنق المرأة ، والأطواق إما من حديد وإما من فضة ، وإما نحاس وإماذهب اوخشب ، على قدرمال الأزواج ومقدارهم. وجميع النسوة أزواج محاربين ، لذلك تحتوي كل حقة على ثديهن على حلقة فيها سكين .

وكل هؤلاء الروسية نظاف لكن على طريقتهم . ذلك أن الجارية توافي كل يوم بالغداة ، ومعها قصعة كبيرة فيها ماء ، فتدفعها الى مولاها ، فيغسل فيها وجهه وشعر رأسه فيغسله ويسرحه بالمشط في القصعة ، ثم يمتخط ويبصق فيها ، فاذا فرغ ، حملت الجارية القصعة الى الذي بجانبه ، ولا تزال ترفعها من واحد الى واحد حتى تديرها على جميع من في البيت . وهذا بسيط حيال عدم وجود النظافة الطقسية المسلمة عندهم : فهم لايغسلون أيديهم من الطعام ، ولا يستنجون من غائط ولا بول ، ولا يغتسلون من جنابة . بأختصار ، هم« كالحمير الضالة»(١٩٦٢)

والواقع أن دينهم ، فيما يبدو ، لا يتعدى أفق الإهتمامات الآنية التجارية . فساعة تصل سفنهم الى المرسى على ضفاف نهر أتل ،

يخرج كل واحد منهم ومعه خبز ولحم وبصل ولبن ونبيذ (١٩٦٣)، حتى يوافي خشبة طويلة منصوبة ، لها وجه يشبه وجه الإنسان . وحولها صور صغار ، وخلف تلك الصور خشب طوال قد نصبت في الأرض، فيوافي الى الصورة الكبيرة ويسجد لها ، ويعدد لها ما معه من تجارات بالتفصيل ، ويترك لها هدية ، ويتضرع لها أن ترزقه تاجراً معه دنانير كثيرة ويشتري منه . فاذا تعسر عليه بيعه ، وطالت أيامه ، عاد بهدية ثانية وثالثة ، حتى يبيع . فاذا باع ، يكافي ربه ، فيعمد الى عدة من الغنم أو البقر فيقتلها ويتصدق ببعض اللحم ، ويحمل الباقي فيطرحه بين يدي تلك الخشبة الكبيرة والصغار التي حولها . ويعلق رؤوس البقر أو الغنم على ذلك الخشب المنصوب في الأرض . فاذا كان الليل وافت الكلاب فأكلت جميع ذلك ، فيقول قد رضي ربي عني وأكل هديتي .

ومن صفاتهم البربرية انعدام الحياء عندهم . ففي البيوت الخشبية المبنية على شطي نهر أتل ، يجتمع في البيت الواحد العشرة والعشرون من التجار الروس . ولكل واحد منهم سرير يجلس عليه ، ومعهم الجواري الروقة ، فينكح الواحد جاريته ورفيقه ينظر اليه ، وربما اجتمعت الجماعة منهم على هذا الحال . ويعطيهم ملكهم المثال . فمن رسمه أن يكون معه في قصره أربعمائة رجل يموتون بموته ويقتلون دونه وهؤلاء الأربعماية يجلسون تحت سريره . وسريره عظيم مرصع بنفيس الجوهر . ويجلس معه أعلى السرير أربعون جارية لفرشه ، وربما وطيء الواحدة منهن بحضرة أصحابه . ولا ينزل عن سريره. فاذا أراد قضاء حاجة قضاها في طشت . واذا أراد الركوب قدموا

دابته الى السرير فركبها منه . واذا أراد النزول قدم دابته حتى يكون نزوله عليه .

جنازة الميت عند الروس

أراد ابن فضلان أن يرى كل شيء بأم عينه . وأحب أن يقف على مايفعل الروس بموتاهم بعد وفاتهم ، فوصفه بدقة ضاهت دقته في وصف سماء البلغار . ولا ريب أنه روى عن سماع في البدء ما يفعله الروس ، اذا أصابوا لصاً عندهم ، من تعليقه بحبل على شجرة وابقائه معلقاً حتى ينقطع من المكث بالرياح والأمطار ، أو اذا مرض الواحد منهم ، من ضرب خيمة له ناحية منهم ، يطرح المريض فيها ويعطى شيئاً من الخبز والماء . وقد سمعنا بجميع هذا ، بروايات معروفة ، تركية أو بلغارية (١٩٦٤) . ونشير اليها بداعي الحرص العلمي فقط ، ولا شيء سواه .

أما الجنازة المعاينة ورؤيتها مع مايصحبها من أبهة وفاة الأغنياء . . . فأمر آخر . ذلك أن ابن فضلان يخص هذا المشهد بصفحات يفوق عددها عدد صفحات وصف سائر عالم الروس . وقد قيل لابن فضلان ان الروس « يفعلون برؤسائهم عند الموت أمورا أقلها الحرق » ، فأراد أن يستجلي الخبر عندما بلغه موت رجل منهم جليل . فشاهد ودون بشغف .

ذلك أن الرجل الفقير منهم ، يعملون له سفينة صغيرة ، ويجعلونه فيها ، ويحرقونه أما الغني فلا بد من تجلي العظمة عند وفاته (١٩٦٥) .

فيجعل في قبره، ويسقف عليه . ثم يجمع ماله ويجعل ثلاثة أثلاث : ثلث لأهله، وثلث يقطعون له به ثياباً، وثلث ينبذون به نبيذاً لجميع قبيله (١٩٦٦) . ويتراءى أمامنا منذ هذه اللحظة بعض الأشخاص الهامين في احتفال الجنازة : نعني الجارية التي اختارت أن تموت مع المتوفي ، والجاريتين اللتين وكلتا بها تحفظانها ، وربما غسلتا رجليها بأيديهما.

ويمضي الروس عشرة أيام بالقصف والشرب والعهر . فيأخذون بشأن الميت ، ويقطعون له الثياب ويخيطونها ، ويستهترون بالنبيذ يشربونه ليلا نهاراً ، وربما مات الواحد منهم والقدح في يده . والجارية في كل يوم تشرب وتغني فرحة مستبشرة، وتستسلم لمن يشاء ، وهي متبرجة .

وعندما يأتي اليوم العظيم، تخرج سفينة الميت الى ضفة النهر ويجعل لها أربعة أركان، ويوضع حولها مثل الأنابير الكبار من الخشب(١٩٦٧)، ثم تمد حتى تصير على ذلك الخشب . ويؤتى بسرير يجعل على السفينة، ويغشى بالمضربات الديباج الرومي والمسند الديباج الرومي ، ثم تجيء عجوز يقال لها ملك الموت، فتفرش على السرير الفرش التي ذكرنا، وهي « جوان بيره ضخمة مكفهرة » .

ويقبل الناس يذهبون ويجيؤون ، ويتكلمون بكلام لم يفهمه ابن فضلان باقراره . ثم يوافون قبر الميت ، ويستخرجونه ، فبدا قد اسود لبرد البلد ، واذا هو لم ينتن ولم يتغير منه شيء غير لونه . ويخرجون جميع ماجعل معه في قبره من نبيذ وفاكهة وطنبور . ثم يلبسونه سراويل ورانا وخفاً وقرطقاً وخفتان ديباج له أزرار ذهب ، ويجعلون على رأسه قلنسوة ديباج سمورية ، ويحملونه حتى يدخلوه القبة التي

على السفينة ، ويجلسونه على المضرّبة ويسندونه بالمساند . (١٩٦٨) .

وعندئذ تبدأ طقوس غريبة : فيجيؤون بالنبيذ والفاكهة والريحان ثم بخبز ولحم وبصل ويطرحونه بين يديه ، ويقطعون كلباً بنصفين ويلقونه في السفينة ، ثم يأخذون دابتين فيجرونهما حتى تعرقا ثم يقطعونهما بالسيف ويلقون لحمهما في السفينة ، ثم يقطعون بقرتين على المنوال ذاته . ويحضرون ديكاً ودجاجة ويقتلونهما ويطرحونهما فيها . (١٩٦٩) .

وكان أهل الميت قد نصبوا قباباً حول قبره الذي بقي فيه عشرة أيام على أنغام الموسيقى الصاخبة . فتذهب الجارية وتجيء ، وتدخلها قبة قبة ، فيجامعها صاحب القبة ويقول لها : « قولي لمولاك انما فعلت هذا (١٩٧٠) من محبتك » .

ولما كان وقت العصر من يوم الجمعة ، جاؤوا بالجارية الى شيء قد عملوه مثل ملبن « الباب » ، فوضعت رجليها على أكف الرجال ، وأشرفت على ذلك الملبن ، ورفعوها وأنزلوها ثلاث مرات . وفي كل مرة كانت الجارية تتكلم بكلام لها . ثم دفعوا اليها دجاجة فقطعت رأسها ورمت به ، وأخذوا الدجاجة وألقوها في السفينة . فسأل ابن فضلان الترجمان عن فعلها فقال : « قالت في أول مرة أصعدوها : هو ذا أرى أبي وأمي ، وقالت في الثانية هو ذا أرى جميع قرابتي الموتى قعوداً ، وفي المرة الثالثة ، هوذا أرى مولاي قاعداً في الجنة ، والجنة حسنة خضراء ، ومعه الرجال والغلمان ، وهو يدعوني ، فاذهبوا بي اليه » .

ولبي طلبها فوراً . فمروا بها نحو السفينة ، فنزعت سوارين كانا

عليها ، ودفعتهما الى المرأة التي تسمى ملك الموت . ونزعت خلخالين كانا عليها ودفعتهما الى الجاريتين اللتين كانتا تخدمانها ، وهما ابنتا المرأة المعروفة بملك الموت . وجاء الرجال ومعهم التراس والخشب . والجارية تشرب وتغني . فقال الترجمان إنها تودع صواحباتها بذلك . ثم شربت وطولت الغناء ، والعجوز تستحثها على الدخول الى قبة الموت.

فهل هذا تمثيل طقسي أم رعشة حقيقية ؟ الواقع أن الجارية تبلدت ، وشرد ذهنها . فأخذت العجوز رأسها وأدخلتها القبة . وأخذ الرجال يضربون بالخشب على التراس لئلا يسمع صوت صياحها ، فيجزع غيرها من الجواري ، ولا يطلبن الموت مع مواليهن . ثم دخل الى القبة ستة رجال ، فجامعوا بأسرهم الجارية ، ثم أضجعوها الى جانب مولاها . وأمسك اثنان رجليها واثنان يديها ، وجعلت العجوز في عنقها حبلاً مخالفاً ، ودفعته الى اثنين ليجذباه ، وأدخلت الخنجر بين أضلاع الجارية موضعاً موضعاً ، وأخرجته والرجلان يخنقانها بالحبل حتى ماتت (١٩٧١) .

ثم وافى أقرب الناس الى ذلك الميت . فأخذ خشبة وأشعلها بالنار. ثم مشى القهقرى نحو قفاه الى السفينة ، ووجهه الى الناس ، والخشبة المشعلة في يده الواحدة ، ويده الأخرى على باب استه ، وهو عريان حتى أحرق الخشب المعبأ تحت السفينة . ثم وافى الناس بالخشب والحطب ، ومع كل واحد خشبة قد ألهب رأسها ، فيلقيها في ذلك الخشب (١٩٧٢) . ويلاحظ ابن فضلان أن « النار تأخذ في الحطب ثم في السفينة ، ثم في القبة والرجل والجارية وجميع ما فيها . ثم هبت ريح عظيمة هائلة ، فاشتد لهيب النار واضطرم تسعرها » .

أخيراً حان وقت الطقس الختامي ، فبنوا على موضع السفينة شبيهاً بالتل المدور ، نصبوافي وسطه خشبة كبيرة ، وكتبوا عليها اسم الرجل واسم ملك الروس .

هذه هي رواية شاهد عيان . إنها واضحة جداً ، وبارزة جداً تقريباً حتى لنستطيع أن نقرأ اليوم أكثر من مقطع منها بلا رموز . ويلاحظ المؤرخ وجود عرفي الدفن والحرق ، المستعملين عند الروس منذ مدة طويلة . وعند الصقالبة والأتراك أيضاً (١٩٧٣) . وربما جاءت عادة السفينة من العالم الاسكندنافي ، في حين تستعملها الأمم في الممارسات المأتمية مع الزحافة. وتذكر المواكبات الموسيقية بعادات سويدية أو صقلبية . أما موت المرأة الإجباري ، فشائع عند أمم عديدة مثل الأسقوتيين والأتراك المغول والبلغار ، والجرمانية والصقالبة . ويعرف دفن الميت جالساً في آسية الوسطى ، أما دفن أغراضه المألوفة معه ، فشائع عند الصقالبة والبلغار أو الأتراك . وقد يشابه ملك الموت إلهة الموت الجرمانية هيل ، مهما يكن ، تصور الجنة مرجاً أخضر عرف جرماني . أخيراً قد يقارن الملبن ، رمز الانتقال الى الآخرة ، ببعض مسلات مصر المأتمية ، التي ترمز صورة الباب عليها (١٩٧٤) الى الدار الأزلية .

وتتضح أيضاً أسباب الحفلة العميقة بجلاء تام : فالجارية تؤمن ، بطقوس الزواج البدائل التي لا يستغنى عنها . فهي زوج الميت في الآخرة، وتتحد به قبل ذلك على الأرض بواسطة أقربائه الذين ينادون المتوفى لكي يذكروه بها .

اذن تتخذ الجارية تماما وضع الزوجة (١٩٧٥) . وترى في الآخرة « أباها وأمها » على حد قولها . إنما هي ترى أهل الميت ، زوجها

(١٩٧٦) ، وتكشفهم لها بالتدريج رؤية مثيرة في نعيم الجنة . لكن تنعكس الرموز هنا ، فتأتي رغبة الزوج بعد اتمام الزواج (١٩٧٧) ، فهي نزوع الى الحياة المطلقة ، وبالتالي ، الى الأزل والعدم ، مثل كل نبضة كاملة . ونلقى ، على المستوى الاجتماعي ، انقلاباً أكثر شيوعاً : نعني الانقلاب الذي يجعل الفقير ، برضى الجماعة ، الغني والقوي يوماً واحداً فقط (١٩٧٨) .

مع ذلك يمكن قراءة الطقوس بأجمعها ، حسب محورين اتجاههما متعاكس . فوداع الجارية لصواحباتها هو وداع الزوجة الجديدة لمجتمع البنات الفتيات ، ووداع الكائن الحي للارض . ويقال لنا بأن ضجيج التراس يرمي الى تغطية صراخ كائن حي يرعبه الموت في اللحظة الأخيرة ، لكن يمكن اعتباره أيضا احترازياً يرمي الى ابعاد أرواح الأموات أثناء إتمام الجماع ، الفعل الحيوي الممتاز . ويمكن فهم تضحية الحيوانات ، المقطوعة الى نصفين ، بذهنية مماثلة : فهي تموت بلاشك ، انما بعد ان تكون قد أعطت ، مثلما يقال لنا ، عن الدواب على الأقل ، جميع موارد الحياة . والموت ذاته مزدوج ، كما رأينا ، لكن لعل الطقس هنا يتسامى في الوحدة ، إذ إن الحركتين القتالتين تقومان بوظيفة واحدة ، هي خص الدم المهراق بدعم روح الحياة الهارب .

مهما يكن ، فالعالم ثنائي : ويعتبر موت الجارية الطوعي ، في هذا الظرف ، الوسيلة الوحيدة لوصل كونين منفصلين بانقطاع ، يرمز له الملبن وسير القهقرى الذي يقوم به حارق يجب ألا يلامس جسده ، المسدود تماما والأعمى (إذ إنه لاينظر الى مايتجه اليه) الموت الذي استقر نهائيا على السفينة .

في نهاية المطاف ، يصبح ايروس وحده قادرا على التسامي على الانقطاع بين النظامين . ويمثله بعض أجل أفراد القبيلة بأجمعها . فكأن كل هذه القبيلة تجامع الجارية ، وتضع فيها بذار الأزلية الحيوي . ومن هنا وضع الجارية الخاص ، فهي خادمة وملكة وشهيدة كل الجماعة التي تراها محيطة بزوجها في الآخرة ، وتعبر أناشيدها عن فرحها بالبقاء على قيد الحياة : فيعود الفضل الى الجارية التي تضمن جعل بقاء البطل بقاء الجماعة بالذات : وتعبر الريح وسرعة الحريق عن رضى الآلهة ، وتؤيدان الفرح واليقين السابقين .

ويقول المسلم الكلمة الأخيرة ، أو بالأحرى يطرح السؤال الأخير . فقد لاحظ ابن فضلان ، وهو ينظر الى السفينة تحترق ، روسيا يحاور الترجمان. فسأله عما قال له. فقال : « إنه يقول : أنتم يامعاشر العرب حمقى » فقال ابن فضلان : « لم ذلك ؟ » قال : « إنكم تعمدون الى أحب الناس اليكم وأكرمهم عليكم ، فتطرحونه في التراب ، ويأكله التراب والهوام والدود ، ونحن نحرقه بالنار في لحظة ، فيدخل الجنة من وقته وساعته » . ثم ضحك ضحكاً مفرطاً . فعاد ابن فضلان الى التعجب ، وسأل مجدداً ، وقيل له : « من محبة ربه له ، قد بعث الريح حتى تأخذه في ساعة » .

وهنا يستنفد التعليق ، وتنتهي أسئلة الرجال الثلاثة . ولعل اليقين ، لم يحبذ هذه المرة المسلم ، وحجب الذهول من الواقع إمكانية إثارة جدل لصالح الوحي . أما التساؤل الباقي ، الذي تنطوي عليه موضوعية

الراوي ، فهو في النهاية التساؤل الذي يردده كل إنسان في قرارة نفسه ، ويستجلي به السر الخفي على الدوام . في جميع الأحوال ، اختتم ابن فضلان كلام الترجمان بقوله : « فما مضت (١٩٧٩) على الحقيقية ساعة حتّى صارت السفينة والحطب والجارية والمولى رماداً رمدداء» .

* * *

الفصل السابع

أوربة الغربية

لنلق نظرة أخرى على أوربة بأجمعها . فنحن نتحدث عن أوربة الشرقية وعن أوربة الغربية . فهل يحق لنا أن نتفوه بمثل هذا الكلام ، وهل هذا التقسيم صحيح ؟ قطعا تديننا جغرافية الطراز القديم . لنكرر الصورة الصادقة التي يعرضها الهمداني (١٩٨٠) . فماذا تقول لنا ؟ — أوروفى تمتد على قالطوغالاطية ، أو بلد قاليطيقى ، بأوسع معنى له وأقدمه ، من أوربة الغربية الى المنطقة الوسطى من آسية الصغرى ، التي أعطى بعض القلطيقى اسمهم (١٩٨١) لها ، بعد أن أسكنهم ملوك بيتونية فيها في القرن الثالث قبل الميلاد .

مع ذلك ، حتى في هذا الوقت ، لم يكن هذا الربع الشمالي الغربي من المعمورة ، المكون من قالطوغالاطية متجانساً . فقد انفصلت شتى البلدان عن كتلته ، كما لو أن الجغرافية استبقت التاريخ : أي البلدان التي يعرفها الهمداني بأنها « الأجزاء المائلة الى وسط الأرض المسكونة » ، أو البلدان الواقعة في طاعة الروم أو دار الاسلام في الفترة التي ندرسها : نعني مصر ، واللاس ، وحايا ، واقريطس ، وققلادس ، وقبرص ،

وسواحل بحر الروم في آسية الصغرى . وتبقى على أطراف هذه المجموعة الفرعية ، تراقية ، وايلورية ، وهما حيزا تماس بين العالمين البيزنطي والصقلبي (البلغار) .

ينفصل إذن عن « أورفى » هذه ، بمعناها الواسع ، قسم كبير ممن هم في طاعة الروم في الحد الأدنى . لكن ماذا نقول عن البلدان الأخرى ؟ اذا عدنا الى قائمة البلدان التي تتألف منها قالطوغالاطية الحقيقية (١٩٨١) لتحديد أوربة الغربية ، وجب علينا أن نستبعد أيضا آسية الصغرى من الداخل هذه المرة (غالاطية) . وتثير باسطرانية وجرمانية قضايا إضافية : فلا شك أن الأولى تحيلنا الى أوربة الشرقية ، بقطر يذهب من نهر فستول الأعلى الى مصبات نهر الدنبة ، ويأخذ هذا البلد اسمه من أمة تعتبرها المصادر القديمة جرمانية أو شبه جرمانية (١٩٨٣) . مع ذلك ، يمد بطلميوس ، وهو مثال الهمداني المصرح به ، جرمانية حتى نهر فستول ، مما يسمح لخليفته المتأخر أن يسميها « بلدان الصقالبة » (١٩٨٤) . وهكذا أعيد البلد الجرماني الى ذوق العصر الراهن ، ويسعه بسهولة أن يصبح البلد الذي يناضل ضد جيرانه الأقوياء من جهة شرق نهر الالب ونهر صلاوة . مع ذلك ، لايمكن أن نتصوره مثل جرمانية الأخرى التي تمتلك بقوة الأرض الواقعة بين نهري الالب والرين .

تبدو هذه الأسماء ، والحق يقال ، أشبه بتمارين بسيطة من الطراز الكرتوغرافي ، في ذكر محتويات لائحة أسماء تظهر وتختفي ، حتى تثبت في المعمور من الأرض . وينطبق هذا الكلام على إيطالية ، أو غالية ، أو ابولية ، أو طورينية (بلاد نهر طورين) ، أو قلطيقى ، أو سبانيا .

ووهبت براطانية وحدها أفضل مما تقدم ، فتحرر اسمها من جمود غل التراث القديم ، وورد في نصوص الجغرافيين الأخرى . كذلك صقلية ، إلا أن التاريخ تناول هذه الجزيرة وجعلها مسلمة (١٩٨٥) ، وسحب من ظلمات العصور القديمة وجها صبوحا لجزيرة مشرقة .

أما الأسماء الكبيرة ، والأسماء الحقيقية ، فهي أسماء أمم لانجدها في الكرتوعرافية اليونانية الرومانية ، وتصنع تاريخ أوربة في القرنين ٣ هـ / ٩ م — ٤ هـ / ١٠ م . فقالطوغالاطية تضم أيضاً ، على حد قول الهمداني — كان عليه أن يقول تضم أولا — الإسبان ، والفرنجة والصقالبة والأتراك الغربيين . وبذا نرجع ، كما نرى ، الى تقسيمات عرفناها من قبل ، ومن هنا نستنتج أن أوربة الغربية تقتصر على أمتين ، وحتى على أمة واحدة : ذلك أن الإسبان وسبانيا شيء واحد ، وتدخل جميع هذه الأمور في التاريخ القديم ،ولا تقدم لنا البتة مادة بحث.على النقيض ، يهيمن الفرنجة أو التاريخ الزاحف على رؤية الجغرافيين بكاملها ، إن لم يستأثروا بها ، جنبا الى جنب ، وهذا صحيح ، مع جزء من هذا الماضي القديم الذي اعتبرناه ضائعاً . لكن ماهو الجزء المقصود ؟ إنه في النهاية جزء يوحدهم جميعاً وحجر زاويتهم ، نعني الروم الذين نجحوا أيضاً بتشويش الخريطة والذاكرات ، بفضل وريثتهم ، بطلة الشرق وعدوته ، وبفضل رومية الأزلية أيضا .

في الشمال : النورمان

النورمان أشباح في النصوص الجغرافية. واذا كانت دار الإسلام عرفتهم جيدا (١٩٨٦) في تاريخها ، على الأقل في الغرب ، فان الجغرافية تكاد تجهلهم (١٩٨٧) . ويتحدث نص واحد عنهم أو يكاد ، هو

نص الغزال (١٥٨ هـ / ٧٧٠ م ـــ ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م) (١٩٨٨) ، الذي لانعرفه الامن خلال مقاطع منه ، حفظها له مؤلفون متأخرون عنه ولا ندري في الحقيقة ان كان سفير الأمير الأموي الأندلسي عبد الرحمن الثاني لدى النورمان في جوتلند ، لأن البت في هذه القضية لايزال صعبا حتى الآن. وسنعود اليها فيما بعد (١٩٨٩) . ونكتفي الآن بأن نلاحظ أن معطيات الغزال تندرج في نطاقين مختلفين .

فالنطاق الأول يرتبط بالقصة ، ونقر بأنه يحيرنا : فالموضوعان اللذان يؤلفانه دونا من قبل في تقرير سفارة أخرى لغزال الى القسطنطينية ، يرى فيها بعض الباحثين أقدم سفارة له ، ويعتبرها آخرون السفارة الحقيقية الوحيدة . والموضوع الأول ، هو الإذلال الذي يفرضه الملك الغريب على ممثل الأمير ، الذي يتحتم عليه ، لكي يصل الى مقابلته ، أن يمر بباب منخفض يضطره الى الانحناء ، مما يشير الى بدعة نير الاستعباد القديمة إلا أن المرور كان لعبة أطفال عند الغزال ، الذي اجتاز الحاجز ،وهو قاعد القرفصاء ومندفعاً على يديه ويعود الغزال الى الوقوف مباشرة بعد الباب ، ويتولى بنفسه الدور الهام في خطابه : فيطري على مضيفه ، وينكر عليه ، وعلى كل إنسان ، المجد الحقيقي ، الخاص بالله وحده . ولا يسع الملك إلا الموافقة على هذا الموقف ، ويعترف بأن الغزال قلب الوضع لصالحه . لكن يضيف أن الإهانة ما كانت لتمر دون عقاب ، لولا الحصانة الدبلوماسية .

وموضوع الأمجاد البشرية والإلهية ، مطروق جداً ، ويندرج جيدا جدا في الخطابة الإسلامية . (١٩٩٠) . إلا أن روايته تثير لدينا مزيداً من الشكوك أيضا ، عندما يتطرق الى الصداقة الحميمة بعض الشيء التي تربطه في وقت مبكر بالملكة . فهو يكتب لها أشعاراً ، ويراها غالباً ، ثم يقلق على مجرى علاقته ، فيباعد زياراته : وهنا لابد أن نتذكر بأن

الغزال شاعر حقيقي ، وأن مواضيع الحب تحتل مكانة فريدة في الإنتاج الشعري في الإندلس الإسلامية .

يبدو كل هذا جميلاً جداً ، لكنه يدعو الى الشك . مع ذلك يتطلب موقف الملكة التعمق في التفكير . فعندما ابتعد الغزال عنها ، لكي لايلوث سمعتها ، قالت : « لاغيرة في عاداتنا . فعندنا ، لاتبقى النساء قرب أزواجهن إلا اذا شئن ، ويهجرنهم (١٩٩١) عندما لايعود أزواجهن يروقون لهن » .

هنا نحن في نطاق آخر ، وصفي محض : فنحن نعرف من قبل حرية الأخلاق الصحيحة ، أو المفروضة ، أو المبالغ فيها ، التي تنسبها دار الإسلام الى النساء الشماليات التركيات أو البلغاريات أو الصقلبيات وترتبط هذه الحرية دوماً بالوثنية : فما دامت الوثنية باقية ، مع عبادة النار (١٩٩٢) ، تستطيع المرأة ان تتزوج من تريد (حتى ابنها أو أخاها) ، باستثناء الزواج غير المتكافىء . لكن يقال لنا بأن النصرانية تغلبت ، إذ إن النورمان المتنصرين يغزون إخوتهم الوثنيين : فاذا كان النص المحفوظ هو فعلاً النص الذي كتبه الغزال في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري : / التاسع الميلادي ، يكون قد سبق تاريخ تنصر جوتلاند مائة عام .

أخيراً تورد المعلومات عن البلاد ذاتها : ويُعتقد بأنها واسعة وكثيفة السكان ، وتشتمل على جزر عديدة من جميع الأحجام (١٩٩٣) : اذن هي وسط من أرض وماء ، يوحي جيداً جداً بجوتلند الغربية والشمالية (١٩٩٤) . فماذا نستخلص ؟ اذا صدقت رواية الغزال ، دام غيابه عشرين شهراً : فقد أبحر ، لكي يسافر ، من مرفأ سيلف ،

وتعرض الى عاصفة قوية ، بعد أن قطع رأس سان فنسان ، ثم عاد عن طريق سان جاك دي كومبستيل وطليطلة . وتعزز جميع هذه التفاصيل تمسك كل من الفريقين بقناعته . فيرى البعض فيها برهاناً قاطعاً على صحة القيام بالرحلة ، ويرى آخرون فيها لمسة تضليل وقحة وأخيرة . مع ذلك ، يجب أن نطرح على هذا الفريق الأخير ، الذي يطالب ، كي يصدّق ، بمعلومات ضافية عن بلد النورمان ، السؤال التالي : لماذا لم يرد وصف النورمان إياهم في نصوص المؤرخين العرب الأندلسيين ، المتعلقة بغارات الغزاة (١٩٩٥) . ؟

في جميع الأحوال ، نشير الى ناحية ثابتة . لايمكن أن توحي بيزنطية بخصال النورمان الواردة عند الغزال ـ الخصال التي تشكل الناحية الوصفية على الأقل . فهم يأتون أصلا من شمال غامض جداً ، حيث يتقاطع الضباب مع ظلال أمم متفرقة بلا شك ، لكنها متقاربة أحيانا ، بسبب بعدها بالذات ، في نطاق مواضيع متشابهة . ولا يعني طرح صحة سفارة الغزال الى جوتلند ، أننا نقطع جازمين في هذا الاتجاه أو ذاك ، ونستبعد هذا أو ذلك من الناحيتين الروائية أو الوصفية ، لمقتضيات بحث الموضوع . ، بل نقصد بطرح القضية رفض الناحية الروائية ، المشكوك فيها جداً ، والتساؤل انطلاقاً من ذكر البلد والمجتمع النورماني بايجاز كبير ، ما اذا كان هذا الطرح ناشئاً عن رحلة واقعية أو على النقيض ، عن إسقاط غزاة الأندلس الواقعيّين جداً ، في شمال خيالي يضفي عليهم عندئذ خصائص تنسب الى هذه أو تلك من أممه .

وينطبق هذا الوضع على المسعودي مثلا الذي يخلط بين النورمان والروس ، ويتساءل من أين جاؤوا ومن أين مروا ليصلوا الى الأندلس ،

ويفترض وجود ذراع بحر يتصل بالبحر المظلم غرباً وببحر مايطس شرقاً . وهكذا نرى الضباب الذي يكتنف بحار أوربة الشمالية ، من خليج غسكونية حتى أعماق بحر البلطيق (١٩٩٦) .

بريطانية وجزر أخرى (١٩٩٧)

هل يسير النورمان كالأشباح ، كما قلنا ، بسبب ضباب البحار أم بسبب ضباب النصوص الجغرافية؟ وهل هم المقصودون في الحديث عمن يتغذون بمادة بيضاء تؤخذ من شجر غريب بين قشره ولبه ، في جزيرة قد تكون جزيرة ريه ، عندما يقبل الشتاء ، ويوقف البرد الملاحات البعيدة ردحاً من الزمن (١٩٩٨) أما جزيرة غاهق فمقفرة، لا يعرفها إلا الغرقى الذين يجدون فيها البيض والأنقاف غذاء متنوعاً مفاجئاً، وبها أسراب الاوز البحري، أحمر الرجلين والمنقار (١٩٩٩)، يهاجر الى أجواء بلاد روان الألطف في كل شتاء . ولا ندري اذا كانت غاهق من الجزر المعرضة الى غارات النورمان : مثل جزيرة هيليوغولند ، أو جزر هاليجن الفريزية البعيدة الى الشمال (٢٠٠٠) ؟

وأوضح من ذلك ايرلندة (هيبيريا) (٢٠٠١) ، التي تعتبر مقر المجوس (٢٠٠٢) الوحيد الثابت ، في القسم الشمالي الغربي من الإقليم السادس . وهي واسعة جداً تبلغ استدارتها ألف ميل . ويقال بأن عادات مجوسها وألبستهم نورمانية ، وإن كساءهم الرئيسي البرنس ، الغالي الثمن جداً ، المرصع بالجواهر عند النبلاء . أما نشاطهم الكبير ، فصيد الحيتان أو على الأصح ، صيد الحيتان الصغيرة ، التي يشكل لحمها الأبيض ، خلافاً لجلدها الأسود ، متى ملح ، غذاءهم الأساسي .

مع ذلك ، ينبغي ، لكي يكون اللحم لينا وصالحاً حقاً للاستهلاك أن يكون الحوت الصغير صغيراً جداً : فهو يولد في شهر أيلول ، ويصاد من شهر تشرين الأول الى شهر كانون الثاني . وخطتهم في صيدها أن يجعلوها تألف أصواتهم وتصفيق أيديهم حتى تأتي الى جانب المركب وتتقبل ملاطفاتهم وحكمهم رأسها بقوة . ولن يفرق الحوت الصغير بعد ذلك بين المداعبات القاسية وبين الضربة الأولى الموجهة اليه بكتلة حديد موضوعة على الخطاف المجهز بالكلاليب . وعندما يفهم يكون قد فات الأوان ، ويسمح الحبل القوي ، الذي يطول الخطاف بحلقة ، بسحب الحيوان الميت ، عندما يستنفد آخر انتفاضاته . ولن يبقى ، قبل جره الى الشاطىء ، سوى إبعاد الأم بنثر ثوم مقشر في الماء ، لا تستطيع أن تتحمل رائحته .

بذا ، يخرج النورمان من الغموض ولو مرة واحدة على الأقل . أما البراطانية ، فلا وجود لهم إلا عبر بلدهم (برطينية ، براطانية) (٢٠٠٣) ، الواقعة في عرض المحيط ، على مقربة من جزيرة توليه المبهمة ، التي تدرج أحيانا في عداد الجزائر الاثنتي عشرة التي تتألف منها برطينية . ويقع هذا البلد في أقصى الشمال الغربي . ويمكن أن يطول النهار فيه حتى عشرين ساعة . ويطابق ابن رسته بينه وبين مدينة كبيرة، واقعة على ساحل بحر المغرب ، ويحرسها صنم ، إذا رام الغريب يدخلها ، نام ، فلا يمكنه دخولها حتى يأخذه أهل المدينة ، فيقفوا على مغزاه ومقصده في دخول المدينة . ويتملك عليها سبعة من الملوك . فهل البلاد متملك عليها أم المدينة ؟ لا تسمح الصيغة النحوية بالإجابة بدقة . فاذا قصدت المدينة — يفهم هذا « الساحل » بمعناه الواسع ، بأنه الأرض

التي يغمرها المد — ربما صار لدينا تلميح بعيد ، وغامض جداً الى مدينة لندن ، التي يجعلها موقعها الممتاز ملتقى شتى الممالك الأنكلوسكسونية القائمة على جانبي نهر التاميز (التيمس) (٢٠٠٤). في جميع الأحوال، التلميح الى الملوك السبعة في العهود الأنكلوسكسونية واضح جداً ، وصحيح جداً : وينطوي نص ابن رسته على أن الرقم سبعة غلط تاريخياً ، نظراً لعدد الملوك آنذاك ، اذ جاء فيه : لا « سبعة ملوك » ، بل « سبعة من الملوك » (٢٠٠٥) .

مهما يكن ، فبرطينية ، القفرة هنا ، المزروعة هناك ، نصرانية (٢٠٠٦) ، وبها جبال وأنهار ومناجم (٢٠٠٧) . أخيراً تتاجر ، على حد قول كتاب حدود العالم ، الذي يشير الى قيام علاقات منتظمة بينها وبين الأندلس والروم . وهي آخر بلاد الروم . بذا ، يرد أول ذكر لاسم عظيم سوف نلقاه فيما بعد ، وأول تداخل بين الروم والفرنجة ، إذ يقال لنا بأن مدينة برطينية الكبيرة تقع على مسيرة أربعة أشهر من بلاد الفرنجة .

من الفرنجة إلى الغسكون

صورة الجغرافيين العرب بسيطة جداً عن البلدان المجاورة للاندلس (٢٠٠٨) . فهم يميزون الفرنجة ، والغلجشكش ، والوشكند ، والبسكون ، والجلالقة ، الى شمال أراضي دار الإسلام من الشرق الى الغرب .

لكن لابد لنا ، قبل وصف هذه الأمم ، أن نعود الى ماضي الأندلس قبل الإسلام ، الذي يوجزه المؤلفون الجغرافيون لجمهورهم المتوسط . ويلخص

في ذكر اسمين ، اسم أمة الاسبان ، واسم الملك لذريق (٢٠٠٩) .
والاسبان (أو الأشبان) من ولد يافث ، ويذكرنا اسمهم باسم مدينة أصفهان . وقد دثرت هذه الأمة ،هي وآخر ملك لهم ،قتله طارق،الفاتح الإسلامي ، وكان يدعى لذريق (رودريغ ، رودريك) ، وكان هذا الأسم يطلق على سائر ملوك الأندلس قبل الإسلام . وقصة آخر لذريق ممثل لهم (٢٠١٠) شهيرة : فمن العجائب ، بيتان وجدا في الأندلس ، في أحدهما عدد تيجان ملوكها،أسلاف لذريق ، وفي هذا البيت وجدت مائدة سليمان . وعلى البيت الآخر أربعة وعشرون قفلا، كلما ملك منهم ملك زاد عليه قفلاً . وقد أثار فضول لذريق ، وتوهم أن فيه مالاً فاجتمع الأساقفة والشمامسة ، وقالوا له ، انظر مايخطر ببالك من مال تراه فيه ، فنحن ندفعه اليك ولا تفتحه ، فعصاهم وفتح الباب . « فاذا في البيت تصاوير العرب على خيولهم بعمائمهم ونعالهم وقسيهم ونبلهم » . فدخلت العرب بلدهم في السنة التي فتح بها ذلك البيت .

دخلت هذه الأحداث في التاريخ القديم . مع ذلك ، هل الإسبان حقاً من ولد يافث ؟ يعطي المسعودي ، الذي قطع بهذا الرأي مايزعمه أصحاب العلاقة أنفسهم من أنهم ينحدرون من الجلالقة (٢٠١١) . ويعيدنا هذا الادعاء بالاستمرار الى عصرمؤلفي الجغرافية.ولنقل رأساًإن مايعرضه عن توزيع الأمم في الأندلس الكافرة ، ينطبق جيداً مع حقيقة الوقائع : فمن الشرق الى الغرب ، لانقطع فقط أربعة بلدان متميزة جداً ، بل نسمع أصوات الحرب تقوى شيئاً فشيئاً .

في الشرق إذن الفرنجة (٢٠١٢) ، أي ثغر قطلونية ، ثم كونتية

برشلونة . ولا يرد ذكر هؤلاء الفرنجة البتة في النصوص الجغرافية، كجيران دار الإسلام في الأندلس : وفي جميع الأحوال ، لا دخل لهم بالتدوينات ، الوافرة نسبياً ، المتعلقة بالفرنجة عامة . فما يكاد يقال لنا بأن طارقا هادنهم برهة ، حتى تنصروا ، ومارسوا ضغطهم خصوصاً على طرطوشه (٢٠١٣) ، على مصب نهر « يأتي من سراغوسة » : الأبره . ويشير الإصطخري وحده الى انتماء هؤلاء الفرنجة الى التبعية الكارولنجية ، عندما يذكر أن ملكهم يسمى قاراوه (شارل) (٢٠١٤). أخيراً ، يكرر ابن حوقل الموضوع الشائع ، موضوع مقارنة الفرنجة والجلالقة ، التي تعطي الكثرة للفرنجة ، والتفوق بالشجاعة الى الجلالقة، وتشدد على نقص حب القتال لدى الفرنجة من جيران الأندلس ، الذين يميلون بطيبة خاطر الى التسويات والتحالفات العائلية مع أهل الأندلس (٢٠١٥) .

ولننتقل قليلاً الى الغرب نجد حيال منطقة وشقة ، بلد غلجشكش ، أو غلجسكس أو الجاسقس (٢٠١٦) . وكل هذه الرسوم محتملة ، لكن الأمة واحدة : أمة جاكا أو جاستاني القدامى ، الذين بهم باشر بلد اراغون بكتابة تاريخ إعادة الفتح من ملاذ أوديته العالية . ولا نعرف عن هؤلاء شيئاً كثيراً بعد : فيضعهم الجغرافيون أحياناً على البحر، ربما لأن اسمهم لايتميز جيدا جدا عن اسم الجلالقة ، ويزعم ابن حوقل أنهم جيل من انكبرده (٢٠١٧) . ونعلم بمزيد من اليقين أنهم نصارى، ويشكلون حاجزاً بين دار الإسلام وبلدان « الفرنجة » ، المقصود بهم بلا شك فرنجة الجانب الآخر من جبال البيرينه الغربية . مع ذلك ، تنعكس تسمية الفرنجة ، أحيانا ، على الجاسقس . وقد اعتبروا على مر الأزمان أنهم أقل بأساً من سائر جميع الأمم التي تحارب دار الإسلام.

واذا خطونا خطوة أخرى الى الغرب أيضاً ، نصل الى البسكون ، أو الوشكند ، الوشكان (٢٠١٨) . ويقابلهم هذه المرة من دار الإسلام تطيلة . إنه بلد الأبره الأوسط ، الذي يخلط المسعودي بسهولة بينه وبين نهر تاجه . وهو على وجه التخصيص بلد نافاره ، الذي بدأ يتركز بقوة . فبين جيليقية ، وبلدان الفرنجة (٢٠١٩) والاندلس ، يؤلف البسكون النصارى (٢٠٢٠) أمة عظيمة ، هي الثالثة بعدد أهلها بعد الفرنجة والجلالقة ، انما الأولى بشوكتها في الحرب : ضد الأندلس (٢٠٢١)

الأندلس الكافرة : الجلالقة ونظرة إجمالية

يعني الجغرافيون العرب بلفظ جلالقة المجموعة التي تتألف من جليقية (٢٠٢٢) ، وبلاد ليون ، واستورية وقشتالة القديمة : بايجاز كل الأمم المحاذية للمناطق الإسلامية من الجانب الآخر من قطر يصل على وجه التقريب نافارا بالربع العلوي من البرتغال (٢٠٢٣) . وفي أرض الإسلام ، يبدو أن مدن مدينة ابن سليم ؟ ، ووادي الحجارة وطليطلة ، وماردة — هاتان الأخيرتان بعيدتان جداً وراء الثغور — هي الأماكن الأساسية في جهاز الدفاع (٢٠٢٤) . أما من الجهة الأخرى فتنتشر الحصون أو المقار الملكية ، مثل ارنيط ، وليون ، وسموره على وجه التخصيص بأسوارها السبعة وخنادقها (٢٠٢٥) بين الأسوار . وتصل بعض أصداء المعارك الى النصوص الجغرافية ، كذكرى الغارات الأولى ، عندما انحصر الكفار في جبالهم (٢٠٢٦) ، ثم ذكرى ملك عبد الرحمن الثالث ، الذي رافقه فشل الحملة ضد منطقة سموره ، والانسحاب أمام بأس الجلالقة

والوشكند، وأخيرا ذكرى معارك أخرى انتصر فيها المسلمون هذه المرة (٢٠٢٧) .

في جميع الأحوال ، يسود شعور دائم بأن دار الإسلام في الأندلس تقاوم هؤلاء الجلالقة ، وهم أخطر أعدائها (٢٠٢٨) . والإفرنجة أكثر عدداً ، لكنهم تنقصهم البسالة : فالرجل من الجلالقة يقاوم عدة (٢٠٢٩) من الإفرنجة . والوشكند شجعان (٢٠٣٠) ، إلا أن عددهم قليل جداً . في النهاية يمثل الجلالقة نوعاً من المتوسط الثابت المتين . وهم دوماً في حرب مع دار الإسلام المجاورة ، وتساعدهم شدة تنظيم مجتمعهم وانقيادهم الى السلطة . ثم يعدد المسعودي أسماء ملوك استورية ليون ، أو كما يقول ، الجلالقة : ادفونش (الفونس الثالث) ، اردونيو (اوردون الثاني) ، ورذمير (راميرو الثاني) (٢٠٣١) . أما من ناحية السلطة الدينية ، فيعتنق سائر الإفرنجة والجلالقة (٢٠٣٢) الآخرون النصرانية ، وينقادون الى « صاحب رومية » ، وهم على مذهب الملكية (٢٠٣٣) . ولا يجوز أن نتصور أساساً رصيناً لانتشار نماذج من المسيحية الشرقية (٢٠٣٤) في صميم الأندلس . ولا شك أن لفظ الملكية لاقيمة له إلا من ناحية التصنيف وتمييز الإفرنجة عن الصقالبة الذين يعتبرون يعاقبة اونسطوريين (٢٠٣٥) .

نرى أن الاتجاه يميل الى إدراج هؤلاء الجلالقة وسائر الأندلس الكافرة في مجموعة أوسع ، هي مجموعة الإفرنجة ، ووراءها أوربة الغربية ، وحتى أوربة باختصار : ولا ننسى أن المسعودي وابن حوقل جعلا أرض الجلالقة نهاية الغارات التركية أو البلغارية (٢٠٣٦) . مع ذلك ، يعقلن ابن حوقل (٢٠٣٧) وحده الأمور قليلاً : فيميز

في مايسميه المغرب ، جانباً « غربياً » من مصر الى إفريقية ، وجانباً « شرقياً » ، وهو بلد الروم من حدود الثغور الشامية الى القسطنطينية الى نواحي رومية وقلورية وانكبرده والافرنجة وجليقية . وفي مكان آخر ، يجعل حد أرض الروم من البحر المحيط على بلد الجلالقة والافرنجة ورومية واثيناس ، ويقول بأنه ضم الى بلد الروم جميع تلك البلدان . ونشير مرة أخرى إشارة عابرة الى تردد التصنيف ، إذ إن الروم تدل هنا في النهاية على جميع أوربة ماعدا أوربة الصقالبة .

لكن لاريب أن ابن حوقل لم يرض عن هذا التقسيم العام . فذكر في مقاطع أخرى أن الأندلس جزيرة تتصل « بالبر الأصغر » ، المسمى أيضاً « الأرض الصغيرة » من جهة جليقية والافرنجة . فماذا تعني هذه الكلمات ؟ عندما يتحدث ابن حوقل عن « خليج القسطنطينية » ، يقول إنه يفضي من البحر المحيط الى البحر الرومي : ونحن نعرف من قبل هذا الاعتقاد بأن بحر بنطس يمتد ، عبر بحر مايطس المتطاول الى أقصى حد باتجاه الشمال ، حتى البحر المحيط ، عبر بلدان الصقالبة (٢٠٣٨) . وهكذا تنفصل ، الى غرب هذا الخليج الأسطوري ، « أرض صغيرة » جعلت جزيرة تحوز بعض بلد الروم وشطراً من بلدان الصقالبة ، مع أرض قلورية ، وجليقية وافرنجة والأندلس : وهي جزيرة « ليست مع الأرض الكبيرة ، ولا متصلة بشيء منها لأنها قائمة بنفسها » .

وسوف نتوغل في داخل هذه الجزيرة التي لانعرفها جيداً ، وتختلط فيها الجبال (الالب والبيرينه) في تصور وحيد لم يطلق عليه اسم (٢٠٣٩) .

الأفرنجة : أمة عظيمة وأرض غامضة

يتكرر لفظ فرنجة وافرنجة كثيراً عند المصنفين الجغرافيين ، ليدل على ما نسميه أوربة الغربية (٢٠٤٠) إلا أن هذا الإلحاح يبدو في النهاية قرينة على شك كبير جداً ، كما لو أن جغرفية الأمم ، من الأتراك مروراً بالصقالبة ، تتلاشى شيئاً فشيئاً في تشويش الخريطة ، أو ، إذا فضلنا ، في تشويش آفاق نتقصاها من بعيد جداً ، من صميم بلدان دار الإسلام .

فهل المقصود الفرنجة أم الأفارقة ؟ يخلط المسعودي مراراً وتكراراً بين الفرنجة والأفارقة ،أهل إفريقية القديمة ، إفريقية العصور الرومانية القديمة .

أو هل المقصود الفرنجة أم الصقالبة ؟ يضع ابراهيم بن يعقوب مدن شليسويغ ، وبادربورن ، وسويست (٢٠٤٢) عند الصقالبة ، مع أنه مر عليهم . إلا أن الأمبراطورية الكارولنجية عززت منذ مدة طويلة سلطتها على هذه البلدان ، قبل أن تنقل، في تقسيم فردون، إلى طاعة لويس الجرماني . لكن ربما كان لدى ابراهيم ذكرى غامضة عما كانت عليه الأمبراطورية الرومانية . واذا كانت المدن الثلاث المذكورة قد نجت منها بالفعل ، فالمدن التي اعتبرت في طاعة الفرنجة دخلت فيها : مثل بوردو ، وسان مالو ، وروان ، واوترخت ، وايكس لا شابيل ، ومايتس وأغزبورغ ، وفلده (٢٠٤٣) أيضا ، وكورتونا (٢٠٤٤) الايطالية . مع ذلك ، لايجوز أن تشكل معلومات غامضة إلى هذا الحد أساساً متينا لتفكيرنا : فابراهيم ذاته جعل كورتونا مدينة افرنجية ، وأعلن من ناحية ثانية أن يحتلون شطي بحر ادريس الصقالبة (٢٠٤٥) .

أو هل المقصود الفرنجة أو « الروم » ؟ يشمل لفظ الروم الأخير أكثر بكثير من مدلوله اللاتيني . فهل يحيل أيضاً بالقدر ذاته الى بيزنطية وورومية ، ويستعيد حيوية جديدة مع تأسيس الأمبراطورية

الجرمانية المقدسة : ويلقب ابراهيم اوتون الأول (٢٠٤٦) بـ «ملك الروم» . وعندما يتعلق الأمر بالفرنجة بدقة ، يضم اليهم المسعودي واسحق بن الحسين ، وابن حوقل وكتاب حدود العالم رقعة واسعة من ارض الروم (اوربة شمال بحر الروم) التي ينقاد اليها الافرنجة مع رومية كدار مملكة ، هم وبرطينية (٢٠٤٧) ، مثلما رأينا .

أخيراً هل المقصود الفرنجة أم الفرنسيون ؟ لا يتضح دوماً التمييز بين الجزئين الشرقي والغربي من الأمبراطورية الكارولنجية القديمة . في جميع الأحوال ، لايشغل الناجمين أو الغوط سوى مقاطع محدودة بين الفرنجة والصقالبة (٢٠٤٩) . بالمقابل ، يحيل قرب « الأندلس» ، وخصوصاً نص من المسعودي يتحدث عن باريس وعن ملوك الفرنجة منذ كلوفيس ، الى ماكان يسمى « فرانسيا الغربية » ، ثم فرنسة (٢٠٥٠) . أما ابراهيم بن وصيف شاه ، فيبدو أنه يضغط الحقب والأمم : فيعطي الفرنجة مدينة تريف عاصمة لهم ، وكانت مقر الأمبراطور كونستانس كلور ، ثم مركز أبرشية الغول . ويجعل هؤلاء الفرنجة يتحاربون مع الصقالبة (مما يحيل إلى البلدان الجرمانية) ومع الانكبرذة (كما يحيل إلى الكارولنجيين) (٢٠٥١) .

لنعين اذن موقع الفرنجة وحدودهم حسب النصوص الجغرافية. ولنفكر بهم ككل (٢٠٥٢) ، مثلما يطلب منا . فالفرنجة أمم نازلة في في الشمال والغرب ، ونائية جداً ، حتى إنهم أثاروا في الماضي مزاج إسكندر ذي القرنين الذي يحب المغامرة . ويدخلون في الإقليم السادس وفي أروفى والأمة الثالثة حسب تقسيمات العصور القديمة ، ويجتمعون مع الصقالبة واليونانيين القدامى والروم . وحدهم من الشرق

الصقالبة ومن الجنوب بحر الروم ، الذي يخرج منه خليج يمتد الى ارض نحو بلاد نربونة» ، يكون طوله مائتي ميل (٢٠٥٣) . وفيما يتعلّق بـ (نربونة) ، نلاحظ : على الرغم مما قيل لنا عن فرنجة ثغر كاتالونيا ، انها لازالت تقدم كآخر مدينة في دار الإسلام من جهة الأندلس (٢٠٥٤) .

الفرنجة : تدوينات محدودة ونظرات إجمالية

هيهات أن يذكر جميع المصنفين الجغرافيين الفرنجة وعندما يرد ذكرهم في مصنفاتهم ، يقتصر على بضع كلمات ، أو بضع جمل في أفضل الحالات . ويكثر المسعودي وابراهيم بن يعقوب دون سواهما من الحديث عنهم ، ولاسيما ابراهيم .

لنجمع أولاً التدوينات المتفرقة : بلاد الفرنجة ، فيما يزعمون ، جبال وممرات ، مشاجر وأنهار وجزر عديدة . فبالجزر والبرد ومزاج البرد ، نلقى مجدداً وصف البلدان الشمالية الكلاسيكي : كما عند الصقالبة أو الروس أو النورمان (٢٠٥٥) . والفرنجة أمة عظيمة أو مجموعة أمم ، لهم لغتهم الخاصة بهم ، تارة يعتنقون النصرانية وينقادون الى « صاحب رومية » ، وطوراً يعبدون النار ولا يؤمنون بوجود الله (٢٠٥٦) .

ويتعلق التدوين الأخير بالتجارة ، التي يشار الى أهميتها . فذكر المسعودي في كتاب التنبيه والإشراف جلود الثعالب السود ، المحمولة من عند البرطاس ، في حين ينكب ابن خرداذبه على زيادة التدقيق في دور الفرنجة في التجارة الدولية . والحقيقة أن دور الفرنجة دور ممونين ، لا ممررين ، وتبقى المبادلات بأيدي اليهود الراذانية الغامضين ،

الذين يتحدثون بعدة لغات كما يليق بهم ، ويتاجرون بالرقيق والفراء والأسلحة ، ويؤمنون عن طريق البحر مواصلات بلدان الفرنجة مع الفرما وبحر القلزم والمحيط الهندي والشرق الأقصى ، أو أيضا الى القسطنطينية أو أيضاً الى انطاكية ، وبغداد ، ومجدداً الى بحار الصين والهند . أما طرقهم البرية فتقود عبر بلدان الفرنجة والأندلس ، الى المغرب ومصر وبغداد ، وعبر فارس الجنوبية ، الى الهند والى الشرق الأقصى (٢٠٥٧) أيضاً ودوما .

ويقدم لنا المسعودي في مروج الذهب (٢٠٥٨) أول نظرة إجمالية متماسكة بعض الشيء . والمقصود ، مثلما قلنا ، (٢٠٥٩) ، ليس الفرنجة عامة ، بل « فرانسية الغربية » التي قيض لها أن تصبح فرنسة ، بعد معاهدة فردون (عام ٨٤٣) . ويجعل المسعودي الفرنجة وسائر الأمم النازلين في الشمال ، من الأتراك الى الأندلس ، من ولد يافث ، ويذكر انهم نصارى ملكيون ، كالجلالقة (٢٠٦٠) . « والفرنجة أوسعهم ملكاً وأكثرهم مدناً » — بدقة كبيرة نحو من خمسين ومائة — وكلمة الافرنجة متفقة على ملك واحد ، لاتنازع بينهم في ذلك ، ولا تحزب ، واسم دار مملكتهم بريزة (باريس) . ويعرف المسعودي اسم هذا الملك من كتاب « وقع اليه » بفسطاط مصر ، أهداه غدمار الأسقف بمدينة جرينة عام ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ — ٩٤٠ م الى الحكم عبد الرحمن . ويعطي المسعودي موجزا عنه ، ينطوي ، والحق يقال ، على كثير من الغموض . لكن نستطيع أن نقرأ فيه اسم قلودية الذي نصرته امرأته عرطله ، ثم ولي بعده دقبرت ، ثم قرلمان ، ثم قارل ، ثم ببين ، ثم قارل ثم لويس (الضعيف) ، ثم قارل (الأصلع)

ثم لويس (الثاني التأتاء) ثم بلدسه ، وهو الذي صالح المجوس على بلده سبع سنين (٢٠٦٣) بست مابة رطل ذهب وست مابة رطل فضة يؤديها صاحب الافرنجة اليهم . وأخيرا قارل (البدين) وقارل (البسيط) ، ثم لويس (الرابع من وراء البحار) ، وهو ملك الافرنجة في الوقت الذي يكتب فيه المسعودي (٢٠٦٤) .

ويرسم ابراهيم بن يعقوب (٢٠٦٥) لوحة لعالم الفرنجة أمتن سبكا وأفضل إلهاماً ، فيقول : « إنه بلد شاسع ، ومملكة واسعة في الأرض النصرانية . وبرده شديد جداً ، ومناخه قاس بالتالي . إلا أنه غني بالحبوب والفواكه ، والمحاصيل ، والأنهار ، والمزروعات والقطعان ، والأشجار ، والعسل ، وجميع الطرائد . ويحوي مناجم فضة ، تصنع منها سيوف رهيبة أحد من سيوف الهند . وأهلها نصارى ، يخضعون الى ملك باسل شجاع ، يعتمد على جيش هائل ، وفي طاعته مدينتان أو ثلاث من هذه الجهة من البحر ، في قلب دار الاسلام . وهو يحميها من الجانب الآخر ، وينجدها (٢٠٦٦) كلما أغار عليها المسلمون . وجنده بواسل الى أقصى حد . ويفضلون الموت على الادبار في الحرب . وليس في العالم قوم أقذر منهم وأخبث وأخطر : فهم يجهلون النظافة ولا يغتسلون إلا مرة أو مرتين في العام بالماء البارد . ولا ينظفون ثيابهم أبداً ، ويلبسونها ولا يخلعونها حتى تبلى (٢٠٦٧) . وينتفون لحاهم(٢٠٦٨) ،التي تنمو أقوى مما كانت.وسألهم أحدهم عن سبب ذلك ، فقالوا « لاجدوى من الشعر . وأنتم (المسلمون) تنزعونه من الأماكن الطبيعية (٢٠٦٩) ، فلماذا نبقيه نحن على وجوهنا ؟ » .

طريق رحلة إلى بلاد الفرنجة

عرض ابراهيم بن يعقوب تنظيم ممالك الصقالبة ، الذي لانزال نذكره . أما هنا ، فلا نعثر على حديث عن التنظيم : فالرحالة يجمل لوحة بلدان الفرنجة ، ثم يذكر سلسلة من المعلومات المتفرقة عن بعض المدن أو الجزر ، التي يعتقد بأنها الفت مراحل على طريقه (٢٠٧٠) .

ويبدأ بمدينة بوردو (برذيل). ويقول إن أكثرها نصارى. ورأى فيها آثار معبد توتيله . ولاحظ على الشواطىء جمع محصول العنبر ، ووجود تمثال يبدو وكأنه يحاول إقناع الناس بألا يغامروا بأنفسهم في البحر المحيط (٢٠٧١) .

ثم يتحدث عن جزيرة نوارموتيه ، ويبالغ في مساحتها . لكنه يطري على آبار المياه العذبة فيها ، وأرضها الخيرة ، ومزروعاتها (يؤكد على الزعفران) ، ومناخها اللطيف جداً ، الخالي من الأبخرة الفاسدة ، حتى إنه يحول دون وجود الزواحف والحشرات فيها ، التي تنشأ ، مثلما يعرف كل إنسان ، عن العناصر المفسدة .

وتحتفظ مدينة سان مالو المحصنة بذكرى مارتين . فقد رضخ مارتين الى إنذارات امرأة قاطعة طريق ، تسلب المسافرين ، ورضي أن يعطيها ثيابه (٢٠٧٢) ماعدا السراويل . لكن لم تشاء المرأة أن تسمع شيئاً عن هذا الحياء ، فحولها مرتين الى تمثال ، أدخل في فيه جفنة كرمة . « فنمت ، وأثمرت ، لكنها تصيب بالعقم كل من يأكل من أعنابها » .

ونحن نعرف أن روان كانت مدينة نورمانية آنذاك . وقد كتب ابراهيم بعد مرور بضعة خمسين عاماً على معاهدة سان كلير على الإبت ، واعتبرها فرنجية . وهي مبنية من حجر جميل : وعلى نهر السين الذي يصاد منه سمك الصومو ن ، وتنتج الحنطة وجاودار بكثرة ، أما الكرمة والتين فيدسوان فيها ويبدوان غريبين . ويذكر ابراهيم طرفتين محليتين : قصة شاب نمت لحيته في غضون ست سنوات ، وطالت حتى وصلت ركبتيه ، والاوز الأبيض . الأحمر الرجلين والمنقار ، الذي يهاجر الى هنا في برد الشتاء القارس (٢٠٧٣) .

واوترخت مدينة واسعة ، تعيش من قطعانها ، التي تنتج لها الحليب والصوف . ذلك أنه لايمكن الاعتداد على الأرض ، المجدبة لكثرة الأملاح فيها ، التي لاتعطي سوى نوع من الوحل ، نتعرف فيه على الطورب . وعندما يضعف تشبع المروج بالماء في الصيف ، يذهب الناس ، ويقطعون هذا الوحل قوالب بالمجرفة ، ثم يجففونها في الشمس ، التي تخفض وزنها تخفيضاً هائلاً . ومتى أحرقت ، تعطي « لهباً متقداً جداً وحاراً جداً ، مثل اللهب الذي يرى في طرف منفاخ الزجاجين . ولا يترك هذا الاحتراق سوى الرماد ، بلا بواقي فحمية » .

وتحوي إيكس لاشابيل ، المبنية بحجارة جميلة مقصبة ، على أحد الأنهار ، بناية واسعة ، تبزغ فيها مياه حارة . ويتحمم أهلها فيها ، لكن بعيداً جداً عن العين ذاتها ، التي يخشون حرارتها الشديدة .

واذا جئنا الى مايانس على نهر الرين ، لقينا هذه المرة مدينة كبيرة جداً ، تجمع في رقعتها البيوت والمزروعات : كالقمح والشعير

والجاودار والكروم والبساتين . لكن تذهلنا تجارتها بنوع خاص : فالعملات المسكوكة بسمرقند بتاريخ ٣٠١ — ٣٠٢ ﻫ / ٩١٣ — ٩١٤ م ، تدل حسيا على التيارات التجارية التي تجلب اليها « في أقصى طرف الغرب » كل ما يأتي من « أعمق أعماق الشرق » ، كالفلفل والزنجبيل والقرنفل والناردين والكست وغلنغة .

وفلده واسعة أيضاً ، ومبنية بالحجارة ، لكن يسكنها الرهبان فقط ويحظر على النساء دخولها ، مثلما رسم مؤسسها القديس (٢٠٧٤) . من ناحية أخرى ، « المدينة كنيسة هائلة ، يكرمها المسيحيون جداً » . ويالها من كنيسة . فلا نجد كنيسة أخرى أوسع منها ولا أغنى : بآنيتها المقدسة ، ومباخرها ، وكؤوسها ، وقواريرها ، وصواني كؤوسها ، وصلبانها ، ومذاخرها ، وكلها من ذهب أو فضة . ويتوج تمثال جميع ذلك ، هو تمثال القديس المحلي ، الذي يدير وجهه الى الغرب وتمثال آخر ، وزنه ستماية رطل ذهب ، وهو مرصع أيضاً بالياقوت والزمرد (٢٠٧٥) ، ويمثل المسيح المصلوب مبسوط اليدين .

وذكر ان مدينة سويست صقلبية خطأ ، مثلما قلنا ، . ويعرفها ابراهيم من أعينها المالحة المياه ، الوحيدة في منطقتها . ويستقى منها بقدور تسخن فيما بعد . « وعندما يسمك السائل ويتعكر ، يرقد ، فيعطي عندئذ ملحاً صلباً وأبيض » .

وبادربورن مدينة محصنة جداً ، وهي « صقلبية » مثل « جارتها ». وتختلف النكهة فيهما . فهنا (٢٠٧٦)، يجري النبع كالعسل، نقصد العسل العابر المذاق ، لأنه يليه مذاق العفص ، الأقل طيبة منه بكثير .

وشليسويغ مدينة كبيرة جداً تقع على ساحل بحر البلطيق (المحيط عند ابراهيم) (٢٠٧٧) . وتحوي ضمن محيطها عدة ينابيع مياه عذبة . فهل هي صقلبية ؟ لايتعرض ابراهيم الى هذه الناحية . أما نحن ، فنستطيع أن نبقي هذا الغموض ، أو ، اذا اعتبرنا سويست وبادربورن صقلبيتين ، انجعل شليسويغ مثلهما : فابطرانه ،(صقالبة)مكلنبورغ — شويرين ، ليسوا بعيدين جداً ، لاسيما أن مايقال عن عاداتهم يذكرنا بخصال عرفت بها أوربة الصقلبية بمعنى اللفظ الواسع ، نقصد أوربة الشرقية عامة . فالنصارى قلائل هنا ، ولهم كنيسة واحدة ، إلا أن عبدة الشعرى (٢٠٧٨) كثر ، ويكرمونها بالقصوف وحفلات السكر والضحايا الحيوانية التي تعلق على ألواح خشب أمام كل منزل . وما يلي أيضاً : تتمتع المرأة بحرية أخلاقية كبيرة ، فتطلق زوجها ، بمبادرة منها متى شاءت (٢٠٧٩) . اذن كل هذا بربري على خلفية مزيج من الفقر والفظاظة : وماذا نقول عن لغة ليست سوى نباح كلاب وعن أرض فقيرة جداً حتى يضطر الناس أن يعتمدوا على البحر في غذائهم وأن يتخلصوا من المواليد الجدد (٢٠٨٠) .

ولنختتم بأغزبورغ (٢٠٨١) التي « تمارس عادات تجارية غريبة » . فلا بأس بحراسة مخازنها ، ويتحمل حراسهم مسؤولية كل سرقة . زد أن علاقة البائع والشاري فيها ، لا تنطوي على المساومة : فكل صنف معروض وعليه ثمنه ، فاذا أعجبت السلعة الشاري ووافقه السعر ، يدفع ويحملها دون إجراء آخر .

هكذا تجري الأمور في بلاد الفرنجة على الإجمال : فمن الوعي الغامض الذي يشعر بوجود مجموعات سياسية كبرى ، حتى في هذه

المناطق المجهولة في أقصى الشمال الغربي (٢٠٨٢) ، لايظهر إلا بريق تفاصيل ، أخاذة قطعاً ، وحتى مفاجئة ، لكن متى آن أوان الحكم على نتائج ، يتبين أنها لاتتجاوز الصدفة السعيدة الناشئة عن مطالعة و رحلة منفردتين : فلا شيء يسمح في جميع الأحوال ببناء تصور متماسك وواسع ، مثلما هي الحال عند الأتراك والصقالبة .

البرجان

هل المقصود برجان أم بلغار ؟ قلنا إن كلمة واحدة يمكن أن تدل عليهما : كلمة برجان (٢٠٨٣) . فالبرجان متحفظون ، ويفوقون بتحفظهم النورمان. فماذا نعرف عنهم؟ انهم ضحايا غارات البلغار (٢٠٨٤)، هم والفرنجة والجلالقة ، لكنهم أغاروا بدورهم على الأندلس . ويقول ابن رسته : من مدينة الرومية ، تركب البحر ، وتسير ثلاثة أشهر حتى تنتهي الى بلاد « ملك برجان » . لكن من هو هذا الملك ؟ تعود قصة رحلة (٢٠٨٥) هارون بن يحيى التي يستوحي ابن رسته منها ، الى ٢٦٦ — ٢٧٧ هـ / ٨٨٠ — ٨٩٠ م ، فيرى ماركار أن هذا الملك هو ابن عم قارل الأصلع ، بوزون ، الذي كان آنذاك كونت فيينة ، ودوق بروفنس ، ودوق نوكبرده ، ثم أصبح ملك برغونية عام ٨٧٩ . اذن اذا كان الأمر يتعلق ببرغونية ماقبل الجورا ، أو بمملكة آرل ، ربما استطعنا أن نفهم من نعت برجان الذي يشير به ابن حوقل، بعد مرور قرن، الى إحدى لغات بلد البندقية (فندية) ، أي لغة بروفنسال أو لغة أخرى من جنوب فرنسة في المملكة الكبيرة الموقتة التي اسستها سياسة بوزون . لكن لايسعنا في هذه المادة ، أمام النصوص النادرة جداً والغامضة جداً ، أن نقطع في الموضوع بالحد الأدنى من الدقة . في

النهاية ، ليس البرجان ، على خريطة أوربة الغربية التي يغلب فيها البيض ، سوى اسم ، واسم غامض بحد ذاته .

إيطالية ماعدا الرومية : فرنجة أو نوكبرده

إيطالية ؟ أي إيطالية ؟ ليس اسم إيطالية سوى ذكرى قديمة ثابتة ثانوية ، مثلما قلنا في بداية هذا الفصل . ونعرف بلا ريب أن هذه البلاد شبه جزيرة بارزة جداً : فابن رسته ، وقدامه والمسعودي (٢٠٨٦) يمدون على ٥٠٠ ميل (٢٠٨٧) « خليج » اذريس (ادريس) الذي يغمر بلدان الرومية (٢٠٨٨) وبلدان فندية في أقصاه . وتحمل هذه شبه الجزيرة إما اسم قسمها الجنوبي (قلورية) أو أسماء بعض الأمم ، كالافرنجة ونوكبرده .

والحقيقة ان اسم فرنجة لايرد إلا نادراً ، وليدل على شمال إيطالية فقط ، بما فيه الرومية (٢٠٨٩) . أما اسم نوكبرده ، فيتردد كثيرا . إلا أن اللغبرديين ، أوا نكبرذه ، أو نوكبرد (٢٠٩٠) ، تضم في الواقع مجموعتي أرض : فابن رسته (٢٠٩١) لايعرف سوى الانكبرديين الشماليين ، النازلين حول بلاطيس ، دار مملكتهم،وهي مدينة عظيمة ، طولها ستة أميال في مثلها أي حوالي ١٢ كم . ولها نهران جاريان يطردان فيها ، هما التيسين والبوطبعا . وهي كثيرة الخير ، فيها من الزيتونوأنواع الفواكه.أما حولها فصحاري جافة وقاحلة(٢٠٩٢). وهم على هيئة الأكراد ينزلون الصحاري في الخيم أحيانا (٢٠٩٣) وأحيانا في بيوت من خشب منحوت صفائح .

في جميع الأحوال ، الناحية الثابتة أن هذه البلاد واسعة ، تمتد

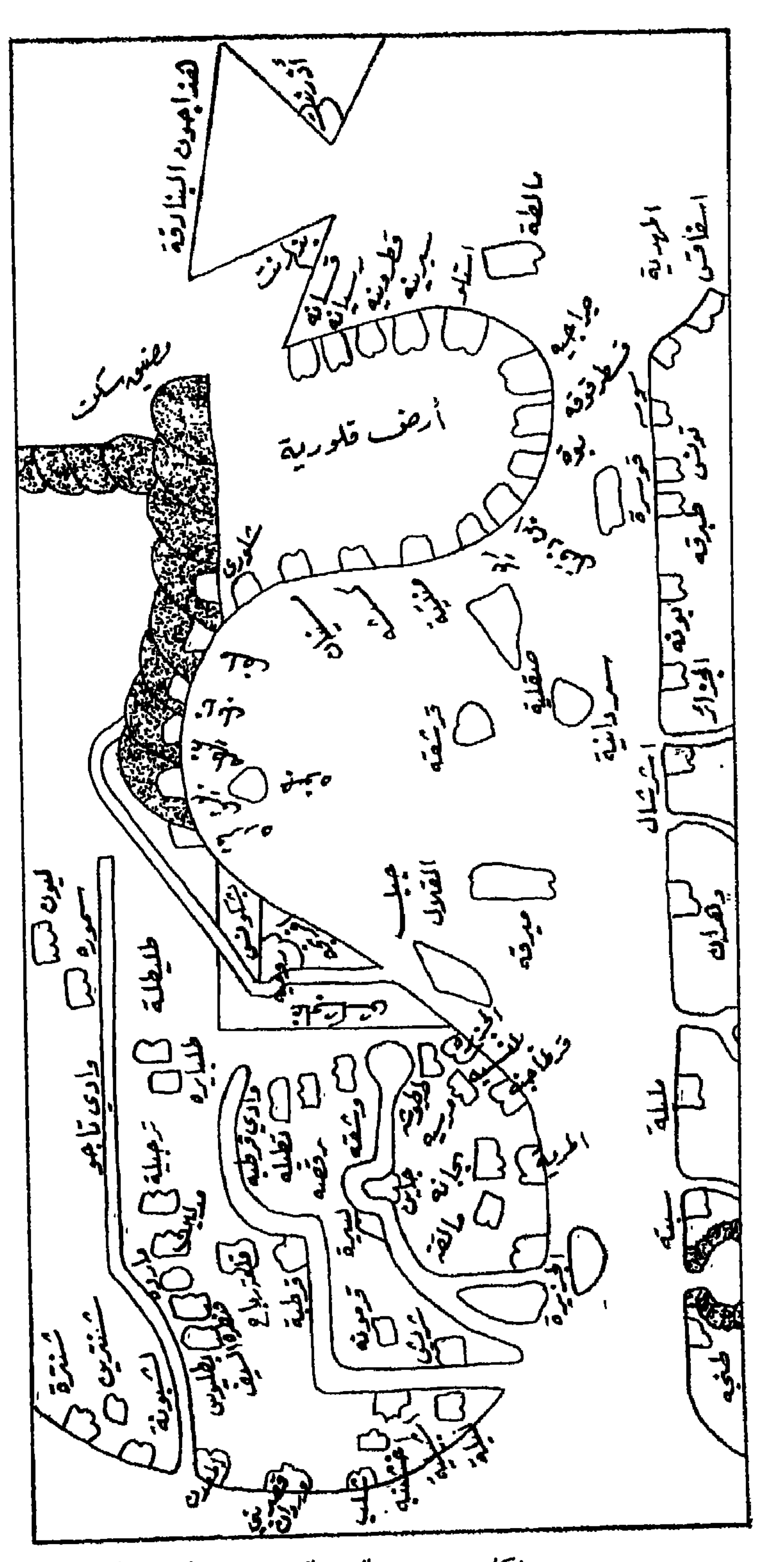
حتى مشارف الرومية (٢٠٩٤) . ونبدي ملاحظة أخيرة : واذا كان لابد من ذكر الفرنجة صراحة ، فهنا محل الكلام عنهم ، لأن استقلال النوكبرد ، أو على الأقل مملكتهم ، زال في عهد ببين القصير وخصوصا قرلمان : انما لايشير ابن رسته ولا غيره من المؤلفين الآخرين الى هذه الوقائع التاريخية .

لكن لدينا نوكبرد ونوكبرد . ويميز العرف الإيطالي ، كما نعلم ، اللونغوبرد غزاة القرن السادس ، والنوكبرد الذين هم اللونغو برد بلا شك ، لكنهم حضر . وهناك تقليد أهم يبدو أنه يشير الى إيطاليتين من خلال هذين الاسمين : إيطالية الجنوبية وايطالية الشمالية . وهكذا سيفعل غليوم تطيلة ، عندما يستعرض ، أثناء حصار حصن تيرم الألبيجي ، شتى وحدات جيوش سيمون دي مونفور (٢٠٩٥) .

ولاتدرك النصوص الجغرافية هذه التمييزات إلا من بعيد بعيد. فابن رسته ، مثلما قلنا منذ قليل ، لايعرف سوى النوكبرديين الشماليين بوضعهم نصف البدوي . ويجعل المسعودي (٢٠٩٦) النوكبرد من ولد يافث. وهم ذوو بأس شديد ومنعة ، لهم جزائر كثيرة ، إضافة الى برهم . ويحكمهم « اداكيس » (٢٠٩٧) ، وبلادهم متصلة بالمغرب ، ومحلهم بالجدي : اذن تتجلى معرفة ولو غامضة جداً ، بوجود نوكبرد في جميع إيطالية (٢٠٩٨) . واذا اعتبرنا هذه الأمة كتلة واحدة ، وجدناها شمالية على الأصح : فهم حرب على أهل الأندلس (٢٠٩٩) مع الجلالقة والفرنجة والصقالبة . إلا أن ذكر التفاصيل يقودنا الى إيطالية الجنوبية : فالمسعودي يعدد بست ، دار ملكهم (٢١٠٠) ، وباري ، وطارنتو ، وسلرمة (٢١٠١) ، التي احتلها الإسلام مدة من الزمن ، ثم استرجعها النوكبرد فيما بعد على حد قوله .

أما ابن حوقل ، فهو لايعرف قط سوى نوكبرده الجنوبية ، ويميزها بانتظام عن جارتها قلورية التي تعتبر رهان الصراع بين الروم ودار الإسلام . وقد وصلت أطماع دار الإسلام الى قلورية وفرضت جزية على أهلها (٢١٠٢) ، ونجحت بفضل ارتكازها على صقلية . لكن هيهات أن يعطي التمييز الإجمالي على هذا النحو رؤية واضحة عن مجرى الأمور ، عندما ننتقل الى التفاصيل : فايطالية تصبح في النهاية عند ابن حوقل قائمة أمكنة معينة ، يكادُ لايُجْمِلُ وصفَ بعض منها (٢١٠٣) .

وفي أعلى شبه الجزيرة الإيطالية ، وراء فندية ، تحدد خريطة ابن حوقل (صورة المغرب والروم) على طرف سلسلة جبلية عريضة مضيقا يدعى سكن : لاريب البتة أنه وادي سوغانا لنهر برنتا الأعلى ، الذي كان في العصور الوسطى الطريق التجارية الكبرى من فندية الى ألمانية . ويليه « جون البنادقيين » ، وفيه جزاير كثيرة وأمم وألسنة مختلفة : من افرنجيين وناجمين وبرجان (٢١٠٤) وصقالبة وغيرهم . ونضيف هنا بعض المعلومات المأخوذة من ابن رسته وابراهيم بن يعقوب : فابن رسته يذكر بقرب البندقيس ، من جهة الصقالبة ، بلداً فيه غياض وأشجار وربما يلقى الإنسان تلالاً «فيها منهم أصناف حلول» (٢١٠٥) . أما ابراهيم فيتحدث عن ذراع بناجية اللذي يغمر على حدقوله ، شواطىء الرومية وانكبرده (لنكبرديه) ، ويبدأ ببلديمكن قراءة اسمه الغامض كاسم فريول (فورلانة) أو اسم إحدى مدنه : اقويلاية . (اكويلية) إلا أن ابراهيم ذاته يضع ، مثلما رأينا ، الصقالبة الى غرب هذا الخليج والى شرقه بآن واحد (٢١٠٦) .



شكل ٢٩ – بحر الروم الغربي حسب ابن حوقل

بعد ذلك ، لانجد أي مدينة على ساحل بحر إذريس ، حتى بذرنت (برندس ، برندزي) ، التي نستغرب أن تقابلها من جهة البحر الأخرى اذرنت (هيدرنتم ، اوترانت) . ثم تلي قسانه ، وسيانه ، وقطرونيه ، وسبرينه ، (٢١٠٧) ، واستلو ، وجراجيه ، وقسطرقومه (قسطل لوقا — سان لوكا ؟) ، (٢١٠٨) ، وبوه ، وابن ذقتل (٢١٠٩) ، وريو ومنتية ، وكسشه (٢١١٠) ، ومسنيان ، وشاورى (٢١١١) ، وملف ، ونابل ، وغيطه ، وبيش (بيس) ، وقراره ، وجنوه التي رسمت جزيرة .

ويحترس نص ابن حوقل جيداً من وصف جميع هذه المدن على الخريطة . ويكتفي بالقول بأن ملف أجل مدن انكبرده (٢١١٢) أحوالاً وأكثرها يساراً وأموالاً . وتتصل أرض ملف بأرض نابل ، وهي مدينة صالحة الحال دون ملف في أكثر أحوالها ، وأكثر أموال أهل نابل من الكتان وثياب الكتان التي ليس بسائر الأرض مثلها ، ويباع الثوب منها بالدون(٢١١٣). يضاف الى هذه التدوينات تدوين ابراهيم بن يعقوب عن قرطنة ، مدينة « الإفرنجة » المعروف أهلها بنصف وجههم الأبيض كالثلج ، وبالنصف الآخر الأسمر من اللون العادي (٢١١٤) .

وتعتبر البراكين الصفة البارزة الوحيدة في الوسط الإيطالي . ويذكر ابن حوقل بركان اتنا وبركاناً آخر ، بلا اسم (فيزوف) ، وفي جزيرة مقابل قاورية ، جبلاً « لاتنقطع ناره ليلاً ولا دخانه نهاراً » سرنجلوا ، أو استرنجلو (٢١١٥) .

هذا وضع إيطالية : فهي مجزاءة ومتفرقة ، ولا تعرفها جيداً دار الإسلام جارتها . وترى الجغرافية العربية التي يكتبها آنذاك شرقيون

فقط ، ان المغرب ، المغرب المسلم ذاته ، ليس سوى « كم في ثوب » (٢١١٦) . أما صقلية والأندلس ، ففي طرف هذا الكم . إلا أن الحضارة لاتفسر كل شيء : فقطعاً ، العلاقات الاقتصادية أهم بكثير في القضية التي نعنى بها . لكن قد يقال بأن دار الإسلام تتاجر مع ذلك مع أوربة الغربية (٢١١٧) . لاشك ، إنما بتحفظ أساسي ، هو أن هذه التجارة بأيدي الأوربيين أنفسهم ، لابايدي المسلمين . فمقابل التجار العديدين المجهولي الأسماء ، من العرب وخصوصا الفرس ، الذين يقدمون المادة ، الغنية والحية ، في أخبار الصين والهند ، لاتبعث دار الإسلام هنا إلا أفراداً قلائل : وقطعاً ، يمثل ابراهيم ابن يعقوب (٢١١٨) ، والسفير، كالغزال، وأسير الحرب، كهارون ابن يحيى ، إذا كان قد اقتيد الى الرومية ، حالات ، استثنائية . ولم تحفظ قصصهم جيداً ، فلا يسعها أن تنسي أن أوربة البعيدة تبقى قبل كل شيء معقل الروايات وذكريات الكتب .

الرومية والروم

يشاء حسن الحظ أن يرد ذكر الرومية ، الرومية الكبيرة ، على حد قول ابن رسته (٢١١٩) . فحجم النصوص المخصصة لها هائل ، اذا ما قورن بجميع النصوص الأخرى التي تتناول أوربة الغربية . لكن لالزوم لحماس سريع جداً . ولنتساءل كيف نعرفها ؟

لدينا مصدران : الكتب أولاً ، خصوصا فيما يتعلق بالتاريخ ، ثم الوصف الذي كتبه هارون بن يحيى ، ورواه ابن رسته . فقد أسر هارون في غارة رومية على عسقلان ، واقتيد الى القسطنطينية ، ومنها

ذهب الى سالونيقة ، وبلدان الصقالبة ، وفندية ، وبلاطيس ، وأخيراً الى الرومية .

نتساهل بالنسبة الى القسطنطينية : انما يسود الغموض بعدها . حتى لو نسبنا الى هارون المعطيات الخاصة بالصقالبة وبايطالية — هذا مايبدو موحى به من نص ابن رسته (٢١٢٠) ، لكنه لم يكتب بصراحة إطلاقاً — فهل نحن متأكدون الى هذا الحد بأن الأمر يتعلق بقصة رحلة ؟ الواقع أن تواتر ذكر العجيب (٢١٢١) ، يدفعنا الى التفكير بأن هارون ، إن كان هو المقصود فعلاً ربما استطاع في القسطنطينية ذاتها ، أن يستفيد من مطالعات أو معلومات شفهية (٢١٢٢) ، تماما كما فعل من قبله ابن خرداذبه ، دون أن يغادر دار الإسلام .

وتقضي الصيغة الصرفية في اللغة العربية أن تؤخذ الروميةمن الروم وليس العكس . مع ذلك ، يؤيد المسعودي وجهة النظر المعاكسة (٢١٢٣) : فرومينوس ، على حد قوله ،هم الروم في لغتهم الرومية، ومشتق من اسم المدينة روماس ، الذي حوله العرب الى الرومية . وهذه مسألة تالية في الحقيقة ، أو تسلية علماء ، كما يشاء المرء . أما الناحية الأساسية ، فليست هنا ، بل في لفظ روم : فما دام يدل على الأمبراطورية الرومانية الشرقية ، أي امبراطورية القسطنطينية ، نشعر بأن الالتباسات كثيرة بين الرومان (قبل وبعد قسطنطين) وبين البيزنطيين .

ويختصر ابن خرداذبه (٢١٢٤) جيدا الانفصال الكبير في تاريخ رومة على يد قسطنطين . فيقول لنا بأن قسطنطين الأكبر انتقل الى بيزنطية (القسطنطينية) ، وجعلها مركز أمبراطوريته . أما المسعودي فيدخل في صميم التفاصيل (٢١٢٥) . ويقول إن نسب روم يعود إلى

ابراهيم الخليل بطريقتين ، إحداهما يونان ، جد اليونانيين القدامى ، أوإلا يونيين: وبذا نرى أن جسراً قد مد بين الغرب والشرق واعاد وحدة العالم اليوناني الروماني . مع ذلك يؤكد المسعودي بصورة عابرة أن الروم فرضوا في النهاية سيطرتهم على أخلاف اليونان .

إلا أن هذا النسب المزعوم لايصمد أمام التمحيص . ويستطرد المسعودي ، الذي يريد أن يضع الأمور في نصابها ، فيقول : وانما وهم من وهم أن اليونانيين ينسبون الى حيث تنسب الروم . فاليونانيون ينحدرون في الواقع من يافث ، وهذا مايميزهم عن الروم الذين ينحدرون من سام عن طريق ابراهيم : وهذا تفريق يؤيده تاريخ الصيرورة الرومانية ذاته : « والروم قفت في لغاتها ووضع كتبها اليونانيين ، فلم يصلوا الى كنه فصاحتهم وطلاقة السنتهم ، والروم انقص في اللسان من اليونانيين ، وأضعف في ترتيب الكلام الذي عليه نهج تعبيرهم وسنن خطابهم (٢١٢٦) »

قد يقال بأن لفظ الروم هنا يعني ، فيما يبدو ، البيزنطيين ، خلفاء اليونانيين — ربما كانوا خلفاء شاحبين ، لكنهم خلفاء في جميع الأحوال. لا ريب في ذلك البتة ، فالمقطع يستهل فصلاً خاصاً عنوانه «ملوك اليونانيين» حتى الإسكندر . إنما ما يهمنا هو الالتباس ذاته : فلو أراد المسعودي أن يكتب هذه الأشياء ذاتها عن اللاتين ، لما استعمل ، إلا لفظ الروم (٢١٢٧) إياه . اذن ندرك كم يظل ، على الرغم من حرصه على التوضيح التاريخي ، خاضعاً لتقليد يطلق في النهاية اسماً واحداً على الأمبراطورية البيزنطية وعلى العالم الروماني ، الذي ينظر اليه من ناحيتين : ماكان عليه في غابر الأيام وما تبقى منه ، خصوصا مدينة الرومية .

لاشك أن الرومية وحدها لاتستنفد جميع الحيز الروماني في الغرب : فقد أبنا من قبل كيف أن كلمة روم كانت تطغى أحيانا على لفظ فرنجة لكي تشير بغموض كبير ، الى أوربة الواقعة الى شمال بحر الروم ، وكيف أن سلطة البابا أعطت الرومية وضع مملكة حقيقية لهذا النطاق الذي نعرفه معرفة سيئة (٢١٢٨) . لكن كل هذه التدوينات ضئيلة ، تتعارض مع حجم النصوص التي توحي بها الرومية ، وهذا مانلح عليه .

الرومية : تاريخها أولا

تحتل المعطيات التاريخية مكانة هائلة في الحديث عن رومية . نلاحظ مثلا تحديد هذا التاريخ نفسه (٢١٢٩) ، ووجود الرومان قديما في حوض بحر الروم (٢١٣٠) ، ويشار الى قدم وضع مدينتهم عاصمة (٢١٣١) . مع ذلك ، « الملوك » هم الناحية الأساسية : ويفوق اطلاع المسعودي في كتاب التنبيه اطلاعه في المروج ، فيعطينا أسماء الملوك وبعض خصائص ملكهم (٢١٣٢) . فبهم ، من قيصر ، يخرج تاريخ رومية من الظلمة ، وبهم يعود تاريخها الى الظلمة ، عندما استقر قسطنطين في بيزنطية .

ويستحق هذا الحدث الأخير أن يبرز . فقد ينوه (٢١٣٣) أحيانا بتقسيم السلطة الأمبراطورية ، قبل قسطنطين وفي عهده ، أما بعده ، فعلى النقيض ، زالت رومية لصالح بيزنطية ، ولم يبق أثر يذكر للأمبراطورية الرومانية الغربية : فقد خلف أركاذيوس وحده تيودوز (تدوس) ويذكر المسعودي بدقة : « وكان صاحب رومية منقاداً الى صاحب القسطنطينية ، مطيعاً له ، ممتثلا لأمره ، لايلبس تاجاً ، ولا يتسمى بالملك (٢١٣٤) » .

وتعتبر النصرانية صفحة رائعة من تاريخ رومية . ويكاد لايقال لنا شيء (٢١٣٥) عما سبق هذا الدين ، إلا أن رومية ، وملوكها في الطليعة ، كانوا يعبدون الأوثان . ويتمثل تاريخها الديني (٢١٣٦) في تاريخ صعود المسيحية الظافر أمام الوثنية المتجسدة في السلطة . وينفرد من بين مجموعة الملوك الوثنيين جميعاً ، المتمسكين بابادة النصارى إلى أقصى حد ، غاثيوس ، وقلوديوس ،وهو أول ملك من ملوك الروم شرع في قتل النصارى واتباع المسيح ، واذريانوس وداقيوس .

ولم يجد الاضطهاد . فقد كان الشعب الروماني لايزال وثنياً في أيام غاثيوس . ثم اعتنق تدريجياً الديانة الجديدة ، ومال الى رسلها وشهدائها ، المرتبطين حتماً بتاريخ رومية ، وأحيانا بموقعها ذاته . فقد قتل غاثيوس اصطفنوس ويعقوب اخا يوحنا بن زبدى وخلقاً كثيراً من النصاري. وفي ملك قلوديوس ، قتل أغريفوس عامله على الاسرائيليين ، يوحنا بن زبدى وخلقا كثيراً من النصارى. ويوحنا أحد الانجيليين ، وقيل ايضا إن دومطيانوس ، نفاه الى بعض جزائر البحر ، ثم رده ، وكانت وفاة يوحنا بمدينة أفسيس في عهد طريانوس. أخيرا ، قتل قلوذموس أونيرون الحواريين بطرس وبولس وصلبهما منكسين. ودفنا في رومية . (٢١٣٧) . أخيراً ، لاثنتين وأربعين سنة خلت أو ثلاث وأربعين من ملك أوغسطس ، كان مولد المسيح . ولست أو سبع عشرة سنة خلت من ملك طيباريوس ، عمد المسيح ، ورفع لثلاث سنين بقيت من ملكه .

في نهاية هذا التاريخ ، اعتنقت السلطة الرومانية النصرانية . ويقال بأن فيلبس قيصر (العربي) دعي الى دين النصرانية ، فأجاب . لكن استقرت المسيحية رسمياً (٢١٣٨) في عهد قسطنطين الذي ترك عبادة الأصنام وتنصر ، ووالدته هيلاني .

منذ ذلك الحين ، أصبحت رومية للباب (البابا) (٢١٣٩) الذي يُسَمّى ملكاً (٢١٤٠) أو أيضاً بطريركاً (٢١٤١) في معظم الأحيان . والبطريركية منصب محصور في رومية والقسطنطينية والاسكندرية وانطاكية وبيت المقدس . ويعنى المؤلفون بابراز أولوية رومية على تلك البطريركيات ، لأن بطريركية بيت المقدس آخر ما أحدث منها . وتعود القسطنطينية الى مجمع نيقية . ويشار الى أن مرقس أسس بطركية الاسكندرية ، لكنه ليس بطرس . وأسس بطرس انطاكية مثل رومية. إلا أن بطركية رومية تحتفظ بالمرتبة الأولى لأنها كانت مقر بطرس الرئيسي . اذن لرومية مكانة أساسية يدعمها حضورها المجامع المسكونية المعقودة في الشرق (٢١٤٢) .

رومية وعجائبها

رومية دار امبراطورية مساحتها ٢١٠٠٠٠٠ فرسخ مربع (٢١٤٣) وتدخل في الإقليم الرابع أو الخامس (٢١٤٤) ويغمر شاطئها بحر الروم، أو حتى بحر ادريس (٢١٤٥) . ويسمح لها البحر أصلاً بأن تبقى على اتصالاتها بالقسطنطينية ، لأن البر تحت سلطة أمم أوربة الشرقية الذين تتصل تجاراتهم الى هنا وحتى الى الأندلس (٢١٤٦) .

وكانت رومية تعتبر مؤسسة تؤلف أمبراطورية بها الباب (البابا)، وكانت مدينة (٢١٤٧) بها عجائب (٢١٤٨) تتجلى بالأرقام أولاً : فطولها ٢٨ أو ٤٠ ميلا ، أي ٨٠ الى ١٢٠ كم . وفيها ١٢٠٠٠ زقاق ، في كل منها ٢٢٣ داراً ، ويجري في كل زقاق نهران أحدهما للشرب والآخر للحشوش ، و ٩٥ من مجامع الأسواق (يقول مؤلفون آخرون ١٠٠٠٠٠) ، مبلطة بالرخام الأبيض، و ٤٠٠٠٠ حمام ، ويقول ابن

الفقيه الذي لايقتر ٦٠٠٠٠٠ . وللابنية الدينية حصة الأسد من هذه الأرقام المتفاوتة : ففيها جنس من الرهبان العموديين ، على طريقة المشرق ، يعيشون على ١٢٢٠ عموداً . وفي المدينة ٢٤ كنيسة كبرى ، وكنائس أخرى تقام الصلوات فيها كل يوم، عدتها ١٢٠٠ كنيسة ، ويضرب هذا الرقم أحيانا بعشرة أو عشرين (٢١٤٩) . من ناحية أخرى، فيها ٢٣٠٠٠ من الأديرة العظام ، و ١٢٠ مجمعاً لمن يلتمس صنوف العلم والحكمة . وفي جميع كنائس رومية بالأرقام ١٠٠٠٠٠ ناقوس ونيف (٢١٥٠) ، و ٤٨٠٠٠ من الكهنة والشمامسة ، و ٦٤٠٠ «مصحف» تقرأ في الكنيسة، و٣٥٠ منارة، و٦٠٠ قنديل و٢١٠٠٠ صليب ذهب، و١٠٠٠٠ صليب فضة أو معدن آخر .فرومية مدينة غنية، واسعة، ومقدسة : ولولا جلبة أهلها لسمع الناس تسبيح الملائكة ووقع غروب الشمس وطلوعها .

ورومية محاطة بالبحر من ثلاثة جوانب، وحواليها بساتين وحقول زيتون. ولها حائطان من رخام ، عرضهما بين ٦ و ٨ أذرع ، وسمكهما بين ٤٢ — و ٧٢ ذراعاً ، وبينهما نهر يسمى فسطيطالس (٢١٥١) ، عرضه ٤٦ ذراعاً ، وعمقه ٩٢ ذراعاً ، وهو مغطى بـ ٤٢٠٠٠ بلاطة من النحاس، طول كل بلاطة منها ٤٦ ذراعاً . وفي حائطيها عشرة أبواب ، منها باب الذهب وباب الملك . ويخترق المدينة من المشرق الى المغرب ، نقير من نحاس ، يجري فيه لسان من البحر ، وتجري السفن في هذا النقير بحمولتها بين أرصفة نحاس وجسور نحاس ، حتى تقف على حانوت المشتري .

يتضح لنا أن رومية تجمع ثلاث مدن في مدينة واحدة . أولاها

الرومية ، التي يدل عليها (٢١٥٢) نهر التيبر ، حتى ولو جمل . ثم رومية القسطنطينية ، بشبه جزيرتها ، وبابها المذهب ، وسورها المتعدد الحيطان ، الشبيه بسور منافستها في المشرق (٢١٥٣) . وأخيراً رومية مدينة النحاس ، والمدينة الأسطورية الواقعة في أقاصي العالم (٢١٥٤) .

لكن لندخل الى رومية . فقولنا انها تحوي مباني لايؤول فقط الى طرح زخارفها ، بل أيضا الى تحديد مبادىء حياتها . بالفعل ، لايقال شيء عن أهلها ، أو يكاد لايقال شيء لايتعلق بوظائف المباني ، وعامة، بهذا العملاق المديني الذي يتاجر ويصلي.فخلال الأسبوع ، تقام فيها التجارات . وفي نهاية الأسبوع ، من تسع ساعات من يوم السبت حتى تغيب الشمس من يوم الأحد ، « ليس فيها بيع ولا شراء ، وهم كلهم في الصلاة ، إلا ساعتين بعد أخذهم القربان للطعام ، ثم ينصرفون اليها» (٢١٥٥) .

وتنحصر كل العجائب في مبانيها . فالبناء الروماني يجعل رومية تضاهي القسطنظينية ودمشق والاسكندرية . وتشرفها جدا مقارنتها بالاسكندرية ، لأنه يقال ان أهل هذه المدينة المصرية مكثوا سبعين سنة لايمشون فيها بالنهار إلا بخرق سود (٢١٥٦) ، مخافة على أبصارهم من شدة بياض حيطانها .

وقد ذكرنا من قبل الأديرة والحمامات والأسواق والكنائس . وتبلد مبان تكتنفها الأساطير هذه المباني الفخمة المشيدة من الحجارة : مثل سوق الطيور (٢١٥٧) وطوله فرسخ (خمسة كم ونيف) ، والسوق الكبيرة التي تأتي إليها المراكب المادة من الباب الشرقي الى الباب

الغربي (الفورم ؟) ، بثلث أسطوانات وحنيتا الوسطى منهن بعمد نحاس أصفر ، قصبة العمود وقاعدته ورأسه مفرغة ، وسمك كل عمود فيها ثلاثون ذراعاً .

أخيرا نشير الى الكنائس على وجه التخصيص . ولكل مقام مقال . ففي وسط المدينة ، بنيت « الكنيسة العظمى » ، وتدعى أيضا «كنيسة الأمم»، على اسم بطرس وبولس الحواريين . وطول هذه الكنيسة ٣٠٠ ذراع ، وعرضها مئتا ذراع ، وسمكها ثمانون ذراعا . وعليها ٣٦٠ بابا (او٦٠٠). ويتألق داخل الكنيسة وخارجها . ذلك أن قبابها وأعمدتها وحيطانها وسقوفها وأبوابها ومواضع جلوس الكهنة، كل ذلك من نحاس مغشى بالذهب .

وفي كل ركن من أركان هذه الكنيسة برج ، على كل برج قبة «مبنية من فضة، يضرب عليها النواقيس»(٢١٥٨).وقد بني بيت المذبح أربعاً وعشرين ذراعاً في عرض اثنتي عشرة ذراعاً . أخيرا في هذه الكنيسة العجيبة كنز : ستماية صليب من ذهب في وسط كل صليب درة تلامذه الحواريين ، وكلها من ذهب أيضا . وفيها ألف ومائتا كأس ذهب يجعل فيها الخمر للتقريب مرصعة كلها بالجوهر . وفيها ألف مروحة ذهب مرصعة بالدر والياقوت ، ولها مقابض من ذهب ، عرض كل واحدة ذراع في ذراع .

وللكنيسة من السدنة ، ممن يتولون إشعال القناديل ، ست مأية . وفيها من الشمامسة والقسيسين ثلاثة آلاف ومائتا نفس ، على كلهم ديباج أبيض ، قيمة كل ثوب مائة دينار الى مائة وخمسين ديناراً ، وعليهم طيالسة منسوجة بالذهب والدر . وفي الكنيسة قبر رجلين من

الحواريين معمول من ذهب ، أحدهما في شرقي الكنيسة والآخر في غربيها . يقال لأحد صاحبي القبرين شمعون الصفا والآخر باولوس . « فاذا كان فصح النصارى في كل سنة وهو يوم الخميس جاء الملك ففتح باب القبر ، ونزل الى القبر ، ومعه موسى ، فحلق رأس شمعون ولحيته ، وقلم أظافره ، وصعد ، وقسم لكل رجل من أهل مملكته شعرة . هذا عملهم في كل سنة منذ تسع مائة سنة » (٢١٥٩) .

إلا أن تكريم الحواريين لايقتصر على عيد الفصح ذاته . « فأهل رومية ، صغيرهم وكبيرهم ، يحلقون لحاهم كلها ، لايتركون منها شعرة واحدة على أذقانهم ، ويحلقون وسط هاماتهم » . وتعجب هرون ابن يحيى ،الذي ينقل ابن رسته أقواله (٢١٦٠) ، وسألهم عن السبب في حلق لحاهم ، وقال لهم إن زين الرجال في اللحي ، فما مرادكم في هذا الذي تفعلونه بأنفسكم . فقالوا : « إن كل من لم يحلق لحيته لم يكن نصرانيا خالصاً . وذلك أنه جاءنا شمعون الصفا والحواريون لم يكن معهم عصا ولا جراب ، انما كانوا مساكين ضعفاء . وكنا نحن آنذاك ملوكاً علينا الديباج ، ونحن على كراسي الذهب ،فدعونا الى دين النصرانية . فلم نجبهم ، فأخذناهم وعذبناهم ، وحلقنا رؤوسهم ولحاهم فلما ظهر لنا صدق قولهم صرنا نحلق لحانا كفارة لما ارتكبناه من حلق لحاهم » .

مع ذلك ، ليست « الكنيسة العظمى » ، وهي أجل الكنائس ، أولاها في الأبعاد . ففي رومية كنيسة أخرى ، شبهت ببيت المقدس ، طولها ميل ، أو ثلاثة كيلومترات تقريباً ، فيها مذبح من زمرد ، طوله ٢٠ ذراعاً ، وعرضه ست أذرع ، يتحمله اثنا عشر تمثالاً من

ذُهب وإبريز ، طول كل تمثال منها ذُراعان ونصف ، ولكل تمثال عينان من ياقوت أحمر تضيء منها (٢١٦٢) الكنيسة . إلا أن أبهة العظمة بادية في الأبواب خاصة : فلهذه الكنيسة ٢٨ باباً من ذهب إبريز عظام ، سوى أبواب أبنوس وأبقسيون وأصناف الجيد من الخشب ، المنقوش الذي لايدرى ماقيمته (٢١٦٣) .

ولن نترك رومية قبل إلقاء نظرة على أمر عجيب أخير : ففي وسط كنيسة الحواريين ، برج طوله في الهواء مائة ذراع ، وعلى رأس البرج قبة مبنية من الرصاص، وقد اتخذ على رأس القبة تمثال زرزور من صفر ، وقيل إن التمثال على شجرة من صفر أيضا ، فاذا كان أوان إدراك الزيتون ، جاءت الريح ، فدخلت في الزرزور ، فيصيح ، فيجتمع زرازر تلك المدينة في منقار كل واحد منها زيتونة ، فيطرحنها على ذلك البرج ، فيؤخذ ذلك الزيتون ، ويعصر ويستخرج دهنها ، فهو يكفيها لمصابيح الكنيسة الى السنة القابلة من ذلك الوقت ، أو يعصر منه أهل رومية مايكفيهم لادامهم وسرجهم سنتهم الى قابل . (٢١٦٤)

وهذا الموضوع شائع . ففي كنام في الهند ، بطة من نحاس على عمود من نحاس ، فاذا كان يوم عاشوراء (٢١٦٥) ، نشرت البطة جناحيها ، ومدت منقارها ، فيفيض من الماء مايكفي زروعهم (٢١٦٦) ومواشيهم وضياعهم الى العام المقبل . ويعثر على الشجرة المعدنية (من ذهب) في حدائق قصر الخليفة المتوكل (قصرالبرج) في سر من ، أى (٢١٦٧) ، وفيها كل طائر يصوت ويصفر. ونلقاها أيضا في رومية الأخرى ، في رومية «الجديدة» ، في القسطنطينية ، في القصر الأمبراطوري

وقد أنعم النظر في هذه العجيبة ليتبرند ، مطران كريمونا عام ٩٤٨ (٢١٦٨) .

لم تعد رومية رومية ، أو ، بالأحرى ، مثلما قيل ، لم تعد رومية وحدها في رومية . فرومية الحقيقية موجودة بلا شك ، بفضل التجميل . وظن مركار أنه يستطيع أن يكتب هذه الكلمات التي يبوح بها الوصف ، وتمنع الأسطورة المبالغ بها وحدها من التلفظ بها تماما : مثلا القديس بطرس وقصرلتران (٢١٦٩) .إلا أن النحاس الموجود في جميع الأماكن ، ينقل المدينة الى آفاق نائية ، فتأتي القسطنطينية على وجه التخصيص وتلقي عليها ظلالها .

وهذه الظلال مشؤومة في الحقيقة : فقد قيل : حلم الإسلام منذ عهد الرسول بفتح رومية الجديدة(٢١٧٠)، فلا يمكن أن تنجو رومية الأخرى من هذا التصميم على السيطرة ، وهي الأولى في التاريخ، ويساعد سحرها على ذلك . في الواقع ، آخر عجيبة نود ذكرها ، ترينا عموداً من حجارة عليه صورة بعير منحوت من حجر ، عليه رجل من حجر ، بيده سيف . ولتفضيل صنعه من حجر زائل عوضا عن المعدن الأزلي العظيم ، مغزى واضح جداً . فقد قال الرومان : « إن الذي بنى هذه المدينة قال لنا : لاتخافوا على مدينتكم حتى يأتيكم قوم على هذه الصفة . فهم الذين يفتحونها » (٢١٧١) .

بعضُ جزر بحر الروم

هل المقصود الجزر أم أشباه الجزر ؟ يشير لفظ الجزيرة في الواقع الى أرض أو مدينة ، يعزلها عن البر بحر أو نهر أو حتى صحراء ،

عزلاً قوياً جداً ، لكن ليس كلياً على الدوام . . ولهذا التعريف أهميته مثلما سوف نرى ، على الأقل في بعض الحالات .

وقد اشرنا من قبل الى بعض هذه الجزر الغامضة مثل جزر النورمان أو غيرها ، تكاد لاتكون معروفة ، لكنها تحمل اسماً على الأقل : مثل هبرنية ، وبرطانية ، وسرنجلو ، أو أيضاً جنوه على خريطة ابن حوقل ، وهذه أغربها . والقائمة ناقصة طبعاً ، ينقصها الجزر الكبرى في بحر الروم الغربي (٢١٧٢) . وما دامت هذه الجزر واقعة في عالم غريب عن دار الإسلام ، لايسعنا إلا أن نذكر بلا وصف الجزر التي يمارس المسلمون فيها السلطة العليا ، وحتى التامة : كمالطة ، وقوسرة ، وصقلية ، وجزر البليار . ونتخذ الموقف ذاته حيال جزر بحر الروم الشرقي التي نرجىء ذكرها أو وصفها الى الفصل التالي (٢١٧٣) .

ونحن نسلم بأن هذا المبدأ المطروح في التوزيع مصطنع : فمؤلفو الجغرافية يعتبرون بحر الروم كلا ، وجزره جزءاً من هذا الكل ، سواء كانت في غربه أو شرقه ، مسلمة أو غير مسلمة . وتثابر لمرة واحدة ذهنية كرتوغرافية الكرة القديمة الخاصة بكتاب صورة الأرض ، فتنازع على توالي المصنفات، الاتجاه الآخر ، الحريص على عزل دار الإسلام على خريطة العالم : فهل يتمثل في بقاء النماذج القديمة أو في الشعور الغامض بوحدة بحر الروم ؟ هذه الناحية قليلة الأهمية . في جميع الأحوال، يبقى نهجنا على حاله، ولا يسع أحد البتة أن يلومنا ، إلا أننا نتقيد جداً ، في الوضع الحاضر ، بذهنية المدرسة الثانية ، ونرفض الاستثناء الذي يندفعون في تياره .

وسبق ابن رسته وقدامه في شق الطريق (٢١٧٥) . فزعما أن في

بحر الروم ١٦٢ ، أو ١٧٢ جزيرة عامرة ومزروعة ، لكن خرب المسلمون أكثرها بالمغازي اليها ، منها خمس جزائر عظام ، ثلاث كبار : قبرس ، واقريطش ، وسقلية ، ثم سردانية (سرتانية) ويحيط بها ٣٠٠ ميل ، أو مايقرب من ٦٠٠ كم (٢١٧٦) ، ويضيف قدامة جزيرة يابس (ايبسوس - ايبيزا أو ارخبيل الباليار) (١٧٧) وابن رسته قورنس ، أصغرها ، ويحيط بها ٢٠٠ ميل (٢١٧٨) .

ويقدم لنا ابن خرداذبه وابن حوقل (٢١٧٩) بعض المعلومات الإضافية . فابن خرداذبه يعتبر سردانية مقر بطريق (كبير الأشراف) رومي ، مخول بالسلطة على جميع جزر البحر (٢١٨٠) : ذكرى فتوحات يوستينيان . ويضع ابن حوقل قرشيقة الى غرب صقلية (٢١٨١) .

أما كتاب حدود العالم (٢١٨٢) ، فيكرر الخطوط الكبرى الإجمالية في جوهرها . ويذكر ست جزر كبرى ، جاءت عند ابن رسته وقدامة . لكنه يقول إن سردانية تقع الى جنوب رومية ، بعد قورنس ، وإن محيطها ٣٥٠ ميلا . ويزعم أن جميع الجزر مزروعة وبها خيرات ، وأهلها كثر ، وكذلك جيوشها وتجارها : باختصار هي أغنى جزر في العالم . مع ذلك ، لايحدثنا عن جزر أخرى مأهولة في بحر الروم .

ونشير على وجه التخصيص - وهنا يجب أن نفكر بالمعنى الدقيق للفظ جزيرة - الى أن كتاب حدود العالم يضيف الى الجزر الست السابقة جزيرتين هما جبال في الوقت ذاته . الجزيرة الأولى جبل طارق ، والأخرى جبل القلال الذي بقي مدة طويلة لغزاً الى أن حله رينو

وعرفه بأنه فراكسينيتوم أو غارد فرينه ، في كتلة جبال المور (٢١٨٣).
ويشرف على رأس الجسر المسلم الواقع في بروفانس ، أو على مقربة من « بلد رومية » ، على حد ما يقال لنا ، من الجهة الغربية . جبل غني بالصيد وخشب الحرق (٢١٨٤) أو النجارة (هيكل بناء) ، وشاهق جداً حتى إن أحداً لم يتمكن من تسلقه حتى الآن . ولا نفكر بجبال المور المتواضعة جداً ، بل بجبال الالب التي تترأى آفاقها الأولى في الطقس الصاحي من مطلات جبل القلال .

وشق الاصطخري الطريق لكتاب الحدود في هذا المقطع وفي غيره من المقاطع الكثيرة . ويشير الى خرير مياه الجبل ومنعته ، والى مقداره في الطول نحو يومين . ويقول إن المسلمين وقعوا اليه وعمروه وحرثوه ، وصاروا في وجوه الإفرنجة المجاورين لهم (٢١٨٥) .
وينقل ابن حوقل عن الإصطخري ، ويبالغ في التأكيد على وعورة الطبيعة بالنسبة الى الغرباء عنها . فلا طريق ولا متسلق إلا من جهة واحدة ، هم منها آمنون . ويتحدث أيضاً عن الريف الخصب ، مما يوسع الرؤية في الأرض المنخفضة بين جبال المور والبحر (٢١٨٦) . فاذا تبصرنا في هذا الملاذ المنيع جداً والغني جداً حتى إنه يغذي أهله بسهولة ، على عهدة الراوي ، ظننا أننا نواجه مزارعين آمنين حريصين على السلام ، والواقع أنهم مجاهدون يهددون الإفرنجة (٢١٨٧) .

قد يقال بأننا نسينا بحثنا ، وانجرفنا في وصف « جزيرة » مسلمة ، ليست غريبة عن دار الإسلام . لاشك في ذلك ، لكن أين نضع أقوالنا هذه ؟ هل مع مواضع المسلمين خارج دار الإسلام بعد قليل (٢١٨٨) ؟ يستحيل . فسوف نرى أن خصائص جبل القلال لا علاقة لها بها .

عندئذ . أيجب أن نرجئها الى وقت لاحق أيضاً ، حتّى يأتي وقت وصف دار الإسلام ؟ أعرف جيداً أن ابن حوقل يجعل « هذه الجزيرة » المسلمة مضافة الى عمل الأندلس ، وأن مسلمي الأندلس جاؤوا حقاً لإعمار هذا الملاذ الموري . لكن كم ظلوا فيه ؟ قرنا أو كادوا ، بين عام ٢٧٨ ه / ٨٩١ م و ٣٦٢ ه / ٩٧٣ م . ومهما كانت غارات المجاهدين جريئة باتجاه الشمال ، فان قاعدتهم ظلت دائماً ضعيفة جداً (٢١٨٩) .

في جميع الأحوال ، لاشيء يسمح لنا أن نعتبر جبل القلال ثغراً على حدود دار الإسلام ، يعتمد عليها على هذا الاساس ، ويرتبط بها بعلاقات منتظمة : فليست غارد فرينه نربونه ، حتّى لو بقي المسلمون فيها مدة أطول . واذا نظرنا اليها كمغامرة ، فالمغامرة نائية جداً ، واذا أخذناها كرأس جسر ،فرأس الجسر معزول جداً ، لأن جبل القلال ذاته جسم غريب في أرض الفرنجة الغربية .

خاتمة

قلنا من قبل في حديثنا عن إفريقية ، إنها تترأى لنا ، وأصبحنا نلم بها . وماذا عن أوربة الغربية إذن ؟ إن فيها كتلتين هما فرنجة والروم ، تتنازعان فيها على بلدان غير محددة . وتوزع فيها رؤية مجزأة ، بلا تعيين ، في داخل هذين النطاقين أو خارجهما ، أصقاعاً أخرى ، ليست أحيانا سوى أسماء . وتقودنا دورتنا حول العالم هنا الى تخوم المعمورة ، التي يمتد وراءها ضباب البلدان الأسطورية .

وتلقي دار الإسلام ، من الشرق ، على الآفاق المحيطة بها ، نظرة،

لابد من استكشاف قطاع آخر فيها : هو أقرب القطاعات الى بغداد ، الذي يسكن فيه الغريب، وأسوأ من ذلك، العدو الأزلي، على مدى الصوت ومرمى الأسلحة . أقصد الروم : لاأرض الرومان القديمة بل أمبراطورية رومية الجديدة ، أي القسطنطينية .

لكي تكتمل الرؤية ، يجب إذن أن نتناول الآن الأمبراطورية البيزنطية التي تضعها الجغرافية والتاريخ عند ملتقى دار الإسلام وأوربة الشرقية أو الغربية . وان يبقى علينا ، بعد أن نكون قد ألقينا نظرة شاملة على البلدان المدروسة ، إلا أن نخترقها على جميع جبهاتها لكي نتعمق ، جهد المستطاع ، في بلدان الأسطورة، في أركان العالم الأربعة التي تتخذ البشرية فيها أشكالاً غريبة قبل أن تختفي تماماً.

الفصل الثامن

أقرب البلدان إلى دار الإسلام
بيزنطية

بيزنطية (٢١٩٠) وريثة اليونان والرومان ، وعدوة دار الإسلام : هذا هو تاريخها . أما حدودها على الخريطة : فمن جهة دار الإسلام ، ومن الأخرى أوربة الشرقية والغربية . ومن حيثما جئت ، تبدو ملتقى ثلاثة عوالم ، دار الإسلام عالم منها في كل مرة .

فأمبراطورية الروم أخطر جميع الأغراب على تخوم دار الإسلام، وأقربهم اليها . وهي تتحدى وتهاجم ، على مسافة حوالي مائة فرسخ من الجزيرة ، التي تحوي أحد المراكز العصبية لدار الإسلام (٢١٩١). فالعملاق والوحش يجثم على الأبواب ، ويخفي في مكان بعيد في

ثنايا أرضه وإدارته،القسطنطينية ، رأس جسمه الكبير ، مصدر الحلم والأسى : ذلك أن دار الإسلام الفتية استطاعت في الماضي أن تمس سمعة مدينة المدن ، إنما لاتتجدد ذكرى المعجزة . وتصحبها معاينة الحاضر ورديفها الحتمي الذي يتمثل في أن بيزنطية أصبحت أقوى مما كانت عليه في سالف الأزمان .

الجغرافيون حيال بيزنطية

في هذه الواجهة من حدود دارالإسلام دونسواها،تنخرط الجغرافية في السياسة ، وفق المبدأ القائل : الحذر واجب ممن تخشاه . فقوة الأمبراطورية البيزنطية ، وتنظيمها وحدودها البرية ، كلها مواضيع رئيسية ينبغي تقصيها . لكن في هذه المرة الوحيدة على الأقل ، ينحصر بحث هذه المواضيع ، وعلى وجه العموم ، الاهتمام بالغريب ، في الجغرافيين : لأن السياسة تقضي بالضبط ، في هذه الحالة ، أن يترصد جميع الناس أو جميعهم تقريبا بيزنطية .

وشق التقليد الديني أو الدنيوي الطريق : فسوف يقال ، منذ نزول القرآن ، بأن الروم تبدو عدوة دار الإسلام اللدودة، وبالتالي تصبح في نظر دار الإسلام عدواً متميزاً تروز به قدرتها الخاصة على المقاومة والظفر . وكان هذا هو الرهان ، والتاريخ خير شاهد على صحة هذا القول : فقد تواصلت الحرب المستحكمة بينهما في مواقعها المختارة ، وبتقلباتها ، وانتظاماتها ، كفصول الطقس ،في حملات صيف وشتاء، على الرغم من تبادل السفارات والعلاقات التجارية التي لم تنقطع أبداً .

وهكذا يرتبط القتال مع بيزنطية بنظام الأشياء الطبيعي . والبرهان مايجري في النصوص من تحول : فقد نشأت مواضيع الحملات ، والأماكن المحصنة ، والحدود أو تنظيم الأمبراطورية البيزنطية ، عند المؤرخين أو الجغرافيين الإداريين مثل ابن خرداذبه ، ثم انتقلت الى الموسوعيين : وليس فقط الى الموسوعيين الذين يرمون ، على غرار قدامه ، إلى تأمين الثقافة العامة لرجل الإدارة الذي يعنى بالدرجة الأولى بهذه المعلومات ،

بل أيضا جميع الموسوعيين الذين لايفكرون إلا بالرجل الشريف (٢١٩٢) ، أمثال المسعودي أو المقدسي .

ومن الموسوعات انتقلت أيضا الى الأدب المحض : فبيزنطية تقدم الى الشعر العربي صوراً ومقارنات ، وتنتزع منه صيحات النصر أو أنات القلق . وفي مكان أقرب الى الحدود ، عند الأمراء الحمدانيين في حلب ، يتغنى المتنبي وأقرانه بنضال دار الإسلام ، في حين يحمل أحد هؤلاء الأمراء أنفسهم ، وهو أسير في القسطنطينية ، ذكرى المعارك الظافرة وعذاب المنفي (٢١٩٣) معاً .

وهكذا ندرك أن المعطيات المتعلقة ببيزنطية ترد في قطاعات واسعة من الأدب العربي ، سواء اتسمت بطابع التقدير أو التقليد أو المعاش . اذن لماذا يقتصر بحثنا على الجغرافية وعلى الجغرافية وحدها ؟ أولاً ، تفرض المقتضيات العامة في نهج هذا الكتاب إجراء دراسة بيزنطية استنادا الى المصادر المستغلة حتى الآن . ثم لايبدو أن وضع الجغرافية في جملة النصوص المذكورة ذاتها سيء جداً . فهي تقع عند تلاقي علوم شتى ، ولا تجهل شيئاً من المنظورات المشار اليها ، لأن المرامي النفعية عن العدو الواجب محاربته متوفرة لديها منذ عصر ابن خرداذبه ، وكذلك التقاليد منذ عصر ابن الفقيه — ولا نذكر سواه — وتقارير المغامرات المعاشة : كتقارير السفراء والجند والأسرى . وعلى هذا المنوال ، تقدم لنا الجغرافية نماذج من مختلف مصادر الأخبار عن بيزنطية ، وبالتالي ، عن التطلعات اليها .

زد أن منهج الجغرافية لايشبه سرد التاريخ ، ولا استشهاد الموسوعة ، ولا الاستثمار الأدبي للموضوع . حتى ولو استوحت منه ، وحتى او

اتخذت أحيانا شكله (٢١٩٤) . والحقيقة أنها تطغى عليها جميعاً ، وتجمعها في رؤية ونهج خاصين ، يعتبران رؤية التقصي ونهجه . فالتقصي الذي استعملنا لفظه من قبل ، يوضح على أفضل وجه ذهنية الطريقة الجغرافية : التي تتوخى الحصول على المعارف ووصفها . وقطعاً ، يثبت هذا المطلب المزدوج بوضوح بالغ في بحث بيزنطية دون سواها من البلدان الغربية الأخرى ، لأن دقة التفاصيل الكثيرة وحجم النصوص ، يبينان أن الجغرافية العربية رافقت على الدوام دار الإسلام والدتها في المغامرة البيزنطية . اذن تعامل الجغرافية معاملة مفضلة ، اذا أردنا ، لكن بوجهات نظر ومناهج تتغير (٢١٩٥) .

عالم الأخباريين

يهمنا كل شيء عن بيزنطية : ليس فقط ما هي عليه الآن ، بل ما كانت عليه في الماضي ، وما هي مدعوة لأن تكون في المستقبل أيضاً : ظافرة على دار الإسلام ، أو على النقيض مغلوبة . وسيمضي هذا الفصل على النحو التالي : سوف يؤول وصف امبراطورية بيزنطية الى سؤال أساسي تطرحه دار الإسلام على عدوتها الدائمة: من أين أتيت ، ومن جعلك تعترضين طريقي ، ومن منا خلق ليدمر الآخر ؟

يضع التقليد الديني الإسلامي أروع صيغة لهذا السؤال الأخير ولهذا المرمى الأخروي . لكن لم تذكر بيزنطية على هذا النحو صدقة . فالإسلام الفتي ، عندما حاول الخروج من الجزيرة العربية (٢١٩٦) ، جابهها وجهاً لوجه ، واحتوت اندفاعه طيلة عدة قرون ، وأين ياترى؟ على خطوتين من الجزيرة (العراقية) ، كما قلنا ، وبذا يتهدد الخطر قلب دار الإسلام التي تمتد أطرافها الى الهند والأندلس . عندئذ أراد

أن يفهم ، والتفت الى تقليد آخر/: يضيف الى صوت التنبؤات معطيات التاريخ. ويفتش ابن الفقيه عن مفاتيح فهم الماضي والمستقبل البيزنطيين. في هذا الخبر «الذي يذكر اسمه فقط ، كأنه سلطة بحد ذاته ، أو ، يذكر أيضا أسماء بعض رواته : مثل كعب الأحبار ، وحذيفة بن منصور الكوفي، وسيف بن عمر، وهشام الكلبي (٢١٩٧) .

ويعتبر الكلبي أكثر من عرف : فهو يكاد يمثل التاريخ بالمعنى الصحيح ، التاريخ الذي يستخلص شيئاً فشيئاً من « الخبر » ، حتى لو ظل هذا الأخير مدة طويلة يطبعه بسعة ذهنيته ومناهجه (٢١٩٨) . ومع ذلك ، يجب أن نميز مستويين في هذا التاريخ . فالى معطيات الماضي ، خاصة ماضي الغارات الإسلامية الكبرى على القسطنطينية ، تضاف في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، تقصيات التاريخ الحالي ، التاريخ الذي يجري الآن على وجه الدقة .

ويسأل على هذا النحو ولاة الثغور أو التخوم البحرية المعرضة الى غارات البيزنطيين (٢١٩٩) ، كما يستجوب جنود مشاة فيالق الفرنجة العاملين في هذه النواحي المضطربة من آسية الصغرى الشرقية ، لحسابهم الخاص أو في اطار جيوش نظامية (٢٢٠٠) . ونعتبر جنوداً مشاة أيضاً الأسرى المسلمين ، الذين يقيمون شهوراً وسنين في القسطنطينية أو في مدن أخرى من الأمبراطورية ، وتدخل أفديتهم في التاريخ النظامي لهذا الصراع الذي لا تخف حدته . فهم يقدمون معلومات جمة ، ولا ينالون مقابلها حتى ذكر اسم أهلهم . ، ولا حتى إشارة إجمالية الى أن هذا الخبر (٢٢٠١) أو ذاك ورد على لسانهم هم الأسرى . ولا

يستثنى (٢٢٠٢) إلا مسلم الجرمي وهرون بن يحيى (٢٢٠٣) لأنهما استفادا من إقامتهما القسرية ، وكتبا عن الأمبراطورية البيزنطية وعن جيرانها .

ومن الأخباريين من له حظ أوفر لأنهم أعيان ، ويرد دوماً تقريبا (٢٢٠٤) اسمهم وصفتهم : إنهم السفراء . ويجب أن نفهم بأن لفظ السفراء يعني في الحقيقة ، بمعنى واسع جداً ، كل الذين تكلفهم دار الإسلام ببعثة رسمية في أرض الروم ، سواء كانوا سفراء بالمعنى الشائع بلا شك (٢٢٠٥) ، أم أشخاصاً مطلقي الصلاحية ممن ينظمون الهدنات وأفدية الأسرى (٢٢٠٦) والجواسيس (٢٢٠٧) ، ومستكشفي بعض الأماكن المقدسة ، خاصة كهف أصحاب الرقيم الشهير ، الذي أنفذ اليه محمد بن موسى الخوارزمي (٢٢٠٨) .

مع ذلك يظل السؤال التالي مطروحاً : هل يرتبط الخبر ، الوارد من الاتجاه الذي يهمنا هنا ، أي من بيزنطية الى دار الإسلام ، بالمعاش وحده أم بالكتب أيضا ؟ وهل كان الأسرى ، ونكتفي بهم ، (٢٢٠٩) ، يتعلمون اللغة اليونانية ، وهل كانوا يقرؤونها أحيانا ؟ وبوجه أعم ، هل يجوز أن تكون المبادلات الناشئة عن الحرب أو الهدنة ، قد أدت الى انتقال بعض معطيات الأدب البيزنطي الى المعارف العربية الإسلامية ؟ ويعطي الجغرافيون العرب جدولاً بالتقسيمات الإدارية في الأمبراطورية البيزنطية ، فهل جاؤوا به من جمع المعلومات الشفهية أم نقلوه من كتب نظرية للإدارة الأمبراطورية (٢٢١٠)؟ ألا يمكن أن تستلهم التأملات في الملاكات العليا من الإدارة البيزنطية وفي الضرائب والهبات من كتاب تكتيكا Tactica تأليف ليون السادس أو كتاب دي سيريمونييس De Cerimoniis تأليف قسطنطين السابع البورفيري (٢٢١١)؟.

تنتظر هذه الأسئلة أجوبة ، وربما انتظرت الى الأبد . لنلاحظ على الأقل أن معطيات مؤلفي الجغرافية، مهما كان أصلها، تتناول قرناً من التاريخ البيزنطي ونيفا : فمسلم الجرمي تحرّر عام ٢٣١ هـ / ٨٤٥٤ م (٢٢١٢)، بالتالي لابد أنه عرف ، عندما كان أسيراً في القسطنطينية آخر السلالة الأمورية (ايزورية) مع الأمبراطورين تيوفيل وميشيل الثالث (٨٢٩ — ٨٦٧) . فأبن خرداذبه ، وابن الفقيه ، وقدامه ، والمسعودي ، وحتى كتاب حدود العالم في آخر القرن ٤ هـ / ١٠ م يعكسون من خلال الجرمي أحداث هذه الحقبة من تاريخ بيزنطية . وتشكل السلالة المقدونية من باسيل الأول الى رومان الثاني (٨٦٧ — ٩٦٣ (الإطار الزمني لما أخذه ابن رسته من معلومات من هرون بن يحيى (٢٢١٤ ((لكن يستغرب في الواقع عدم ورود هذه الحقبة في بعض المقاطع التي ننتظرها فيها) (٢٢١٥) . أخيرا ، تعتبر الثغرة المفتوحة في السلالة المقدونية بملكي نيسيفور فوقاس وجان تزيميس (٩٦٣ — ٩٧٦) فترة المقدسي وخاصة ابن حوقل ، الذي يحيل عنده جدول سورية الشمالية ، بكل وضوح ، الى فتوحات هذين الأمبراطورين (٢١١٦) .

ونختم هذه التمهيدات بملاحظة واحدة لاتتغير في الحقيقة . فنحن لانتوخى هنا بالتخصيص ، بأخذنا محل المؤرخين ، أن ننقد هذه النصوص . ففيما عدا بعض الاستثناءات ، نعطيها على علاتها ، كشواهد على ذهنية معينة (٢٢١٧) ، مع العلم أن التاريخ في بعض الأحيان له محنه في الصورة التي نأخذها عن بيزنطية ، كما سيتاح لنا أن نرى .

بيزنطية قريبة ونائية

نعجب أولاً لأن المعرفة بيزنطية سيئة ، أو بالأحرى لأنها معروفة

من زاوية معينة فقط ، على الرغم من وفرة الأخباريين . ولنوضح فكرتنا ، نقول بأن ابن حوقل يجمع معلومات رصينة ، ويذهب بنفسه الى أرض الروم ، أو على الأقل الى تخومها (٢٢١٨) ، مع ذلك يقر في حديثه عن الأنهار : « قد صورت غير نهر من أنهارهم فيما دون الخليج الى نواحي الثغور ، وليس جريها على ماوصفته في الصورة وشكلته ، لكنني تحريت أصل مخرجه الى حيث مصبه فشكلته على ذلك » (٢٢١٩)

تعطي هذه الجملة فكرة عن « معرفة سيئة » بمجمل بلد الروم ، وعن تحفظ عام في التدوين ، عندما يتعلق الأمر باثارة الواقع المحسوس . وتتفاقم هذه الخاصة ، لاسيما اذا جابهناها بالتفاصيل الكثيرة ، التي تقدم لنا عن تنظيم هذه المملكة بالذات ، وعن دوائرها الإدارية أو أعمالها وماذا يعني هذا إن لم يكن أن البلد يتلاشى أمام السلطة . ؟

هل السبب في ذلك أن نموذجا بيزنطياً معيناً في التنظيم والإدارة والفعالية يفعل مفعولاً سحرياً ؟ أم أن حلم الفتح ينطوي في البداية على معرفة أجهزة الخصم الحكومية ؟ السببان واردان بلاشك . في جميع الأحوال ، يدفع السبب الثاني الى التدقيق فيما قلناه من قبل (٢٢٢٠) ، عن هذه النقطة الخاصة ، فيما يتعلّق بالتحقيق الجغرافي ،الذي لايحيد كثيراً عن مناهجها العادية لكنه ينم عن نوايا المجتمع والعصر ، هنا أكثر من أي قطاع آخر من حدود دار الإسلام الشاسعة .

ويحيرنا موضوع ثاني : فهذه الأمبراطورية القريبة والقريبة جداً ، نائية في الوقت ذاته بقدر مماثل . فمن الجانب الآخر لخليج القسطنطينية، تبتعد عن حدود الإقليم الرابع لتلامس الإقليم السابع ، حتى تصل الى بلدان توليه والأراضي الغامرة في الشمال ، فتنتشر على هذا النحو على

جانب كبير من أروفى العصور القديمة . يقع في صميم نواحي الجدي (٢٢٢١) وفي بلاد الروم الثلج والمطر دائم الشتاء والصيف ، على الأقل في بعض الأماكن : ولا يقدر أهلها على دياس زروعهم وتذريتها ، وانما يجمعونها في البيوت في السنبل ، فيخرجون منها بقدر حاجتهم ويفركونها بالأيدي (٢٢٢٢) .

ولها الاتساع الهائل ذاته حسب خطوط الطول . فتمتد أمبراطورية الروم من بلدان الترك وأرمينية أو الجرزان حتّى الأندلس ، وتغطي أحيانا مثلما قلنا ، أوربة الغربية ، وحتّى جزءاً من الصقالبة (٢٢٢٣) في الحد الأدنى . ولن نقوى على نسيان الجزر (٢٢٢٤) . ويذكر ابن خرداذبه (٢٢٢٥) أن سقلية لاتزال ، خلافاً للتاريخ ،بيزنطية ويشدد المؤلفون على وقوع الجزر الثلاث الأخرى ، رودس واقريطش وقبرس، تحت سلطة القسطنطينية في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. فرودس التي احتهلتها الفرنجة (٢٢٢٦) فيما مضى ، تحوي منشآت بحرية عدوة . وانتزعت دار الإسلام من « الفرنجة » ذاتهم اقريطش ، ثم خسرتها ، واستولى عليها الروم (٢٢٢٧) : فمن المسعودي الى ابن حوقل ، نطلع على سيطرة المسلمين على هذه الجزيرة التي بدأت عام ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م ، ثم على الغارات البيزنطية عليها التي مهدت لإعادة فتحها على يد نيسفور فوقاس منذ عام ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م (٢٢٢٨) . ويرثي ابن حوقل لمصير اقريطش رثاءاً مراً جداً ، لاسيما أنها بقيت منذ فتحت بأيدي المسلمين لهم ولم يكن للنصرانية فيها مدخل (٢٢٢٩). وفي جميع الأحوال ، تضمن للإسلام جميع الانتصارات الممكنة ، لو تمسكت دار الإسلام بمثلها الأعلى بالحفاظ على المواقفة بين أهلها .

وفي البداية كان الوضع مختلفاً في قبرس . ذلك أنها قسمان : نصف للروم ونصف للمسلمين ، والنصارى في الشقين . إلا أن قبرس كان لهيبها لايفتر في نظر الروم الذين لا يسعهم الصبر على هذه القاعدة العدوة الواقعة على خطوتين من سواحلهم ، لاسيما أنها غنية بالحبوب والحرير والكتان والصمغ خاصة . فطمعت بها القسطنطينية ، وشجعت انشقاقات دار الإسلام أطماعها مرة أخرى . وانتهت غارات الروم بالاستيلاء عليها في عهد الأمبراطور نيسفورس فوقاس (٢٢٣٠) .

بيزنطية في آسية

اذن رقعة بيزنطية شاسعة في البر والبحر معاً . ومع ذلك . . . كل أوربة البيزنطية ، وكل بحر الروم لا يوازيان البتة الباقي ، نقصد الأناضول،الذي تتربص فيه دار الإسلام . لا شك أنه لا عجب أن يرى المسلمون بيزنطية من جانبهم وبها آسية الصغرى في المقدمة والقسطنطينية في الأفق البعيد ،كالحلم الأخير .لكن ينطبق هذا المنظور الطبيعي جداً ، مع واقع بيزنطية التاريخي بالذات : فقد ضغط توسع الصقالبة عليها من ناحية أوربة ، وأصبح مصيرها يميل تدريجياً نحو الأناضول ، الذي ينازعها عليه آخرون ، لكنها تضطر إلى الاستناد عليه بشدة أيضاً ، وان تتمثل فيه(٢٢٣١) .

وبذا أصبحت المملكة آنذاك أسيوية ، أكثر منها أوربية بكثير . وهذا صحيح في واقع الأحداث وفي منظور دار الإسلام . ونؤكد على هذه الناحية ، ونكتفي بها لأنها موضوع هذا الكتاب : فكل شيء عند مؤلفي الجغرافية ، المسالك والمدن والتنظيم الإداري ، يجتذب بيزنطية إلى جهة آسية ، سواء نظرنا إلى حجم المعطيات أو إلى تأصيل الوصف .

وإذا استثنينا العاصمة وحدها ، لا توضع أووبة على الخريطة إلا بشكل عام — وغامض جدا — وكنتيجة أو استطراد : وسوف تتضح تلقائياً جميع هذه الأمور ، مثلما سوف نرى ، ولن نحتاج إلى الإلحاح عليها في كل مرة . أما الآن فنورد ملاحظتين فقط ، أو قل رأي مؤلفين اثنين .

وتوصف الطبيعة وصفاً عاماً فقط ، تتكرر فيه مواضيع الازدهار الزراعي أو الحرفي ، والمدن والحصون (٢٢٣٢) . ويتعمق جغرافي واحد في التفاصيل ، هو ابن حوقل(٢٢٣٣) ، الذي يقول : « وجل مملكتهم جبال وقلاع وحصون ومطامير وقرى في الجبال منحوتة وتحت الأرض منقوبة . وقد استولى الخليج الآخذ من القسطنطينية إلى اطرابزندة على أكثرها . وليس هناك مدينة مشهورة إلا ما وصفته وحددته ، ومياههم كثيرة وغزيرة ، وليس تمر على وجه الأرض ، وانما تتغلغل بين الجبال على غير قصد ولا استقامة سير » . فهل تتضح الأناضول بالقدر الكافي ضمن حدوده على الأقل الشمالية ، بمياهه ومنازل قباذوقية النموذجية ؟

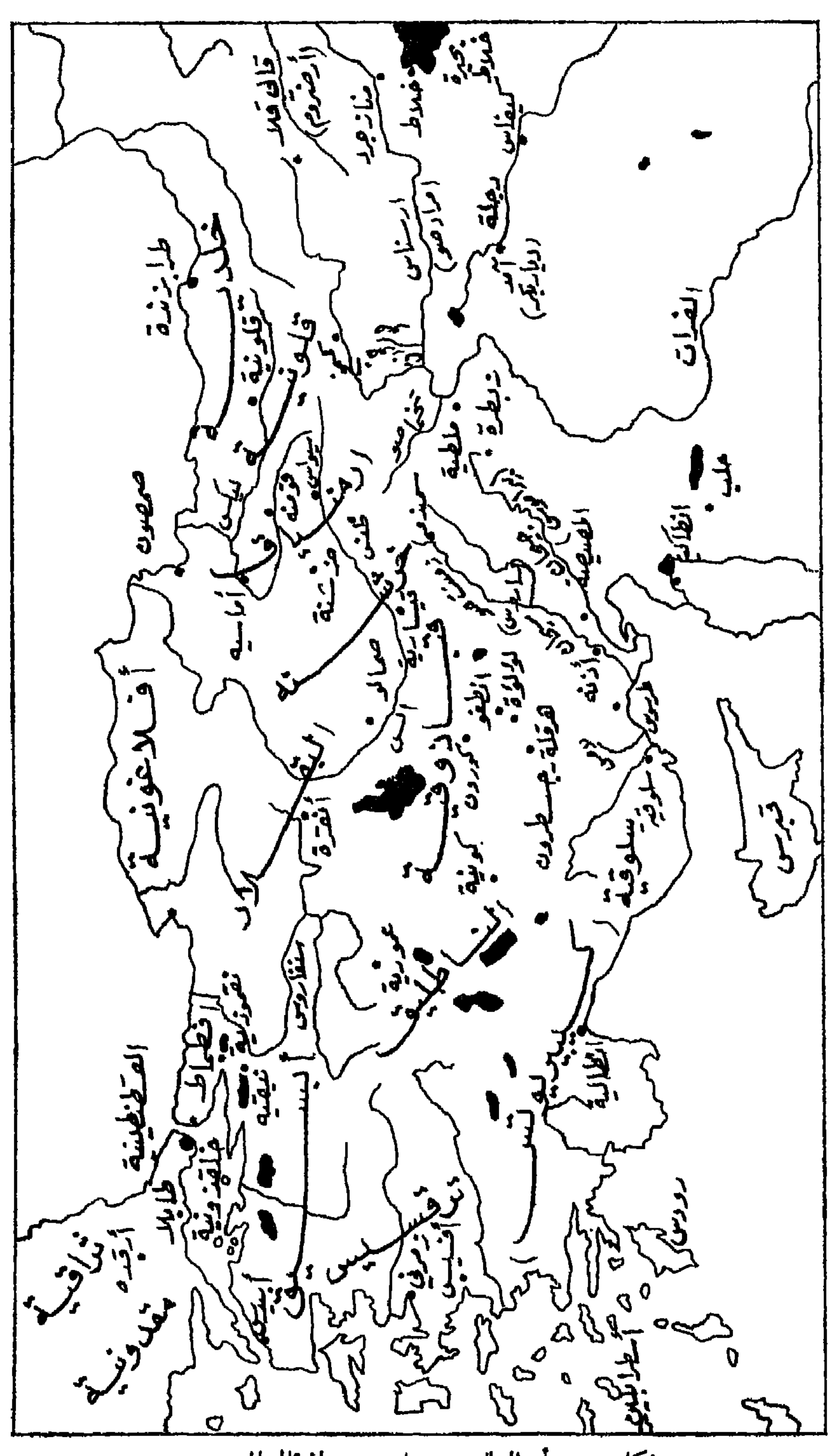
نصل الآن إلى كتاب حدود العالم المغفل اسم مؤلفه . فهو يعطي أسماء بحيرات واقعة في بلاد الروم ، إلا أن رسومها غامضة أحيانا ، منها بحيرة فارطة وبحيرة سماطى القريبة منها (شمال شرق قونية) وبحيرة نيقية وبحيرة الباسيليون(٢٢٣٥) . أما جبال الروم ، فيما عدا بلغاري ، فتتضافر كل البيانات لتدل على انها الحواجز الجبلية في الأناضول الشرقي(٢٢٣٦) . أخيراً الأنهار المذكورة هي بلغاري (مارتسا) الذي يحصل التباس بينه وبين القناة التي تسقي القسطنطينية ، وأهم منه نهر الكروم

(فيزيل ارماق) وصاغري (سكاريا) وروافدهما(٢٢٣٧) . وقطعاً ، تسود آسية الصغرى في جميع هذه المعلومات ، كما نرى .

بلاد الروم المنظمة : التقسيمات الإدارية (أعمال الروم)

نعرف أن العمل أساس تنظيم مملكة الروم منذ الملك هرقل (شكل ٣٠) ويعتبر تاريخ هذه المؤسسة مشكلة عويصة : فلم يتوقف عدد الأعمال وحدودها عن التبدل ، ولا توضح المصادر البيزنطية(٢٢٣٨) أو العربية الأمور على الدوام. في جميع الأحوال ، يرى مصنفو الجغرافية أن أسماء الأعمال ووصفها تنطوي أحياناً على رسوم غامضة وعلى تحديد مواقع تقريبي ، إضافةً إلى تشويه التاريخ بالاقتباس : فمن النصف الثاني من القرن ٣ هـ / ٩ م إلى آخر القرن ٤ هـ / ١٠ م ، قامت معطيات أخباري واحد ، هو مسلم الجرمي ، بالهام ابن خرداذبه وابن الفقيه ، وقدامه وكتاب حدود العالم . ويبدو أن المسعودي وحده ، تصرف بشيء من الحرية في بعض النقاط من هذا التقليد(٢٢٣٩) .

ولندخل في هذه المتاهة . ونتتبع أقدم الجغرافيين العرب ، ابن خرداذبه(٢٢٤٠) ، الذي يسير على هدي مسلم الجرمي ، ويذكر صراحة أنه دليله . فخلف الخليج ثلاثة أعمال . أولها عمل طافلا ، وهو بلد القسطنطينية ، وقد يحيل إلى تفروس ، أي الحفرة التي تحد السور الطويل ، وتعني بالتالي ريف القسطنطينية(٢٢٤١) . والعمل الثاني عمل تراقية ، وفيه عشرة حصون ، وحدوده السور وبحر الخزر(٢٢٤٢) وبلاد برجان ، وعمل مقدونية المجاور له ، وفيه ثلاثة حصون ، وحده من الجنوب بحر الشام ، ومن المغرب بلاد الصقالبة ، ومن الشمال برجان .



شكل ٣٠ — أعمال الروم من ابن خرداذبة الى المسعودي

ودون الخليج ، في آسية الصغرى ، يعدد أحد عشر عملاً على الوجه التالي عمل أفلاجونية وفيه خمسة حصون . وعمل الأفطي ماطي ، وتفسيره الاذن والعين (اذن وعين الملك طبعاً(٢٢٤٣) ، وفيه ثلاثة حصون ومدينة نقمودية وهي اليوم خراب . وعمل الأبسيق(٢٢٤٤) وفيه مدينة نيقية ولها عشرة حصون ، وهي قريبة من البحر ولها بحيرة عذبة فيها ثلاثة أجبل تحمل الذراري اليها اذا دهم خوف أهل المدينة . وعمل ترقسيس(٢٢٤٥) وفيه من الحصون أفسيس وهي مدينة أصحاب الكهف وأربعة حصون .وعمل الناطلوس (وتفسيره المشرق على حد قول ابن خرداذبه)، وهو أكبر أعمال الروم (٢٢٤٦) ، وبالتالي أقواها بوسائل الدفاع : مثل كثير من المدن الحصينة (ثلاثون ونيّف) وعمورية وعدد بروجها أربعة وأربعون(٢٢٤٧) . وعمل خرسيون ، يلي درب ملطية وفيه من الحصون خرشنة(٢٢٤٨) وأربعة حصون . وعمل البقلار(٢٢٤٩) ، وفيه مدينة أنقره وصمالو(٢٢٥٠) وثلاثة عشر حصناً. ويليه عمل الأرمنياق ، وفيه من الحصون قلونية وستة عشر حصنا . وعمل خلدية وحده أرمينية وفيه ستة حصون . وعمل ساوقية من ناحية بحر الشام إلى طرطوس واللامس ويتولاه « عامل الدروب »(٢٢٥١) ، وفيه من الحصون سلوقية(٢٢٥٢) وعشرة حصون . أخيرا عمل القباذق وحده جبال طرسوس واذنه والمصيصة : وفيه من الحصون قرة(٢٢٥٣) ، وحصين(٢٢٥٤) ، وانطيغو (٢٢٥٥) ، والأجرب(٢٢٥٦) ، وذو الكلاع واسمها جسسطرون ، وتأويلها « مناغية الكواكب»(٢٢٥٧) وأربعة عشر حصنا ومن المطامير(٢٢٥٨) : ماجدة(٢٢٥٩) ، وبليسة (٢٢٦٠) ، وملندسة(٢٢٦١) ، وقونية(٢٢٦٢) ، وملقوبية (وتفسيرها

مقطع الارحاء تقطع حجارة الارحاء من جبالها (٢٢٦٣) . وتواله(٢٢٦٤) وباربوا(٢٢٦٥) وسالمون(٢٢٦٦) .

يعود تاريخ نسختي ابن خرداذبه إلى حوالي ٢٣١ هـ / ٨٤٦ م و ٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م ، فتكون النسخة الأولى قد كتبت بعد مرور عام واحد على تحرير مسلم الجرمي من الروم(٢٢٦٧) ، والعام الواحد فترة زمنية قصيرة جدا لا يمكن أن يكون ابن خرداذبه قد استطاع الاستفادة خلالها من معطيات الجرمي ، لكي تنحصر الإفادة في النسخة الثانية . وهذا يعني أن ابن خرداذبه ينقل لنا في آخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي معلومات عن بيزنطية تعود إلى خمسين سنة خلت في الحد الأدنى : والبرهان لوحة مدينة عمورية ، المشار اليها من قبل ، في حين أن الجيوش الإسلامية استولت على هذه المدينة ودمرتها عام ٢٢٣ هـ / ٨٣٨ م . اذن لا بد من الاحتراس من ناحيتين : ذلك أن ابن خرداذبه يفقد الأثر أحيانا عندما يحيل هنا وهناك إلى معطيات عصره(٢٢٦٨) .

فاذا سلمنا بأن جدول أعمال الروم ، الذي يقدمه مسلم يعود إلى ما قبل ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م ، اضطررنا إلى العودة إلى فترة أولى من إحداث الأعمال وتنظيمها ، تمتد من أوائل القرن السابع ، مع هرقل ، حتى آخر ملك تيوفيل عام ٨٤٢ م . وأول ملاحظة لا تفاجئنا هي أن الأعمال الأوربية ليست جميعها معروفة : ففيما عدا أعمال الجزر ، تنقص قائمة مسلم أعمال اللاس وسالونيقية ويلبونيسة ودراخيوم وسقلية (٢٢٦٩) مع ذلك لا يجوز أن نتوهم(٢٢٧٠) ، فقد أفسد التوسع الصقلبي أو العربي (في صقلية) أهمية هذه الأعمال ، وهي لا تؤثر في جميع الأحوال في تفوق الأناضول ، مثلما سوف نرى فيما بعد .

واذا كانت قائمة مسلم ناقصة . فعمل طافلا غير وارد في المصادر اليونانية . لاشك أنه ينبغي أن نفهم أن الإدارة العسكرية في الأرباض لاتتبع تراقية ، بل صاحب الحرس والعاصمة ذاتها (٢٢٧١) . أخيرا يجهل جهلا تاماً أعمال البحار (٢٢٧٢) .

بقي أن نتحدث عن آسية الصغرى ، أي القسم الأساسي أو أحد عشر عملا . فجدول مسلم لما يعوزه التزامن : فلا أثر لديه للتجزئة التي اتسم بها تطور هذه الخلايا الإدارية (٢٢٧٣) في معظم الأحيان . ولعل الإشارة الى وضع سلوقية الأصلي هي الحالة الوحيدة التي يلمح فيها من طرف خفي الى تاريخ العمل : الذي شكل في البدء هو والقباذق وخرسيون كليسوره Kleisourai (بلدان دروب ، ممرات) قبل أن يصبحوا أعمالاً (٢٢٧٤) . فيما تبقى يعطي إحصاء قائمة مسلم وضعاً كأنه وضع ملك الأمبراطور تيوفيل (٨٢٩ — ٨٤٢) . مع ذلك نجري تحفظاً واحداً هو نقص كيبيرريوتس Kibyrrheotes ، وإن كان هذا العمل على حدة وبحري في جوهره ، فلا يبالي مؤلفو الجغرافية به على هذا الأساس (٢٢٧٥) .

أعمال الروم بعد ابن خرداذبه

يحذف خلفاء ابن خرداذبه من جدول مسلم أو يزيدون عليه . ويحوله كتاب حدود العالم الى قائمة أسماء (٢٢٧٦) . أما قدامه فأطرف من كتاب الحدود (٢٢٧٧) ، ويذكر أن والي تراقية يعرف . بالاصطرطيقوس وجنده خمسة آلاف رجل (٢٢٧٨) .

ويعدد قدامة الأعمال في الأناضول ، ويحدد عدد جندها ويقال

من المدن . فيذكر من الجند عشرة آلاف رجل في آفلاغونية . وأربعة الآف رجل في عمل الأبطباط . ويفسر هذا القلظ باللغة العربية نقلا عن ابن خرداذبه ، فيقول إنه يعني الاذن والعين لأن هذا العمل « سرة بلاد الروم » ، وليس أهله أصحاب حرب لأنه لايبلغ اليهم مغازي المسلمين ولا غيرهم . ثم يلي عمل الأبسيق (وجنده ستة آلاف رجل) ، ثم يلي عمل الطرقسيس (وجنده ستة آلاف رجل) . ثم يليه عمل الناطليق (وجنده خمسة عشر الف رجل) ، ويصحح ابن خرداذبه ، ويذكر أن المعتصم فتح مدينة عمورية . ويليه عمل ساوقية (وجنده خمسة آلاف رجل) (٢٢٧٩) . ثم يليه عمل القباذق (وجنده أربعة آلاف رجل) . ثم يلي ذلك عمل خرشنة (وجنده أربعة آلاف رجل) . ثم يليه عمل البقلار (وجنده ثمانية آلاف رجل) ، وعمل الأرمنياق (وجنده أربعة آلاف رجل) ، ثم عمل الخالدية (وجنده أربعة آلاف رجل) . فجميع جيش الأحد عشر عملاً التي مقابلاتنا (٢٢٨٠) سوى من لامعول عليه ، وانما هو ممن يجيش ، فارساً وراجلاً ، سبعون الف رجل .

يتفوق ابن خرداذبه باطلاعه على المدن والحصون ، وقدامه . باحصاءاته من الأعمال وتحديد مواقعها . أما كتاب ابن الفقيه (٢٢٨١) فبين ابن خرداذبه وقدامه زمنيا ويعتبر مجملاً . وبذا نصل الى قضية عويصة على الدوام ، هي قضية انتقال التصانيف ومصدر معلوماتها . فرواية مسلم الجرمي ، مثلما نعرفها من ابن خرداذبه ، واردة عند قدامه وعند ابن الفقيه (٢٢٨٢) ، لكن ، كما قلنا ، مع بعض التباينات زيادة أو نقصانا. فمن أين الزيادة والنقصان؟ففيما عدا احتمال

أن هذين المؤلفين الأخيرين قد اطلعا على كتاب ابن خرداذبه (٢٢٨٣) في نسخة مختلفة قليلاً عن النسخة التي وصلتنا ، يجوز لنا أن نفكر بأخباري آخر ، كهرون بن يحيى في هذه الحالة ، الذي نعرف أن الجيهاني أفاد منه ، وحذا حذوه ابن الفقيه وقدامه (٢٢٨٤) . لكن تثير هذه الفرضية قضايا تاريخية شائكة ، مع ذلك لا يمكن رفضها ، وهي توضح في جميع الأحوال الفوارق بين ابن خرداذبه وخلفيه .

مهما يكن ، لايغير احتمال تدخل أخباري آخر غير مسلم الجرمي ، شيئاً من تعداد أسماء أعمال الأمبراطورية ذاتها . وقد رأينا أن بعض المعلومات فقط تبدلت من ابن خرداذبه الى قدامه ، وكذلك ترتيب عرض الأعمال . ويتبع ابن الفقيه قدامه في عرض الأعمال ، ويجمع معطياته مع معطيات ابن خرداذبه ، ويضيف معلومات شتى من عنده ، شيقة جدا (٢٢٨٥) في الغالب ، ويجري بعض التعديلات على الإحصاءات ولندقق هذه التجديدات .

فأكثر ما في بند طافلا ، ضياع للملك والبطارقة ، ومروج المواشي . ويقيم اصطرطيقوس تراقية في ارقله (اركاد يوبوليس) ، ويقيم اصطرطيقوس (٢٢٨٦) مقدونية في باندس (٢٢٨٧) ، وجنده خمسة آلاف رجل ، واصطرطيقوس بند فلاغونية (جنده خمسة آلاف رجل) في ايلاي ، وهي رستاق تلحق به قرية اسمها نيقوس (٢٢٨٨) . والأفطماط في خدمة الملك (٢٢٨٩) . ويقيم اصطرطيقرس عمل الأبسيق في بطنه (٢٢٩٠) . واصطرطيقوس عمل ترقسيس في الوارثون ، وجنده عشرة آلاف رجل (٢٢٩١) ، واصطرطيقوس عمل الناطلوس في مرج الشحم (٢٢٩٢) يساعده ثلاثة طرموخين (٢٢٩٣) ويعطى

تفصيل هام عن عمل سلوقية : فاسم صاحب عملها كيليرج الذي يوحي ، ولو من بعيد جداً ، بكلوسرقس ، يعني « صاحب الدروب» (٢٢٩٤) أو « وجه الملك » (٢٢٩٥) ، وهو منصب أدنى من منصب أصطرطيقوس . ويوجد صاحب دروب أيضا في عمل قباذق (٢٢٩٦) وعمل خرسيون وخرشنة مركز هذا العمل الأخير الذي يحوي أربعة حصون ، لعلها الحصون التي يشير اليها ابن خرداذبه دون أن يسميها (٢٢٩٧) : صارخة ، رمحسو ، باروقطه ، ماكثيري (٢٢٩٨) .

ونعود الى الاصطرطيقوس في عمل البقلار مع طرموخين (٢٢٩٩) وفي عمل الأرمنياق (٩٠٠٠ رجل ، ثلاثة طرموخين ، مركزه اماسيه) (٢٣٠٠) ، وفي عمل خلدية (١٠٠٠٠ رجل ، طرموخانان ، مركزه اقريطة) (٢٣٠١) .

ويختتم ابن الفقيه بهذه الألفاظ حرفياً (٢٣٠٢) : « هذه إذن جميع الأعمال البرية التي نعرفها في الروم . ويحكم كل عمل منها ، بتفويض من الملك ، والي يدعى اصطرطيقوس ماعدا عمل الأفطى ماطى ، واليه الدمستق (٢٣٠٣) ، وسلوقية وخرسيون وواليهما صاحبا دروب » . ولا بد أيضا ، مثلما رأينا منذ قليل (وحسب ابن الفقيه نفسه) من إضافة وجود صاحب دروب في قباذق ، والقومس الذي لا يعد قائد ترقسيس ، كما يظن المؤلفون الجغرافيون فيما يبدو ، بل قائد ابسيق (٢٣٠٤)، أخيراً ، تكتمل قائمة إدارة الأعمال بهذا التدوين النهائي : « يعين في كل حصن للروم ، على الدوام ، رجل يدعى برقليس ، يحكم بين أهله » (١٣٠٥) .

ونحن ننهي بحثنا فنقول : أغنى ابن الفقيه ، قبل قدامه معطيات

رواية مسلم – ابن خرداذبه ، إغناءاً هاماً (٢٣٠٦) وفاقها كثيراً .
ولعله استعان بمراجع تختلف قليلاً عن مصادر قدامه ، سمحت له
أن يشير الى الصراعات الدينية التي أثارت طائفة بوليسيي آسية الصغرى
(٢٣٠٧) ضد السلطة الأمبراطورية . مع ذلك تحيل جملة النصوص
المدروسة حتى الآن ، والخاصة بقائمة أعمال الأمبراطورية بالذات ،
الى وضع يعود الى منتصف القرن ٣ هـ / ٩ م : (١٣٠٨) فلا جدوى
من تفتيشنا عند ابن الفقيه الذي ألف حوالي ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م ، أو
عند قدامه (بعد ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م) ، عن بعض آثار التغييرات التي
طرأت بين الفترة التي يحيلون اليها والفترة التي يكتبون فيها (٢٣٠٩) .
ويضطرنا الفارق المتبدل فيما يبدو الى المثابرة على التفتيش عن هذه
الآثار في النصوص الجغرافية : ربما عند المسعودي .

بنود الروم (أعمال الروم (عند المسعودي)

يعطي المسعودي لائحة بنود الروم (أعمال الروم) في كتاب
التنبيه والإشراف (٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م) :وتمثل هذه القائمة في الحقيقة
آخر ماقدمه مؤلفو الجغرافيةعن هذا الموضوع ،اذا رفضنا بحق،أنْنأخذ
بعين الاعتبار التعداد البسيط الوارد في حدود العالم (٢٣١٠) . ففي
منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، طرأت تعديلات
متنوعة على بنية مملكة الروم في الأناضول: منها على وجه التخصيص:
ترقية كليسورات القباذق وخرسيون وسلوقية الثلاثة الى بنود . فيما
تبقى ، اذا أغفلنا إحداث كليسورات أخرى . تعتبر نويات بنود جديدة،
وتغيير حدود الدوائر الإدارية المتسمة بالتحول ، أمكننا أن نلخص
النواحي الأساسية على الوجه التالي :قُسِّم عمل ارمنياق الى بندين هما

سيواس وقلونية ، إلا أن اندفاع الروم في آسية الصغرى أدى أيضا الى نشوء بنود أخرى : في الجزيرة ، في عهد ليون السادس (٨٨٦ — ٩١٢) وليكندس (حوالي ٩١٤) ، وليونتقومس الغامض جداً (بين ٩١٣ — و ٩٣٥) ، وأخيرا بين ٩٣٦ و ٩٥٢ ، خربزيكيون ، واسموساتن ، و خوزانون ، وقالي قلي (٢٣١١) .

لاشك البتة أن المسعودي يعرف رواية مسلم — ابن خرداذبه : فهو يذكرها في كتابه (٢٣١٢) . إلا أن لائحته (٢٣١٣) تكرر قائمة أسماء معروفة،لكنها تنطوي على طرائف لايجادل أحد بها . منها أولاً التسميات:فقد دعيت التقسيمات الإدارية الرومية بنوداً، والبند يعني اللواء : أي العلم الكبير أو الجند المنضويين تحته أو أخيرا الجيوش في معسكر أو مدينة أو بلد (٢٣١٤) . ويقارن المسعودي بنود الروم بأجناد الشام ، إلا أن بنود الروم أوسع من هذه الأجناد وأطول ، على حد قوله . لاشك أننا نستطيع أن نصحح هذه المعطيات، ونبرز بأن البند ليس العمل الذي يجمع باعتباره فيلقاً (٢٣١٥) ، جميع بنود دائرته الإدارية . لكن على الأقل يمكن أن نقدر أن المسعودي يشعر جيداً بتسميته المجازية بصفة العمل العسكرية الأساسية، التي يرمز لها قائده المسمى الاصطرطيقوس .

ويبدأ المسعودي عرض التقسيمات الإدارية بـ « افتي ماتى » ، ويقول إنه بند « الناطليق » ، وهذا سهو بسيط إذ إنه لن يلبث أن يعود الى الناطليق بعد قليل . والناطليق أعظم بنود الروم ، وفيه عمورية ، وهرقلة (٢٣١٦) ، وغصطوبلى . وفيها يقوم سوق البخور

في السنة مرة . ويمتد بند نيقية أو ابسيق من مدينة غصطوبلى الى خليج القسطنطينية ثم يأتي بند ترقسيس الى غرب الناطليق (٢٣١٨) ، وفيه زمرني وخصوصا أفسيس مدينة أصحاب الكهف . وقد أخرج هذا البند عدة من العلماء والفلاسفة أو الأطباء مثل روفس .

ويبدو اسم البند التالي (نطليا ، وهي دقابلى) غامضاً جداً . فقد قرأه كارادي فو فنفولية ، وبروكز ، نطليا ، عوضاً عن ناطليق ، المذكور سابقاً (٢٣١٩) . ويقترح م . كانار (٢٣٢٠) أتاليا (انطاليا بالعربية) . ويعطي المسعودي اسماً آخر مقابلاً هو دقابلى (٢٣٢١) . ويعلن بأنه بند ضيق،وانحروب المسلمين عليه براً وبحراً.وفي آخر هذا البند عمل سلوقية، وحصن بوقية (٢٣٢٢) ونهر اللامس الذي يجري فيه الفداء بين المسلمين والروم : لاشك البتة أن الوصف يحيل الى البند البحري كيبريوتس مع كليسور سلوقية (٢٣٢٤) ، تحت اسم « عمل » (٢٣٢٣) .

ثم يلي بند قباذق مع قرة ، وبدقسي (٢٣٢٥) ، وحصن سلندو (٢٣٢٦) ، وذو الكلاع (واسمه بالرومية كبسطرة) (٢٣٢٧) ، وقونية (٢٣٢٨ (، ووادي سالمون (٢٣٢٩) ، ووادي طامسة (٢٣٣٠) . ثم يذكر المسعودي مطمورة تعرف باسم ماجدة (٢٣٣١) ، من قلعة لؤلؤة على نحو عشرين ميلا (٢٣٣٢) ، مما يلي الثغور الشامية .

ويفصل نهر الس (وتفسيره نهر الملح) بند قباذق عن بند بقلار ، وهو بند عمل أنقره ، وليس للروم أطول من بند بقلار هذا ولا أكثر رجالة منه (٢٣٣٤) ، إذ يصل الى بحر الخزر (مقصود البحر الأسود)

(٢٣٣٥) . ويقع بند الأفطماط بين بقلار وأبسيق ، وهو عمل نقمودية . وعلى طرفه في الخليج أقروبلي (٢٣٣٦) . ويمتد بند ارمنياق الى شرق (٢٣٣٧) عمل بقلار ، وهو عمل ماسية ، وآخره بحر مايطس (٢٣٣٨) . وفي طرف هذا البند عمل خرشنة ، كما أن عمل قلونية في طرف بند فلاغونية آخر بنود آسية الصغرى .

فبايجاز ، لدينا تسعة بنود وثلاثة أعمال ، التي ينبغي أن نفهم منها كليسورات طبعاً.وهكذا نعاد الى فترة سابقة للفترة التي كتب فيها المسعودي (٢٣٣٩) . مع ذلك ، تبدي قائمة بنوده ، مثلما استطعنا أن نلاحظ ، بعض الفوارق المحسوسة مع كل القوائم التي فحصناها حتى الآن . فاين يقف المسعودي والحالة هذه ؟

تحوي قائمة قسطنطين بورفيروجينيت في كتابه دي تيماتيبوس De Thematibus العائد الى حوالي ٩٣٤ — ٩٤٤ (٢٣٤٠) ، الأعمال التالية في آسية الصغرى : ناطليق ، ارمنياق ، ترقسيس ، أبسيق ، أفطماط ، بقلار ، أفلاغونية ، خلدية ، الجزيرة ، قلونية ، سيواس ، ليكندس ، سلوقية ، كبيريوتس ، أو ما مجموعه أربعة عشر عملاً.ويتجلى التوافق والتباين من المطالعة لأول وهلة: فبندا كبيريوتس وقلونية(قلونية بند أم كليسور)واردان عند المؤلفين الجغرافيين(٢٣٤١)، لكن على النقيض ، يبدي بروكس تفاؤلا جميلاً عندما يحصر الخلاف بين المسعودي والبورفيروجينيت في بندي سيواس وخلدية . وعمل خرشنة رائز آخر ، فاذا كان الكاتبان يربطانها بأرمنياق (٢٣٤٢) ، فان إدراجها في هذا العمل يتم مباشرة عند المسعودي ، لكنه يمر عند قسطنطين بعمل قباذق الذي يتبع في رأيه أرمنياق ، في حين يشكل عند

المسعودي عملاً آخر مستقلا (٢٣٤٣) . فماذا نستنتج ، إن لم يكن أن المسعودي يخلط الرواية القديمة ، ربما كانت رواية مسلم الجرمي ، مع معلومات أحدث منها ، إن كانت لاتصور ، ولا حتى من بعيد ، وضع عصره (٢٣٤٤) ؟

لعل موقف المسعودي يشبه ، في هذه النقطة ، رغم أوجه التباين في اللائحتين ، وضع البورفيروجينيت : ألا يرجع الأمبراطور الموسوعي : عندما يدخل خرشنة في قباذق ، وقباذق في أرمنياق — بلا دقة كبيرة أصلاً . إلى حالة سابقة قديمة جداً ، إذ إن خرشنة وقباذق انفصلتا باعتبارهما كليسورين عن عملي أرمنياق وأفطماط في عهد تيوفيل (٨٢٩ — ٨٤٢) (٢٣٤٥) . ؟

نكتفي بملاحظة أوجه الشبه المحدودة هذه بين الموسوعيين البيزنطي والمسلم ، ونأسف لها على علاتها ولا شيء سواه : فهي واضحة جداً لاتثير تساؤلاً أو قلقاً ، ومقتضبة جداً لاتثبت أمراً على وجه اليقين . فهل نلقى حظاً أفضل مع بنود أوربة (٢٣٤٦) ؟ وهنا يعمق المسعودي الفاصل بينه وبين أسلافه . فما عدا بنود طابلا وتراقية ومقدونية ، يذكر بندي بلبونيسة وسالونيقة . ويقول لنا عن بلبونيسة أن تفسير اسمها « الجزائر الكثيرة » أو « البلدان الكثيرة» (٢٣٤٨) ، وأن فيها مدن خرقيذية (٢٣٤٩)، ومثونية ، وقرنتو، وأخيراً إثينس،التي يعتبر الليسه فيها دار ارسطاطاليس. ويذكرنا بقدم سالونيقة(٢٢٥٠)-وهي مدينة عظيمة بنيت قبل القسطنطينية وبناها الإسكندر أيضا (٢٣٥١) — وبافتتاح اسطول المسلمين لها بقيادة لاون المكنّى بأبي حرب غلام زراقة (الطرابلسي) في البحر (٢٣٥٢) .

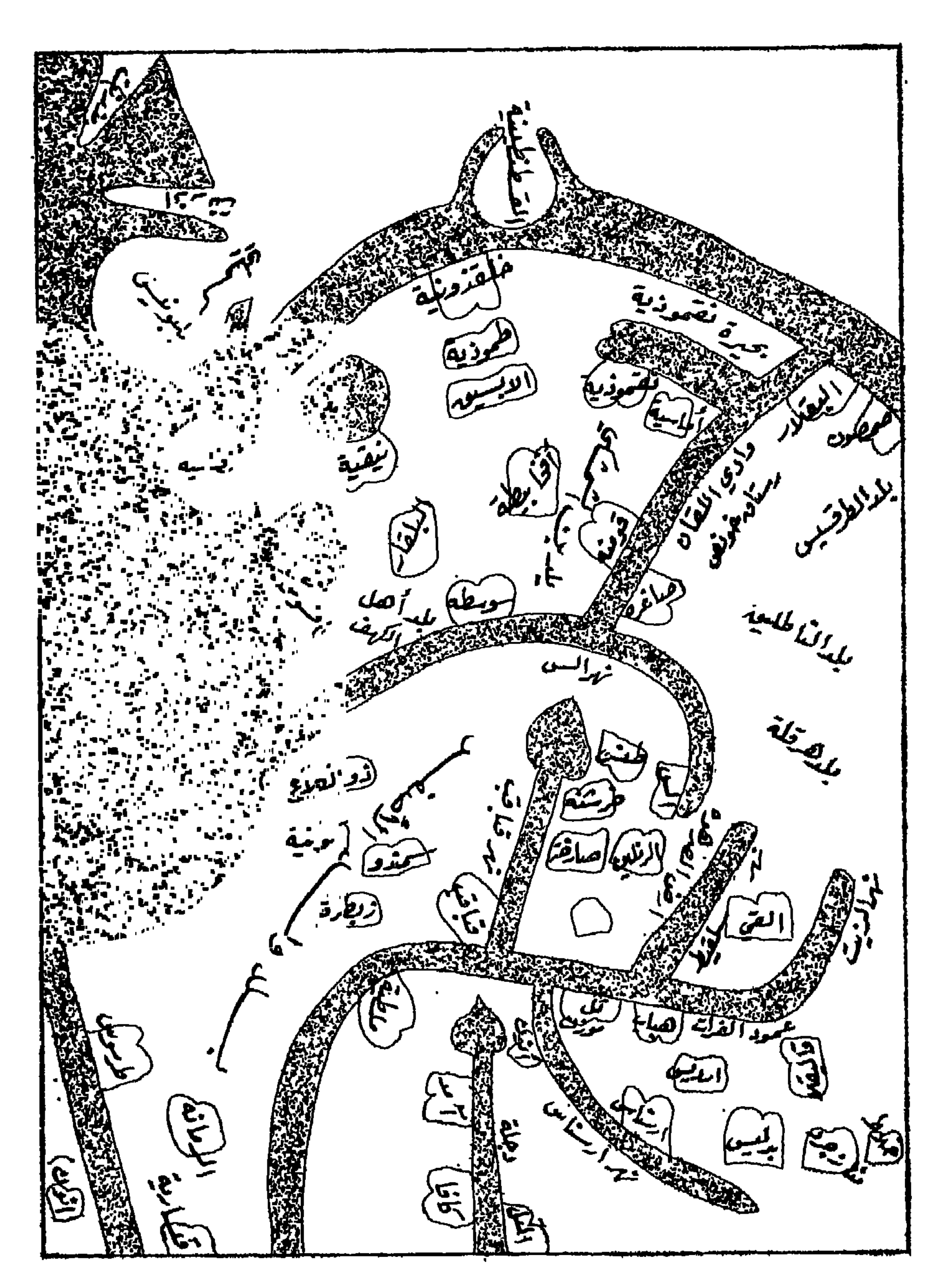
ولا شك أن هذه المعطيات لاتقلل من أهمية آسية الصغرى في عرض أعمال المملكة (٢٣٥٣) : إذ تبقى صارخة (٢٣٥٤) قلة الاكتراث بكل ماليس دار المملكة أو رقعتها في الأناضول . ولا ريب أيضاً أن معظم الأعمال (٢٣٥٥) ناقصة في القائمة الأوربية . مع ذلك يقرّب ذكر بلبونيسة أوسالونيقة المسعودي قليلاً من الواقع البيزنطي (٢٣٥٦) أكثر من أسلافه . إنما كيف نفهم « يقرب » ؟ ومن هو صاحب الفضل أو الحظ فيه ؟ هل هو مسلم أيضاً ، لكن في نسخة أوسع من النسخة التي نقلها لنا ابن خرداذبه ؟ أم أخباريون آخرون ؟ قطعاً ، أخباريون آخرون ، على الأقل في بعض النقاط ، إذ لن يكفي (١٣٥٧) مسلم وحده في هذه المواضيع . لكن من هم هؤلاء الأخباريون؟ هل هم — اذا جاز لنا القول — من تدربوا بأعداد كبيرة شفهياً ، كالأسرى والفضوليين والسفراء والجواسيس ؟ أم هم من أرادوا أن يذهبوا الى أبعد من الأخبار الشفهية ، ويصلوا الى الكتب والى « المفصلات » (٢٣٥٨) عن الأعمال التي كتب قسطنطين بورفيروجينيت أشهر نموذج منها ؟

محاولة كرتوغرافية : ابن حوقل

وحاول بعض الجغرافيين أن يثبتوا هذه المعلومات على خريطة مملكة الروم ، ومنهم ابن حوقل الذي كرر تجربته ثلاث مرات (٢٣٥٩) ، مرة أولى في صورة جميع الأرض ، ومرة ثانية في صورة المغرب ، بأوسع معانيه أي « بلدان المغرب » وبلد الروم ، ومرة ثالثة في صورة بحر الروم . ونقول فوراً بأننا لن ندخل في هذه اللعبة ، لأن العديد من الترددات والتناقضات من خريطة الى خريطة ، يحول

بيننا وبين رسم خريطة مملكة الروم التي يتجلى سوء رسمها ضمن حدودها وفي موقعها بالنسبة الى جيرانها . وما دمنا عاجزين عن تمثيل الصور الثلاث في صورة واحدة ، نكتفي باعطاء نموذج عنها (شكل ٣١) : هو بلد الروم وبحر الروم (٢٣٦٠) ، ولن نجازف بصنع كرتوغرافية إجمالية إلا على مستوى الأسماء . وهذا المستوى معقول جداً . ذلك أن أسماء الكائنات الجغرافية تتكرر أو تتكامل من خريطة الى أخرى ، دون هذه التناقضات التي تسم موقع وتمثيل هذه المخلوقات. ثم إن هذه الأسماء توضح نتائج الفرز الجاري — عفوياً أولاً — في الأسماء البيزنطية أو في لائحة الأعمال . وفي الحد الأقصى ، لاتهم الخريطة المرسومة ، التي نستفيد منها كثيراً مع ذلك في جعل المعطى (٢٣٦١) حسياً ، قدر ما يهم فهرسها أو التعليق عليها ، ولا تنطق مثلهما ، وينحاز أفضل تمثيل . وأفضل الرموز الى جانب اللغة، لأن اللفظ يحتوي جوهر الأشياء في حين لايوثق بالخط المرسوم .

فعلى خريطة صورة جميع الأرض ، لم يرسم من المملكة سوى نواحي اطرابزنده ، ونواحي مقدونية ، وبلبونس التي تتصل بالبر ببرزخ ، هو برزخ قرنتو طبعاً ، حيث يقرأ اسم كسميلي . وتعطينا الخريطة الثانية ، خريطة المغرب وبلد الروم ، تفسير هذه الكلمة ، فتقول : أرض بلبونيسة دورها ألف ميل (٢٣٦٣) ، وفيها أمم تنتمي للروم ، وبها نيف وسبعون حصناً ، ويضيق طرفها من جهة البر ويدعى (٢٣٦٤) بكسميلي ، ومعناه « ستة أميال » : طبعاً نسخ عن اليونانية اكس وميلي (٢٣٦٥) . ويضاف الى بلبونس ، على هذه الخريطة ، بند الناطليق ، وبند هرقلة (٢٣٦٦) وبحيرتا نيقية



شكل ٣١ – مملكة الروم حسب ابن حوقل

ونقموذية (٢٣٦٧) ، ونواحي (٢٣٦٨) أقليمية ، أي جبال طورس الغربية (٢٣٦٩) ، وأنطالية (أتاليه) (٢٣٧٠) وأرض الصرهوة (٢٣٧١) .

تكرر الخريطة الثالثة والأخيرة ، خريطة بحر الروم ، النص المعروف من قبل عن بلبونس . ووراء القسطنطينية ومجذونية وبعيداً عنهما ، وتتحدث بهذه النواحي عن غير أمة بلغة ولسان غير لسان من جاورها متصاقبين ومتجاورين على اختلافهم ونضالهم ، وبعضهم بطاعة عظيم الروم ، بل بعضهم بل جلهم وأكثرهم في غير طاعته ، والديانة النصرانية . : مرة أخرى أيضاً ، تبدو أوربة على هامش مملكة الروم . وفي هذه النواحي ذاتها ، جبل عظيم مستمر على الخريطة يقول نصها بأنه متصل بجبال أرمينية ويقطع بلد الروم ، فيصل فيه الى خزران وجبال أرمينية وجبل اللكام (الأمانوس) (٢٣٧٢) .

ويبدأ الساحل الآسيوي بخلقذونية . ويحدد بعدها نهران مجموعة من البلدان ، هما نهر السن الذي ينشأ عند مدينة تحمل اسمه ويصب في بحر الروم (٢٣٧٣) ، ووادي إلْقان ، ويتجه فرع منه الى البحر الأسود (٢٣٧٤) . ويقرأ بين القسطنطينية وبين مصب نهر السن ، حسب ترتيب الخريطة الكيفي : انطالية (٢٣٧٥) ، افسيس بلد أصحاب الكهف « وناحية اسمها اسطرابلين (٢٣٧٦) : إنها فيما يبدو استروباليا (أو استيباليا) ، عاصمة جزيرة تحمل الأسم ذاته،وتدخل فيعداد ققلادس الطرفية،الى غرب شمال غرب‌رودس (٢٣٧٧) واذا صعدنا نهر السن ، ثم نزلنا في وادي إلقان ، توالت سوسطة و « بلد بن الشمشكي » ، أي نواحي ارمينية المقابلة لاعمال

الجزيرة ، وخوزانون في المنطقة المحصورة في الواقع بين نهر الفرات ونهر ارسناس (مراد صو) (٢٣٧٨) . ثم تلي قومنة ، طبعاً قومنه البنطسية (٢٣٧٨) وماسية . واذا تعمقنا في البر ، من خلقذونية ، وجدنا نقموذية ، ونيقية وبحيرتيهما ، وطلموذية (٢٣٨٠) ، وأبسيق ، وبقلار ، وافخائطة . أخيرا على الضفة اليمنى لنظام نهري الس ووادي إلْقان ، من الأعلى الى الأسفل ، نجد « بلد هرقلة » (كبسطره : قباذوقية) (٢٣٨١) ، وناطليق ، وترقسيش ، وصاغرة (.٢٣٨٢) ورستاق خونص ؟، وعند مصب فرع آلس في البحر الأسود، بقلار الواردة في مكانين مختلفين . الى جانبه ، على الساحل ، كتب اسم تصعب قراؤته ، لعله صمصون (٢٣٨٣) .

ويجمع أوسع قطاع على الخريطة أقصى البلدان الشرقية من المملكة (٢٣٨٤) وثغورها . ويوحي لنا بأن جميع هذه الناحية في طاعة الروم، لأن تعبير بلد ولد الأصفر ممدود من نهر آلس الى طرسوس ، ويقصد به الروم (٢٣٨٥) . وتتوزع المعلومات الكرتوغرافية هنا على جانبي نهر الفرات ونهر دجلة (٢٣٨٦) بصورة ثانوية . ويلي « عمود الفرات » نهر الزيت (٢٣٨٧) الواقع في منتهاه . وينصب في ضفته اليسرى نهر ارسناس الذي يقابله نهر سلقط (خوزات صو) . وهو يرفد في الواقع ارسناس ، ونهر قباقب (توخماصو) (٢٣٨٨) . وتعطي الخريطة اسم القي(٢٣٨٩) بين «عمود الفرات» ونهر سلقط . وورد في البقعةالمحصورةبين نهر سلقط ونهر قباقب والس بلد(الصرهوة) (٢٣٩٠) ، وتنس (٢٣٩١) ، وخرشنة ، وصارخة ، والرنلين (٢٣٩٢) وكمخ (٢٣٩٣) . وفي الجانب الآخر من نهر ارسناس

وبينه بين « عمود الفرات » من المدن خلاط (٢٣٩٤) ، ومنازجرد (منتزيكرت) (٢٣٩٥) ، وقاليقلا (٢٣٩٦) ، وبدليس (٢٣٩٧) والارديس (٢٣٩٨) ، وارسناس (٢٣٩٩) ، وهباب (٢٤٠٠)، وتل موزون (٢٤٠١) . ونجد أبعد من ذلك ، من الأسفل، على ضفة الفرات اليسرى ، ملطية (٢٤٠٢) ، وآمد (دياربكر) ، وكافا (كفاس ، حصن كيفا) (٢٤٠٣) ، والتل (تل فافان) (٢٤٠٤) . وقد خرجنا من بلاد الروم بهذه المدن الثلاث الأخيرة . ويعيدنا اليها قطاع الخريطة الأخير ، حيث كتب بلد ولد الأصفر . ففيه ذو الكلاع ، كونية (٤٠٥) ، سمندو (٢٤٠٦) زبطره (٢٤٠٧) ، الرمانة (٢٤٠٨)، قيسارية (قباذوقية) (٢٤٠٩) وأخيرا طرسوس (٢٤١٠).

على وجه الإجمال ، نلقى كثيراً من الترددات ، والنواقص ، والأكاذيب الجغرافية . لكن لا يجوز أن نتأفف من خريطة ابن حوقل التي تعطي بيزنطية حصة الأسد ، اذا ما قورنت بالعديد غيرها (٢٤١١): أي مايقرب من ستين اسماً (٢٤١٢) للأعمال والنواحي والأنهار أو المدن نعني من الأسماء المتفرقة ، التي لاتستنفد الموضوع ولا تتبع نهجاً معيناً ، وكلها تشهد في عفويتها ومجانيتها بالذات ، على تمثل جغرافية الرجل الشريف لبعض المعارف الأساسية عن الروم : أي نوع من الطلاء الرومي اذا أردنا ، وعلى صحة هذه الحقيقة التي أشرنا اليها من قبل ، ويبرزها بوضوح كبير لأول مرة ، الرسم وأسماء الخريطة: مملكة الروم مملكة أسيوية في المقام الأول وعلى وجه التخصيص .

بيزنطية ، مدينة المدن و « نهرها »

تلقي قراءة النصوص الجغرافية الضوء على حدث رئيسي ، هو وفرة المدن.

لكن تتباين هذه المدن. فبعضها يرد ذكره في البنود،ويدعم الإدارة والدفاع (٢٤١٣) . وتدين مدينة اثينا فخر الفلاسفة القدامى التي انزلتها الإسكندرية عن عرشها ، بوجودها الى التاريخ (٢٤١٤) . وتوضح مدن أخرى وضع الثغور ، نكتفي منها بذكر (٢٤١٥) المصيصة واذنه وطرسوس وانطاكية . أخيرا تدل بعض المدن ببساطة على مراحل على الطريق الذي يجب — أو كان يجب — أن يقود دار الإسلام الظافرة إلى القسطنطينية (٢٤١٦) .

وتختلف جميع هذه المدن بوظائفها ، لكنها تتشابه بأنها تتحدد بدقة بإحدى الوظائف . وعلى النقيض ، لاتدين بيزنطية بتبرير ذاتها وبوجودهافي النصوص الجغرافيةإلالنفسها ، وكونهابيزنطية ، والمدينةباختصار . ويطلق (٢٤١٧) المسعودي عليها اسم بوزنطيا ، واسم القسطنطينية القديم ، ويضيف أن الروم يسمونها « بولن » ، أو « استن بولن » ، اذا أرادوا العبارة عنها أنها دار الملك لعظمها . ويتضح بجلاء الخطأ في معنى جذر استن بولن ، وكذلك تمجيد مدينة المدن .

ويذكر مؤلفوا الجغرافيةهذهالمدينةالفخمةبعناية تكفي لكي تثبت أن وجود المملكة ومصيرها هما وجود بيزنطية ومصيرها ، وأن عظمتها ، المعروفة أو المتخيلة ، تسجل في نظر دار الإسلام نهاية مسيرتها الطويلة نحو آسية الصغرى . فأولا وسطها خليج (٢٤١٨) هائل ، يبلغ طوله ٣٢٠ أو ٣٥٠ ميلا (أي ٦٠٠ — ٦٦٥ كم) (٢٤١٩) ، ويجري كهيئة « النهر » (٢٤٢٠) عند القسطنطينية ، ويستعير اسمها (شكل ٣٢) . ويأخذ خليج القسطنطينية من بحر بنطس ويبلغ عرضه في الموضع الذي يأخذ من هذا البحر ستة الى عشرة

أميال . (٢٤٢١) . ثم يضيق عند بيزنطية ، على مسافة ستين ميلاً من مدخله،فيصبح ثلاثة أو أربعة أميال(٢٤٢٢).وتقع ابدس(٢٤٢٣) على مائة أو مائة وعشرين ميلاً من بيزنطية ، وفيها عين ماء شهيرة ، تعرف بعين مسلمة (٢٤٢٤) ، الفاتح المسلم ، وكان نزوله عليها حين أتته مواكب المسلمين ، وفيها يصير الخليج بين جبلين ويضيق حتى يكون عرضه غلوة سهم (٢٤٢٥) ، ويحافظ على هذا العرض حتى مصبه في بحر الروم حتى إن الرجل يكلم الرجل على شطيه .

ويجري الماء جرياً في هذا النهر من الماء المالح ، وسواحله غنية ، عليها العمائر والمدن . زد انه متاهة تحوط بيزنطية بجميع تحصيناتها الطبيعية أو البشرية . فالتيارات الغريبة ، الشبيهة « بالمد والجزر » (٢٤٢٦) وجري الماء وتردده في أحد الطرفين ، من جهة بحر بنطس والماء الفاتر في الطرف الآخر ، وطول أو ضيق الخايج الجنونيان المبالغ بهما ، كل هذه الأمور تقلق وتحير المراقب (أو الفاتح) المتربص ، ويسهم كل شيء في تعقيد الوصول الى المدينة العجيبة ، المتوارية خلف مختنقاتها المتعددة وخلف الآفاق الأناضولية معاً . ويتحدث المسعودي (٢٤٢٧) عن البحارة الذين دخلوا الخليج أثناء غزوه ، فكتب جملة تنم عن سلوك يمليه ما يزيد عن القلق : « فلما أحسوا بنقص الماء ، بادروا بالخروج منه الى البحر الرومي : البحر الرومي أي البحر الحر ، والنجاة في عرض البحر ، بعيداً عن الشرك الذي تقبع فيه بيزنطية .

واستغل الناس هذه التحصينات ، وبالغوا في أمر « النهر » ، وحولوا شكله لصالحهم وضد مصلحة الغريب . وسواء حملت جرية الماء الى القسطنطينية أو أبعدت عنها ، فمدخلا الخليج الرئيسيان مغلقان.

فعلى بحر مايطس مدينة للروم تمنع من يرد في هذا البحر من مراكب الروس على وجه التحديد : إنها مسناة ، أو « الحاجز » (٢٤٢٨) . وفم هذا الخليج مما يلي بحر الشام ، ومنتهى مصبه مضيق ، وهناك صخرة عليها برج فيه سلسلة تمنع سفن المسلمين (٢٤١٩) .

ويكرر المسعودي في هذه الناحية نص ابن خرداذبه ، لكنه لايتحدث عن السلسلة ، ويبقي البرج وحده من آثار الأزمنة القديمة ، « في الوقت الذي كانت للمسلمين فيه مراكب تغزو الروم ، وأما الآن فمراكب الروم تغزو بلاد الإسلام » (٢٤٣٠) . وهكذا يميل التاريخ، بعد النهوض البيزنطي ، الى إثبات استحالة اقتحام التحصينات ومناعتها – التحصينات الطبيعية والبشرية – هذا بالنسبة الى الخليج ، عندما تؤخذ القسطنطينية اعتراضاً . أما مجابهة ، بمهاجمة النهر عمودياً ، فيذكر المسعودي ست عداوت « لمن يريد أن يذهب الى القسطنطينية من دار الإسلام مما يلي الثغور الشامية والجزرية وغيرها » (٢٤٣١) . وهكذا نرى أن البر ، أي الأناضول ، استعاد جميع حقوقه ، لكن مايحدث لهذه التحصينات يحدث لغيرها : فمن أصل العدوات الست المبينة، لعبت ثلاث عدوات ضد بيزنطية لصالح فارس ، ثم لصالح دار الإسلام التي تلقت تركتها ، تركة محاولات خيبت الآمال في التاريخ الغابر . أما العدوات الثلاث الأخرى ، فعلى النقيض ، تفتح أمام جيوش الروم طرق آسية الصغرى وبعدها آسية المسلمة ، وتستمر في فتحها . هنا أيضا ، اختارت الطبيعة والزمن معسكرهما .

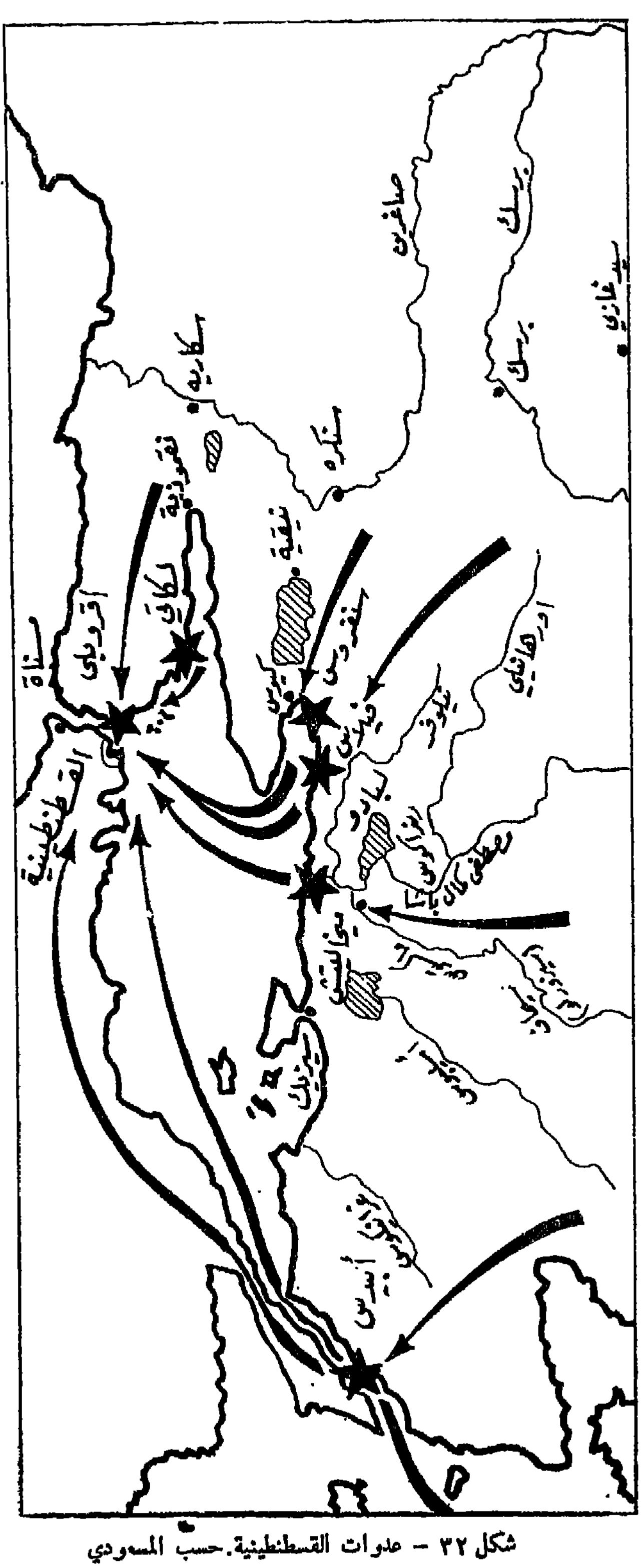
وتعرف العدوة الأولى (٢٤٣٢) باسم أقروبلى . وظل بيت نار قائماً فيها مدة طويلة ، يحيي ذكرى حصار سابور الساساني بن أردشير للقسطنطينية وأجرى بعده انوشروان نهراً ونصب عليه

أرحاء ، وأراد اغلاق هذا الموضع من الخليج بالحجارة وجرب الرمل ليعبر عليه ، فغلبه الماء لشدة انصبابه نرى أن أقروبلى تسقط في تاريخ لاحق ذكريات قديمة ، شوهت ، تعود الى عهد الاخمنيين (٢٤٣٣) : مثل مرور داريوس في طريقه الى تراقيه وأسقطية ، والعاصفة التي حولت الأسطول الفارسي عن مسيره في الحرب الميدية الأولى ، وعبور كسرى الدردنيل وشق برزخ اتوس

ويقال للعدوة الثانية الأفقاطي ، أي لوكاديون أو لوكاتي ، على نحو من ثلاثين ميلاً من العدوة الأولى ، وعرض الخليج هنا تسعة أميال . وتعبر عساكر الروم من هذه العدوة اذا أرادوا الخروج الى دار الإسلام (٢٤٢٤) .

وتعرف العدوة الثالثة بسنكرة ، وبينها وبين عدوة الأفقاطي ثلاثون ميلا . وعرض هذه العدوة اثنا عشر ميلاً . والمقصود هنا مدينة سنغروس على الساحل الشمالي من شبه الجزيرة الفاصلة بين خليجي نيقوميديا (ازميت) وكيوس (جمليك) ، أو أيضا على وجه أدق بلا شك ، في هذا الخليج الأخير . من هنا كانوا يذهبون الى مدينة نيقية(١٤٣٥)عبرمصب نهر سنغاريوس،مع مدينةسنكرة ثانية : لوكيه (لفكي) (٢٤٣٦) . وفي هذا المكان أيضا نستطيع أن نسمع أصوات الجيش الرومي ، الذي يشير ابن خرداذبه (٢٤٣٧) اليه ، عندما يخرج الملك ويعسكر بدوريله وهو مرج فسيح أخضر فيه نهر (بداهة تمبر) يخرج من عيون (٢٤٣٨) ويصب في صاغري أو سقري ، وبذا نلقي نهر سنغاريوس ومشارف مدينة نيقية .

وتقابل العدوة الرابعة ساحل تراقية . وتعرف بفيلاس ، التي تنطبق مع بيلاي اليونانية أي الأبواب أو المضايق . وبينها وبين عدوة



شكل ٣٢ – عدوات القسطنطينية.حسب المسعودي

سنكرة نحو من ثمانية أميال (١٥ كم تقريباً) وعرضها نحو من ٤٠ ميلا (٧٦ ك م) (٢٤٣٩) . وقد احتفظ المرسى المقصود باسمه ، لكنه تراجع الى الوراء في داخل البر ، وهو فيله ــ دار ، في حوض نيلوفر (٢٤٤٠) . في جميع الأحوال يبدو أن المسافة الواجب قطعها في البحر سبب من الأسباب التي تدفع الروم الى اختيار هذه الطريق لتعدية أسرى المسلمين اذا أرادوا بهم الفداء الى نهر اللامس في كيليكية : وهذه العدوة عريضة يرهب بها الروم الأسرى ، على حد قول المسعودي.

وتعرف العدوة الخامسة بلبادو.وبينها وبين عدوةفيلاس عشرون ميلا. وتسمع دار الإسلام ــ أو بالأحرى أسمعت ــ صوت الأسلحة هذه المرة.فقد حاصر القسطنطينية فيتاريخ الإسلام من هذه العدوة ثلاثة قواد مسلمون ، أولهم يزيد بن معاوية ، والثاني مسلمة ، والثالث هارون (الرشيد) الخليفة في المستقبل . إلا أن المسعودي أخطأ بالنسبة الى مسلمة والى هارون . فمسلمة عبر منابدس العدوة السادسة والأخيرة (٢٤٤١) . ووصل هارون الى البوسفور ذاته الى كريزوبوليس (٢٤٤٢) .بالمقابل، يعتبر ذكر يزيد أهم منهما . فجيوش غزوته العربية أمضت الشتاء في سيزيك ، ويبدو أن كل الأحداث تتفق تماماً لكي تضع هنا العدوة الخامسة ، لأن الأسم ذاته المعطى لها ، لبادو أو لوباديون ، الواقعة في نواحي بوغاز (٢٤٤٣) الحالية ، والمسافة التي تفصل بوغاز عن فيلاس عشرون ميلا (٣٨ ك . م) (٢٤٤٤) .

وهكذا يرتسم مشهد العدوات الرومية العام . فهو « رقعة بلد يمتد على وتيرة واحدة » . وهو مشهد تاريخي أو قديم : « يستعرض أبطالاً وأشخاصاً أسطوريين ، ونبذة تاريخية أو من قول مأثور ، وذكرى العصور القديمة » . وهو بطولي : « يمثل مكانا مختاراً نبيلاً .

وهو مزيج من المشاهد « نقل عن موقع معين أو وسط طبيعي ، ثم عدلته يد فنان وجعلته رائعاً » . وتنطبق جميع هذه التعاريف ، الواردة في معجم ليتريه الفرنسي ، على رؤية النصوص الجغرافية ، التي تعدد تحصينات بيزنطية وتمجيدها وتصفها ، وتشوهها أيضا أحيانا ، مستفيدة من نقص المعلومات الذي يخدم التخيل جيداً جداً . مهما يكن لاشيء عفويَ في جميع ماذكرنا ، لاسيما « الروعة » ، بل على النقيض ، تسهم كل النواحي في هذا المشهد في توجيه المخيلة إلى المدينة الفاتنة ، التي يقع فتحها في آخر الخليج ، أو في آخر المسيرة الطويلة الأناضولية ، وفي الحث على الاهتمام بها والحلم بها .

بيزنطية : البحر والأسوار ، الحجارة والماء

يعرف مؤلفو الجغرافية «موقع» رومية الجديدة أكثر مما يعرفون «وضعها». ويعلمون أنها أصبحت دار المملكة في عهد قسطنطين (٢٤٤٥) : لكن فاتتهم فيما يبدو أسباب الستراتيجية الملكية التي فرضت هذا الخيار : فعلى خريطة العالم ، ليست القسطنطينية سوى نقطة بين نقاط أخرى ، واقعة في الإقليم الخامس أو السادس (٢٤٤٦) . بالمقابل ، يبرز موقع المدينة بروزاً تاماً حسب المقتضي . إلا أن له نواحي سيئة : ويذم ماؤه وهواؤه وتربته ، ويقال إن الخيل لاتنزو به ولا تصهل (٢٤٤٦) لما يلحقها من الربو لنداوة البلد وعفونته . لكن ما أجمل هذا المرج بين الخليج والبحر ، « هذا المرج الطويل البساط المفروش بألوان الزهر ، والموضع الفسيح الحصين ، وحتى الشاهين ، أسعد فأل ، وهو ينقض ، تحت نظر قسطنطين الذي خرج يتصيد بالبزاة ، على طير الماء « بسرعة وضراوة » ، أعجب الملك بهما وبكل ما رآه ، فاختار هذا المكان ليؤسس فيه دار مملكته الجديدة (٢٤٤٨) .

هذه هي المدينة التي « بالغ » قسطنطين » في تحصينها وإحكام بنائها » (٢٤٤٩) . إذن الأسوار ، والأسوار أولاً . أو بالأحرى حوار الأسوار والبحر : لأن التحصينات الطبيعية تتحكم بجميع النظام (٢٤٥٠) . وما يجب الدفاع عنه واسع في جميع الأحوال . ويقول المقدسي القسطنطينية في العظم مثل البصرة ، والأصح أن قوله معقول جداً بشيء من المبالغة . وهي مدينة عظيمة اثنا عشر فرسخا في اثني عشر فرسخا ، حسب ابن رسته ، أي ما مساحته ١٢٠٠ كم٢ تقريباً (٢٤٥١) لكن ما عدد أسوارها ؟ لايلم المقدسي بالموضوع ، فيقول منيعة بحصن واحد لاغير . أما ابن خرداذبه والمسعودي ، فيدققان الأمور : فالخليج في رأيهما يطيف بالقسطنطينية مما يلي المشرق والشمال ، فيكفي سور واحد لحمايتها من هاتين الجهتين ، « وفي هذا السور قصر وبواشير (٢٤٥٢) وأبراج كثيرة وأبواب كثيرة » . ومما يلي الغرب ، من جهة البر ، لها سوران (٢٤٥٣) ، يتراوح علوهما بين ١٠ و ٣٠ ذراعاً وسمك السور الكبير منهما ٢١ ذراعا ، وسمك السور القصير عشر أذرع ، وسمك القصير مما يلي البحر خمس أذرع ، وبينهما وبين البحر فرجة نحو خمسين ذراعاً . أخيرا يحوط سور كبير القسطنطينية من جهة البر : فمن الغرب يمتد سور من بحر الروم الى بحر الخزر ، ويسمى « مقرون تيخس » وتفسيره السور الطويل ، طوله مسيرة أربعة أيام وبينه وبين القسطنطينية يومان ، وأكثر هذا البلد ضياع للملك والبطارقة ، ومروج للمواشي (٢٤٥٤) .

وتجمع هذه التفاصيل ، الصحيحة هنا ، الخاطئة هناك ، ذكريات قسطنطين وخلفائه . فلم تنشأ بيزنطية ولا رومية في يوم واحد . بالتالي سوف يوافق المؤرخ أو يتحفظ (٢٤٥٥) حسب الحالات . أما نحن

فنبرز صورة مدينة « أسوارها منيعة جداً » (٢٤٥٦) ، تتفق بنيتها تماماً مع منعة الموقع الطبيعية ، أو اذا فضلنا ، الماء . وتتجلى المنعة والجمال في هذا الفيض من الأبواب التي تزين الأسوار . وقيل إن لها ثلاثين بابا أو مائة (٢٤٥٧) . ويطل كثير منها على البحر ، حيث تزداد أهمية وظيفتها الحربية . ونذكر بعض الأسماء ، مثل باب بيغاس ، وهو في الواقع بابان في باب واحد (بيلي تيس بيغيس) (٢٤٥٨) ، والباب الذي يؤخذ منه الى رومية ، ويسمى باب الذهب ، وهو أعلى الأبواب ، ويقع في المنطقة التي يلتقي فيها السوران الجنوبي والغربي . وهو باب وكنز ، محروس جيدا جداً كما يجب ؟ : فماذا يخفي هذا الأسم ؟ نحاساً مذهباً ، حديداً مطلياً بالذهب ؟ أم ذهباً ، ذهباً حقيقياً (٢٤٥٩) ؟ مهما يكن ، يتجلى فيه الفن ، فعليه خمسة تماثيل على مثال الفيلة وتمثال على صورة رجل قائم قد أخذ بزمام تلك الفيلة (٢٤٦٠) .

لم يتوقف حماس البناء الذي أبداه قسطنطين عند أسوار مدينته ، وهذا ما نتوقعه . وأشيدت الأبنية على جانبي الأسوار وفي ظل حمايتها. وأقيمت حوالي القسطنطينية الكنائس وديرات الرهبان (٢٤٦١) : فمما يلي الشمال من المدينة دير يقال له مونس (فيه ألف راهب)(٢٤٦٢)،وفي داخل الأسوار،دير يدعى ساطرا (ينزله خمسماية راهب) (٢٤٦٣). ومما يلي شرقي القسطنطينية أربعة ديرات فيها اثنا عشر ألف راهب ، أحدها مونس والثاني فسادر والثالث قوقياي والرابع دير مريم (٢٤٦٤). ومما يلي غربي المدينة ديران ، لم يذكر اسماهما فيهما ستة آلاف راهب (٢٤٦٥) .

وتحتل الانشاءات النفعية حيزاً هاماً في البناء الهندسي الرومي .

فللقسطنطينية أقنية أو بالأحرى قناة ماء يدخل اليها من بلد يقال له بلغار (٢٤٦٦) . يجري هذا النهر من مسيرة عشرين يوماً . وقد طبقنا هذا الأسم ، الوارد عند ابن رسته ، بعد غيرنا من الباحثين ، على بلغراد ، وهي قرية صغيرة واقعة على بضع ستة كم الى شمال القسطنطينية (٢٤٦٧) . وربما خطرت لنا القناة المسماة قناة جوستينيان ، التي تمر فعلاً في غابة بلغراد ، وكان ماؤها مخصصاً للقصور وللحمامات أو غار الهوريات العام ، لا الى المنازل الخاصة (٢٤٦٨) . ويكرر ابن رسته القول ذاته على طريقته : « فينقسم اذا دخل المدينة ثلاثة أثلاث. فثلث يذهب الى دار الملك وثلث يذهب الى حبوس المسلمين ، والثلث الثالث يذهب الى حمامات البطارقة . وسائر أهل المدينة فأنهم . . . » (٢٤٦٩) .

ثم يقول ابن رسته بعد قليل : « وهذا النهر الذي يدخل المدينة وينقسم ثلاثة أقسام ، يحري في وسطه (وسط دير ساطرا) . لذلك المقصود قناة أخرى ، وأكبر الثلاث ، أي قناة فالنس ، لأنها تدخل المدينة حوالي هذا الدير ، قرب باب خاريسيوس (أو أندرينوبل) (٢٤٧٠) . بقيت مشكلة أخيرة : يستعمل ابن رسته لفظ قناة ونهر ليدل على جدول الماء . فهل في هذا التعبير تلميح بسيط الى ارتفاع الصبيب ؟ لسنا واثقين جدا . فرفض بلغار مثلما فعلنا ، واستبدالها ببلغراد ، لايزيل مشكلة مسيرة العشرين يوماً ، وهي مسافة طويلة جدا تتفق بالنسبة الى القسطنطينية ، مع موقع بلد بلغار أكثر مما تتفق مع موقع ضيعة صغيرة تقع في ضواحي القسطنطينية أو تكاد . لكن يفخر تقليد في بعض الأدب البيزنطي بأعمال قسطنطين في سبيل سحب

الماء من بلغارية (٢٤٧١) الى دار مملكته . أفلا يجوز لنا أن نفكر بأنه يضاف الى الألتباس بين قناتي جوستينيان وفالنس ، التباس آخر ، يحول القناتين الى نهر حقيقي ينزل من أنحاء بلغار ، كالمارتزا (بلغاري) مثلاً ؟ لنقرأ كتاب حدود العالم لكي نقتنع : يأتي نهر يجري الى الشرق من جبال بلغاري ، الواقعة في غرب بلاد الروم ، ويصل الى نواحي الصقالبة النازلين في أرض الروم . ثم يجتاز أرض البرجان (برجان ، بلغار) ، ويصاقب بند تراقية ، حيث (حرفياً) يسقي القسطنطينية ، ويصب فيض مائه في الخليج . واسم هذا النهر بلغاري (٢٤٧٢) .

والصهاريج زينة أخرى في المدينة . ويعجب المرء بها على مستوى آخر : ففي حين كبرت القناة حتى صارت بحجم نهر ونهر مثلث ، جعلت الصهاريج المائية الباطنية أو السطحية (٢٤٧٣) صهريجاً واحداً، اعتبر (٢٤٧٤) الجزء الأساسي من جهاز يرفع منه الماء الى أفواه وآذان اثني عشر تمثالاً ، تحملها قبة قريبة ، وتصور البازي ، والحمل ، والثور ، والديك ، والأسد ، واللبوة ، والذئب ، والقبج ، والطاووس ، والفرس ، والفيل ، والملاك (سمك). وغاية التفنن مايلي: «فاذا كان يوم عيد الشعانين (٢٤٧٥) ، ملىء ذلك الصهريج بمقدار عشرة آلاف دورق نبيذ (٢٤٧) والف دورق عسل أبيض ، يطرح على ذلك الشراب ، فيطيب بالسنبل والقرنفل والدارصيني مقدار حمل (٢٤٧٧) ، ويغطى ذلك الصهريج إلا شيئاً منه بشيء يحجبه . فاذا خرج الملك الى خارج ، ودخل الكنيسة ، وقعت عينه على تلك الصور وما ينبع من أفواهها وآذانها من ذلك الشراب ، فيجتمع في الجرن

(٢٤٧٨) حتى يمتلىء ، فيسقي كل من خرج معه من حشمه الى العيد كل واحد شربة » .

بيزنطية : كنائس وقصور

نرى كيف يتصرف ابن رسته لكي يشير الى شبكة الأقنية والصهاريج : فهو لا يعدها عداً حقيقياً أو وهمياً ، بل على النقيض يأخذ وحدة من كل منها ، ويختار مثالا عنها يبالغ في تضخيم حجمه أو تجميل دوره . ولا يتضح هذا الموقف تماماً في القطاعات الأخرى من العمران الرومي ، الا أنه يؤثر تأثيراً متفاوتاً في النظرة الملقاة على القسطنطينية : فمهما أبرز غناها : « بالآثار العجيبة للاوائل»(٢٤٧٩) ، يجري فرزٌ في كل حالة منها ، كما لو أريد أخذ ملامس من معالم لا تحصى ، وتلخيص وصف المدينة ببعضها ، أو حتى بواحدة منها .

ولا تستخدم الحجارة فقط في مضاعفة تحصينات ماء البحر ، كما في الأسوار ، وفي سحب ماء الأنهار المحيي ضمن الأقنية والصهاريج . فلها كثير من وظائف البناء تؤمنها وحدها هذه المرة . مثلاً في الكنائس الكثيرة العظام(٢٤٨٠) ، التي تسترعي الانتباه واحدة منها فقط : لا الكنيسة العظمى (اجيا صوفيا) التي تكاد لا تذكر(٢٤٨١) ، بل كنيسة الملك(٢٤٨٢) ، أي نيا باسيل الأول ، أو على الأرجح ، كنيسة القديس اسطفان من دفنة . وتتجلى عظمة الكنيسة فوراً بأربعة أبواب ذهب وستة أبواب فضة وفي داخلها ، في المقصورة التي يقف عليها الملك ، موضع أربع أذرع في أربع أذرع ، مرصع بالدر والياقوت . وكذلك مسنده الذي يستند اليه مرصع بالدر والياقوت . وطول المذبح ستة أشبار في عرض ستة أشبار ،وهو قطعة خشب عود قماري(٢٤٨٣)

مرصع بالدر والياقوت وعلى باب المذبح أربعة أعمدة من رخام منقورة من قطعة واحدة . وسائر سقوف الكنيسة كلها ازاج معمولة من ذهب وفضة .

ولهذه الكنيسة أربعة صحون كل صحن منها مائتا خطوة في مائة خطوة . ولا يوصف لنا إلا الصحن الشرقي وحده . ففيه جرن ، محفور من رخام ، طوله عشرةأذرع في عرض مثلها . وقد نصب هذا الجرن على رأس عمود من رخام أيضا ، ارتفاعه من الأرض أربع أذرع ، قد عقد عليه قبة من رصاص ، وأعلى القبة قبة من فضة . تحمل هذه القبة اثنا عشر عمودا ، طول كل عمود أربع أذرع . وتنتهي هذه الأعمدة بأشكال حيوان أو ملك ، وتوزع ماء الصهريج القريب ، الذي تحدثنا عنه من قبل — أو نبيذه .

وتقع القصور ، وعلى الأصح ، القصر ، بقرب الكنيسة . وفيما عدا المسعودي ، الذي يذكر قصر ريني ، المسمى الابتارو (ايلوتير) (٢٤٨٤) ، لا نعثر على أثر للابنية المتوالية دفنه ، خلسة ، مغنور ، تريكونك ، كريزوتريكلينو.س وكثير غيرها التي ألفت شيئاً فشيئاً مدينة حقيقية فيقلب المدينة.أما مؤلفو الجغرافية،فلا يرد عندهم إلا قصر (أو حصن) ملكي واحد ، هو دار (بلاط ، قصر) الملك(٢٤٨٥) . وقد صورت في القصر أصنام مفرغة من الصفر(٢٤٨٦) ،يصفها ابن رسته وحده بشيء من التفصيل .

وعلى قصر الملك سور واحد ، يحيط بجميع القصر . وله ثلاثة أبواب من حديد(٢٤٨٧) . يقال لأحدها باب البيدرون ، لعله باب

سكيلس أو موثوثير(٢٤٨٨) . ويدخل باب البيدرون في دهليز مقدار ماءة خطوة في عرض خمسين خطوة . وعلى الجانبين من الدهليز . أسرّة موضوع عليها فرش من ديباج ومضربات ووسائد . وعليها قوم من السودان متنصرة(٢٤٨٩) ، بأيديهم أترسة ملبسة ذهباً ورماح عليها ذهب . والباب الثاني باب المنكنا(٢٤٩٠) ، يدخل إلى دهليز طوله مقدار مائتي خطوة في عرض خمسين خطوة ، مفروش بالرخام وأسرة موضوعة في جانبي الدهليز عليها قوم خزر في أيديهم القسي . وفي هذا الدهليز أربعة حبوس ٍ،حبس منها للمسلمين،وحبس لأهل طرسوس، وحبس للعامة ، وحبس لصاحب الشرط(٢٤٩١) . ويدقق ابن حوقل (٢٤٩٢) في أسماء الحبوس وفي أنظمتها ، لكنه يتجاوز نطاق ، القسطنطينية : فالطرقسيس والأبسيق أرفهها لأنهما لا قيود فيهما . والبلقلار والنورمره مؤلمان ومظلمان. والحبس الخامس دار البلاط ، ويحبس فيه من يراد تلطيف سجنهم بعد نقلهم من النومرة ، ومن يقصد معاملتهم بالحسنى لأنهم شخصيات بارزة ، وخصوصاً من بين أسرى المسلمين(٢٤٩٤) .

والباب الثالث باب البحر(٢٤٩٤) ، ويدخل في دهليز طوله ثلثماية خطوة في عرض خمسين خطوة . وهو مفروش بآجر أحمر . وفي الدهليز أسرة يمنة ويسرة ، عليها فرش متخذ وعليها قوم أتراك بأيديهم القسي والأترسة ، فتمضي في الدهليز حتى تنتهي إلى فضاء مقدار ثلثماية خطوة ، ثم تنتهي إلى الستر المعلق على الباب الذي يفضي إلى الدار (بلا ريب كريزوتريكلينوس) (٢٤٩٥) ، ويسرة الداخل كنيسة الملك .

فاذا رفعت الستر(٢٤٩٦) ودخلت الدار ، فهو صحن عظيم طوله أربع مائة خطوة في مثلها ، مفروش بالرخام الأخضر . مزوق الحيطان بالفسيفساء وألوان التزاويق . وعلى اليمنى من داخل الدار بيت مال الملك(٢٤٩٧) ، وفي جوفه تمثال فرس قائمٍ عليه فارس قد اتخذ عيناه من ياقوتتين حمراوين . وعلى شمال الداخل ، مجلس يكون طوله مائتي خطوة في عرض خمسين خطوة . وفي المجلس مائدة من خلنج(٢٤٩٨) ومائدة من عاج ، وفي الصدر من المجلس مائدة من ذهب . فاذا انقضى العيد ، وخرج من الكنيسة ، جاء الملك إلى هذا المجلس ، فقعد في الصدر على مائدة الذهب ، وهو يوم الميلاد(٢٤٩٩) .

ولقصر الملك ملحقات ، نذكر منها المتنزهات(٢٥٠٠) ، والبذرون (البدروم) الواسع الشهرة حتى إن اسمه يطلق أحياناً على كل المدينة (٢٥٠١).وعلى الرغم من عدم الدقة في النصوص الجغرافية في كلامها عن هذا الميدان،فهي تذكر لنا دكته (٢٥٠٢) ومنصة (كثيزما) (٢٥٠٣) الملك . ويجري السبق في مطلع شهر آذار، ويمتلك الملك والبطارقة الخيول المتسابقة . وتساق الخيل إلى بابين يقابلان باب الذهب(٢٥٠٤) . وتشد العجل عليها . وتوضع على صف واحد جبهيّ أثناء الانطلاق ، ويركبها الرقيق .

وأحياناً لا يتوفر إلا متسابقان . فتؤخذ عربتان من ذهب، وتشد كل منهما على أربعة من الخيل . ويركب فوق العجلتين رجلان قد ألبسا ثياباً منسوجة بالذهب . ويتركانهما تجريان وتدوران « على أصنام القصر»(٢٥٠٥) ثلاث مرات . فأيها سبق صاحبها ألقي اليه من دار الملك طوق من ذهب ورطل ذهب . « وكل من في القسطنطينية يشهدون

ذلك الميدان ويبصرون » على حد قول ابن رسته . ويشير المقدسي إلى حماس أيام السبق : فمسورة الخيل محددة بحبلٍ ممدودٍ فيه صورة فرس نحاس ، ثم العدو ، فالهتافات(٢٥٠٦) : «هتاف الملك» وينطو وينطو ، وهتاف « الوزير » براسيانا براسيانا ، وتعني هذه الهتافات في الحقيقة حزب الزرق وحزب الخضر .

بيزنطية وعجائبها

تكاد دورتنا حول بيزنطية تنتهي : ولم يعد ينقصها سوى الأسواق . « فللبلد أسواق حسنة ، والأسعار به رخيصة ، والفواكه كثيرة»(٢٥٠٧) وبه مسجد(٢٥٠٨) للمسلمين الأسرى ، في الواقع به المسجد الذي يروي التقليد أنه بند من بنود معاهدة قبلت بها بيزنطية لما غزا مسلمة(٢٥٠٩) بلد الروم . وينقصها بخاصة هذه العجائب التي يملأ بها الفن ، مبرراً أو غير مبرر ، داخل المباني الكبرى وحواليها : كالعيون والتماثيل التي رأينا بعضها من قبل(٢٥١٠) . ونتخذ ابن رسته دليلاً لنا ، فيعطينا أمثلة أخرى(٢٥١١) . ففي غربي الكنيسة العظمى (آجيا صوفيا) ، على عشرة خطى ، عمود يكون طوله مقدار مائة ذراع ، وهو مركّب عمود على عمود ،قد شُبِكَ العمودُ بسلاسل من فضة ،على رأس العمود مائدة من رخام مربعة ، أربع أذرع في أربع أذرع ، وفوقها قبر معمول من رخام ، فيه اسطليانوس الذي بنى هذه الكنيسة ، وفوق القبر تمثال فرس من صفر ، وفوق الفرس صورة اسطليانوس ، وعلى رأسه تاج من ذهب مرصع بالدر والياقوت ، وذكر أنه تاج هذا الملك . ويده اليمنى قائمة كأنه يدعو الناس إلى القسطنطينية(٢٥١٢) .

والأثر الشهير الآخر هو الساعة المسماة ساعة بلونيوس . فعلى الباب الغربي من الكنيسة العظيمة ، مجلس فيه أربعة وعشرون باباً صغيراً كل باب شبر في شبر معمولة على ساعات الليل والنهار ، فكلما انقضت ساعة ، انفتح منها باب من ذات نفسه ، واذا انغلقت انغلقت من ذات نفسها(٢٥١٣) . وعلى مقربة من القصر الملكي ، ثلاثة تماثيل من صفر على هيئة الفرس ، منصوبة على باب الملك عملها بلونيوس الحكيم طلسما للدواب ألا تصهل ولا تشغب بعضها على بعض(٢٥١٤) وعلى باب الملك أيضاً أربع حيات معمولة من صفر أذنابها في أفواهها طلسماً للحيات ألا تضر ، يقصد الصبي إلى الحية ، فيأخذها فلا تضره(٢٥١٥) .

أخيراً ، « مما يلي باب الذهب من المدينة ، قبة قنطرة معقودة في وسط سوق المدينة(٢٥١٦) ، فيها صنمان ، واحد يشير كأنه يقول بيديه هاته ، والآخر يشير بيده كأنه يقول اصبر ساعة . وهما طلسمان فيؤتى بالأسارى ، فيوقفون بين هذين الصنمين ، ينتظر بهم الفرج . ويذهب رسول يعلم الملك ذلك . فان رجع الرسول وهم وقوف ، ذهب بهم إلى الحبس (٢٥١٧) . وإن وافاهم الرسول ، وقد جوز بهم الصنمين ، قتلوا ولم يبق منهم على أحد(٢٥١٨) .

اذن تبدو القسطنطينية في النصوص الجغرافية مدينة واسعة ، وبالتالي مجهولة جداً ، وجزئية ورائعة وملكية في جميع الأحوال . ذلك أن جميع مبانيها ، من قصور وكنائس ، وتماثيلها ، تذكر بالسلطة التي عملت على إحداثها وتم تصورها من أجلها . فالملك ليس سيد المدينة فحسب ، بل كونه سيدها يؤول إلى تساميه وتساميها معاً : فهو وهي ، كما سوف نرى ، على مستوى العالم أجمع ، وعلى مستوى المكان والزمان الكونيين .

لوالمك : تاريخ

تقول النصوص العربية والبيزنطية إن الملك أحد ملوك الأرض العظام ، الذين يقررون تقسيم الكرة(٢٥١٩) . وقد حدد المسعودي مدة ملوك الروم (المتنصرة) من قسطنطين بن هلاني إلى الوقت الذي كتب فيه ، بخمسماية سنة وسبع سنين ، وعدد ملوكهم باثنين واربعين ملكا(٢٥٢٠) ويعطي كتابا المروج والتنبيه قائمة بهؤلاء الملوك قبل الإسلام(٢٥٢١) وبعده ومدة ملكهم ، ومن ملك في أيامهم من الخلفاء المسلمين . ويرقم كتاب التنبيه توالي الملوك بالتسلسل.

قبل ظهور الاسلام

اوستروغورسكي

ذكر من قبل ، ص ٦٠٢ منه

قسطنطين (٣٠٦ – ٣٣٧) في القسطنطينية منذ ٣٢٤
قسطنس (٣٣٧ – ٣٦١)
يوليانوس (٣٦١ – ٣٦٣)
يوفيانوس (٣٦٣ – ٣٦٤)

والنس (٣٦٤ – ٣٧٨)

تيودوسيوس (٣٧٩ – ٣٩٥)
اركاديوس (٣٩٥ – ٤٠٨)
تيودوسيوس الثاني (٤٠٨ – ٤٥٠)
مسيانوس (٤٥٠ – ٤٥٧)
ليون (٤٥٧ – ٤٧٤)
ليون الثاني (٤٧٤)

مروج الذهب

قسطنطين (٣١ سنة أو ٢٥) (٢٥٢٢)
قسطنطين الثاني (٢٤ سنة) (٢٥٢٣)
يوليانوس (سنة أو أكثر)
يونياس (سنة)

اوالس (١٤ سنة)
غراطياس (١٥ سنة) (٢٥٢٥)
تدوسيس الأكبر (١٧ سنة)
ارقاديس (١٤ سنة)
تدوسيس الأصغر (٤٢ سنة)
مرقيانوس (٧سنوات) (٢٥٢٧)
اليون الأكبر (١٦ سنة)
اليون الأصغر (سنة)

التنبيه والإشراف

١– قسطنطين (٣٢ سنة و ٣ أشهر) (٢٥٢٢)
٢– قسطنطين الثاني (٢٤ سنة) (٢٥٢٣)
٣– يوليانوس (سنتان)
٤– يوبيانوس (سنة)
٥– والنطيوس (١٢ سنة وخمسة أشهر) (٢٥٢٤)
٦– والنس (٣ سنوات ٣ أشهر)
٧– والنطيانوس الثاني ٣ سنوات ٤ أشهر . عاضده على ملكه (غراطيانوس) (٢٥٢٦)
٨– تدوس الكبير (١٩ سنة)
٩– ارقاديوس (١٣ سنة)
١٠– تدوس الصغير (٤٢ سنة)
١١– مرقيان (٦ سنوات)
١٢– لاون الكبير (١٦ سنة)
١٣– لاون الصغير (سنة)

زينون (٤٧٤ – ٤٩١) (٢٠٢٨)
انستاسيوس (٤٩١ – ٥١٨)
يوستينوس (٥١٨– ٥٢٧)
يوستنيانوس (٥٢٧ – ٥٦٥)
يوستينوس الثاني (٥٦٥ – ٥٧٨)
تيبيريوس (قسطنطين (٥٧٨ – ٥٨٢)
موريس (٥٨٢ – ٦٠٢)
فوكاس (٦٠٢ – ٦١٠)
هرقل (٦١٠ – ٦٤١)

زينون (١٧ سنة)
نسطاس (٢٩سنة)
يوسطناس(٩ سنوات)
يوسطانياس (٣٩ أو ٤٠ سنة)
نوسطيس (١٣ سنة)
طباريس (٤ سنين)
موريقس (٢٠ سنة)
فوقاس (٨ سنين)
هرقل (٢٥ سنة او اكثر)

١٤–زينون (١٧ سنة)
١٥–انسطاس (٢٧ سنة)
١٦–يوسطين(٩ سنين)
١٧– يوسطانوس (٢٩ سنة)
١٨– يوسطينوس (١٣ سنة)
١٩– طيباريوس (٣ سنين وثمانية أشهر)
٢٠– موريق (٢٠ سنة ٤ أشهر)
٢١– فوقاس (٨ سنوات ٤ أشهر)
٢٢– هرقل (٢٥ سنة)

بعد ظهور الاسلام

اوستروغورسكي

هرقل (٦٦٠ – ٦٤١)

———

قسطنطين الثالث وهيراكليانوس (٦٤١)
هيراكليوناس (٦٤١)
كونستنت الثاني (٦٤١ – ٦٦٨)

———

———

المروج (٢٠٢٩)

هرقل (١٥ سنة)
(٢٠٣٠) الهجرة

قيصر (٢٠٣٢) (أبوبكر = ٦٣٢ – ٦٣٤)
هرقل (٢٠٣٣) (عمر = ٦٣٤ – ٦٤٤)

———

مورق (٢٠٣٤) (عثمان = ٦٤٤– ٦٥٥)

فلقط بن مورق (٢٠٣٦) (علي ومعاوية =
٦٥٦ – حوالي ٦٧٨) (٢٠٣٧)

———

التنبيه

٢٢– هرقل (٢٥ سنة أو أكثر)
أيام النبي (٢٠٢١) أيام أبي بكر وعمر سنتان من
خلافة عثمان (٦٢٢ – ٦٤٦)

———

———

٢٣– قسطنطين الثالث (٩ سنوات ٦ أشهر)
(عثمان ٦٤٦ – ٦٥٥) (٢٠٣٥)
٢٤– قسطانت الثانى (١٥ سنة) (علي وصدر
من أيام معاوية ٦٥٦ – حوالي ٦٦٥)
٢٥ – هيرقليانس (٤ سنوات ٣أشهر)(في أيام معاوية :
حوالي ٦٦٥ – حوالي ٦٧٨)

قسطنطين الرابع بوغونات	قسطنطين الرابع (بقية أيام معاوية ، يزيد ، معاوية الثاني ، مروان ، صدر أيام عبدالملك ح ٦٧٨ – ح ٦٨٦)	٢٦– قسطنطين الرابع (١٣ سنة) (بقية أيام معاوية ، أيام يزيد ومروان ، صدر أيام عبد الملك ح ٦٧٨ – ح ٦٨٦)
يوستنيانوس الثاني (٦٩٥ – ٦٩٨)	—— ——	٢٧– اسطنيلس الثاني (٢٥٣٨) (٩ سنين في أيام عبد الملك (٦٨٦ – ٦٩٥)
ليونس (٦٩٥ – ٦٩٨)	لاون (أيام عبد الملك = ٦٨٦– ٧٠٥)	٢٨– ال لنطس (٣ سنين في أيام عبد الملك (٦٩٥– ٦٩٨)
تيبير الثاني (٦٩٨ – ٧١٥)	——	٢٩– ابسمير (تيبير الثاني) (٧ سنين) عبد الملك = ٦٩٨– ٧٠٥
يوستنياش الثاني مكرر (٧٠٥ – ٧١١)	——	٣٠– اسطنياس الأخرم الملك الثاني (سنتان ونصف (الأيام الأولى إلى الأيام الأخيرة من الوليد = ٧٠٥ – ح ٧١٣)
فيليبيقوس (٧١١ – ٧١٣)	بردنيس (فيلبقوس) (الوليد،سليمان وخلافةعمر الثاني = ٧٠٥ – ٧١٧)	٣١– فيلبقوس (٢ سنة ونصف)(بقية أيام الوليد وأول سنة من سليمان = ٧١٣ – ٧١٥)
انستاز الثاني (٧١٣ – ٧١٥)	——	٣٢– نسطاس الثاني (ثلاثة أشهر)
تيودوسيوس الثالث (٧١٥ – ٧١٧)	——	٣٣– تيودوس الثالث (مدة ملكه غير محددة كان ملكه في السنة الأولى التي بويع فيها سليمان ونهاية حكمه يمكن استنتاجها من المعلومات المعطاة الملك التالي = ٧١٥ – ٧١٧)
ليون الثالث (٧١٧ – ٧٤١)	جرجيس (١٩ سنة) (٢٥٣٩)	٣٤– اليون الثالث (٢٦ سنة) (بقية أيام سليمان أيام عمر الثاني ويزيد الثاني وهشام = ٧١٧ – ٧٤٣)
قسطنطين الخامس (٧٤١ – ٧٧٥)	قسطنطين الخامس (السفاح والمنصور = ٧٥٠ – ٧٧٥)	٣٥– قسطنطين الخامس (٢١ سنة) (أيام الوليد الثاني ويزيد الثالث ، ومروان الثاني ، والسفاح

ليون الرابع (٧٧٥ — ٧٨٠)	اليون الرابع (أيام المهدي والهادي = ٧٧٥ ٧٨٦)	وعشر سنين من خلافة المنصور = ٧٤٣ — ٧٦٤) ٣٦– اليون الرابع (١٧ سنة ٤ أشهر) (بقية أيام المنصور وخمس سنين من خلافة المهدي = ٧٦٤ — ٧٨٠)
قسطنطين السادس (٧٨٠ — ٧٩٧)	قسطنطين السادس وارين (شاركت في الملك حتى أيام هارون الرشيد أي ٧٨٦) (٢٥٤٠)	٣٧– ريني (ملك معها ابنها قسطنطين فلم يزالا ملكين بقية أيام المهدي والهادي وصدر من خلافة الرشيد = ٧٨٠ — ٧٩٨ تفردت بالملك خمس سنين ٧٩٨ — ٨٠٣ وخلعت ١٨٧ هـ / ٨٠٣ م)
نيقوفور الأول (٨٠٢ — ٨١١)	يعفور (بلا تفاصيل)	٣٨– نقفور (٧ سنين ٣ أشهر) (أيام هارون الرشيد وفي أولى خلافة الأمين = ٨٠٣ — ٨١٢)
ستوراس (٨١١)	استراق (أيام الأمين بلا تفاصيل) (٨٠٩ —٨١٣)	٣٩– استيراق (شهران)
ميخائيل الأول (٨١١ — ٨١٣)	———	٤٠– ميخائيل الأول (٢ سنة . أيام الأمين وقيل أكثر = ٨١٠ — ٨١٢)
ليون الخامس (٨١٣—٨٢٠)	———	٤١– اليون الخامس (٧ سنين ٣ أشهر) (بقية أيام الأمين وصدر خلافة المأمون = ٨١٢ — ٨١٩)
ميخائيل الثاني (٨٢٠ — ٨٢٩)	قسطنطين (أيام المأمون (٢٥٤١) = ٨١٣ ٨٣٣)	٤٢– ميخائيل الثاني (تسع سنين أو أكثر (أيام المأمون = ٨١٩ — ٨٢٩) (٢٥٤٢)
تيوفيليوس (٨٢٩ — ٨٤٢)	توفيل (خلافة المعتصم بلا تدقيق اضافي = ٨٠٩ - ٨١٣)	٤٣– توفيل (١٤ سنة)(بقية أيام المأمون وأيام المعتصم وصدر أيام الواثق = ٨٢٨ — ٨٤٢)
ميخائيل الثالث (٨٤٢ — ٨٦٧)	ميخائيل (خلافة الواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين = ٨٤٢ — ٨٧٠) (٢٥٤٣)	٤٤– ميخائيل الثالث (٢٨ سنة) (أمه تدورا تدبر الملك معه) (بقية أيام الواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين = ٨٤٢ — ٨٧٠) (٢٥٤٥)

بسيل الأول (٨٦٧ - ٨٨٦) المقدوني	توفيل (٢٠٤٤) بسيل الصقلبي (أيام المعتز والمهتدي وبعض خلافة المعتمد = ٨٦٦ - ٨٨٦)	٤٥- بسيل الصقلبي (٢٠ سنة) (أيام المعتز والمهتدي وصدر من خلافة المعتمد = ٨٦٦= ٨٨٦)
ليون السادس (٨٨٦- ٩١٢)	الكسندروس (بلا تدقيق)	٤٦- ليون السادس (٢٦ سنة) (بقية ايام المعتمد والمعتضد والمكتفي وصدر من أيام المقتدر =٨٨٦ - ٩١٢)
الكسندروس (٩١٢ - ٩١٣)	لاوى (بقية أيام المعتضد والمكتفي وصدر من أيام المقتدر)	٤٧- الكسندروس (سنة أو أكثر)
قسطنطين السابع (٩١٣ - ٩٢٠)	قسطنطين السابع (مع اغتصاب سلطة من من ارمينوس الأول ، الذي زوج قسطنطين ابنته)	٤٨- قسطنطين السابع (اشترك معه روما نوس الأول الذي تزوج قسطنطين من ابنته ، وولدت له رومانوس الثاني ولي العهد)
قسطنطين السابع وروماناالأول(٩٢٠ - ٩٤٤)	(بقية أيام المقتدر وأيام القاهر والراضي والمتقي إلى هذا الوقت (٣٣٢هـ / ٩٤٢ م) (٢٠٤٦)	(بقية أيام المقتدر ، والقاهر ، والراضي والمتقي والمستكفي وإلى هذا الوقت من خلافة المطيع = ٩١٣ - ٩٥٦)
قسطنطين السابع (٩٤٤ - ٩٥٩)		

يوضح هذا الجدول الطويل أوجه النجاح ونواحي الضعف . وقد أتت معلومات كتاب التنبيه متأخرة عن معلومات مروج الذهب ، لكنها تدقق الواقع أكثر منها على وجه الإجمال . ولا تقع فترات الحيرة جميعها في العصور القديمة الأولى ، وهذا أمر مستغرب : فعندما انسحبت أمبراطورية الغرب من تاريخ كانت تشوشه ، زاد الوثوق به . ثم عادت الترددات إلى الظهور في حيز نشوء دار الإسلام ، وأخيراً ، على الأقل بالنسبة إلى كتاب مروج الذهب ، في ما كان يمثل آنذاك ، أثناء كتابة المسعودي الوضع المعاصر أو الماضي القريب . اذن تبرز ثلاث فترات غموض ، عند قيام الأمبراطورية الرومية ، وعند ظهور الإسلام ، وفي الفترة المعاصرة للمسعودي .

فهل تعتبر هذه الظواهر تموجات بسيطة في المعارف أم مؤشرات اضطرابات أعمق ؟ في جميع الأحوال ، لا بد ان تثير الأرقام الواردة في كتاب المروج فضولنا . فال ٤٢ ملكاً يتوزعون بالتساوي بين فترتي ما قبل الإسلام وما بعده.وعلى الرغم من الرقم ٥٠٧ سنوات الذي حسبه المسعودي لمدة ملكهم الإجمالية(٢٥٤٧) ، فان الحسابات الخاصة تعطي ٣١٣ و ٣٢١ سنة(٢٥٤٨) لكل من الفترتين على التوالي . فقد نشأت الأمبراطورية البيزنطية ، ثم ظهر الإسلام بعد فترة معينة ، وها نحن في نهاية فترة مماثلة . فمن يعلم اذا كنا على مفترق طرقٍ ؟ ففي رؤية المستقبل المقلقة(٢٥٤٩) وحتى المتشائمة ، هل يتحتم أن تظفر دار الإسلام في النهاية ، أم القسطنطينية ، الأعرق منها مرتين في القدم ، الراسخة الجذور في الماضي ، والتي انتقلت إلى مرحلة الهجوم في الوقت الراهن ؟ تطرح بيزنطية ضمنياً حتى عبر مؤسساتها الثابتة على مر العصور ، قضية بقاء دار الإسلام(٢٥٥٠) .

النظام الملكي

يدعى ملك الروم(٢٥٥١) قيصر أو باسيل (باسيلي)(٢٥٥٢) . وشعائر سلطته كرسي من ذهب ، والتاج ، والفرفير والخف الأحمر . ولا يلبس الفرفير والخف الأحمر إلا الملك ، ومن تعرض لذلك قتل ، ومن ذكر له المُلْكُ لبس خفا أحمر وخفاً أسود،وهو الاستثناء الوحيد (٢٥٥٣) . وليس الملك وراثة عند الروم ، ولا كتابا متبعاً ، إنما هو غلبة . وقد ملكهم رجال ونساء(٢٥٥٤) . . والملك « صاحب السيف ، وله نفقات الحرب وجباية الخراج . والأمور الدينية لبطريرك ، القسطنطينية(٢٥٥٥) .

والملك أكبر الروم في أنفسهم وأعزه عليهم . ولا يكفّر إلا للبطريرك الجالس على كرسي من الحديد(٢٥٥٦) . وفيما عدا ذلك ، يسجد أمامه هو السيد الأعلى : وقد ترمز حيلة الغزال ، سفير أمويي الأندلس ، ليتخلص من هذا السجود (المعبر عنه بالنير) ، في نظر المسلمين ، إلى هذا الطقس والتحفظات التي يثيرها(٢٥٥٧) .

وتنظم مراسم دقيقة استقبالات الملك وتنقلاته . فلنستمع إلى ابن رسته . فاذا انتهى قداس عيد الميلاد ، يقعد الملك على مائدة من الذهب، ويقيم المآدب اثني عشر يوما(٢٥٥٧) في قاعة المجلس التي زرناها من قبل(٢٥٥٨) . ويحمل اليه عند قعوده في الصدر أربع موائدمن ذهب، تحمل كل مائدة على عجلة ، يقال إن إحدى تلك الموائد كانت لسليمان ابن داود والثانية لداود والثالثة مائدة قارون والرابعة مائدة قسطنطين الملك . فتوضع بين يديه ولا يؤكل عليها . إنما تترك ما دام الملك على مائدته ، فاذا قام رفعت(٢٥٦٠) . ثم يؤتى بالمسلمين ، وينادي منادي

الملك ، فيقول وحياة رأس الملك ما في هذه الأطعمة شيء من لحم الخنزير ، وينقل اليهم تلك الأطعمة في صحاف الذهب والفضة . ويدخل رجال بأيديهم أالخلبقات أي الصنوج يضربون فيها ما دام الناس يأكلون ويشربون . فاذا كان آخر الأيام الاثني عشر ، يعطى كل أسير من المسلمين دينارين وثلاثة دراهم .

وهذا خروج الملك من القصر إلى الكنيسة العظمى . يفرش له في طريقه من باب القصر إلى الكنيسة(٢٥٦١) حصر ، ويطرح فوقها رياحين وخضرة ، ويزين الحائط يمنة ويسرة بالديباج . ويسير في موكب عظيم(٢٥٦٢) ، فيخرج بين يديه عشرة آلاف شيخ ، عليهم ديباج أحمر ، مسبلة شعورهم على أكتافهم ، ليس عليهم برانس . ثم يجيء خلفهم عشرة آلاف شاب ، عليهم ديباج أبيض ، مشاة كلهم . ثم يجيء عشرة آلاف غلام ، عليهم ديباج أخضر . ثم يجيء عشرة آلاف خادم ، عليهم ديباج لون السماء ، في أيديهم ، الطبرزينات الملبسة ذهباً(٢٥٦٣) . ثم يجيء بعدهم خمسة آلاف خصي أواسط ، عليهم ملحم خراساني أبيض ، بأيديهم صلبان ذهب . ثم يجيء بعدهم عشرة آلاف غلام أتراك وخزر ، عليهم صدر مسيرة ، بأيديهم رماح وأترسة كلها ملبسة ذهباً . ثم يجيء مائة بطريق من الكبار ، عليهم ثياب الديباج الملون ، بأيديهم مجامر من ذهب ، يبخرون بالعود القماري(٢٥٦٤) . ثم يجيء اثنا عشر بطريقا من رؤساء البطارقة ، عليهم ثياب منسوجة بالذهب ، في يد كل واحد قضيب من ذهب . ثم يجيء مائة غلام عليهم ثياب مشهرة مرصعة باللؤلؤ ، يحملون تابوتاً من ذهب ، فيه كسوة الملك لصلاته . ثم يجيء رجل بين يديه ، يقال

له الرحوم ، يسكت الناس ، ويقول اسكتوا(٢٥٦٥) . ثم يجيء رجل شيخ ، وبيده طشت وابريق من ذهب مرصعان بالدر والياقوت .

ثم يقبل الملك ، وعليه ثياب الأكسيمون ، وهي ثياب من إبريسم منسوج بالجوهر ، وعلى رأسه تاج ، وعليه خفان أحدهما أسود والآخر أحمر(٢٥٦٦) ، وخلفه « الوزير » ، وبيد الملك حق من ذهب فيه تراب ، وهو راجل ، كلما مشى خطوتين ، يقول له الوزير بلسانهم من رمونت اثناطوا (ممنيثه توثناتو) ، وتفسيره اذكروا الموت . فاذا قال له ذلك ، وقف الملك ، وفتح الحق ، ونظر إلى التراب ، وقبله وبكى .

فيسير كذلك حتى ينتهي إلى باب الكنيسة . فيقدم الرجل الطشت والإبريق فيغسل الملك يده ، ويقول لوزيره : « إني بريء من دماء الناس كلهم ، لأن الله لا يسألني عن دمائهم ، وقد جعلتها في رقبتك » . ويخلع ثيابه التي عليه على وزيره ،ويأخذ دواه بلاطس ،وهي دواة الرجل الذي تبرأ من دم المسيح ، ويجعلها في رقبة الوزير ، ويقول له : « دن بالحق كما دان بلاطس بالحق » .ويدور به على أسواق القسطنطينية ، فينادون به : « دن بالحق كما قلدك الملك أمور الناس»(٢٥٦٧) .
ثم يأمر الملك بدخال آسارى المسلمين الكنيسة ، فينظرن الى تلك الزينة والملك ، فيصيحون : « أطال الله بقاء الملك سنين كثيرة ثلاث مرات » . ثم يأمر ، فيخلع عليهم(٢٥٦٨) .

هيهات أن تتوضح جميع الأمور في هذا العالم المسيحي في نظر المسلمين(٢٥٦٩) . ونأخذ مثالاً واحداً فقط : فلم يقل لنا شيء عن احتمال كون الأعداد والأعمار والألوان رموزاً . مع ذلك ، يفسر لنا

هذا الاحتفال ناحيتين أساسيتين من الملكية : هما اقترانها بالدين وتفوقها عليه الذي يعبّر عنه بطء سير الموكب وفخامة الزينة الخارقة ، ومكان الملك ذاته بآخر الحفل الطويل الذي ينتهي . وسوف يشدد ابن الفقيه على هذا التفوق في الاتجاه الأسطوري .

عجائب المقابلة الملكية

يروي ابن الفقيه قصة سفارة أرسلها بعض الخلفاء إلى القسطنطينية (٢٥٧٠) . فقد قال الذين مع السفارة لأعضائها إن دوابهم لا تدخل مدينة الملك ، وكانوا على رواحل ، فان شاؤوا حملوا على براذين أو بغال . فأبى أفراد السفارة . ولما أبلغ الملك رفضهم ، أرسل أن خلوا عنهم . فدخلوا المدينة على رواحلهم معتمين ، وعليهم سيوفهم . وأقبلوا إلى غرفة مفتوحة ينظر منها إليهم حتى أناخوا تحتها . ولما دخلوا على الملك ، إذا به عليه ثياب حمر والبطارقة حوله .

وليست هذه الناحية أهم ما في القصة . لكن لندعها الآن جانباً ، ولنلتفت إلى مقطع آخر يتحدث عن عمارة بن حمزة الذي أوفده خليفة آخر هو أيضاً إلى ملك الروم(٢٥٧١) . فقد انتهى إلى مكان يحجب منه الرجل على مسافة بعيدة عن القصر ، وجلس حتى أتى الإذن . ثم سار إلى مكان آخر حتى أتى الاذن ثلاث مرات(٢٥٧٢) . أخيراً وصل إلى دار الملك ، وأدخل اليها . واذا على طريقه أسدان من جنبي الطريق ، وطريقه عليهما لم يجد من ذلك بداً . فحمل نفسه ، ولما صار بينهما سكنا ، فجاز ودخل داراً أخرى . فاذا سيفان يختلفان على طريقه ، فحذر فإنه لو مرت بينهما ذبابة لقطعاها . فاستخار الله ، ومضى . فلما صار بينهما سكنا . وتجاوز العقبة .

ودخل داراً ثالثة ، فيها الملك . ووصل الى بهو فسيح ، كاد لا يبصر فيه الملك ، لبعد المسافة بينهما . فمشى حتى انتهى إلى قدر الثلث ، فغشيته سحابة حمراء ، ولم يعد يبصر شيئا . فجلس مكانه ساعة ، ثم تجلت عنه . فقام ومشى . فلما بلغ الثلثين غشيته سحابة خضراء هذه المرة . فحدث له ما حدث في السابق . ثم قام ومشى ، وانتهى إلى الملك أخيرا .

. فيما بعد ، تولى الملك نفسه شرح هذه العجائب ، وأنها حيلة لترويع الرسل . وليست هذه العجائب الوحيدة . فاذا أراد الملك أن يصرف الناس ، خرجت في ظهر كل رجل كف من الحائط ، فتدفعه ، فيعلم أنه قد أمر بالقيام(٢٥٧٣) .

ربما كانت هذه الأمور عجائب ، لكنها عجائب واقعية . وتتفق روايات الرسل الآخرين مع هذه القصص ، مثل رواية ليوتبرند : فتسمح لنا أن نقول بأن هذه الاستقبالات ومراسمها كانت تتم في قصر مغنور(٢٥٧٤).مع ذلك يمكن أن يتساءل المرء مع المؤلفين الجغرافيين ، إذا كانت هذه الجهود الكثيرة تحقق أغراضها.فمتى استلطف أحد الملوك رسول خليفة ، وكشف له « خدع » شتى الآليات المستعملة ، يضيع أثرها كليا . إذ ليس المهم أن يفعل الأثر فعله في الماضي ، بل المهم أنه لم يعد يؤثر في المستقبل . فالسر سر ما دام محفوظاً ،ومتى فشي ذهب الخوف منه معه .

ثم إن الأمر لا يتعلق بالبشر وحدهم . فأحياناً يتدخل الله . فقصة السفارة الأولى ، المذكورة من قبل ، لا تهم لأنها تصف وصفاً مقتضباً جداً أصلاً ، الأبهة المصطنعة من أجل إثارة رهبة الاحترام : بقدر ما تهم لأنها تفكك تلك العظمة المشار اليها . ولنر كيف تجري الأمور .

عندما وصل رسل الخليفة(٢٥٧٥) مقابل الغرفة الكبيرة ، قالوا : « لا إله إلا الله ، والله أكبر » . فانتفضت الغرفة حتى كأنها سعفة ضربها الريح . وأرسل الملك أنه ليس لهم أن يجهروا بدينهم على بابه . وبعد برهة ، في المقابلة ، اذا الملك يفصح العربية ، فسهل الحوار ، وجرى على الوجه التالي :

-- قال لنا وضحك : ما منعكم أن تحيوني بتحية نبيكم ؟ فان ذلك أجمل بكم .

ـ قلنا : تحيتنا لا تحل لك . وتحيتك التي تحيا بها لا تحل لنا(٢٥٧٦) .

ـ قال : وما هي ؟

ـ قلنا : السلام عليك .

ـ قال : فما تحيون ملككم ؟

ـ قلنا : بهذه التحية .

قال : فكيف يرد عليكم ؟

ـ قلنا : كما نقول له . . .(٢٥٧٦)

قال : فما أعظم كلامكم ؟

ـ قلنا : لا إله إلا الله والله أكبر .

وانتفض سقفه حتى ظن هو وأصحابه أنه سيسقط عليهم ، ثم قال : هذه الكلمة هي التي نفضت الغرفة . وقال الرسل : نعم .

ـ قال : وكلما قلتموها ، نفضت سقوفكم .

ـ قلنا : لا

ـ قلنا : ولم ذلك ؟

ـ قال : فإذا قلتموها في بلاد عدوكم تفعل ذلك ؟

– قلنا : لا ،قلنا وما رأيناها صنعت ذلك إلا عندك .

– قال : ما أحسن الصدق . أما إني وددت أني خرجت اليكم من نصف ملكي وأنكم كلما قلتموها ينفض كل شيء .

قلنا : ولم ذلك ؟

– قال كل ذلك أيسر لشأنها وأجدر ألا يكون من نبوة ، وأن يكون من حيلة الناس . قال فما كلمتكم التي تقولون لا إله إلا الله . ليس معه غيره .

– قلنا : نعم

– قال : والله أكبر أكبر من كل شيء

– قلنا نعم

ثم سألنا الملك«سؤالا شافيا » ، لم يذكر لنا . وبذا نرى أن الغرض انقلب نهائياً لصالح الإسلام . على النقيض ، من أين يأتي نجاح رسل الإسلام – المتعمد ؟ من أنهم جاؤوا بالضبط ليتحدثوا باسمه(٢٥٧٨) ، فيكتفون بتأكيد إيمانهم باخلاص ، ولا يحسبون حساباً ، ويرفضون إفساد صيغته ، ودفع الناس إلى الاعتقاد بأنه هو أيضاً يمكن أن يكون إحدى تلك الألاعيب التي يستفيد منها كل إنسان(٢٥٧٩) . ذلك أن الاحتيال على الناس لا على الله .

وحاشى الله أن يستنفد آثاره : فعندما يناقش الإيمان برصانة ، في نهاية قصة ، عندما يقبل قلب البشر على الأقل أن يسمع ما يقول الإيمان(٢٥٨٠) ، لا تتزلزل الأرض . ولا ريب أنه كان لا بد من هذا التدخل السامي ، إذ إن الأمر يتعلق بالملك : لأن هذا العاهل الخرافي يعتبر في نظر الإسلام زعيم الكفر بلا منازع . ولنكتف بابراز هذه الإشارة العليا(٢٥٨١) في القصة : تنتفض الأرض بأمر الله عنده ،

وعنده فقط ، في القسطنطينية وفي قصره ، لأن الله يهان إلى أقصى حد هنا ، وقبل ذلك ينسى تماماً في وسط الترف الجنوني الذي يطعن التواضع الذي يجب ان تتقيد به الخلائق . في النهاية ، ليست العجائب الأمبراطورية سوى واجهة براقة من بناء قد يدهش البشر دوماً ، لكنه يبقى إجمالاً خالياً من تجاهل الله .

حاشية الملك

تسنى لنا من قبل أن ندرك أن الملك والقسطنطينية واحد . فالبطارقة ، سواء كانوا اثني عشر بطريقا يقيمون مع الملك بالقسطنطينية ، أم ستة فقط ، فهم رفاق الملك المفضلون . وعلى باب الملك أربعة آلاف فارس ، وأربعة آلاف راجل . ولمدينة البذروم أربع مائة رجل ، لباسهم الطيالسة الخضر المزورة بالذهب ، وهم لمشورة الملك والقيام بأمره وأمر البطارقة ، ومنهم من يتولى حجابة الملك وقتل الأسرى المسلمين (٢٥٨٢) . ويعطي قدامه (٢٥٨٣) أرقاماً مختلفة : فأما عدة جيوشهم ، فمنها بالقسطنطينية ، وهي حضرة الملك ، أربعة وعشرون ألف ، منهم الفرسان ستة عشر ألفاً ، والرجالة ثمانية آلاف . فينقسم الفرسان أربعة أقسام ، أولها الأسخلارية ، وصاحبهم الدمستق الكبير ، وهو صاحب فرض الفروض ، والرئيس على الجماعة (٢٥٨٤) ، وعدتهم أربعة آلاف فارس . والصنف الثاني الخسف (٢٥٨٥) ، وهم أربعة آلاف فارس . والصنف الثالث أرثموس ، وهم للحرس ، وصاحبهم طرنجار (٢٥٨٦) ، وعدتهم أربعة آلاف . والصنف الرابع فيلدراطيين ، وهم يخرجون مع الملك اذا خرج (٢٥٨٧) في سفر ، وعدتهم أربعة آلاف . وينقسم الرجالة قسمين ، فالأول منهما يسمون الافطماط

(٢٥٨٨) وعدتهم أربعة آلاف راجل ، والباقي يسمون نومره (٢٥٨٩) وعدتهم أربعة آلاف .

وترد في أحد مقاطع (٢٥٩٠) ابن خرداذبه أسماء بعض المناصب في الإدارة الملكية العالية . فأكبر البطارقة خليفة الملك ووزيره . ثم اللغثيط صاحب ديوان الخراج . ثم صاحب عرض الكتب (٢٥٩١) . ثم الحاجب ، وصاحب ديوان البريد . ثم القاضي ، ثم صاحب الحرس ، ثم المرقب (٢٥٩٢) . لاريب أننا نتعرف هنا ، من قريب أو بعيد ، على أصحاب أعلى المراتب في الجهاز الإداري البيزنطي : مثل اللغثيط العام ، وصاحب ديوان الخراج (٢٥٩٣) ، وصاحب المراسم ، ولغثيط البذروم ، وصاحب عرض الكتب ، ودمستق الأسخلارية ، ومدير التشريفات (٢٥٩٤) . إلا أن ذكر الوزير ، وهو غير موجود في القسطنطينية على الأقل كلقب (٢٥٩٥) ، يجعلنا نتساءل اذا كان ابن خرداذبه (٢٥٩٦) ينظر الى بيزنطية ويفكر ببغداد .

ويطمح ابن حوقل (٢٥٩٧) الى دقة زائدة ، فيقول إن اللغثيط يتبع الملك في المنزلة ،وهوالوزير .والفرخ(ايبرخ) بعده ،وللفرخ من المنزلة أنه يلبس خفين أحدهما أحمر والآخر الأسود ولا يتزلي غيره بهـذا الزي بوجه ، وذلك أن الحكم والقطع من غيـر مؤامرة للملك اليه . ثم الدمستق من بعـده . ثم البطارقة ، وهم اثنا عشر رجلاً لاينقصون ولا يزيدون بوجه ، واذا هلك أحدهم قام مقامه من يصلح له . ثم الزراورة ، وهم كثرة لايحصون كالقواد الملحقين بالامراء (٢٥٩٨) أخيرا الطرامخة في أدنى المراتب ، وهم التناء وأرباب النعم (٢٥٩٩) من أهل القسطنطينية. ومنهم يكون

الارتفاع الى الزرورة والبطرقة (٢٦٠٠) . وكل مولود يولد . بالقسطنطينية للطرامخة ، فللملك عليه جراية من وقت يولد الى آخر عمره ، يدرج في أسباب الزيادة والنقصان في أعطيته وأرزاقه عند درج بلوغه وتكهله ويقدر استحقاقه للزيادة ، إلا أن يترهب فيستعفي من العطاء فيعفيه الملك منه .

ونضيف الى هذه المعلومات معلومات أخرى، جمعناها من هنا وهناك . وقد رأينا من قبل في خروج الملك الى الكنيسة العظيمة التي وصفها ابن رسته ، وظيفة المسكت بلا تحديد لقبه . والوزير الذي يجعله ابن حوقل لغثيطا . ويبدو المسعودي متردداً : فهو يسمي اللغثيط والي ديوان الخراج ، انما يتحدث في مكان آخر عن وزير يحكم باسم الملك (٢٦٠١) ، ويطبق ابن حوقل هذا التعريف على هذا اللغثيط ، كما رأينا . ويتحدث كتاب حدود العالم (٢٦٠٢) عن قائد كل عمل رومي : ويقصد اصطرطيقوس البند الذي مر بنا (٢٦٠٣) . أخيرا ، نقول كلمة عن بطريرك القسطنطينية ،وهو رئيس ديني بلا شك ، لكنه أيضا شخصية في مراتب المملكة ، لا يكفر الملك إلا له ، لأنه صاحب كرسي الحديد وشريك الملك ويساويه في الشؤون الدينية (٢٦٠٤) .

وتبين العودة الى واقع التاريخ البيزنطي أن هذه المعلومات ناقصة في الغالب على الرغم من أهمية بعضها . وهي مشوشة أيضاً ، تخلط المناصب المدنية والعسكرية ، وشتى درجات النظام الواحد ، واخيراً المهام والمناصب . . وتتحمل بيزنطية مسؤولية جميع هذه الإبهامات : فما دمنا نحن لانزال حتى الآن نتردد في بعض نواحي تنظيمها الإداري، الذي يذهل تعقيده ، ويتطور باستمرار تقريباً ، كيف نعجب لأن

الجغرافيين العرب، بوسائلهم المحدودة، لم يقولوا كل شيء عن الإدارة، ولا أشاروا في الغالب حتى الى جوانبها الأساسية ، ولا أجروا دوماً التمييزات التي لايستغنى عنها ؟

ويقدم البطارقة بالضبط مثالاً جيداً عن هذه النواقص وعن هذه الالتباسات . فقد رأينا من قبل أنهم يؤلفون هيئة قوامها اثنا عشر من « الخالدين » أو مجموعة أوسع بكثير يؤلف هؤلاء الاثنا عشر نواتها (٢٦٠٥) في جميع الأحوال ، لاشيء يدل على أن لقب بطريق كان في التاريخ شعار منصب لاشعار وظيفة (٢٦٠٦) . وهذا ما يفسر إعطـــاء ابن خرداذبه مراتب بطريقـــة توازي مراتب المهام : فيصبح « وزير » الملك وخليفته أجل البطارقة (٢٦٠٧) . ، أو أيضا قيام ابن خرداذبه اياه (٢٦٠٨) بالحديث عن البطارقة الستة الذين لايقيمون في القسطنطينية، وبتحديد مقرهم في الأعمال التي نعرف أنها عائدة الى الاصطرطيقوس : في عمورية (عمل الناطلوس) ، وفي أنقرة (عمل البقلار) ، وفي أعمال أرمنياق وتراقية ، وصقيلية وسردينية (٢٦٠٩) . ويتأيد هذا التفسير (٢٦١٠) بمقطع آخر لابن خرداذبه (٢٦١١) يقول إن كل بطريق يأمر على عشرة آلاف رجل ، ومع كل بطريق طرماخان ، ومع كل طرماخان خمسة طرنجارين، ومع كل طرنجار خمسة قمامسة ، ومع كل قومس خمسة قنطرخين ، ومع كل قنطرخ أربعة داقرخين . ولا ريب أن هذه المراتب تتعلق بصميم الإدارة العسكرية (٢٦١٢) ، لا الإدارة البرية وحدها : فالمسعودي يتحدث عن « بطريق البحر » ، وهو في الحقيقة أمير الأسطول طبعاً (٢٦١٣) .

في الختام. يرى مؤلفو الجغرافية أنه يعثر على البطريق في جميع أجهزة البلاط والمملكة . ويدل على الاقتراب من الملك . لكن لماذا البطريق والبطريق وحده؟ لماذا لم تحفظ نصوص الجغرافية، في متاهة المهام والألقاب، التي يقدمها التاريخ البيزنطي ، سوى هذا الاسم ، وهذا الاسم وحده ، عندما يشار الى حاشية الملك أو تفويض صلاحيته ؟ لاشك أن السبب يكمن في الالتباس بين لفظي بطريق (بطريق) وبطريرك . فدار الإسلام تعرف أن البطريرك هو الرئيس لمراتب لاتقتصر على الدين (٢٦١٤) ، وما دام اسمه يونانيا (٢٦٦٥) في العرف العام ، فيرجح جداً أن مؤلفي الجغرافية جعلوا للبطريرك ، في افظ بطريق القريب منه ، رمز المراتب البيزنطية (٢٦٦٦) ، الممتاز وشبه الوحيد .

بعض خصائص الإدارة البيزنطية

هل نفتش عن الخصائص ؟ أم نسعى في الواقع الى العثور في القسطنطينية على مانعرفه عن بغداد؟ واذا توفرت الأصالة في بيزنطية، أنجدها حتماً في المؤسسات القائمة بالذات ، أو بالأحرى في بعض أنماطها ؟ لنأخذ مثالاً ما يعجب له المؤلفون من التدرج في الرواتب عامة ورواتب الرؤساء خاصة ، ومن التباين في عطاء الجند . فعطاء الرؤساء مختلف أكثره أربعون رطلاً ذهباً الى ستة وثلاثين رطلاً الى أربعة وعشرين رطلا الى اثني عشر رطلا الى ستة أرطال الى رطل . وأعطيات الجند مابين ثمانية عشر ديناراً الى اثني عشر ديناراً . هذا مرسوم لهم في كل سنة . وانما يعطون عطاء واحداً (٢٦١٧) . في كل ثلاث سنين ، وربما في أربع سنين وربما كان في خمس وربما كان في ست سنين . ولا شك أن الدهشة تفضح بيزنطية . فاذا كانت مواعيد

أداء عطاء جند الخلافة تقع في « أشهر » متباعدة إلى أقصى حد (تتراوح بين شهر ومائة وثمانين يوماً) . فهي بعيدة عن التأخير المشار اليه في بيزنطية ، وعن التمادي الذي ينشأ عنه اضطراب وتذمر وتمرد (٢٦١٨) . ويحصل العكس تماما بشأن الرواتب (٢٦١٩) فما دامت دوائر إدارة بغداد تجعل المقارنة بنسبة ١ الى ٧٠٠ (٢٦٢٠)، ويحتمل أن تدل الإشارة الى القسطنطينية على حلم — صيغ بحذر ومن بعيد جداً — يراود جهاز خلافة أقل تكاليف وأعدل .

ونشير الى مرتبي البريد (٢٦٢١) في البر ، والى مرتبيه في البحر لنقل الحوائج والمتاع المختص بالملك . وبوسعنا الاعتماد على شهادة هرون بن يحيى (عند ابن رسته) وشهادة ابن حوقل ، ونطلع على دروب البريد الرسمي الكبرى في آسية الصغرى عن طريق أنقرة أو نيقية . وبريد الروم بالبغال والبراذين اللطاف المحذفة الأذناب الخفاف . ويشتمل تنظيمه العام على مراكز تموين واستبدال دواب . ويذكر ابن خرداذبه مركز ملاجنة « واصطبلاتها » . مع ذلك أساس هذا البريد المراحل التي تبعد بعضها عن بعض فرسخاً ، أي ستة كم ، مما يدل على شبكة كثيفة جداً ، وبالتالي سرعات ثابتة : فهل كان بامكان هرون بن يحيى أن يجتاز آسية الصغرى في غضون مايقرب من بضعة أيام (٢٦٢٢) بمراحل تبعد فرسخين أو أربعة فراسخ ، كما هي الحال في دار الإسلام ؟

وخراج الروم(٢٦٢٣)على «مساحة،على كل مائتي مدي ثلاثة دنانير في كل سنة . ويؤخذ عشر الغلات ، فيصير في الأهراء للجيوش . ويؤخذ من اليهود والمجوس دينار في السنة . ويؤخذ من كل بيت

يوقد فيه نار في السنة ستة دراهم (٢٦٢٤) . أما ابن حوقل (٢٦٢٥) فيعطي تفصيلات مهمة عن ضريبة اطرابزنده وأنطاليه ، المرسومة من أخذ مايرد من دار الإسلام من أسرى وسفن وأمتعة ، ويستأثر القيم على ذلك بما يزيد على مال الملك من أثمان الأمتعة والمراكب والمسلمين . ثم إن ضريبة انطاليه (٢٦٢٦) على صاحب المراكب بها المجعول اليه قصد دار الإسلام كانت (٢٦٢٧) ثلاثة قناطير ذهبا ، وتكون مع اللوازم التي تلحقها والهدايا ثلاثين ألف دينار وثمن مائة أسير كل سنة . وكانت العشور تؤخذ على المتاع الواصل الى طرابزنده الداخل اليها والخارج منها. وتصل الى مثلي العشور هدايا مرسومة على التجار .

ويتساءل المسلم عن خراج الروم ليعرف منه قوتهم . فمن جهة ، يقصد الاطمئنان : فجميع خراج الروم أقل من خراج ولاية وحتى ناحية من مملكة الإسلام (٢٦٢٩) . إلا أن القلق يبقى قائماً ، يثيره كنز الملك ، المحفوظ في ثنايا أحد قصوره ، في قلب قسطنطينية النائية ، الذي لايصل اليه انسان أو يكاد ، ولم يره أحد سوى من نال حظوة لديه في أحدى السفارات (٢٦٢٩) .

ففي أحد البيوت المختومة في أحد القصور ، نضدت جرب بيض حواليه ، فقال الملك الى رسول الخليفة بأن يشير الى ماشاء منها ، فأشار الى جراب ملئت منه برنية ، وختمت . ثم استفتح باباً آخر ، فاذا جرب حمر ، ملئت من أحدها أيضا برنية . ثم انصرفا الى القصر . فدعا الملك بكير ومنفاخ ورطل نحاس ورطل رصاص . فأمر بأحدهما فأذيب . وأمر أن يلقى عليه من الدواء الأبيض مايحمل ظفر الإبهام ، ثم أخرجه فخرج فضة بيضاء . ثم أذيب النحاس ، وألقي عليه من الأحمر مثل ذلك ، فخرج ذهباً أحمر .

وأعجب مافي الأمر، وأبعثه على القلق، كما نرى، هو أن الكنز لا وجود له، أو بالأحرى، يتوارى في صميم دواء أبيض أو أحمر، ويظهر فجأة حسب مشيئة الملك وبلا حدود. أضف أن هذا الكنز الكامن، كما قلنا، دليل قوة الروم العظيمة، وأن الدواء ضمانة الحصول على المعدن الثمين، على العملة القوية، بالتالي ضمانة المملكة. ولنسمع نهاية القصة: فبعد أن أثبت ملك الروم قدرته، قال لرسول الخليفة: «أعلم صاحبك أن هذا مالي. وأما الخيل والرجال، فانك تعلم أنهم أكثر وأكبر». فأفاد المنصور من الدرس، وحدا به حديث رسوله على طلب الكيمياء.

ونعثر عند المؤلف نفسه بعد صفحة واحدة، على النهج المتردد ذاته، الذي ينطوي على الدهشة أمام عظمة قوة بيزنطية المفروضة هائلة، وعلى الحرص على الاطمئنان أمام القوة ذاتها، المعتبرة واهنة. فبعد أن يصف ابن الفقية كنز ملك الروم على حد ما بينا، في عصر الخليفة المنصور (١٣٦ ه / ٧٥٤ م – ١٥٨ه / ٧٧٥ م، يعود (٢٦٣٠) إلى الوراء الى عهد الملكين مورق وفوقس (٥٨٢ – ٦١٠). وكان فوقس سيء السيرة، فأرادت الروم ان تخلعه. فعمد الى خزائنهم وأموالهم، فشحن منها السفن، ورمى بالباقي في البحر. ولما جاءت السفن الى الشام، أخذ غلام كسرى الساساني على الشام، السفن، واستخرج مافيها من الأموال. فبطلت أموال الروم منذ حينئذ، فليس في الأرض رومي له عطاء أكثر من خمسة دنانير وعشرة دنانير، هذا للشريف منهم.

وفي بيزنطية ودار الإسلام نظام متواز آخر، هو نظام الخصيان.

ففي القسطنطينية ، نجدهم في جميع الأماكن أو في جميعها تقريباً ، لاسيمافي البلاط (٢٦٣١). لكن لايفهم مؤلفو الجغرافية القصة بهذه الطريقة ، بل يرون أنّ الخصيان مخصصون للكنيسة . فقد زعم أحد المؤلفين بأنه تحصل له أن الروم يسلون أولادهم ويحرزونهم على الكنائس ، لئلا يشغلوا بالنساء ، وتؤذيهم الشهوة . وهكذا تحافظ الكنيسة على الخصيان ويحافظ الخصيان عليها . وكان المسلمون اذا غزوا أغاروا على كنائس الروم ، وأخرجوا منها غنيمة الصبيان . (٢٦٣٢)

لماذا وضعت المعادلة خصيان ـــ اكليرس ، في حين يتضح من واقع الأحداث أن الوضع يبدي نقاطاً مشتركة كثيرة بين عالم الروم ودار الإسلام (٢٦٣٣) ؟ فما يقال عن الكنيسة البيزنطية لايجوز أن يفهم بأنه طعن : فقد كان الرقيق والخصيان وقائع مقبولة على علاتها في حضارات ذلك الزمن . أما النقد الضمني ، فينص عليه بشكل آخر : فما يرفض فهمه في العملية التي يمارسها الأهل على أولادهم ، هو أن هيئة اجتماعية تهص ذاتها ، وتصنع الخصيان في أرضها عوضاً عن أن تجلبهم من خارج بلادها .

لكن بقي أن نفسر لماذا بدت الكنيسة المستفيد الوحيد . الواقع أن نصوص الجغرافية تخلط فيما نظن الأنظمة الدنيوية وأنظمة الأديرة (٢٦٣٤). فاذا كان الاكليروس يستطيع أن يتزوج ، خلافاً للاساقفة ، فان قانون التنسك الديري أقسى بكثير (٢٦٣٥) . ولا يتصور الإسلام الطهارة المسيحية على حقيقتها ، أو بالأحرى على صرامتها (٢٦٣٦) (وهذا يؤول الى رفض الزهد المطلق) ولا بد ، لكي يؤمن باحتمال قيام هذا الزهد ، من رفض الجسد رفضاً تاماً . عندئذ يصبح الخصي في

نظر مؤلفي الجغرافية، التفسير المنطقي الوحيد، والتصور المحتمل الوحيد للتشدد في العفة .

لننه حديثنا عن الجيش ، الذي لاينفصل عن سائر جهاز المملكة . وقد درسناه من قبل في نطاقها . وليس علينا الآن إلا أن نشير الى ناحيتين ترتديان أهمية كبرى في هذا الرهان الذي يتمثل في الحرب الدائمة بين بيزنطية ودار الإسلام . أولاهما عدد الجيش الإجمالي : ويحدده تقليد مستقر بـ ١٢٠٠٠٠ رجل (٢٦٣٧) : وهذا العددمعقول، فيما يبدو ، ولا يسعناإيراد تفاصيل إضافية عنه (٢٦٣٨) . مع ذلك ، ينبغي أن نعلم أنه يتعلق بالجند المسجلين في ديوان الجيش : غلمان مرتزقة اذا صدقنا ابن خرداذبه (٢٦٣٩) . بالتالي ، يجب أن يكون العدد الحقيقي ، في ذهن مؤلفي الجغرافية ذاته ، أعظم بكثير، ويعطي بيزنطية قوة عددية رهيبة (٢٦٤٠) .

لكن هل تنطوي الأرقام على قيمة بحد ذاتها؟يشدد الجغرافيون خاصة، مثلما رأينا ، على التنظيم والمراتب المهيبة المعصومة عن الخطأ في هذه المملكة المدججة بالسلاح . ويمعنون النظر أيضا في سوقيات الجيوش في الأعمال . فمعسكر الملك (٢٦٤١) أربعة بنود (٢٦٤٢) عليها أربعة بطارقة في الخيل ، كتيبة كل واحد منهم اثنا عشر الفا ، ستة آلاف مرتزقة ، وستة آلاف بشجرد (٢٦٤٣) . ويستفيد هذا الجيش طبعاً في تنقلاته من كل تنظيمات بريد الملك (٢٦٤٤) . والصفة البارزة (٢٦٤٥) ، هي انه ليس للروم في عساكرهم أسواق انما يحمل الرجل من منزله كعكه (٢٦٤٦) وزيته وخمره وجبنه .

واذا نظرنا الى الإدارة العسكرية من الأعلى ، على مستوى الجيش عامة ، لقيناها تستعمل وسائل أخرى خصوصاً في نواح تعتبر الحرب فيها من صميم حياتها اذا جاز لنا هذا القول ، أي في الثغور التي تتاخم بلدان دار الإسلام (٢٦٤٧) . وسبيلهم فيما يقيمونه من غزو المسلمين في البحر ، أن يأتوا الى كل ضيعة تقارب البحر ، ويأخذوا من كل دخان أي كل بيت ، دينارين ويجمع ذلك ، ويدفع الى النافذين في البحر اثنا عشر ديناراً لكل نسان ، ويأكل مما يلقاه فيما يغنمه ، ولا شيء له في الغنيمة من ثمن مسلم أو متاع يغنم ، وكل ذلك متوفر على الملك . فاذا قبض رجال البحر أرزاقهم ، أصلحوا ما أحبوا استحداثه من مركب وآلة أو مرمة لمركب قديم في صناعتهم .

وأما غزوهم في البر ، فان ملكهم نقفور ، على حد قول ابن حوقل (٢٦٤٨) ، أخذ من كل دخان يسكنه رئيس منهم يملك خدماً وبقراً وغنماً وأرضاً ومزدرعاً في حال متوسطة عشرة دنانير (٢٦٤٩) عينا ذهبا .ومن فوق هذه الطبقة في القوة ، جعل عليه رجلاً بسلاحه ودوابه وقوامه ومؤنه ونفقة له ثلثين ديناراً . لاريب أن ابن حوقل يشير الى طبقة المرتزقة (أو فوري) (٢٦٥٠) . وتستحق خاتمته أن تبرز : فقد ربح نقفور في خلال جمعه الأموال ، واحتجن منها ، ولم يصرف من ماله . فسخطت النصرانية عامة عليه ، وجعلت ذلك سبباً لقتله (٢٦٥١) .

وبذا نكون قد أنجزنا دراسة الإدارة البيزنطية بايجاز . وهذه الدراسة ناقصة قطعاً. لكن لايتطلع مؤلفو الجغرافية الى عطاء جميع المعلومات فرائدهم هنا الفائدة لا الإحاطة بالموضوع . ولنسمع في الختام المقدسي

يلخص هذه الحالة الذهنية (٢٦٥٢) تلخيصاً جيداً جداً : « يجب أن تذكر أسباب القسطنطينية ، لأن للمسلمين بها داراً يجتمعون فيها ، ويظهرون الإسلام بها . وقد كثر الاختلاف والكذب فيها وأمر البلد ومساحته وبنيانه . فرأيت أن أصور ذلك للعيون ، وأوضحه للقلوب ، وأذكر الطرق اليها لحاجة المسلمين الى ذلك ، وقصدهم في شراء الأسارى (٢٦٥٣) والرسالات والغزو والتجارات » .

بيزنطية : كنيسة أم هي الكنيسة

يبدي المؤلفون اهتماماً — هائلاً — بالكنيسة البيزنطية ، تفسره أسباب مماثلة أعني تتعلق بدار الإسلام ذاتها . فهم يطلبون من بيزنطية أن تشرح لهم ، جزئياً على الأقل ، الطوائف المسيحية فيها ، وأصل بعض الطقوس أو المعتقدات أو المراتب . ولا شك أن مكانة رومية في المسيحية معروفة ، مثلما رأينا في الفصل السابق . إلا أن رومية بعيدة وغامضة أيضا أكثر منالقسطنطينية ذاتها . ثم إن مملكة الروم وكنيستها تسيران معاً ، ملتحمتين ، لا تنفصلان لا في واقع الحال ، ولا فيما يكتب عنهما من تقارير .

على وجه التخصيص، لايمكن فصل كنيسة القسطنطينية عن الطوائف المسيحية الشرقية التي تعرفت عليها دار الإسلام وحدها في البدء وعلى أرضها . وترتبط هذه الطوائف ببزنطية رغم الخلافات العقائدية وتفاوت المراتب . من هذه الناحية ، يثير لنا مؤلف مثل المسعودي مشكلة منهج دراستنا . فهو يتذرع بوصف الكنيسة البيرنطية ليدخل في استطرادات عن النصرانية عامة . وما دام بحثنا هنا يتناول القسطنطينية ومملكتها، فلا نستطيع طبعاً أن نأخذ بعين الاعتبار إلا ما يتضح أنه يتصل مباشرة

بموضوع هذا الفصل . إلا أن لموقف المسعودي مغزاه ، ولا ينسجم لفظ « استطرادات » معه : فقصد الكاتب المسلم أن يقوم بدراسة واحدة معينةٍ ، ويعتبر الكنيسة البيزنطية فعلا نموذج الكنائس المسيحية قاطبة .

فمن الناحية التاريخية ، لم يخلف ماضي الروم الوثني آثاراً البتة عند مؤلفي الجغرافية. فالمسعودي يذكر (٢٦٥٤) ثلاثة بيوتٍ معظمة عند اليونانيين فقط . ويدهشنا بيتان منها : الأهرام وبيت المقدس . والبيت الثالث وحده يضاف بناؤه إلى العالم اليوناني ، أو بالأحرى الهلنستي : نعني بيت انطاكية . الذي أشاده سقلابيوس على حد ما يقال لنا . وقيل إن قسطنطين الأكبر خربه . وقد أقام المسلمون في مكانه تحصيناتٍ ناشئة عن ضرورات الحرب العربية الرومية ، وجعلوا في موضعه مرقباً لينذرهم من قد رتب فيه من الرجال بالروم اذا وردوا من البر والبحر . وهو في هذا الوقت سوق تعرف بسوق الحرابين والزرادين(٢٦٥٥) .

على النقيض ، تنصر الروم معروف أفضل بكثير . فقد خرج قسطنطين في بعض الحروب لسنةٍ واحدةٍ خلت من ملكه ، أو لأكثر من عشرين سنة في قول آخر ، فرأى في نومه أو في المعركة صليباً أو عدة صلبان تنزل من السماء ، في حين قال له صوت « استنصر به على عدوك تنصر عليه » . فركب الملك مثال ذلك على رؤوس الأعلام كالأسنة ، فظهر على عدوه(٢٦٥٦) . وفي رواية أخرى(٢٦٥٧) أن قسطنطين تنصر لظهور الوضح في جسمه إذ في أصل الديانة الوثنية الرومانية وواجب العبادة ، أن من كان به ذلك لا يصلح للملك . أخيراً يربط اعتناقه النصرانية في بعض الأحيان بتأسيس القسطنطينية . فهذا ما يؤكده بأجلى وضوح اسحق بن الحسين الذي يقول بأن انتقال الملك

من رومية إلى بيزنطية بدا وكأنه هروب : اذ إنه أول ملك في رومية دخل في دين النصارى وأظهره ، فأنكر عليه ذلك أهل مملكته(٢٦٥٨) .

أظهر قسطنطين النصرانية ، وجعلها دين المملكة الرسمي . إلا أن شخصية أخرى ، واردةً في نصوصنا، شيدتها حقا(٢٦٥٩) ، نعني والدته هلاني التي اكتشفت خشبة الصليب الحقيقي، وبنت كل الكنائس بالشام ومصر وبلاد الروم ، خصوصا الكنائس الشهيرة مثل كنيسة حمص وكنيسة القيامة في بيت المقدس وكنيسة الرها (٢٦٦٠) .

ويعتبر تاريخ الكنيسة بعد ذلك تاريخ مجامعها الستة ، أو حسب كلمة مأخوذة عن نصارى مصر ، « سنهود ساتها » أو سناد ساتها ، وتفسير ذلك « المجمع »(٢٦٦١) . وانعقد المجمع الأول في نيقية(٢٦٦٢) في ١٩ حزيران عام ٦٣٦ للاسكندر أي لتسع عشرة أو إحدى وعشرين سنة خلت من ملك قسطنطين . وحضره ٢٠٤٨ أسقفا مختلفو الآراء ، منهم ٣١٨ أسقفا متفقون ، يتمتعون بحق اتخاذ القرارات . وكان الرئيس والمقدم في هذا المجمع الإسكندر ، بطريرك الإسكندرية ، وحضره أسطات بطريرك انطاكية ، ومارقس (مكاريوس) اسقف بيت المقدس، و « بوليوس » بطريرك رومية(٢٦٦٣) . وكانت نتائج أعمال المجمع ما يلي : وضعوا في هذا المجمع الأمانة (فعل الإيمان) التي يتفق عليها سائر النصارى . من الملكية واليعقوبية والعباد وهم النسطورية ، ، ويذكرونها كل يوم في القداس . واتفقوا على أن يكون فصح النصارى «يوم الأحد الذي يكون بعد فصح اليهود» . وحرموا أريوس الاسكندراني وإلى اسمه أضيفت الآريوسية من النصارى . ورفعوا كرسي أسقفية الإسكندرية إلى بطريركية(٢٦٦٤) .

وعقد المجمع الثاني في القسطنطينية(٢٦٦٥) . واجتمع فيه من الأساقفة مائة وخمسون أسقفاً . وكان المقدم في هذا المجمع طيموثاوس بطريرك الاسكندرية ، يعاونه مليطيوس (انطاكية) وقورللس (بيت المقدس) ، ومن قراراته رفع كرسي بيت المقدس إلى بطريكية(٢٦٦٦) ولعنوا هرطقة مقدونس (مسيدونيوس) ، وثبتوا عقيدة الروح القدس .

وندخل في صميم الطوائف المسيحية الشرقية في مجمع أفسيس(٢٦٦٧) ، حضر هذا المجمع مائتا أسقف . وكان المقدم فيه قورللس بطريرك الإسكندرية ، وكلسطوس «بطريرك» رومية وبولانيوس (جوفينال) بطريرك إيليا(٢٦٦٨) . وحسم المجمع الخلاف بين نسطوروس بطريرك القسطنطينية وبين قورللس ، وحرم نسطوروس بعد كثير من التردد والمناورات . وذهب نسطوروس وأمضى باقي أيامه في صعيد مصر . أما أتباعه المسيحيون أو « المشارقة » ، على حد تعبير المسعودي ، فتكنّ لهم الملكية من إخوانهم وأخصامهم « الغربيين » أعظم الكره . وقد تحملوا صدمة الحرم ، ثم أحرزوا انتصارات جديدة مع رئيس أساقفتهم في نصيبين(٢٦٧٠) ، الذي عمم على جميع المسيحيين ، في المشرق نظريته في الألوهية ، بأقانيمها الثلاثة والجوهر الواحد وكيفية اتحاد اللاهوت القديم بالناسوت المحدث(٢٦٧١) .

واذا هيمنت قضية النسطورية على المجمع الثالث ، فان اليعاقبة ، حسب استباق النصوص الجغرافية ، هم الذين يحتلون مركز اهتمام المجمع المسكوني الرابع الذي انعقد في خلقدونية ، وحضره ٦٣٠ أو ٦٦٠(٢٦٧٢) أسقفاً ، حرموا اوطيسوس وديسقرس بطريرك الإسكندرية(٢٦٧٣) ،

لأنهما تبنيا دعاوى(٢٦٧٤) سورس ويعقوب البراذعاني الأنطاكي ، وانقطع اليعاقبة عن المجتمع المسيحي . ولهم كرسيان بطريركيان : أحدهما في أنطاكية ، وكرسي في دير في ناحية الإسكندرية ، أبي مقار (٢٦٧٥) . وجمهورهم واسع جداً ، يسيطرون في مصر على الأقباط وفي النوبة والحبشة . ولهم جماعات هامة أخرى في أرمينية ، وكرسيان أسقفيان في تكريت بين الموصل وبغداد ، وفي رأس العين(٢٦٧٦) ، ويبدو أن هذا الكرسي الأخير انتقل فيما بعد إلى بلاد قنسرين في جنوب غربي حلب .

وحضر المجمع الخامس (القسطنطينية ، ١٦٠ — ١٦٤ اسقفا) البطاركة الأربعة لكراسي انطاكية والاسكندرية ورومية والقسطنطينية طبعاً ، ومثل بطريرك بيت المقدس معاونوه(٢٦٧٧) . وحرم المجمع ثلاثة أساقفة ، هم تدوس أسقف المصيصة ، وتوزروطس اسقف انقره ، وايبا اسقف الرها ، ودعاوى اريجانس ، لقوله بتناسخ الأرواح وتعديله على ضوء المبادىء المسيحية وجعله استحقاقاً لارتكاب الأجرام(٢٦٧٨) .

وحرم المجمع الأخير (القسطنطينية ، ٢٨٩ اسقفا)(٢٦٧٩) قورس الاسكندراني الذي خالف الملكية ، وأحدث قولاً نحو قول المارونية في المشيئة والفعل : وأصل مارون من حماه في سورية . وكان له دير عظيم ، قرب نهر الأرنط (العاصي) فيه ثلاثمائة صومعة فيها الرهبان وقيل لنا إن مذهب مارون متوسط بين قول النسطورية والملكية ، إذ يرى أن المسيح جوهران ، لكن أقنوم واحد ومشيئة واحدة(٢٦٨٠) .

نسلم بأن هذه اللوحة العامة عن الطوائف المسيحية في الشرق ، لا

تنحرف كثيراً عن الحقيقة(٢٦٨١) . ولا عجب في ذلك . فالمسعودي يعرفها جميعاً ، لأنه طالع بعض تصانيفها الرئيسية ، وناقش عقيدتها مع ممثليها(٢٦٨٢) . مع ذلك ، لا تستنفد المجامع كل تاريخ الكنيسة . فأثناء قراءتنا كتاب مروج الذهب وكتاب التنبيه والإشراف ، لاحظنا « ارتداد » يوليانوس عن النصرانية ، ودعم يوبيانوس القوي للنصرانية ، ثم خلافات القديس يوحنا فم الذهب مع الملكة يدوقية ، ثم الهرطقة البوليسية التي نشرت في قلب المسيحية البيزنطية الثنوية المانوية ، واضطهادات رومانوس الأول لليهود(٢٦٨٣) .

في النهاية تبدو الملكية ، خلافاً لسائر الطوائف المسيحية الشرقية ، غير محددة نظرياً ، لأنها في الواقع تدقق موقفها من مجمع إلى آخر ، وتتميز عن الهرطقات المتوالية . فليست الكنيسة الملكية لا أريانية ولا نسطورية ولا يعقوبية ولا مارونية ، بل هي « عمد النصرانية وقطبها» (٢٦٨٤) . وتبدو بآن واحد كالأرثوذكسية والأكثرية ، واذا عدنا إلى اسمها ، رمز الصلة بالمملكة : فالملكية هم « أتباع الملك » .

هذا بالضبط ما يشعر به المسعودي ، الذي يشبك تاريخ المجامع بتاريخ ملوك الروم في كتابي مروج الذهب والتنبيه والإشراف ، فيمزج قائمتين مرقمتين تتقاطعان.وهكذا تبدو مملكة الروم،وهي المحل الهندسي لكل المجامع المسكونية ، عنصر توحيد الكنيسة الوحيدة الممكنة ، الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية بآن واحد . إلا أنه ينظر إلى هذه الكاثوليكية بمنظار العصر أو المنظور الشرقي على وجه التخصيص(٢٦٨٥): فوجود أربع كراسي بطريركية في القسطنطينية وأنطاكية وبيت المقدس والإسكندرية ، والإشعاع الروحي لانطاكية والإسكندرية ، ونفوذ

القسطنطينية السياسي وهي شبه مندمجة بالعرش الملكي ، وأخيراً ضعف الاهتمام في النصوص الجغرافية بغرب بعيد ومجهول ، كل هذه العوامل تفسر بقاء رومية هامشية جداً: فهي صاحبة مجد بالتأكيد(٢٦٨٦)، لكنها شريكة مع غيرها — ولا شيء غير ذلك — في كاثوليكية كنيسة رأسها وحياتها في الشرق . ولا يعرف أحد البابا القديس ليون الأول ، مع أنه أول من ألهم التعاريف المسيحية الموافق عليها في مجمع خلقدونية .

الكنيسة : التنظيم والعبادة

يحتل البطاركة الخمسة أعلى المراتب . وأحدث البطريركيات قسطنطينية وبيت المقدس . وأقدمها الإسكندرية ، التي أسسها مرقس ، وخصوصاً انطاكية ورومية اللتين يعود تاريخهما إلى بطرس مع ذلك ينبغي أن نلاحظ أن مكانة رومية أرفع بعض الشيء : فبطرس استخلف على انطاكية واذيوس(٢٦٨٧) حين سار إلى رومية واستقر فيها ، و « هي له »(٢٦٨٨) .

وعادت كنيسة رومية الى الظل أو كادت ، بعد ان تم الإلحاح على قدمها ، مثلما قلنا . وصارت بطريكية ملكية (٢٦٨٩) كسائر البطريكيات الأخرى . والبطريكية كتلة ارثوذكسية متماسكة . وتتبادر القسطنطينية الى الذهن عندما يجري الحديث عن البطريكية . مهما يكن ، نعطي عنها وحدها بعض التفاصيل . وقد أشرنا من قبل الى مكانتها في مراتب المملكة (٢٦٩٠) . ويقول (٢٦٩١) المسعودي إن صاحب القسطنطينية ملك الدين والقيم به ، فما كان من أموال الأحباس (٢٦٩٢) والوقوف لنفقات الكنائس والديرة والاساقفة والرهبان ، (٢٦٩٣) فهو له . والبطريك لايأكل اللحم ، ولا يطأ النساء ، ولا يتقلد السيف ،

ولا يركب الخيل ، واذا أراد أن يركب ركب حماراً، « وحول رجليه على جانب مثل ركوب النساء » .

ويشرف البطرك على إدارته الخاصة ومراتبها ، على غرار ما يفعل الملك . « وله في كل بند (٢٦٩٤) عامل مثل عامل الملك » . ويقصد به بلا شك المطران (وتفسيره رئيس المدينة) (٢٦٩٥) . وهو أعلى طغمات الكهنوت التسع (طبقاته ، مراتبه) ، التي تعكس في الكنيسة الأفلاك التسعة أو طغمات الملائكة التسع ، على مذهب الصابئيين في حران (٢٦٩٦) . والبطرك فوق الجميع في المرتبة ، على مثال الله ، وتفسيره « أبو الآباء » . ويلي المطران في المراتب على التوالي ، الأسقف، ثم حور الغنيطس ، وهو الذي « يخلف الأسقف » ، ثم يودوط ، ثم القسيس ، ثم الشماس ، ثم يودنا ، ثم اعنسط ، ثم السلط .

وتشاهد الأعياد في الكنيسة أولاً : كعيد الصليب ، الذي يحتفل به في ١٤ ايلول ، ويذكر بهلاني (٢٦٩٧) التي وضعته ، وعيد الفصح (٢٦٩٨) ، وخصوصاً أحد الشعانين وعيد الميلاد ، المرتبطين ، مثلما رأينا بالاحتفالات الملكية (٢٦٩٩) . وأصعب من ذلك الإحاطة بالعبادة. مع ذلك، يعطي المؤلفون الجغرافيون عنها معلومات صحيحة في الغالب وشيقة دائماً . فيلاحظون أن عوام اليونانيين يتوجهون في صلاتهم الى المشرق (٢٧٠٠) . والملكية تذكر الاجتماعات الستة (المجامع الستة) في قداسها وهو « الصلاة على القربان في كل يوم » (٢٧٠١) . . وانهم يحكمون بحكم التوراة ، ويقرأون الإنجيل بالجرمقانية (٢٧٠٢) . أخيراً يرد في أحد نصوص ابراهيم بن وصيف شاه (٢٧٠٣) أن يوم القيامة ويوم الصعود وأيام الآحاد مقدسة عند البيزنطيين ، « لايتناولون

القربان قبل أن يقولوا ، متوجهين الى يسوع المسيح : « هذا هو جسدك ، هــذا هو دمك » . ويؤمنون بأنه عنــدئذ لم يعــد هناك لاخمر ولا خبز . وعندما يتفرقون بعــد تناول القربان ، يتبادلون القبل ، ولا يتحدثون قبل أن يطهروا أفواههم . فيما عدا هذا الطقس . لايأبهون أبداً بالشكليات لأن عبادتهم بالنوايا (٢٧٠٤) والحق يقال : وبذا تلتقي النصرانية البيزنطية بروحانية الإسلام (٢٧٠٥) .

النصرانية البيزنطية والإسلام

ويقرأ تاريخ الدينين المشترك في القسطنطينية ذاتها ، في قلب المدينة وفي وسط القصر وأثناء الليل . فالملك يستدعي رسل الخليفة (٢٧٠٦) ليلاً ، وليس عنده أحد . ثم يدعو بشيء كهيئة الربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها أبواب . ففتح بيتاً ، فأخرج منه خرقة سوداء حريراً ، فنشرها ، فاذا فيها صورة ، واذا رجل ضخم العينين ، عظيم الإليتين (٢٧٠٧) ، طويل العنق . فقال أتدرون من هذا . قلنا لا . قال هذا آدم . ثم فتح بيتا آخر فأخرج منه خرقة سوداء ، فنشرها ، فاذا صورة بيضاء . فاذا رجل له شعر كشعر القبط ، أحمر العينين ، عظيم الهامة . قال أتدرون من هذا . قلنا لاقال هذا نوح . ثم فتح بيتا آخر ، فاستخرج خرقة مثل الأوليين ، فاذا صورة بيضاء ، شديدة البياض ، واذا رجل حسن العينين طويل الخد ، شارع الأنف ، مختلط شيب الرأس ، أبيض اللحية كأنه يبتسم . قال أتعرفون هذا . قلنا لا . قال هذا ابراهيم . ثم أخرج خرقة سوداء مثلها ، فنشرها ، فاذا صورة قال أتعرفون هذا . قلنا نعم . وبكينا وقلنا هذا نبينا . كأنا ننظر اليه حياً . فأمسك ساعة .

ثم قال أما والله إنه آخر البيوت ، ولكني عجلته لكم لأعلم ماعندكم فأعاده . وفتح بيتاً آخر ، فأخرج خرقة سوداء ، فاذا فيها صورة صحماء أدماء ، رجل كثير الشعر ، جعد ، قطط ، غائر العينين ، حديد النظر ، عابس ، متراكب الأسنان ، مقلص الشفة ، والى جنبه صورة شبيه به ، غير أنه مدور الرأس ، عظيم الجبين ، في عينه قبل . فقال هذا موسى وأخوه هارون . ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج خرقة سوداء ، فاذا بها صورة بيضاء ، أشبه ماخلق الله بصورة امرأة عجيزة وساقاً . قال هذا داود . ثم استخرج خرقة سوداء فيها صورة بيضاء ، فاذا رجل أرقص طويل الرجلين ، قصير الظهر ، واذا هو راكب على فرس لكل شيء منه جناح . قال أتعرفون هذا قلنا لا . قال هذا سليمان ، وهذه الريح تحته . ثم أخرج لنا خرقة سوداء ، فيها صورة صفراء ، واذا رجل شديد سواد الشعر ، سبطه ، (٢٧٠٨) كثيره ، حسن الوجه والعينين ، مشتبه كل شيء . قال أتعرفون هذا . قلنا لا . قال هذا عيسى.

قلنا ومن أين هذه الصور هكذا . فإنا نعلم أن هذه الصور على م. صورت لأن صورة نبينا مثله . قال إن آدم سأل ربه أن يريه أنبياء بنيه ، فأنزل عليه صورهم ، فاستخرجها ذو القرنين من خزانة آدم في مغرب الشمس . فصورها دانيال على تلك الصور في خرق حرير هذه بعينها .

لاتنفرد بيزنطية بموضوع صور الأنبياء . فقد ورد في الشرق الأقصى (٢٧٠٩) ، لكن في إطار يتسم (٢٧١٠) بالامبالاة الدينية الصينية . أما هنا فيمثل الإيمان الحقيقي في صميم النقاش . وكانت غاية البعثة التي تحدثنا عنها من قبل (٢٧١١) ، دعوة ملك الروم الى الإسلام . وقد سبقت هذه الدعوة مقابلة الأيهم الغساني (٢٧١٢) في

غوطة دمشق ، الذي يحاول تقليد ملك الروم في مراسم استقباله . ويعرف أن دار الإسلام تريد إخراجه من مملكته ، كما سوف نفكر في وقت لاحق في القضاء على القسطنطينية، ويلبس مسوحاً سوداء تذكر بالأسرار المكنونة في القصر الملكي .

لن ندخل في متاهة مواقف التنبؤ والألوان التي تستعملها (٢٧١٣) . ونكتفي بالنواحي الأساسية : مثل ورود اسم محمد منذ بدء الدهور في قائمة الأنبياء ، ونسب الإسلام الى ابراهيم ، الذي يعبر عنه ملك الروم من حيث لايدري ، عندما يتجاوز مرة أولى التقليد الموسوي الذي يبرز بصورة عابرة صرامة (تتعارض مع ابتسامة ابراهيم) ، أو على النقيض ، تكلفاً مفرطاً (داود مخنث يتعارض مع رجولة آدم) ، وميلاً الى نوع من التطير أو الخرافة (لا وجود له في الطور الأول من تاريخ النبوءات)، وأخيراً الغموض(يسوع موضوع جدل مع النصارى) (٢٧١٤) .

وود الملك ، على ماقلنا من قبل ، أن يخرج من نصف ملكه ، وأن يكون الانتفاض من حيلة الناس (٢٧١٥) لا من نبوة . وهاهو الآن يقر بالحق ويسلم بأنه ضعيف جداً لايؤمن به ، ويقول : «وددت أن نفسي تطيب بالخروج من ملكي ، وأكون عبداً لأشرككم ملكه . ولكن نفسي لاتطيب»(٢٧١٦) . ومن هنا يستنتج أنه يجب ويكفي أن تزول القسطنطينية ، كمملكة على الأقل ، ليسطع نور الحق فيها ، الذي يعترف به ولا يؤخذ .

وترتبط دار الإسلام ببيزنطية علاقة أخرى ، غامضة جدا ، هي ذكرى أصحاب الكهف (٢٧١٧) ، الذين ناموا في عهد داقيوس ،

وظهروا في عهد والنس (٢٧١٨) ، وترد قصتهم في القرآن ، وتقول النصرانية إن موضعهم في أفسيس (٢٧١٩) . وقبلياً ، لايذهب التأمل في النصوص الجغرافية الى أبعد من ذكر صدف الجغرافية أو التاريخ ، اللذين يعينان موضع رفات أصحاب الرقيم في عمورية أو نيقية أو في قبذوقية ، أو أيضاً على سواحل بحر الروم ، في أفسيس أو زمرني (٢٧٢٠) .

وموضع الكهف في الشمال من أرض الروم ، وقد أخبر الله عن ذلك في كتابه . وينفتح الكهف بهوّية ٍ في قاعدة الجبل ، بهيئة سرب يقطع خربة عظيمة ، وسطها نقرة ماء . ثم يستمر بعدها حتى قاعة الأموات ، وهم ثلاثة عشر رجلاً رقوداً ، اعترضت عقبات كثيرة المكتشفين المسلمين الى أن توصلوا الى الاقتراب منهم . ووجد من حاول تسميمهم .

وأهل تلك الأنحاء حراس عليهم . وأصحاب الكهف مغطَّون بالصبر والمر والكافور . وعلى كل رجل منهم جبة ، وعلى بعضهم خفاف أو نعال . وعلى الرغم من تجفافهم التام ، يعطون انطباعاً كبيراً بأنهم أحياء ، على حد ما قيل لنا . وفي رأس كل سنة ، يقيمهم حراسهم وينفضون غبار ثيابهم . ولا يتجرحون ، ويقلمون أظفارهم ثلاث مرات في السنة .

لكن يثار سؤال في هذا التحقيق : هل هذه الرفات حقاً رفات القديسين الذين ورد ذكرهم في القرآن ؟ يميل الاتجاه العام الى الشك في هذا الأمر ، وينكره بعض الباحثين صراحة : مثل المنجم محمد بن موسى الخوارزمي (٢٧٢١) ، أشهر هؤلاء المستكشفين ، ومثل هذا العربي الذي ضرب عنق أحد الراقدين ، أثناء غلبة العرب على أهل

الناحية وامتلاكهم هوية الكهف . وتجري الأمور كما لو أن القديسين يفقدون قدسيتهم بوجودهم في بيزنطية ، أو في جميع الأحوال ، يفقدون صفتهم كأولياء في الإسلام : وما داموا ليس موضعهم في دار الإسلام ، يسع المرء في الحد الأدنى أن يشك في صحة (٢٧٢٢) قديسي الغريب العدو .

بيزنطية بلا حياة يومية

يعرف المؤرخون مكانة بيزنطية في المبادلات التجارية الدولية في القرنين ٣ـ٤هـ/٩ـ١٠م ، وتردد النصوص الجغرافية أصداء تلك المكانة : ويعدد كتاب التبصر بالتجارة للجاحظ الأصناف الرئيسية المحمولة الى بلدان دار الإسلام (٢٧٢٣) : كالخيل ، والرقيق (جواري ، خصيان) ، والمنتجات المصنوعة (أواني من ذهب أو فضة أو نحاس أحمر ، أقفال ، قيثارات) ، كالعقاقير ، والديباج ، وغيرها من الأقمشة النفيسة ، وأخيرا صنفين هامين جدا ، هما العملة الذهبية وتصدير التقنيات على يد مهندسي الري والخبراء الزراعيين والرخامين .

وفي الاتجاه المعاكس ، لايذكر قط سوى رقيق أوربة الغربية (٢٧٢٤) ، الذي يمر بالأندلس ، حيث يخصى ، ثم بمصر والشام والجزيرة ، قبل أن يذهب الى بلاد الروم . وتتوقف هذه التجارة على العمليات العسكرية وعدم خراب الثغور . أخيرا ، في داخل بلاد الروم ، يحدثنا ابن خرداذبه عن حمل البقل الى القسطنطينية من نيقية ، وعلى العموم ، الثمار من السهول أو الجبال على حد سواء في شهر ايلول (٢٧٢٥) .

وقد عرفنا من قبل هذا النموذج من التجارة ، أو بالأحرى ، هذا النمط من عرض الاقتصاد ، الذي ينظر الى المبادلات من اتجاه واحد فقط ، ويتصور ان التجارة العالمية شبه مضخة شارقة تمتص أصناف دار الإسلام التي لاتؤدي شيئاً أو تكاد . مع ذلك ، تذهلنا بيزنطية : فهل تعامل حقا كسائر البلدان الغريبة ، هي التي تمثل الغريب المفضل حتى في علاقة الصراع ؟

قد يقال بلا شك بأن الطرق العالمية لسير التجار الروس أو اليهود الراذانيين (٢٧٢٦) ، تعود الى إدخال القسطنطينية في شبكات التجارة الكبيرة . ليكن . إلا أنها تقتسم هذا الدور مع باقي الأمم مجتمعة ، من أقصى الغرب حتى الصين. وقد يقال أيضاً بأن النصوص الجغرافية تدقق بعناية فائقة في الطرق الذاهبة الى القسطنطينية ، خلافاً للأصقاع الغريبة الأخرى. وهذا صحيح . إنما نتساءل اذا كانت هذه الاتصالات الصبورة الطويلة ، عبر آسية الصغرى ، تجارية فعلا ، أم خاصة بالبريد أو الحرب (٢٧٢٧)

نحزر الإجابة : إنها قطعاً كل ذلك في وقت واحد . وهكذا مرة أخرى ، تتطابق بيزنطية الرسمية ، أي بيزنطية المملكة مع بيزنطية الواقعية : والبرهان بالنسبة الى المسالك ، غياب التجار في عدد من المراجع المذكورة . وقد لاتختلف في نهاية المطاف القسطنطينية التي نعرفها عن القسطنطينية التي عرفناها من قبل ، أي أنها مقرّ الجهاز الاداري أو الاحتفالات الملكية .

فهي مدينة بلا بشر ، وبلا حياة يومية . فكيف كان ذلك ، في حين عاش فيها هذا العدد الكبير من الأسرى ، ولا نذكر غيرهم ،

حياة بيزنطية يوماً فيوماً ويبدي استعداده لكي يتحدث عنها متى عاد الى أوطانه ؟ يرى مؤلفو الجغرافية أن الناس تمضي أوقاتها بالحكم أو الطاعة أو الصلاة (٢٧٢٨) .

وموضوع القسطنطينية ليس موضوع بشر فقط . فهي مدينة خالية من الحيوانات (ماعدا المتحجر أو المعدني منها في المباني) ، ومن النباتات ، وبلا سماء تقريباً . ويعلم الله اذا كانت رؤية الحيوان والنبات في سائر البلدان الغريبة ، مفيدة ومهمة ، كما قلنا من قبل . لكن على الأقل نستطيع ، حتى خلال هذه الاهتمامات ، أن نكون فكرة عن البلد الحي . أما هنا فلا شيء من ذلك . ففيما عدا ما يقال عن المناخ المصغر وعن موقع المملكة (٢٧٢٩) ، لاتمتلك بلاد الروم مشهداً طبيعياً ولا جواً خاصين يمكن مقابلتهما بأجواء إفريقية أو الأصقاع التركية أو آسية الموسمية (٢٧٣٠) . الحيوانات ؟ إنها بغال البريد الرسمي ، أو خيول السبق في البذروم ، أو البزاة الداخلة في القائمة التقليدية للاختصاصات والتقنيات البيزنطية (٢٧٣١) . إذن تجري جميع الأمور كما لو أن الرؤية ، الراسخة البنية ، القسطنطينية الرسمية ، تجر ، عوضاً عن الوصف الحقيقي ، فهرساً للنماذج الموحدة التي تضفي عليها صفة رسمية قواعد الثقافة العامة (الأدب) (٢٧٣٢) .

مساحة بيزنطية وتاريخها

تحدد نصوص الجغرافيين مكان مملكة الروم على الأرض ، مثلما تفعل بالنسبة لكل المجموعات البشرية الكبرى . فبلاد الروم تنتمي الى الأمة الثالثة في العصور القديمة ، أو إلى أروفى القديمة ، أو تدخل أيضا في أحد أقسام التركة العالمية التي وزعها فريدون ، ملك فارس ، على جميع أولاده . وتشكل في مكان آخر أحد أقاليم الأرض السبعة ، الى جانب

العرب والأحباش والهنود والأتراك والصينيين وياجوج وماجوج : وكلها أقاليم متميزة بدقة لا تتداخل أمة أحدها مع أمة غيرها (٢٧٣٣).

وتشغل مساحة بلاد الروم ٨٠٠٠ فرسخ من أصل ٢٤٠٠٠ فرسخ لمجمل محيط الأرض المعمورة ، ٢١٠٠٠٠٠ فرسخ مربع (٢٧٣٤) . فتكون سعتها متوسطة بين المساحات الشاسعة لإفريقية السوداء أو ياجوج وماجوج من جهة ، وبين ضيق الأراضي العربية من جهة أخرى. واذا أخذنا بعين الأعتبار السكان وثروات مملكة الروم ، ينبغي بلا أدنى شك أن تعطي تلك المساحة بيزنطية مكانة تحسد عليها بين ممالك العالم (٢٧٣٥) . أخيراً ، تكرس مكانة ملك الروم الوضع السابق ، لأنه يدخل في عداد ملوك الأرض (٢٧٣٦) وعداد أصحاب الألقاب منهم .

وتعتمد تصنيفات أخرى على توزيع الجدارات ونقص المؤهلات عند شتى الأمم . وتبدأ مرة أخرى بألقاب ملكية حقيقية . يقول ابن الفقيه (٢٧٣٧) : « الملوك خمسة : ملك الأثاث وملك الدواب وملك المال وملك الفيلة وملك الأكسير . فأما ملك الأثاث فملك الصين، وملك الدواب ملك الترك ، وملك المال ملك العرب (٢٧٣٨) وملك الفيلة ملك الهند ، وملك الأكسير (٢٧٣٩) ملك الروم » . ويستشهد المسعودي بأبي زيد السيرافي (٢٧٤٠) ، الذي قال له ملك الصين : « إنا نعد الملوك خمسة : فأوسعهم ملكا الذي يملك العراق ، لأنه في وسط الدنيا ، والملوك محدقة به ، ونجد اسمه ملك الملوك . وبعده ملكنا هذا ، ونجده عندنا ملك الناس ، لأنه لاأحد من الملوك أسوس منا ، ولا أضبط لملكه من ضبطنا لملكنا ، ولا رعية من الرعايا أطوع

لملكها من رعيتنا ، فنحن ملوك الناس . ومن بعده ملك السباع ، وهو ملك الترك الذي يلينا ، وهم سباع الأنس ، ومن بعده ملك الفيلة ، وهو ملك الهند ، ونجده عندنا ملك الحكمة أيضا لأن أصلها منهم . ومن بعده ملك الروم ، وهو عندنا ملك الرجال (٢٧٤١) لأنه ليس في الأرض أتم خلقا من رجاله ، ولا أحسن وجوها منهم » . فيستطيع أن يمارس دوره في أحلام اليقظة المحضة تماماً وجهاراً دون إثارة الخوف من آثار الإغراء مهما كان .

فمن أين يأتي هذا المثال الأعلى لجمال الرجولة ، إن لم يكن من النحت اليوناني ، الذي يستمر رعايا الملك يقدمون له نموذجاً لايفنى منه ؟ وهذا واضح : فالروم « هم أحذق أمة بالتصاوير ، يصور مصورهم الإنسان حتى لايغادر منه شيئاً ، ثم لايرضى بذلك حتى يصيره شاباً ، وإن شاء كهلاً ، وإن شاء شيخاً . ثم لايرضى بذلك حتى يجعله جميلاً ، ثم يجعله حلواً ، ثم لايرضى حتى يصيره ضاحكاً وباكياً ، ثم يفصل بين ضحك الشامت وضحك الخجل ، وبين المستغرق والمبتسم ، والسرور وضحك الهاذي ، ويركب صورة في صورة » (٢٧٤٢) .

وهكذا يستمر المثال الأعلى للكمال التقني والاكتمال البشري الخاص باليونان، ويُمَجِّدُهُ الفن. إلا أن الفن شكل من سائر الأشكال: ويمكن تكوين نوع من بقاء الرجل الجميل والطيب انطلاقاً من الخصال المشار اليها في النصوص الجغرافية(٢٧٤٣) : كالدماثة، والبأس، والشجاعة، والجمال ، والنظافة ، . وعلى وجه التخصيص ، تبدو قائمة الإمكانات المنسوبة الى الروم هائلة ، باعتبارهم إحدى امم العالم (٢٧٤٤)

الكبرى : كالإمكانات التقنية أولا ومنها الفروسية والصياغة وآلات الحرب وقطع الحجارة ، والري والزراعة ، والنسيج (ساتين وديباج) والطهي ، والصموغ (المصطكى ، اصطرك) ،وتربية البزاة ، وهندسة البناء : من بناء جسور وأهراءات ومنشآت مدنية وعسكرية (٢٧٤٥) .

وقد قدم لنا فن الحيل من قبل بعض النماذج العظيمة أثناء زيارتنا للقصر الملكي . ويطبق أيضا في الموسيقى في الأرقن ، الذي يصفه ابن رسته — أو بالأحرى هرون بن يحيى : فهو شيء متخذ من الخشب المربع ، على صنعة معصرة . وتغشى تلك المعصرة بأدم وثيق . ثم يجعل فيه ستون أنبوبة من صفر ، رؤوسها الى أنصافها الى فوق قد غشيت تلك الأنابيب بالذهب فوق الأدم ، حتى لايبين منها إلا اليسير على تقارب أقدارها واحدة أطول من الأخرى . والى جانب هذا الشيء المربع ثقب يجعل فيه منفخ ككور الحدادين ويؤتى بثلاثة صلبان ، فيجعل اثنان منها في طرفيه ، وواحد في الوسط . ثم يؤتى برجلين ينفخان في ذلك المنفخ . ويقوم الأستاذ ، فيحسب على تلك الأنابيب ، فيتكلم كل أنبوبة بحالها ، على حسب ما يحسب عليه من الثناء على الملك (٢٧٤٦) .

ومن اختصاصات بيزنطية الأخرى ، الطلسمات (٢٧٤٧) والكيمياء (٢٧٤٨) . وقد أشرنا اليها بشكل عابر من قبل . ونضيف اليها اختصاصات جديدة لاتقل شهرتها عنهما : هي الطب (٢٧٤٩) والحساب ، الذي يقع على حدود العلوم النظرية والتطبيقية : فيؤمن مع فن البناء ، كما رأينا ، منذ برهة ، الشكل الحسي لعلم الهندسة (٢٧٥٠) . ويعتبر الفلك هندياً على الأصح (٢٧٥١) ، لكنه يمثل

الشيء ذاته من خلال الضرورات اليومية لحساب الوقت : عمل الساعات والتقاويم . فالساعات على الحدود بين الفلك وفن الحيل . ونذكر بساعة الكنيسة العظيمة ، وأيضا بهذه الآلة الغريبة التي تنوم ، التي أهداها يوماً ما ملك الروم الى ملك ساساني كهدية سلام : وهي تمثال جارية يسمع له ، اذا كان وقت من الليل ، ترنم لايطن على اذن أحد إلا أرقده (٢٧٥٢) . أما التقاويم ، فيذكر المسعودي منها أشهر الروم ، أي الاشهر من ك ٢ الى ت ١ ، ويذكر بالتاريخات القديمة ، المبنية على حكم الملوك المشهورين ومنهم الإسكندر (٢٧٥٣) .

أخيرا ، بقي أن نشير الى الحكم (٢٧٥٤) الموروثة من بعيد عن الحكمة اليونانية القديمة . ففي نص طويل جداً ، يشير ابن الفقيه (٢٧٥٥) الى قبة من الرصاص ، واقعة في بعض مفاوز الروم ، وجد على لوح بها مكتوب عليه حكم ، يمكن أن تكون حرفيا حكم ابن المقفع التي كان يأخذها عن فارس . فماذا بقي إذن من اليونان ، المعدلة على هذا النحو ، التي لم تعد تعمل سوى رعاية ثقافات أخرى اقرب منها ومعروفة أكثر منها ؟

بيزنطية واليونان

باشرنا في الفصل السابق بعرض تاريخ العلاقات بين بيزنطية واليونانيين (اليونان) (٢٧٥٦) ورغم الالتباس بين الروم والرومان والروم والبيزنطيين ، نطالع بوضوح التاريخ المزدوج للقسطنطينية بالنسبة الى اليونان . ويتألف هذا التاريخ من استمرارات وانقطاعات: استمرارات يلخصها مثلا على مستوى التاريخ ، موقف الإسكندر ،

الذي ارتبك لكثرة كنوز فتوحاته ، (فدفن في كل بلد أمواله وأثبت مواضعها في جلد ثور مدبوغ ، وحمله الى الروم ، وهو الى اليوم باق هناك في خزانة الملك (٢٧٥٧) . إلا أن الثقافة على وجه التخصيص تمجد الاستمرارات : قال المسعودي (٢٧٥٨) :« ولم تزل الحكمة نامية وعالية ، زمن اليونانيين وبرهة من مملكة الروم ، تعظم العلماء، وتشرف الحكماء ، وكانت لهم الآراء في الطبيعيات والجسم والعقل والنفس ، والتعاليم الأربعة — اعني الآرتماطيقي ، وهو علم الأعداد والجومطريقي ، وهو علم المساحة والهندسة ، والأسترونوميا ، وهو علم النجوم ، والموسيقى وهو علم تأليف اللحون » .

لكن مرة أخرى ماذا بقي من كل ذلك ؟ فقد انفسدت خصائص البيزنطيين ، المشار اليها منذ قليل ، بمثالب لاتقل عن خصائصهم ، ويقدم الفارسي الواحد على عشرة من الروم (٢٧٥٩) . ويصم أفلاطون الروم بأنهم لايعرفون السخاء (٢٧٦٠) . قد يقال بأن كل هذا مصطنع ، لأنه من نوع الأساليب الأدبية ، المعروف بالطباق أو المقابلة ، بين الفضائل والمثالب . ليكن . إلا أن بعض النصوص الأخرى أوضح ، مثل نص المسعودي في الفصل السابق (٢٧٦١) ، الذي يذكر ان الروم قفت اليونانيين في لغتها وأدبها وفصاحتها . كذلك، أصبحت علوم التعاليم الأربعة التي ازدهرت في أوائل المملكة ، كما ازدهرت في أيام اليونان القديمة ، مثلما رأينا ، تطبيقية في جوهرها، ولا يتضمن أي نص من النصوص الجغرافية التعاليم الأربعة في القسطنطينية في القرنين ٣ — ٤ هـ / ٩ — ١٠ م

أخيراً ، ينازع تيار فكري كامل في تفوق بيزنطية في جميع

النواحي . وبذل ابن الفقيه جهده في هذا السبيل عدة مرات . فيضحك رسول الإسلام من طرف خفي . عندما أراه ملك الروم أسرار الطب البيزنطي : وهي أسرار شائعة (٢٧٦٢) في العالم العربي الإسلامي . ورب معترض يقول إن هذا الموقف يدخل في نطاق العلاقات الخاص بين بيزنطية ودار الإسلام ، في خلفية صراع دائم ورهان مجهول النتيجة ، تتنازع فيه باستمرار الرغبة بالاطمئنان والخشية مما ينبغي أن يخاف منه . ولا ريب أن ذلك كاف لكي يدرك الملك نفسه تفوق العرب (٢٧٦٣) . إلا أن إنكار كل تفوق بيزنطي يتعدى أحياناً إطار تصفية الحساب المحض ، ليتناول النطاق العام لتوزيع الإمكانات على أمم العالم . لنسمع ابن الفقيه مرة أخرى .

سأل انوشروان ، العاهل الساساني ، أحد رعاياه الذي عبر بأرض الروم سنين ، قال : « كيف حظهم من العلم ؟ (٢٧٦٤) . فوصفهم الرجل بقلته ، وزعم أن مفتخرهم إنما يفتخر بكتب الفلاسفة في المنطق ، وانما هي غايتهم . قال : « فأين مبلغهم من الطب ؟ قال : أما الطب فمعرفتهم بالطبائع والجواهر وعلاج الحرارة والبرودة وفضول المرة والبلغم بالعقاقير المسماة لهم ، لايعرفون غير ذلك مما بسط لأهل الهند من علاج الأرواح والأدواء الغليظة والرقي والاستعانة ببعض الأرواح على بعض . قال فالنجوم . قال : قل حظهم منه قليل جداً. قال كسرى : فما بلغك فيما يدعيه بعضهم من صنعة الذهب والفضة وعن الأصباغ التي يصبغ بها الجوهر فينقل الى غير طبائعه ، وما حكي لنا عن طلسماتهم قال : كان ذلك من أهم أمورهم عندي أن أظفر به ، فلم أجد لشيء من ذلك حقيقة . فأما الطلسمات ، فانها أمور قديمة ،

كان على الأرض من قوي بشيء لشيء قد ألف من الكلام والرقى والعقد على تماثيل قد رأيتها بها مما تقادم عمله في الأزمنة الماضية » (٢٧٦٥) .

وهكذا ، تلاشى النموذج البيزنطي المزعوم تلاشياً تدريجياً من جراء انخفاض الإمكانات المفروضة فيهم وانتقالها الى الأمم الأخرى ، أو من جراء تجنبها. فمن أين جاءت جميع هذه النواقص ، وأوليست متصلة بانحطاط العبقرية اليونانية ؟ ولا بد للاقتناع بالإجابة ، من التأكيد أولا على الانقطاعات التاريخية : فقد بدأت بخلفاء الإسكندر من الملوك الذين لم يكونوا يونانيين ، بل مصريين أو سوريين (٢٧٦٦) ، وأنجزت مع ازدهار القوة الرومانية ووقوع اليونان القديمة تحت نيرها (٢٧٦٧) .

إلا أن الانقطاع الكبير ، كان انقطاع النصرانية . فاذا كان نقص الخصائص البيزنطية يعزى أحياناً الى الأثر الناشىء عن مخالفة مبادىء الدين (٢٧٦٨) ، بالمقابل ، يربط كل انحطاط العلم القديم مباشرة بتدخل الإيمان الجديد . ويصف ابن النديم (٢٧٦٩) بيتاً أبوابه من حديد ، تعبد فيه الكواكب والأصنام ، أغلق منذ انتصرت المسيحية . ويحوي البناء نقوشا وتماثيل رائعة وكثيراً من الكتب — تحمل على ألف جمل — بعضها في حالة جيدة وبعضها الآخر نخره الدود . . ويتحدث المسعودي (٢٧٧٠) أيضا بصراحة زائدة ، ويختم بهذه الألفاظ اللوحة ، المشار اليها من قبل ، عن العلوم عند اليونان القدامى والبيزنطيين الأوائل : « ولم تزل العلوم قائمة السوق ، مشرقة الأقطار ، قوية المعالم ، شديدة المقاوم ، سامية البناء ، الى أن تظاهرت ديانة

النصرانية في الروم ، فعفوا معالم الحكمة ، وأزالوا رسمها ، ومحوا سبلها ، وطمسوا ماكانت اليونانية أبانته وغيروا ماكانت القدماء منهم أوضحته . » .

وقد أنصفت الأبحاث المعاصرة ، التي قام بها ب . لومرل (٢٧٧١) هذا النوع من الجزم فانكرته كلياً ، أو على الأقل أعادته الى حجم معقول . بقي أن نقول ان الكلمة الأساسية هي فعلا « غيروا » . فهي بيت القصيد . فلم تعد الإمكانات البيزنطية سوى ذكرى بعيدة في الميادين العملية والعلوم القديمة التي رفع اليونانيون مبادئها الى أعلى مستوى. فقد « كان اليونان علماء وكان البيزنطيون حرفاء » ، على حد قول الجاحظ (٢٧٧٢) . فيما بعد ، في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، استطاع مؤرخ الأديان الشهر ستاني (٢٧٧٣) أن يكتب : « الأمم العظمى أربع : العرب والفرس والروم والهنود ، لكنها تزاوجت . فتقارب العرب والهنود برؤيتهم المشتركة ، ومالوا ميلاً بارزاً الى وضع خصائص الأشياء ، والى الحكم على الجواهر والوقائع الأساسية ، والى اتباع المعطيات الروحية . وتقارب الروم والفرس بنظرة متماثلة بينهما ، فمالوا ميلاً شديداً الى تحديد العناصر المادية في الأشياء ، والحكم حسب الكمية والكيفية واتباع المعطيات الجسدية » .

نعتذر عن هذا الاستطراد الخارج عن فترتنا . فله الفضل على الأقل بايضاح حدث رئيسي : هو أن الانتقال التاريخي من اليونان القديمة الى بيزنطية قلب التصنيفات التقليدية ، وادّى الى إعادة النظر بالتوزيعات العالمية . ففي نظام أول ، يقدم لنا نص آخر من الجاحظ معالمه (٢٧٧٤) ، تتعارض الأمم التي نسميها علمية ، كالهنود واليونانيين ، مع الأمم

التي نسميها عملية ، كالعرب والفرس . فمن جهة أولى ، تجتمع الرياضيات والطب والفلك والفلسفة . ومن جهة ثانية اللغة والتجربة الحسية وفن السياسة . وتتبدل جميع الأمور مع الشهرستاني بفعل المبدأ المضمر القائل بأن العلم اليوناني تحول الى تقنية بيزنطية . فما دامت الحالة هذه ، من أقدر على أخذ المكان الشاغر بعد اليونان ، من الحضارة الجديدة والفكرة الجديدة اللتين صاغتهما اللغة العربية ورفعت شأنهما في العالم ؟ (٢٧٧٥) .

بيزنطية ودار الإسلام : حالة الأسرى

ليست الصورة التي أخذتها دار الإسلام عن الروم الموضوع الوحيد الوارد في النصوص الجغرافية ، بل يضاهيها بالأهمية نموذج العلاقات التي تريد أن تنشئها مع جارتها وعدوتها بيزنطية . ويهم المؤرخ أولاً أن يبرز بأن هذه العلاقات قائمة في السلم والحرب : وقد خصها م . كانار بمقالة هامة (٢٧٧٦) نحيل اليها مرة واحدة ، والى كل ما كتبناه ، هنا بالضبط ، عن شتى أشكال الاتصالات بين هذين العالمين . ونكتفي هذه المرة أن نشير الى أهمية الجند الفارين أو المهاجرين (٢٧٧٧) والعلاقات الودية في الغالب (٢٧٧٨) وأخيرا الى مصير الأسرى الذي نشدد عليه أكثر من غيره بقليل .

ويخصص المسعودي صفحات طويلة من كتاب التنبيه والإشراف (٢٧٧٩) لذكر أفدية المسلمين الأسرى على ضفاف اللامس في كيليكية . وتوالت هذه الأفدية بانتظام فأصبحت عادة في تاريخ العلاقات بين البلدين . ولنحكم على أساس التواريخ : شوال ١٨١هـ / شباط ٧٩٨ م ، ١٨٩هـ / ٨٠٥ م ، ١٩٢ هـ / ٨٠٨ م ، ذو القعدة

١٩٤ هـ / آب ٨١٠ م ، ذو القعدة ٢٠١ هـ / حزيران ٨١٧ م . محرم ٢٣١ هـ / ايلول ٨٤٥ ، شوال ٢٤١ هـ / آذار ٨٥٦ م ، أول صفر ٢٤٦ هـ / آذار ٨٦٠ م ، ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م . ٢٥٣ هـ / ٨٦٧ م ، رمضان ٢٥٨ هـ / تموز ٨٧٢ م ، شعبان ٢٨٣ هـ / ايلول ٨٩٦ م ، ذو القعدة ٢٩٢ هـ / ايلول ٩٠٥ م ، شوال ٢٩٥ هـ / تموز ٩٠٨ م ، ربيع الثاني ٣٠٥ هـ / ايلول ٩١٧ م ، رجب ٣١٣ هـ : / تشرين الأول ٩٢٥ م ، آخر ذي القعدة وأول ذي الحجة ٣٢٦ هـ / تشرين الأول ٩٣٨ م ، ربيع الاول ٣٣٥ هـ / تشرين الاول ٩٤٦ م ، وفيها على وجه الإجمال فاصلان زمنيان فقط يربوان على عشرين عاماً ، وفاصلان يتراوحان بين ١١ و ١٣ سنة ، وسبعة فواصل بين ٦ و ٩ سنوات ، وستة فواصل من خمس سنوات فما دون .

وليس لجميع هذه الأفدية أهمية واحدة في الواقع . فقد اختار المسعودي اثني عشر منها ، يعطيها فخامة خاصة عدد الأسرى المفتدين، من رجال ونساء : بين ١ و ٦٠٠٠ أسير . لكن ترتبط روعة الاحتفال بالأطراف المتفاوضة وصفتها : فمن جانب دار الإسلام ، مقرب من الخليفة أو من وزيره أو أمير الثغور ، ومن جانب بيزنطية ،رسول الملك (٢٧٨٠) . والمشهد مؤثر : ففي البحر مراكب الروم ، « بأحسن ما يكون من الزي » ، وفي البر ، أهل الثغور الإسلامية ، بأحسن مايكون من العدد والخيل والسلاح . والحماس لفداء الإخوة بالإيمان صادق ، لكنه لايكفي دوماً ، فالمال ينقص ، ولا بد من تدخل أمير ليدفع الفدية. ويتخلل الفداء أحيانا خداع الروم أيضاً ، فينسحب العدو قبل أن ينهي تحرير جميع الأسرى . وفي أحسن الاحتمالات ، ينبغي عندئذ تمديد الهدنة والذهاب الى مكان آخر لإتمام الفداء .

ونشير الى أن لفظ فداء يتفق مع معطيات المسعودي : فهو لايحدثنا إلا عن الأسرى المسلمين . مع ذلك ، تدل بعض التعابير (٢٧٨١) أن الأمر يتعلق فعلاً بالمبادلات . فالشيء الأساسي والشيء الواضح ، أن دار الإسلام لاتهتم في هذا الموضوع إلا بابنائها . لكن يجب التدقيق : فهي أيضا تفدي النصارى الذين جاء البيزنطيون واختطفوهم من أرض الإسلام (٢٧٨٢) . على النقيض ، تبدو أحيانا متغطرسة جداً حيال المسلمين أنفسهم ، وترقب عن كثب إيمانهم ، حتى إن بعضهم يفضل الرجوع الى أرض الروم (٢٧٨٣) : فهل تعني هذه العودة أنهم كانوا مرتاحين جداً هنالك ؟

يستحق هذا السؤال أن يطرح . لاشك أن الأسر يجر المصائب المعروفة : ونجد عند مؤلفي الجغرافية صدى ضعيفاً لأنات الشاعر الأسير ، ابي فراس الحمداني . ولا يعامل الأسرى – لا في بيزنطية ، ولا في اطرابزنده أو بيثينية أو غيرها (٢٧٨٤) – معاملة حسنة على الدوام : بل يعملون في المناجم ، ويكرهون على الخدمة في الجيش ، أو يستعبدون ويستعملون في الصنائع (٢٧٨٥) . مع ذلك ، وعلى وجه الإجمال ، يقر بأن الأسر ليس كارثة على نحو ما يمكن أن يتصور المرء . فالأسرى يتمتعون ببعض الامتيازات : فلهم دار يجتمعون ويظهرون الإسلام بها ، ولا يكرهون على أكل لحم الخنزير ، ويدعون الى المآدب الملكية ويخلع فيها عليهم ويوصلون . وربما اتجروا وانتفعوا . ولا يثقبون لهم أنفاً ، ولا يشقون لهم لساناً ، وينقلون ببريد الملك الى القسطنطينية (٢٧٨٦) . والانطباع العام السائد أن بيزنطية تبدي تساهلاً في النهاية مع الحازم الذي اذا سئل عن صنعته لم يقربها (٢٧٨٨) : وتساهلها كاف في جميع الأحوال ، لكي تفضل في بعض الظروف الاستثنائية

على دار الإسلام التي تخيب أمل الذين يعتبرون الرجوع اليها عودة الى الوطن .

بيزنطية ودار الإسلام : تقويم التاريخ : الثغور

تبدو اللوحة العامة لتاريخ الروم أو رمانيا Romania ، على حد قول المسعودي (٢٧٨٩) مملكة تثبت علاقاتها بالأمم المجاورة لها : كالبلغار والأتراك (٢٧٩٠) وخصوصاً فارس قبل الاسلام : فسوف تقدم فارس إلى دار الإسلام (٢٧٩٢) تركة تتراءى في تناوب المعارك والهدنات والتقدمات والتراجعات (٢٧٩١) . ولدينا صفحات وصفحات (٢٧٩٣) عن هذا التاريخ الأخير ، الذي لا يزال رهانه قائماً في العهد الذي يكتب فيه مؤلفو الجغرافية. إلا أن هذه الصفحات لا تهمنا، لأننا نستطيع العثور عليها بتفاصيل أوفى عند المؤرخين (٢٧٩٤) أما الصفحات التي تستجلي فوراً نتائج وتقويم التاريخ الماضي ، ومستقبل التاريخ الذي سنحياه، فأقدر إلى حد لا نهاية له على توضيح البحث .

وتترسخ جذور بيزنطية في دار مملكتها أولاً ، الجاثمة ، مثلما رأينا، في داخل عرينها ، « حرز الروم » ، على حد قول ابن خرداذبه (٢٧٩٥). من ناحية أخرى ، تتجلى (٢٧٩٦) قوة المملكة الاقتصادية ، الغنية بمزارعها وقطعانها . مع ذلك ، يدخل بعض المؤلفين في التفاصيل : فايرادات الضرائب تنخفض أحياناً إلى مبالغ متواضعة (٢٧٩٧) ، وتنحط المدن (٢٧٩٨) ، بايجاز ، يمكن أن نتساءل ما إذا كانت الهولة البيزنطية ليست في الواقع سوى هولة من الهُوَلِ .

ويقول المسعودي (٢٧٩٩) : « إن مملكة الروم ثابتة الرسوم ، متسعة التدبير » . لكن يعارضه ابن حوقل (٢٨٠٠) ، ويكتب : «وبلد

الروم ، عند كثير من خاصة أهل الإسلام ، ومؤلفي الكتب ، بخلاف ما هو عليه بالحقيقة : من صغر المحل ، وتفه الخطر ، ونزور الدخل ، وضعة الرجال ، وعزة الأموال ، وخسيس الأعمال والأحوال . (٢٨٠١) . . . غير أن للاسلام ، فيما عليه نفوس أهله وقلوبهم ، شأناً في انتشار الكلمة وفساد الحال وكثرة العناد والخلاف والأشتغال بطلبه بعضهم لبعض ، ما خلا به للروم سربهم ، فطالت أيديهم إلى ما كانت مغلولة عنه وأطماعهم محسومة منه » .

وهكذا يصاغ السؤال الحقيقي على الوجه التالي : هل بيزنطية قوية أم دار الإسلام ضعيفة ؟ لاشك البتة في هذا الموضوع : وإذا كان المسعودي يكتفي بالأسف على انتصارات بيزنطية (٢٨٠٢) ، فابن حوقل يضيف ، والبراهين بيده ، إلى قوله السابق معلومات جديدة ويشير في الوقت ذاته إلى عهد قريب كانت فيه الثغور تجابه العدو ، ويفسر أسباب انهيارها ، كأنه يلقي خطاباً حماسياً بتهاون الولاة وجشعهم وخذلان الجميع (٢٨٠٣) . ويقول إن الجواسيس كانوا يعملون بأمان تام «بمرأى من سلاطين الإسلام ومنظر ومساعدة من أكثرهم على ما يحبونه ، وتقوية للعدو بفاخر السلاح ونفيس المتاع ، ورغبة في يسير من الحطام يعود عليهم من تجارة يعملونها إلى بلد الروم — ، فتعود بخسيس من الأرباح. والنار تحت ذلك تضطرم عليهم ، والبلاء يفتل فيما يأخذونه ، والشؤم يبرم عليهم فيما يأتونه ، ومتمثلهم يجهر بقوله ، ويضحك من غفلتهم عن فعله ، حتى لسمع من فصحائهم دائماً متمثلون يقولون،ويكررون:

أرى تحتَ الرمـــاد وميضَ جمـــرٍ
ويوشك أن يكون له ضرامُ (٢٨٠٤) »

ويقول في كلامه عن مثابرة الروم على الغارة على سواحل الشام ونواحي مصر : « لا غياث ولا ناصر . ومن للمسلمين بناظر . والملك فيهم هامل شاغر . والملك جماع مناع والعالم يسرق ولا يشبع . ويفتي بالباطل على ما يبلع . ولا يخاف معاداً ولا مرجعاً . والفقيه ذئب أدرع . (٢٨٠٥) في كل بلية يشرع (٢٨٠٦) . وبكل ريح يسري ويقلع . والتاجر فاجر مسقع (٢٨٠٧) . لا يعاف حراماً ولا مطمعاً . والديار والأعشار بيد الأعداء متسلمة . والأملاك مغتصبة مصطلحة . والأرض من أربابها إلى الله متظلمة » .

لا تنفصل عن بيزنطية (٢٨٠٨) ذاتها ، صورة الثغور السابقة التي رسمها ابن حوقل . لذلك تتحكم بالدروب (٢٨٠٩) والمسالك الذاهبة إلى القسطنطينية (٢٨١٠) . وكانت بعض الثغور تعرف بثغور الشام وبعضها تعرف بثغور الجزيرة ، إلا أنها كلها من الشام ، كما يراها الاصطخري (٢٨١١) : أي الجبهة الرومية ، التي يمددها البحر على طول السواحل حتى مصر (٢٨١٢) .

لكن لنبق في البر . ففي الشمال تلعب ارمينية دور الوسيط التجاري ، وخصوصاً دور الفاصل ؟ ، يفيد منه أحد المعسكرين ، ويستثمرها بانتظار قدوم المنتصر الآخر (٢٨١٣) . وإذا توغلنا نحو الجنوب ، تتردد أسماء ملطية وسميساط ، والمصيصة ، واذنه ، وطرسوس وأمثالها (٢٨١٤). وهي نقاط قوية من حدود تقليدية يمكن أن تتسع . وينتشر خلفها خط ثان من التحصينات ، هو خط مدن « العواصم » ، لاسيما انطاكية (٢٨١٥) . إلا أن هذا المفهوم أشد غموضاً (٢٨١٦) ، ويبقى التمييز بين العواصم والثغور مبهماً في الغالب ، في التقلبات التي تعرضت لها الحدود .

ذلك أننا إذا اعتبرنا الحدود ثابتة ، على الأقل في هذا القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، فاستقرارها ضار بدار الاسلام، قد يشكل كارثة لها . فيجب ، مثلما ألمعنا في البداية (٢٨١٧) ، أن نتحدث عن تراجع عام على طول الجبهة بكاملها : فمنابع نهر دجلة مهددة ، وطرسوس وانطاكية بيدالعدو ، وحلب وحمص مخربتان ، والقبائل تضغط على السواحل حتى فلسطين ، والروم فرضوا سيطرتهم ، بمساعدة بعض عشائر البدو ، باتجاه الفرات الأوسط : هذه هي لوحة الصراع الحزين ، الذي يمكن قياس اتساعه ، باعتراف ابن حوقل والمقدسي ، بظاهرة وحيدة أشرنا إليها من قبل : ففي القسطنطينية يشغل أهل طرسوس وحدهم سجناً بكامله (٢٨١٨).

ولا يهتم بحثنا بتاريخ هذه التقلبات ذاتها التي درست أصلاً على نطاق واسع(٢٨١٩) ، بل بصداها في الضمائر فقط . فأين نحن من زمن كان فيه قدامه (٢٨٢٠) يستطيع على الرغم من الانكسارات ، أن يطرح نظرية عامة للثغور ، تكاد لا تنفصل عن ذكرى الغارات الإسلامية الأولى على القسطنطينية ، وعن المسالك الواصلة إلى مدينة العجائب عند ابن خرداذبة مثلاً (٢٨٢١) ؟ لكن أيمكننا في آخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، أن نميز أيضاً ، كما فعل قدامه ، بين الثغور البحرية والبرية ، وبين الثغور والعواصم ، ونقرر دخل هذه الثغور (٢٨٢٢) ، ونصف تقسيم أنصبة موازناتها ، ونحدد مواسم ومدد الغارات الحربية ؟ أما طرسوس، فلم يعد أحد يحلم بها، ولا يتغنى بقول الشاعر عنها :(٢٨١٣)

يا ليتها قد هبطت طرسوسا وورَدت نهراً بها مأنوسا
تحملُ خوداً سكنَتْ تعروسَا من الرقيمات الحسـانِ الميسَا
كـل رداح تسـلبُ النفوسـا

ذلك أن طرسوس اندرست ، على الأقل بالنسبة إلى دار الاسلام ، وحيال الذكريات البطولية القديمة للمواكب العسكرية الأناضولية ، أو للغارات البحرية ، يختتم ابن حوقل رثاءه المضني ، ويقرع أجراس الحزن : « فهلكت (طرسوس) وهلكوا (أهلها) ، وذهبت وذهبوا ، كأنهم لم يقطنوها وعفوا ، وكأنهم لم يسكنوها ، حتى لصاروا كما قال جلّ ذكرُه : هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ؟ (٢٨٢٤).

نهاية الروم أم نهاية دار الإسلام

ما هو مصير هذه الحالة الحزينة ؟ لا ريب أن التاريخ الغابر يجهم تاريخ المستقبل الذي توشك الثغور حقاً أن تعطي صورة كئيبة عنه . ويبشر ابن الفقيه (٢٨٢٥) بفتح القسطنطينية على يدي رجل من بني هاشم . ويذكر المسعودي بوداع الملك هرقل لسورية، بعد أن طرده منها الإسلام الظافر الفتي ، وقدر ما سيؤول اليه أمر المسلمين في المستقبل : «عليك السلام يا سورية سلام مودع لا يعود إليك أبداً حتى يولد الغلام المشؤوم ، وليته لا يولد ، فما أعصى رضاعه وأمر فطامه » (٢٨٢٦).

لكن يرى مؤلفون آخرون المستقبل مليئاً بكثير من الأحزان . ففي بيزنطية ، عند خروج الملك إلى الكنيسة العظمى ، يُساقُ خلفه ثلاث نجائب شهب ، عليها سروج ذهب مرصعة بالدر والياقوت ، وجلال ديباج مرصعة أيضاً بمثل ذلك ، لا يركبها . « فيدخلونها إلى الكنيسة ، ولها بها لجام معلق . يقولون إنه متى أخذت الدابة اللجام في فمها ، ظفرنا ببلاد الاسلام ، فتجيء الدابة ، فتشم اللجام ، فترجع إلى خلفها ، ولم تتقدم إلى اللجام . ويقال إن هذه الدواب من نسل دابة كانت لأوسطاط » (٢٨٢٧) . أما المقدسي (٢٨٢٨) ، فيجعل من الزرق والخضر في ميدان

السباق مرا هنين عاديين : فانتصار الزرق ، أي الملك ، نذير بظفر الروم، وانتصار الخضر ، ظفر حزب « الوزير »، نذير بظفر دار الاسلام : في هذه الحالة ، يذهبون إلى الأسرى المسلمين ، فيخلعون عليهم ، ويصلونهم .

نلاحظ هنا ناحيتين هامتين إلى أقصى حد : فتوالي الانتصارات والانكسارات أصبح حدثاً دائماً ، ورهاناً يبدو مفتوحاً إلى الأبد ومجهول النتيجة ، ثم إن بيزنطية أخذت على عاتقها هذا المستقبل الذي تتناوب فيه الآمال وخيباتها ، ويكفي أن تقلب علاماته لكي يعثر على المستقبل الذي تواجهه دار الإسلام . فلماذا ترويها دار الاسلام على لسان بيزنطية ؟ يمكن أن نفكر بأنها تقر بأن هذا المستقبل واقع تاريخي ، إلا أنها تتردد مع ذلك في تقبله على هذا الأساس ، وتهرب من مستقبل « مشترك » مثل هذا المستقبل . وتلقي على بيزنطية ، بنوع من الارتكاس ومن نقل الدفاع ، مسؤولية إيضاح مصير لا تجرؤ هي أن تطلق عليه اسماً . لكنها في الوقت ذاته ، تعترف بطريقة منحرفة وحذرة ، بوجود مصير مشترك لها ولبيزنطية ، لا تستطيع إحداهما أن تستبعد الأخرى عنه، لأنهما تتداخلان تداخلاً متشابكاً ، وتلتحمان ولا تفترقان .

وهذا الخوف متأصل في دار الاسلام ، لاسيما أن بيزنطية كانت دوماً أقوى وألد عدو لها ، ، وخصمها الأول . فقد كانت منذ طفولة الاسلام ، وحتى قبل ظهوره ، قائمة هنا ، تقطع الطريق عليه . واضطرت فارس الساسانية ، التي تلقت دار الاسلام تركتها ، ان تتقبل تضحيات كبرى ، لكي تنجح أخيراً في التجمع والتحرر من النير الخارجي (٢٨٢٩) وبعد فارس ، استلم الإسلام الشعلة ، غريزياً تقريباً ، على ضوء الإيمان

افيقي بالحديد الواجب الدفاع عنه (٢٨٣٠) . ويهدي القرآن إلى الطريق : « غلبت الروم في أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون » .

وفي الحديث مثل ما في القرآن . فسواء غلبوا أم غلبوا ، فهم يبشرون باليوم الأخير (٢٨٣٣) . وقال الرسول : « الروم أبعد الناس عن الإسلام » (٢٨٣٤) . وهم يتربصون دوماً ، ومستعدون لتهديد الأماكن المقدسة في الجزيرة العربية ، تماماً كما كانوا يهددون هيكل ابراهيم في مكة قبل الاسلام ، في حين عملوا في بيت المقدس أسوأ من ذلك : فقد حصل التباس بينهم وبين رومية ، فقيل إنهم أخربوا بيت المقدس ، فكتب الله عليهم السبي في كل يوم ، فليس يمر يوم من أيام الدهر ، إلا وأمة من الأمم المطيفة بالروم يسبون من الروم السبايا (٢٨٣٥) . ذلك أنها لم تكتف بالتخريب ، بل تفخر بمأثرتها : فقد روي عن كعب (٢٨٣٦) ، قال : شمتت القسطنطينية بخراب بيت المقدس ، فتعززت ، وتجبرت ، فدعيت المستكبرة ، وقالت إن كان عرش ربي على الماء ، فقد بنيت على الماء . فوعدها الله العذاب قبل يوم القيامة فقال الله : وعزتي وجلالي لانزعن حليك وحريرك وخمرك وخميرك (٢٨٣٧) ، ولاتركنك لا يصيحُ فيك ديكٌ ، ولا أجعلُ لك عامراً إلا الثعالبَ وبنات آوى ، ولأنزلن عليك ثلاثة نيران ناراً من زفت وناراً من كبريت وناراً من نفط . ولأتركنك جلحاء قرعاء ، لا يحول بينك وبين السماء شيء ، وليبلغن صوتك عنان السماء . فانه طال ما أشرك بي فيك وعبد فيك غيري ، وليفترعنّ فيك جواري ، ما كدنَ أن ترى الشمس من حسنهن ، ولأسمعن خرير البحر صوتك ، فلا يعجز من بلغ منكم ذلك أن يمشي إلى بيت بلاطة ملكهم ، فانكم ستجدون فيه كنز اثني عشر ملكاً من

ملوكهم ، كلهم يزيد فيه ولا ينقص منه ، فتقسمون ذلك كيلا بالأترسة وقطعاً بالفؤوس (٢٨٣٨) ، فتحملون ما استطعتم من كنوزها ، فتقسمونه بالغدقلونية ، فيأتيكم آتٍ من قبل الشأم أن الدجال قد خرج ، فترفضون ما في أيديكم . فاذا بلغتم الشام ، وجدتم الأمر باطلاً ، وإنما هي نفخة كذوب (٢٨٣٩) » .

في النهاية ، نرى أن دار الإسلام تعقد أملها على كفر بيزنطية ذاته ، وتعتمد لا على قواها الذاتية ، بل على إله يضطر أن يعاقب الذين يهزاؤن منه . فأربعة مدن من مدن الجنة هي مكة والمدينة وايلياء ودمشق ، وأربعة من مدن النار ، هي انطاكية والطوانة والقسطنطينية وصنعاء (٢٨٤٠) كيف نعجب عندئذ للازدراء أو الحقد الخالص اللذين يظهران هنا أو هناك ؟ أليس عليهم أن يردوا على عداء بيزنطية اللدود للعرب (٢٨٤١)، وإن ردهم أشبه بالواجب عليهم تقريباً ، إذا جاز لنا هذا القول .مهما يكن ، يكاد النضال لا يوجد ضد الناس : فالملك طاغية متمرد على الشريعة الالهية والطبيعية (٢٨٤٢) ، وبايجاز ، تجسيد الشر بالذات ، أو بتعبير أقوى ، « كلب الروم » (٢٨٤٣) الذي يملك على أمة من البرابرة والأعلاج (٢٨٤٤).

كيف نختتم بحثنا عن تاريخ لا ينتهي ، أو تندرج نهايته السعيدة في أفضل الاحتمالات ، في آفاق أخروية ؟ فما نأمله أو نخشاه من بيزنطية ، لكن أيضاً ما نفكر به بشأنها ، كل ذلك يرتبط بالإبهام الأزلي . فبيزنطية كائن غامض ، تشبه الأتراك بعض الشيء ، فهي بعيدة وقريبة ، معروفة وخفية ، محتقرة أو تثير الاهتمام ، مختلفة ومتشابهة وعدوة بلا شك، لكنها بذا تشترك مع دار الإسلام في مصير واحد .

إنما تقف المقارنة هنا . ذلك أن تاريخ دار الاسلام والقسطنطينية لا يمكن أن ينتهي إلا بدمار إحداهما . فهنا لا مجال لاسترجاع العدو ، ولا مجال لتمثل الغريب في الجسم الواسع لدار الاسلام : فحيثما يوجد الإسلام ، لا مكان لبيزنطية ، والعكس صحيح . ولا تنجح أوجه الشبه ، ولا العلاقات ، ولا حتى موضوعية الأحكام أحياناً ، في بلوغ تفاهم صادق . فلماذا نرفض هؤلاء الناس الذين نعرفهم ، ونحاربهم ؛ ونتفاوض معهم أو نتجر معهم ؟ هنا لا تقع المسؤولية على العجيب : فخلافاً لما يجري في بلدان أخرى ، لا تنجو أرض ومجتمع البشر من نظام الأشياء الطبيعي : فالمملكة تقدم ، مثلما قلنا ، أوجه شبه واضحة مع حكم دار الاسلام ، أما بيزنطية ، فهي قريبة ، وقد طافت بها في الماضي جيوش دار الا سلام وتستمر في التطواف فيها ، بأسراها وسفاراتها وتجارها . باختصار ، تبدو بيزنطية معروفة جيداً ،وتحير قليلاً حتى إنه لا يشار فيها إلى عجيبة طبيعية ، أو حيوان او وحش .

هل هو تأثير الدين ؟ لا شك أن القسطنطينية مركز كفر خاص. لكن النصرانية مقبولة ومحترمة في قلب دار الاسلام ، وإن كانت تعتبر مقاربة ناقصة وأثيمة حيال الإيمان الحقيقي . عندئذ ؟ في النهاية ، لابد من التفتيش عن الجواب في السياسة ، ولو اضطرت أن تعبر عن نفسها بألفاظ دينية . فبيزنطية ، مثلما قلنا ، ينظر إليها أولاً ، وينظر إليها على وجه التخصيص كمملكة ، كتنظيم متورط بنوع من القرار الالهي ، في صراع ، يجب على الاسلام أن يثبت حقوقه فيه . لكن يبدو أن الاثبات طويل ، ولا تنتهي المغامرة التي تتشابك فيها بيزنطية ودار الإسلام .

كيف لا نفهم ، والحالة هذه ، أن الرهان الهائل ، الخالي من الرحمة ، يستطيع أحياناً أن يغطي جميع ما تبقى ؟ فاذا تمزق الحجاب أحياناً ، وإذا عقد أحياناً شيء يشبه التفهم المتردد ، وحتى الاحترام ، يعود الرهان يطالب بحقوقه ، ويحتم ألا تنسى دار الاسلام أن بيزنطية موجودة وطموحة وتهدد . وهكذا يستجيب الخيار الذي يقتسم الأذهان ، إلى الخيار الذي يدور على الأرض : فالحرب تعلق دوماً سلماً يستعيد فيه كل طرف أنفاسه ، وتشق التجارة طريقها عبر الغزوات العسكرية وإلى جانبها . في النهاية ، تؤخذ رؤية عن بيزنطية تنطبق مع الصورة التي يعطيها التاريخ : في جميع الأحوال ، سواء كانت هذه الصورة ملائمة أو معادية ، هادئة أو حقودة ، ومترددة ، فهي تعكس تقلبات الماضي المعاش ، وتنحصر في صُدَفِ الحرب المتجدّدة دوماً ، وفي عجز السلام.

الفصل التاسع

أبعد البلدان عن دار الإسلام

بلدان الأساطير

ننتقل الآن إلى أطراف العالم ، إلى الأراضي التي تتخذ فيها الحياة أشكالاً شاذة ، ثم تختفي تماماً (٢٨٤٥) من شدة البرد أو الحر . فحتى الآن ترافق تصور البلد الغريب دوماً مع وعي علاقة بينه وبين دار الاسلام سواء كانت هذه العلاقة أمراً واقعاً ، كالحرب أو التجارة مثلاً ، أو من نوع إعطاء الحكم عليها (٢٨٤٦) (: كأوجه الشبه أو الاختلاف ، والتعاطف أو العداوة . وبذا ، نبلغ التصور المحض ، وحتى الحلم : وتعد هذه البلدان من الأصقاع التي لم تصل اليها دار الاسلام أبداً (٢٨٤٧) . ويسود العجيب فيها سيادة مطلقة .

مع ذلك ، يمثل العجيب مرقى سهلاً ينقل الانسان إلى البلدان الأسطورية. فمكانه محدود في بيزنطية . أما في افريقية ، والشرق الأقصى ، وبلدان الأتراك ، وأوربة الشرقية والغربية (٢٨٤٨) . فيفرض نفسه شيئاً فشيئاً ، ويقود دوماً إلى أماكن يزداد بعدها ، وإلى آفاق تتحرر فيها الطبيعة من قوانينها الخاصة من أجل تحقيق اغتراب تام هذه المرة .

بعض خصائص العجيب

لا يقارن العجيب بالواقع ، فيتجلى بأكمل مظاهره ، وخاصته الأولى الملحوظة أن كاتبه يعرضه كأنه صحيح . مهما تمادى في المبالغة به. فلا يجوز أن يقترن لفظ من ألفاظ عجيب أو خيالي أو خرافي أو اسطوري بما يعتبر صفة (٢٨٤٩) ملازمة له من شك دائم وقلة ثقة به.

وخاصة العجيب الثانية قدرته على التحرك بحرية في الجغرافية . وكيف نعجب لهذه الميزة ؟ فما دام الأمر يتعلق بالحلم في اليقظة ، فبوسعنا أن نرى الرؤيا في هذا المحل أو ذاك . ولاشك البتة بأن تحديد المكان يرد أحياناً على الخريطة . مثلاً : عندما يزعم بأن أحد البلدان الاسطورية يقع في أنحاء أو على حدود أحد البلدان الأخرى المعروف ، نستطيع أن نعين له موضعاً ، قد يأتي غامضاً ، لكنه حيز من الأرض في جميع الأحوال . وهكذا نعلم أن أمة يا جوج وماجوج متوارية في أعماق آسية القارية ، وأن مدينة تولية في أقصى الشمال . إنما هيهات أن تجري الأمور دوماً على هذا المنوال . فأين نضع مثلاً واق واق الغامض ؟ ويتلاشى تحديد الموقع ، لاسيما عندما يعثر على بعض المواضيع في محلات مختلفة — مثلاً في طرفي العالم — اذا لم يغفل الكاتب تماماً عن تعيينها حتى خطأ. في النهاية ، يدفعنا تبدل مكان العجيب إلى اختيار نهج تجريبي ، فنأخذ البلدان نقاط ارتكاز ، جهد المستطاع ، ونعتمد المواضيع متى تناقضت البلدان أو ضعفت دقتها أو أغفل اسمها .

وخاصة العجيب الثالثة ، عجز العقل البشري عن تصوره تماماً. فهل للعجيب الصحيح وجود ؟ إذا عرفناه بأنه انقطاع حاسم عن النظام الطبيعي : من لا يرى أنه بعيد المنال ؟ إذن لابد من وجود شيء آخر ،

ناشيء عن وسائل تفكيرنا . وبعيد في الوقت ذاته عن عادات هذا التفكير . ويرجح أن العجيب يتحدد لا بصفة عناصره ، بل بتفاوت حجمها وتنسيقها . فعن الحجم تنجم العملقة ، وعن التنسيق ، بعض ضروب تجميع لا طبيعي لعناصر طبيعية إفرادياً (٢٨٥٠) . سواء كان العجيب كمياً أو ترابطياً أو كليهما معاً ، فهو يؤول إلى معالجة الطبيعة بطريقة لا طبيعية ، وليس إلى تدخل ما هو خارق الطبيعة ولا يمكن تصوره بحد ذاته ، بالمعنى الصحيح .

ونبدي ملاحظة أخيرة على وظيفة العجيب . فقد قلنا من قبل إن نوعاً من التطهير الذاتي يتم فيه ، ما دامت المعادلة ، غريب — لا مألوف ، تفترض مسبقاً تجانس دار الإسلام وتحافظ عليه ، فتبعد الاهتمام بالشاذ وغير العادي والإثم (٢٨٥١) إلى ما وراء حدودها . مع ذلك لم يحل هذا الإبعاد المعضلة تماماً . فالعجيب من مستلزمات البشر ، ويختلف التنصل منه وإلقاء تبعته على الغريب ، عن الحيلولة دون الابتهاج به وانتقال عدواه . فالبلدان المدروسة قبل هذا الفصل ، معروفة ، ومعروفة جيداً ، ويتردد المسلمون عليها . لذلك ، أقيم ستار يرضي الميل إلى ما يثير الفضول ،ويذكرنا بأن حسن الحظ يشاء أن تُحْمىَ دار الإسلام من الشواذات المشار إليها (٢٨٥٢) . لذلك لا حاجة إلى حاجز ضد العجيب ، لأنه يفترض أن بلده في طرف عالم واقعي وبعيد المنال في الوقت ذاته ، فيستطيع أن يمارس دوره في أحلام اليقظة المحضة تماماً وجهاراً دون إثارة الخوف من آثار الاغرار مهما كان .

الجزر

« جغرافية » الجزيرة « غامضة » . ذلك أن الجزر أراضي انتقالية بين محيط يعتبر بداية عالم مجهول لايعبر ، وبين بر يمثل هامش عالم

معروف وحضاري . وهي تشبه العالمين جغرافياً وسيكولوجياً وربما ميتافيزيقيا . وتقع على تخوم الدنيا . لاضمنها ولا بعيدة عنها ، على الشريط المبهم بين داخلها وخارجها ، على هامشها ، في الحيز الخالي من العرض ، الذي لم يعد عالماً وبدأ يصير عالماً . فالجزيرة دليل النهاية والفارق » .

أخذت هذه الأسطر من مقال ج . دغرون و ل . مارين ، الذي يقارن تاريخ الغوط ، تاليف كاسيودوريه جوردانيس . بيوتوبيا ، تأليف مور (٢٨٥٣) . وهي تعطي مفتاح موقع الجزر على خريطة العالم الحقيقية أو الخيالية . وحتى لو اختلف هنا دورها عن دورها في سكانزا أو يوتوبيا ، فانها تحتفظ بقدرتها العالية على مراعاة جميع المستويات المحتمل وجودها بين الواقع والحلم . لذلك رأيناها من قبل ترد في الأنحاء المعروفة ، كما هي الحال في جزر بحر الروم ، أو تسرب الأساطير شيئاً فشيئاً الى الأسفار البحرية المعاشة ، مثلما حدث في المحيط الهندي (٢٨٥٤) .

ولا يعتبر عددها أسطورياً في الجزر الشرقية ذاتها ، التي يقال إنها ثلاثون ألفاً ، العامر منها اثنتا عشرة ألفا فقط . كذلك أهلها أسطوريون : كالنساء المولهات بالاستمتاع حتى إن الرجال يموتون من جراء متطلباتهن التي لاتروى ، والرجال « المجنحين » مثل تجنيح السلاحف البحرية ، أو الذين لهم أذناب كسائر الحيوانات ، والأحصنة التي تنشأ من الموج ، بعرفها الطويل النازل حتى الأرض ، وأخيرا الدجال ذاته (٢٨٥٥) .

وفي أقصى العالم من الطرف الآخر ، جزائر السعادة الست أو

أو الخالدات (٢٨٥٦) والبحر الذي هي فيه لايركب ولا يجيء منه شيء . ولا شك أنها جزر الكناري . فبعض الجغرافيين يقول إنها خالية (٢٨٥٧) ، يرتادها فقط الباحثون عن الذهب ، الذين سرعان ما يبعدهم البحر الشديد عنها ، لكن يعتبرها آخرون معمورة ، ويبرزون اسمها الفردوسي : بقولهم إن أهلها لايرون أن الله عصاه أحد ، لايزرعون ولا يحرثون ولا يحصدون ، على أبوابهم شجر ينبت لهم مايأكلون منه . وللشجرة أوراق عراض يوصلون بعضها الى بعض . فيلبسونها. وفي أرضهم الدر والياقوت . وفي جبالهم الذهب والفضة . فأتاهم ذو القرنين . فخرجوا اليه . فقالوا له ماجاء بك ؟ تريد أن تملكنا ؟ ماملكنا أحد قط . وإن كنت تريد المال ، فخذ . فقال ما واحدة من هاتين أريد . ولكن سألت ربي أن يسيرني فيما بين مطلع الشمس الى مغربها. فهذا حيث جئتكم من المطلع . قالوا « هذا المغرب عندك » .

وتقع جزيرة ناره على خط الاستواء . وطولها تسعون درجة بين المشرق والمغرب.وتتميز هذه الجزيرة باستواء الليل والنهار،مثلما نتوقع. وإذا خطونا خطوة أخرى،ندفع على مقربة منها الى المدينة الهندية أرين (أجّين)، الشهيرة بـ « قبة الأرض » ، مبدأ خطوط الطول والعرض (٢٨٥٨) .

وتستمد جزر أخرى اسمها وحتّى وجودها ، اذا جاز لنا هذا القول . من إحدى خصائصها . كغنى أرضها على سبيل المثال . وينطبق هذا الكلام على جزيرتي الفضة والذهب ، اللتين تستعيدان ذكريات قديمة ، غامضة الى أقصى حد ، من الجغرافية القديمة (٢٨٥٩) وتقع الجزيرة الأولى في القسم الشرقي من بحر الهند ، وتشتهر بخشب

الابنوس والساج ، إضافة الى مناجم الفضة . وفيها سبعة أنهار . وهي مزدهرة وعامرة ، ويرى بعض المؤلفين أنها تابعة للصين .

وجزيرة الذهب مزدهرة وعامرة أيضا ، واستدارتها ثلاث مائة فرسخ . وتعود شهرتها الى المعدن الذي كان التجار الصينيون يأتون ويستبدلونه فيها ، بالمقايضة الصامتة . بالأغذية والحديد . وأهل الجزيرة يأكلون اللحوم البشرية ، ويعيشون عراة . وتشير مجمل الصفات على نحو ماذكرت الى جزائر الزابج (شمطره) وإفريقية الشرقية الجنوبية على السواء . والبرهان أن أهلها يـدعون زنج الواق واق ، وعـدم تحديد موقعها بدقة : إذ يقال إنه البحر الكبير أي بحر الهند ، البحر الوحيد الذي يستطيع بسعته أن يشتمل على بلد شاسع أسطوري كالواق واق الذي لنا عودة اليه .

ومن المواضيع الأخرى ، مجتمع النساء وحدهن . فكتاب حدود العالم (٢٨٦٠) يتحدث عن جزيرتين ، في إحداهما ست وثلاثون نهرا وفي الأخرى ثلاثة أنهار ، ويقطن في الأولى الرجال فقط وفي الثانية النساء فقط . ويلتقي أهل الجزيرتين أربعة أيام في كل سنة « للتوالد » . ويرسل المواليد الذكور الى جزيرة الرجال متى بلغوا سن الثالثة .

وهكذا تعطينا فوضى الجزر بالذات بعض المواضيع الأسطورية: كالمعدن الأصفر أو الأبيض ، ثم وجود مجتمعات نسائية (٢٨٦١) . وأخيراً الأوضاع على أطراف العالم أو بجوارها من الأماكن التي يستعصي الوصول اليها . وهذه هي سبل أبحاثنا (٢٨٦٢) . لكن قبل

أن نتطرق اليها ، لابد من إلقاء نظرة على قائمة منهجية للجزر الغامضة التي أوردها ابراهيم بن وصيف شاه في كتاب مختصر العجائب .

الجزر عند ابراهيم بن وصيف شاه

يسهم بالعجيب كل شيء عند وصيف شاه . ويأتي موقع الجزر في طليعة العناصر المسهمة بـه . وهو يسمي البحر الهندي البحر الأخضر أو بحر اليمن (٢٨٦٣) أو البحر الكبير ، والجزر تطفو في هذا البحر ، بالمعنى الحرفي أحياناً ، محتارة في جميع الأحوال ، وفي جغرافية مبهمة . ويدعى المستكشفون هنا الخضر أو الإسكندر أو سليمان . أخيرا تبحث المواضيع سواء اقتسمت الجزر أو انصبت على واحدة منها ، في أربعة حقول رئيسية : الغيلان (البشرية أو الحيوانية أو النباتية) ، والأرض والمشهد الطبيعي ، والأساليب السحرية ، والحكمة الفردوسية أو قسوة إبليس .

ففي البحر الأخضر (٢٨٦٤) ، جزيرة تقطن فيها ذرية النسناس (٢٨٦٥) ، بتعبير آخر ، أناس برجل واحدة ، يتنقلون قفزاً (٢٨٦٦) . ويشاهد في جزيرة أخرى، صنم تحيط به عظام تفوح منها رائحة منومة ، تهلك الذين يقتربون منه . ويحمل أهل بعض الجزر الأخرى الشقر وجههم محفوراً على صدرهم ، ويأكلون العشب ، ويسيرون عراة ، وهم خناثى . ولأهل جزيرة ملكان (٢٨٦٧) رؤوس حيوانات على أجسام بشر ، ويتغذون بالسمك ، وبها يعيش غول كان يركبه ملك جن البحار . وعلى أجسام أهل جزيرة رود (٢٨٦٨) شعر ، ولهم خرطوم رفيع ، ويمشون على قائمتين أو أربع قوائم . وبوسعهم أن يطيروا : باختصار ، هم أبالسة أو أبناء أبالسة.

أما جزيرة الغامس ، فيشتق اسمها من حيوان مستدير يعيش ستة أشهر في البحر وستة أشهر في البر ، وهو غريب جدا (٢٨٦٩) . حتى إنه لايعرف لا ما يأكل ولا من أين تخرج الأصوات التي يبعثها .

والآن جاء دور الحديث عن الأبطال . فالخضر (٢٨٧٠) ، يظهر في جزيرته في هيئة شيخ عجوز جلله الشيب ، مستلقياً على الماء ، يرشد الملاحين الى الطريق الصحيح . وبعد جزيرته بلاد ، يستخدم أهلها قضبان الذهب عصياً أو أسلحة . وفي جزيرة صيدون (٢٨٧١) ، أثم سليمان مع امرأة وثنية . أخيراً عندما أبحر الإسكندر في بحر الظلمات ، هاجمه قوم يشبهون كلاباً كباراً ، تلفظ النار من أفواهها . ثم وصل إلى جزيرة القصر المسحور : الذي تستنير أسواره ليلاً ، لأنها مبنية من حجر فوسفوري : هذه هي بلاد شجرة الحياة (٢٨٧٢) . وقتل الاسكندر تنيناً في جزيرة أخرى قصية . ورأى في الجزيرة البيضاء التي يجري فيها نهر أبيض ، أناساً لهم رؤوس أسود ، وشجرة تنمو مع الشمس ، وتختفي عندما تغيب ، وتعود الى الظهور في اليوم التالي . وحذار أن يجني أحد شيئاً من ثمارها : فمن يتجرأ ويقطف ، يضرب حتى يدمى . وتتكون جزيرة النساك من حجارة كريمة ، لكنهم يبتذلونها ويعيشون ببساطة ، يأكلون النباتات أو الأسماك . أخيراً رأى الإسكندر جزيرة أهل الكهوف ، بلاد السلام ، وتلقى فيها الفاتح من خزّاف أسرار الحكمة الازلية .

وتتطلع الجغرافية إلى إعطاء معلومات أدق في بحر اليمن (٢٨٧٣) : والمقصود نظرياً القسم الجنوبي – المعروف جيدا – من بحر القلزم (٢٨٧٤) . والواقع أن العجيب يستبعد أن يتسنى التفتيش عن هذه

الجزيرة في غير عرض بحر الهند ، مقابل سواحل الجزيرة العربية أو إفريقية الجنوبية الشرقية (٢٨٧٥) . فجزيرة سلاطا هي الفردوس الأرضي ببساطة تامة ، ويرحب أهلها غير المرئيين بالناس ترحيباً حاراً. ويأتي اسم جزيرة فرش من ثمرة تقي من جميع الأمراض ، واسم جزيرة الدخلات ، من شيطان في هيئة بشر ويأكل لحومهم ، لكن قهرته في أحد الأيام صلاة رجل نقي القلب من بين أسراه . وتتراجع جزيرة الصريف كلما اقترب الإنسان منها (٢٨٧٦) . وتحوي جزيرة البيدج صنماً يبكي ، ويرد السهام والضربات .في النهاية ،جزيرة سندروس عامرة ، وتزخر بالذهب (٢٨٧٧) .

أخيرا (٢٨٧٨) تتوالى في « البحر الكبير » جزيرة منيعة ، لايسع إنسان الاقتراب منها ، إلا اذا حمل معه سمكة صغيرة اسمها شاكل (٢٨٧٩) ، ثم جزيرة ثاوران (٢٨٨٠) ، المسماة باسم ملكها ، الذي تحف به أربعة آلاف امرأة ، وبها تنمو شجرة خصائصها النعظية هائلة ، ثم جزيرة السيارة (٢٨٨١) التي تنتقل مع الرياح لأنها تتألف من أرض خفيفة جداً حتى إن رجلاً واحداً يستطيع فيها أن يرفع شقة من جبل ، ثم جزيرة النساء : التي اضطر ملك الصين ، على حد قول ملاح نجا من سيطرتهن ، أن يتخلى عن اكتشافها بعد ثلاثة أعوام من الجهود غير المجدية ، وتعيش هؤلاء النسوة وحدهن ، ويحملن من الهواء ، ولا يلدن إلا البنات ، أخيرا جزيرة السعلاة (٢٨٨٢) حيث يختبىء أحد الوحوش (٢٨٨٣) .

وهكذا تضيف الجزيرة الخرافة الى الخرافة . ويساعدها موقعها الغامض ، فتلعب على جميع الملامس المحتملة لطبيعة خفية ، معظمة ،

مقلوبة . فوضوية ، أي ، باختصار، طبيعة تبقى على عناصرها على حالها ، لكنها تبدل أسس اجتماعها كمياً أو نوعياً . ويفرد ابراهيم بن وصيف شاه باعطاء أكمل صورة عن جميع هذه الإمكانات في قائمة الجزر العجيبة ، لكن ربما أقلها عمقاً نظرا لكثرة الاحتمالات . أما من يرغب بالحصول على أوصاف أوفى بتفاصيلها ، وأقسى بشروط الحلم ، وفي النهاية أغنى باصدائها ، فينبغي عليه أن ينصرف الى موضوعي المعدن والنساء ، والى البلدان الهادية في أقاصي العالم مثل تولية وياجوج وماجوج وواق واق .

بلدان المعدن

تنشط المعادن ، وفي طليعتها المعادن الثمينة ، تجارة الأصناف الرئيسية على النطاق الدولي ، وبالتالي أحلام البشر . وقد تحدثنا من قبل عن أهمية الذهب في أراضي آسية وإفريقية . وهكذا يرتسم من أقصى الجنوب الى أقصى الشرق هلال واسع من المعدن الأسطوري ، سوف تسميه المخيلة الواق واق ، عندما نندفع الى أعماق الأرض السحيقة .

لكن لنترك الذهب الآن ، ونتحدث عن النحاس ، الذي يأتي مباشرة بعد الذهب والفضة (٢٨٨٤) في مراتب المعادن السبعة ، الناشئة عن خلط الزئبق والكبريت . فهو في موطنه في جميع الأماكن في رومية ، كما رأينا ، لكنه يظهر في محلات مشهورة ، سجلها تاريخ الجاهلية ، واحتلتها دار الاسلام : فلمنارة الإسكندرية (٢٨٨٥) عمودان من نحاس ، وبأرض عاد منارة من نحاس عليها راكب من نحاس ، وعاد أمة كانت ترتاد صحاري الجزيرة الجنوبية واندثرت لغضب من الله (٢٨٨٦) ، وعلى حدود المغرب الإسلامي (٢٨٨٧) الأسطورية

فرس من نحاس عليه رجل من نحاس ، وعلى الأسطوانتين الباقيتين من أساطين عين شمس بأرض مصر (٢٨٨٨) أطواق من نحاس. مع ذلك، لابد أن نلح بأن النحاس يصل في رومية الى أبعاد مدينة كاملة : نقول في رومية، أي في بلد غريب ، بعيد جداً ، فرومية ، نصف الأسطورية ، ليست في النهاية سوى شكل من الأشكال المحتملة للمدينة الأسطورية في أقاصي العالم .

ذلك أن حجر النسر أو أكسيد الحديد (البهت) ، يتمتع بخصائص مغناطيسية ومهلوسة ، ويشبه الحديد بتركيبه والنحاس بلونه . فهو مثل النحاس في رومية يعطي هيئة واسماً لمدينة كاملة : هي مدينة البهت ، نسيج وحدها في موسوعة العجائب التي يجلي فيها ابن الفقيه، مرة أخرى (٢٨٨٩) .

هل يعرف أحد من اكتشف هذه المدينة الضائعة وأين تقع ؟ هل هو ذو القرنين الذي حمله ولعه بالمعرفة بسرعة خارقة الى جميع آفاق الشمس بين مطلعها ومغربها ؟ أم موسى بن نصير ، فاتح المغرب العظيم ، الذي أمره الخليفة بدمشق بالمسير اليها واستجلاء أمر هذه المدينة المجهولة؟ ان الشخصين متوافقان. لكن الى أي حد وصلا ؟ فقد ذهب ذو القرنين من مصر ، وقيل بأن المدينة من عجائب المغرب . أما موسى فهو فاتح الأندلس على التخصيص وتنعكس فتوحاته على مغامرته ، حتى إن ابن الفقيه شوش الموضوع بعد أربع صفحات وجعلها من عجائب الأندلس .

مع ذلك ، تقع مدينة البهت في بعض المفاوز ، التي بينها وبين أمة من بني اسرائيل (البرجمانيين) بحر رمل يجري كما يجري الماء ؛

ويمنع المضي اليهم . ويسكن كل يوم سبت ، فلا يتحرك الى الليل .
وأقام الإسكندر على حافة ذلك الرمل ، وجازه وأصحابه يوم السبت ،
وبلغ أقاصي العالم من المغرب . والبرجمانيون عباد أتقياء ، زينهم الله
بالحكمة ، وهم سعداء وأحرار . ويتغذون من محاصيل الأرض الوافرة
بلا زراعة ، ويلبسون الأوراق . وما فيهم أحد أغنى من الآخر . مع
ذلك هل يعرفون الثروة ، وهل يخافون أخطارها ، عندما يرفضون
استثمار ثروة الأرض المدهشة بصنوف الجواهر واليواقيت ؟ لاشك البتة :
هذا البلد بلد النعيم ، والفردوس ، والله مع من يحبونه : وقد حاول
ملك آخر القيام بمأثرة الإسكندر ، وربما كانت نواياه غير سليمة .
لكن باغت انتهاء يوم السبت جيوشه ، التي تأخرت في الليل في وسط
الرمل فغرقت فيه . فأمر هذا الملك بصنم ، فنصبه على حافة الوادي ،
ليذكر بمأساة جيشه الغريق ، وكتب على جبهته : ليس ورائي لامرىء
مذهب : فلا يتكلفن أحد المضي الى الجانب الآخر .

فهل تكون دار الإسلام أسعد حظاً من الملك المذكور في طلبها
هذا البلد الأسطوري ؟ فقد سار موسى بن نصير بالف فارس ثلاثة
وأربعين يوما ، حتى لاح له بريق شُرُف تلك المدينة من مسيرة خمسة
أيام . وهي مستديرة ، ومحاطة بمفاوز ، وبها قبة رصاص (٢٨٩١) .
ولما انتهى اليها أرسل رجلاً من أصحابه ليدور حول سورها ، فعاد،
فأخبره أنها مدينة لاباب لها ولا مسلك اليها . فجمع موسى أمتعة أصحابه
الى جانب سورها ، فلم تبلغ ربع الحائط . فاتخذ سلالم كثيرة . وعندئذ
حصلت المأساة . فجميع من صعدوا الى السور أصيبوا بقهقهة ضحك
عند إشرافهم على المدينة ، ثم نزلوا اليها . ولما يئس موسى من رجاله

ومن معرفة المدينة ، رحل نحو البحيرة ، وسار مع سورها ، فانتهى الى مكان من السور عليه كتابة (٢٨٩٢) عربية ، جاء فيها أن سليمان أمر الجن ببنائها . ثم سار حتى وافى البحيرة عند مغيب الشمس على ميلين من المدينة . فاذا رجل قائم فوق الماء ، كان سليمان حبس والده في هذه البحيرة . وغاص غواصون في البحيرة فأخرجوا منها حباً من صفر مطبقاً رأسه بصفر . مسموراً بمسامير من صفر . فأمر موسى بقلع الصفر فخرج منه رجل من صفر بيده مطرد من صفر . فطار في الهواء ، وهو يقول : « يانبي الله لاأعود » .

فرواية ذي القرنين . وقصة موسى بن نصير ، وبعض الذكريات القرآنية (٢٨٩٣) ، والتقليد القديم عن مجاز هيراقليس ، كلها تتضافر لتضفي على موضوع نهاية العالم سمة فوضى الأسطورة . زد أن بلد النعيم في أقصى المغرب ، الذي مر معنا في البحر من قبل في جزائر السعادة . يتداخل مع بعض الأساطير الفارسية ويجوز أيضاً أن ترفق به أسطورة المهدي الذي ينتظر في مكان خفي ، الساعة التي يستطيع فيها إقامة ملك العدالة المطلقة (٢٨٩٤) .

وتتميز صور السر والسعادة بقوة تأثيرها . فاستحوذت عليها القصة في ألف ليلة وليلة (٢٨٩٥) ، واجتاحت ميادين أخرى من الجغرافية : كالشرق الأقصى الذي يريد المسعودي (٢٨٩٦) أن يعثر فيه على المدينة ذاتها ، وكالصحراء الكبرى في الشرق أيضاً ، وقد أعطى العقاب اسمه فيها على « مدينة العقاب » ، التي تقع على مسيرة خمسة أيام وخمس ليالي الى غرب الأهرام ، وهي في جهة الواحات ، « مما يلي المغرب والحبشة » ،

بتعبير آخر ، في ناحية مجهولة تسمح بجمع موضوع مدينة العقب المبنية من الحجارة مع ذكرى المدن الدارسة في مصر القديمة (٢٨٩٧) .

عالمُ النساء

في جزيرة النساء (٢٨٩٨) بعض نقاط الارتكاز . فموقعها يحول دون الوصول الى هذا المجتمع الوحيد الجنس ، كأنه في منحى من المعمورة . وتحميه نار الأمواج ، ويختفي تحت آفاق سهيل ، وينغمر في هذه النهاية من العالم التي يلتقي فيها المشرق والمغرب ، وتغلق الحلقة الأرضية (٢٨٩٩) : ففي أقاصي البحار الشرقية (٢٩٠٠) ، يرى لمعان النار الذي يدل على قرب جزيرة النساء من الاندلس . لكن ما دام يستحيل الوصول الى فصل هذا البلد، فيحتمل أن يكون ناجياً من تأثير العالم أو نائياً عنه : فهو إما طاهر من آثام البشر ، مثل إحدى جزائر النعيم ، أو، على النقيض ، غريب تماماً عن جميع أشكال النظام، وهذه حالة جزيرة النساء ، التي تلتهم فيها عرائس البحر الرجال من فرط الحب ، وترمز الى عالم خاطىء لاينظمه القانون (٢٩٠١) .

ولا بد لنا هنا أيضا أن نبرز أن هذا المجتمع من النساء يتلقى في جزيرته فائض النساء من مجتمع آخر قوامه الرجال . فالمرأة في هذا الأخير تلد أول بطن ذكراً وثاني بطن اثنيين وكذلك باقي عمرها . فيقل الرجال ، وتكثر النساء ، اللواتي يحمل الرجال الزائد منهن في مراكب ، ويطرحونهن في جزيرة النساء . من هنا نشأت حاجة نساء جزيرة النساء الى الذكور ، وعرف مصير الملاحين الذين يقعون على جزيرتهن . مع ذلك ، نلاقي مجتمعات أخرى ، قوامها النساء ، يستبعد منها الرجال عن سابق عمد وتصميم . وقد أعطينا مثالين عنها

في حديثنا عن الجزر (٢٩٠٢) إلا أن أوضح مثال عنها مدينة النساء الغامضة .

ويتحدث ابن الفقيه (٢٩٠٣) عن نساء ، من عادتهن قطع ثديهن وكيه في صغرهن : نتعرف بوضوح على النساء الفارسات المحاربات ، وهن أمة تقطن في الشمال في الإقليم السادس . ويسمي الهمداني بلدهن سوروماطيقا (سرماتيا) (٢٩٠٤) . ويتحدث الخوارزمي (٢٩٠٥) قبل حدود العالم عن جزيرتي الرجال والنساء . اللتين تقعان في بحر الهند (٢٩٠٦) ، ويطلق على الجزيرة الثانية اسماً يمكن أن يقرأ أمزانوس (٢٩٠٧) . وسرعان ما اكتشف حذق مينورسكي اليقظ دوماً (٢٩٠٨) ، بجوار خليج بوتني الشمالي ، قبيلة فنلندية ، اسمها كوين — ين ،الذي يلاحظ فيهالجذر الجرماني كوين (امرأة) . من ناحية ثانية ، تدعى جزيرة واقعة مقابل تالين، وهي نارجين او بالفنلندية نيسار : جزيرة النساء (أو المرأة) (٢٩٠٩) .

ويضع ابراهيم بن يعقوب (٢٩١٠) ، نقلاً عن الملك اوتون ، على حد قوله ، جزيرة النساء في البلدان الشمالية ، وفي السهول الشمالية على وجه أدق ، الى غرب الروس ، والى شرق الولتابه الصقلبية . وهن لا يعرفن من الرجال إلا رقيقهن ،الذين يلدنمنهم . إلا أنالفارسات المحاربات الجريئات يقتلن الذكور متى ولدنهم .

و هكذا تقدم لنا النصوص في البر والجزر أنماطا متنوعة من العلاقات المحتملة بين الجنسين . فتارة يجر عيب في علاقتهما خصباً غير متوازن لصالح النساء ، وطوراً تبدو العلاقة منتظمة لكن موقتة أو عرضية محضة ، انما حثيثة في تلك الحالة ، وحتى مرتبطة بالشبق ، وأحياناً أخرى

تتم العلاقة بين النساء وبين رجال ليسوا رجالاً بمعنى اللفظ الشامل ، بل عبيداً . أخيراً ، قد تنعدم العلاقة تماما ، فتتولى الرياح عمل الالقاح بدلاً من الرجال .

في جميع الأحوال ، يثبت الخروج عن القاعدة مخالفة النظام الطبيعي لصالح النساء (تكاثر جنسهن) أو النظام الثقافي (تنظيم مجتمعات نسائية) . ومن هنا نستنتج أن التوازن لايمكن أن يتحقق لا في مجتمع يتساوى فيه عدد الرجال والنساء ، ويتفوق الرجال عليهن على مستوى السلطة . ونعود الى نموذج ضمني لقياس الفارق بين العجيب وبين واقع المجتمع الذي تعتبر دار الإسلام في جميع الأحوال شكلاً كلاسيكياً من أشكاله الكلاسيكية الأخرى .

الشمال الأسطوري

يذكر الخوارزمي (٢٩١١) في حديثه عن المحيط الغربي ، عدداً كبيراً من الجزر والأرخبيلات، يغفل اسم معظمها. وعندما نحدد أسماءها، نكاد لانخرج منها ، بعد جهد كبير ، إلا ببعض ظلال من الجغرافية القديمة والشكوك بأسمائها بالذات . ونوشك ان نكون غير واثقين من قيصرية (جرسي) وكاسيتيريد (سيلي) وايبرنيا (ايرلنده) وتوليه وأخيراً سكانديا (سكانزا) (٢٩١٢) .

وتتجاوز توليه (٢٩١٣) وحدها مستوى التعداد الصرف (٢٩١٤) : فهي إحدى جزر شتلند في شمال إيكوسية (٢٩١٥) ، إذا رجعنا إلى معلومات بطلميوس . والشيء الثابت أنها تعين حدود المعمورة الشمالية ، على سواحل بحر لاتسلكه سفينة ، ولا يسهم البتة في المبادلات التجارية الدولية . لكن ما هو هذا البحر ؟ البحر المحيط

طبعاً ، اذا عممنا جداً . لكن تعود الى الظهور التباسات أشرنا اليها من قبل (٢٩١٦) : فيظن أن تولية واقعة وراء بلاد الصقالبة ، على بحر مايطيس الذي يمتد الى القطب . في الوقت ذاته ، توضع هذه الجزيرة خلف برطينية ، وتعتبر أحيانا تابعة لها .

ولايجوز أن نقطع في مثل هذا الغموض . فليس لدى مؤلفي الجغرافية ، كما نرى ، فكرة دقيقة عما نسميه اليوم بحر الشمال وبحر البلطيق ، لأن تقديرهم يتجه من المحيط الغربي الى بحر مايطيس المضخم . ويطلق ابن الفقيه على هذا المجمع المائي الواسع اسم « البحر الرابع » الذي يمتد بين رومية وخوارزم (٢٩١٧) .

ونلحظ غموضاً مماثلاً في البلدان التي توصل الى جزيرة تولية : كالصقالبة ، وعند ابن الفقيه ، « الروم » أرض الغرب ، التي تؤلف توليه حدودها . وموقع توليه الصحيح بدرجات العرض غامض بالقدر ذاته : جعله المسعودي ٦٠ شمالا في مروج الذهب ، و ٦٣ شمالا في التنبيه والإشراف . ويرى الخوارزمي أن جزيرة توليه تمتد بين ٦٣° و ١٠َ ٦٨° شمالا (٢٩١٨) . ويضيف كتاب حدود العالم أن بعض المدن الشمالية يحسب موقعها بدرجات الطول ابتداء من توايه ، وأن خط عرضها يتميز بتعيين آخر العمارة من الشمال : وهذا التباس بين خط عرض توليه الذي يوليه بطلميوس أهمية خاصة وبين الدائرة القطبية (٢٩١٩) .

وتكاد جزيرة توليه لاتخرج من غمرة ضباب هذا الشمال العظيم المجهول : فطولها مائة فرسخ ، وقد يصل نهارها الى عشرين ساعة . وهي قاسية وحتى جافة ، لكن فيها نهر كبير يصب في بحر مايطيس .

أخيراً تحوي بحيرة (٢٩٢٠) مما يكن أن يشير الى تقاليد قديمة تتعلق بسكانديا ، جزيرة الغوط (٢٩٢١) .

ولاعجب اذا بقيت توليه في النهاية غامضة بهذا القدر : فهذاماحصل ، كما رأينا ، لأقسام شاسعة من أوربة الغربية والشمالية ، أقل غموضا منها . مع ذلك أوليت توليه اهتماماً أكيداً ولو فاتتنا معرفتها حسياً. فهل هذا إخلاص للتراث القديم ؟ أم اجتذاب محض خيال بلد خفي يعتبر حدود العمارة قبل أن يختفي البشر تماما في عدم البرد ؟ في جميع الأحوال ، يشار الى واقعة حقيقية : ففي هذه الجزيرة قوم، مادامت مأ هولة ، لكن لم تذهب الأسطورة الى حد وصفهم : ربما لأن الجهد اللازم كبير جداً ، والمسافة الواجب قطعها شاسعة جداً بالتأكيد ، لاسيما أن الضباب يغمر الأراضي والبحار التي تفصل دار الإسلام عن توليه . على النقيض ، يعرف الطريق الى ياجوج وماجوج : فهي الأراضي العالية في آسية الوسطى . وتؤكد أعراف قديمة الأسطورة هذه المرة ، وتؤيدها : فياجوج وماجوج بلد وكائنات حية بآن واحد .

في طرف آسية الوسطى : ياجوج وماجوج

ترتكز الأساطير الخاصة بياجوج وماجوج على قصة الترجمان، الذي ذهب بتوجيه من الخليفة الواثق بالله ، ليستكشف البلدان النائية في آسية الشمالية الشرقية . ويعثر على هذه القصة بروايات مختلفة عند ابن خرداذبه والمقدسي ، مروراً بابن رسته ، ومع إغفال تدوينات أخرى ، عند ابن الفقيه أو ابن فضلان أو المسعودي أو المقدسي أو ابراهيم بن وصيف شاه .

إلا أن قصة سلام تستذكر بدورها آيات القرآن التي تتحدث عن أمتين وهي : ثم اتبع (الاسكندر) سبباً حتى اذا بلغ بين السدين وجد

من دونهما قوماً لايكادون يفقهون قولاً . قالوا ياذا القرنين إن ياجوج وماجوج مفسدون في الأرض . فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً . قال ما مكنني فيه ربي خير ، فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً . أتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين ، قال انفخوا حتى اذا جعله ناراً قال أتوني افرغ عليه قطراً . فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً.قال هذا رحمة من ربي.فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً (٢٩٢٢) . وجاء في القرآن فيما بعد : وحرام على قرية اهلكناها انهم لايرجعون . حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون (٢٩٢٣) .

وقبل قصة القرآن أيضا ، نجد ماجوج ، من ولد يافث (٢٩٢٤) ، وأسطورة الاسكندر السريانية (٢٩٢٥) . لكن تتفق هذه الذكريات بعد قصة القرآن مع واقع رحلة سلام حتى نواحي جدار الصين الكبير ، ومع التقاليد الإسلامية ، التي طورت مجموعة كاملة من المعطيات عن عودة الأمم التي أوقفها السد (٢٩٢٦) ، الى الظهور في يوم الحشر . وقد يفسر تسلط اجتياحهم على الأذهان ، في البلدان الواقعة وراء سهوب آسية أو القبق (٢٩٢٧) ، تفسيراً جزئياً ، على ضوء القلق ، أو حتى الرعب الغامض ، الذي يلازم ، مثلما رأينا ، الأتراك المغول الرحل أو أهل الجبال بين البحر الأسود وبحر قزوين : فهم يمثلون ، على الخريطة في الحد الأدنى ، مايشبه اقتراب أمة كبيرة بربرية ومجهولة ، مرتبتها الأخيرة في الجغرافية والتاريخ ، أو ما يشبه تباشير اقترابهم .

وهكذا تتناول التقاليد العربية في رؤية واحدة ، دخول ياجوج وماجوج مسرح التاريخ وهدفهم . عندما تجف الأنهار والبحيرات

من ظمأ هذه الكتلة البشرية ، التي سوف تفسدنتانتها الأرض (٢٩٢٨) بعد أن تنخرها الديدان في ليلة واحدة. لكن ماذا تقول النصوص الجغرافية؟ ترد الأقوال الأساسية في قصة سلام الترجمان ، التي يهمنا أن نخصها بمكانة ممتازة .

ياجوج وماجوج : قصة سلام الترجمان

ينقل ابن خرداذبه عن لسان سلام نفسه الرواية الأولى لهذه القصة. ويكتفي ابن رسته وابن الفقية والمقدسي بتكرارها مع بعض التعديلات (٢٩٢٩) . ويقول ابن خرداذبه :

« فحدثني سلام الترجمان (٢٩٣٠) أن الواثق بالله ، لما رأى في منامه ، كأن السد الذي بناه ذو القرنين (٢٩٣١) بيننا وبين ياجوج وماجوج قد انفتح ، فطلب رجلاً يخرجه الى الموضع ، فيستخبر خبره. فقال أشناس (٢٩٣٣) : ما هاهنا أحد يصلح الاسلاّم الترجمان ، وكان يتكلم بثلاثين لسانا (٢٩٣٤) . قال فدعا بي الواثق وقال : أريد أن تخرج الى السد حتى تعاينه ، وتجيئني بخبره . وضم الي خمسين رجلاً شباباً أقوياء . ووصلني بخمسة آلاف دينار . وأعطاني ديتي عشرة آلاف درهم . وأمر فأعطي كل رجل من الخمسين ، ألف درهم ورزق سنة . وأمر أن يهيأ للرجال اللبابيد ، وتغشى بالأديم . واستعمل لهم الكستبانات بالفراء ، والركب الخشب (٢٩٣٥) . وأعطاني مائتي بغل لحمل الزاد والماء . فشخصنا من سر من رأى . . . (٢٩٣٦) .

فأقمنا عند ملك الخزر يوماً وليلة حتى وجه معنا خمسة أدلاء فسرنا من عنده ستة وعشرين ، فانتهينا الى أرض سوداء منتنة الرائحة ، وكنا قد تزودنا قبل دخولها خلاً نشمه من الرائحة المنكرة . فسرنا فيها عشرة أيام ، ثم صرنا الى مدن خراب ، فسرنا فيها عشرين

(٢٩٣٧) يوماً . فسألنا عن حال تلك المدن ، فخبرنا أنها المدن التي كان ياجوج وماجوج يتطرقونها فخربوها .

ثم صرنا الى حصون بالقرب من الجبل الذي في شعب (٢٩٣٨) منه السد . وفي تلك الحصون قوم يتكلمون بالعربية والفارسية ، مسلمون ، يقرأون القرآن ، لهم كتاتيب (٢٩٣٩) ومساجد . فسألونا من أين أقبلنا ، فأخبرناهم أنا رسل أمير المؤمنين . فأقبلوا يتعجبون ويقولون : أمير المؤمنين . فنقول : نعم . فقالوا : شيخ هو أم شاب . فقلنا شاب (٢٩٤٠) . فعجبوا أيضاً . فقالوا : أين يكون . فقلنا : بالعراق في مدينة يقال سر من رأى . فقالوا : ما سمعنا بهذا قط . وبين كل حصن من تلك الحصون الى الحصن الآخر فرسخ الى فرسخين أقل أو أكثر .

ثم صرنا الى مدينة يقال لها ايكة (٢٩٤١) تربيعها عشرة فراسخ ، ولها أبواب حديد ، يرسل الأبواب من فوقها ، وفيها مزارع وأرحاء داخل المدينة . وهي التي كان ينزلها ذو القرنين بعسكره ، بينها وبين السد مسيرة ثلاثة أيام ، وبينها وبين السد حصون وقرى حتى تصير الى السد في اليوم الثالث . وهو جبل مستدير ، ذكروا أن ياجوج وماجوج فيه ، وهما صنفان ذكروا أن ياجوج أطول من ماجوج ، ويكون طول أحدهم مابين ذراع الى ذراع ونصف وأقل وأكثر .

ثم صرنا الى جبل عال (٢٩٤٣) عليه حصن ، والسد الذي بناه ذو القرنين هو فج بين جبلين ، عرضه مائتا ذراع (٢٩٤٤) ، وهو الطريق الذي يخرجون منه ، فيتفرقون في الأرض . فحفر أساسه ثلاثين ذراعا الى أسفل ، وبناه بالحديد والنحاس ، حتى ساقه الى وجه الأرض ثم رفع عضادتين مما يلي الجبل من جنبتي الفج ، عرض كل

عضادة خمس وعشرون ذراعا ، في سمك خمسين ذراعا ، الظاهر من تحتهما عشر أذرع خارج الباب . وكله بناء بلبن (٢٩٤٥) من حديد مغيب في نحاس ، تكون اللبنة ذراعاً ونصفاً في ذراع ونصف في سمك أربع أصابع (٢٩٤٦) .

ودروند حديد ، طرفاه على العضادتين ، طوله مائة وعشرون ذراعاً ، قد ركب على العضادتين ، على كل واحدة بمقدار عشر أذرع في عرض خمس أذرع . وفوق الدروند بناء بذلك اللبن الحديد في النحاس الى رأس الجبل ، وارتفاعه مد البصر يكون البناء فوق الدروند نحواً من ستين ذراعاً . وفوق ذلك شرف حديد في طرف كل شرفة قرنتان ، تنثني كل واحدة منهما على الأخرى (٢٩٤٧) ، طول كل شرفة خمس اذرع في عرض أربع أذرع ، وعليه سبع وثلاثون شرفة .

واذا باب حديد بمصراعين (٢٩٤٨) معلقين ، عرض كل مصراع خمسون ذراعا في ارتفاع خمس وسبعين(٢٩٤٩) ذراعاً، في ثخن خمس اذرع ، وقائمتاهما في دوارة على قدر (٢٩٥٠) الدروند ، لايدخل من الباب ، ولا من الجبل ريح ، كأنه خلق خلقة . وعلى الباب قفل ، طوله سبع أذرع ، في غلظ باع في الاستدارة ، والقفل لايحتضنه رجلان (٢٩٥١) ، وارتفاع القفل من الأرض خمس وعشرون ذراعاً. وفوق القفل بقدر خمس أذرع ، غلق ، طوله أكثر من طول القفل . وقفيزاه كل واحد منهما ذراعان . وعلى الغلق مفتاح معلق طوله ذراع ونصف ، وله اثنتا عشرة دندانكة (٢٩٥٢) ، كل دندانكة في صفة دستج (٢٩٥٣) الهواوين . واستدارة المفتاح أربعة أشبار ، معلق

في سلسلة ملحومة بالباب ، طولها ثماني أذرع في استدارة أربعة أشبار ، والحلقة التي فيها السلسلة مثل حلقة المنجنيق . وعتبة الباب عرضها عشر أذرع في بسط (٢٩٥٤) مائة ذراع ، سوى ماتحت العضادتين . والظاهر منها خمس أذرع . وهذه الذراع كلها بالذراع السوداء (٢٩٥٥) .

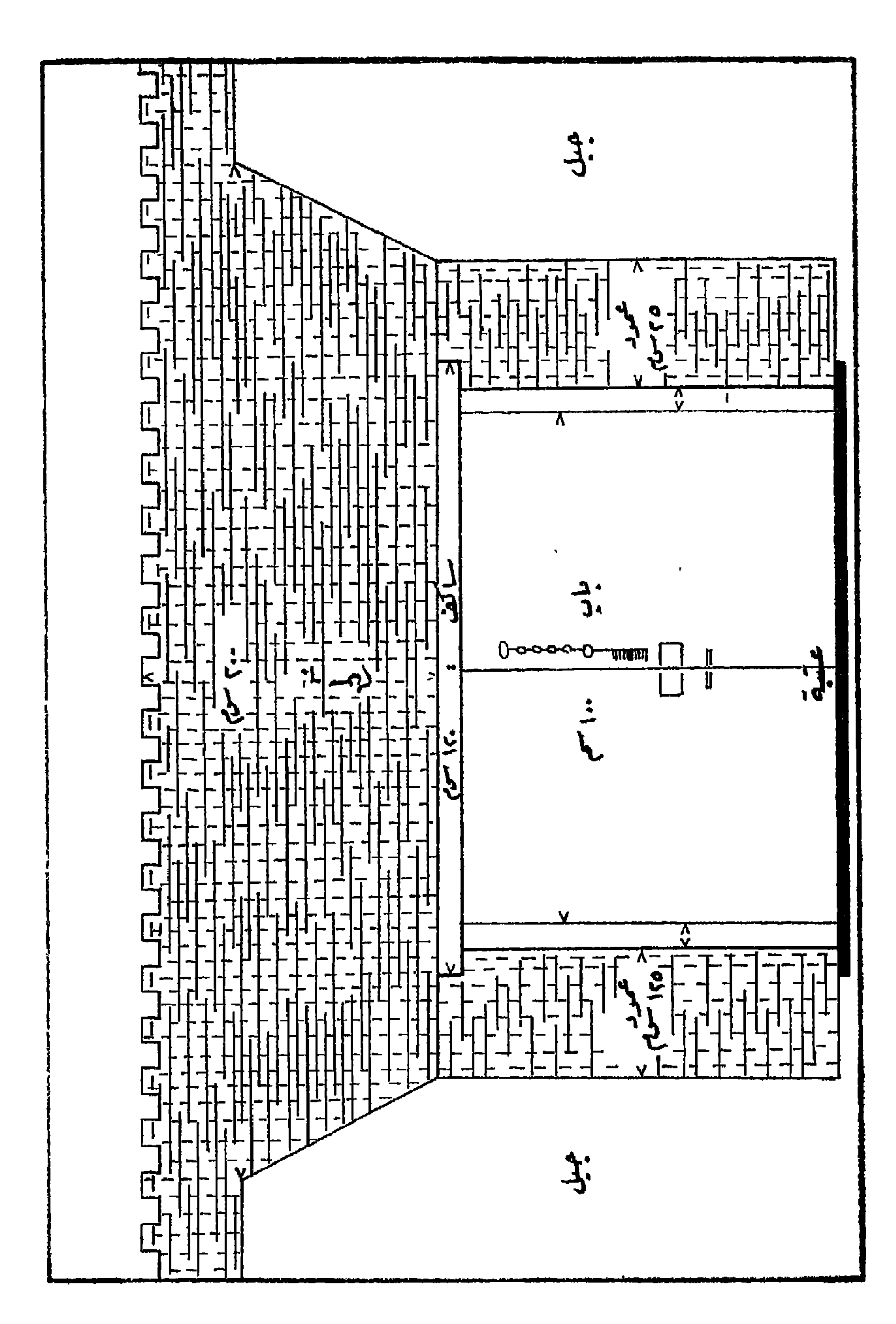
ومع الباب حصنان ، يكون كل واحد منهما مائتي ذراع في مائتي ذراع . وعلى باب هذين الحصنين (٢٩٥٦) شجرتان . وبين الحصنين ، عين عذبة ، وفي أحد الحصنين آلة البناء التي بني بها السد ، من القدور الحديد والمغارف الحديد ، على كل ديكدان أربع قدور مثل قدور (٢٩٥٧) الصابون . وهناك بقية من اللبن الحديد قد التزق بعضه ببعض من الصدأ .

ورئيس تلك الحصون (٢٩٥٦٨) يركب في كل يوم اثنين وخميس (٢٩٥٩) . وهم يتوارثون ذلك الباب كما يتوارث الخلفاء الخلافة ، يجيء راكباً ، ومعه ثلاثة رجال على عنق كل رجل مرزبة (٢٩٦٠) ، ومع الباب درجة ، فيصعد على أعلى الدرجة ، فيضرب القفل ضربة في أول النهار ، فيسمع لهم جلبة مثل كور الزنابير ، ثم يخمدون . فاذا كان عند الظهر ضربه ضربة أخرى ، ويصغي بأذنه الى الباب ، فتكون جلبتهم في الثانية أشد من الأولى ثم يخمدون . فاذا كان وقت العصر ضرب ضربة أخرى ، فيضجون مثل ذلك ، ثم يقعد الى مغيب الشمس ، ثم ينصرف . الغرض في قرع القفل أن يسمع من وراء الباب ، فيعلموا أن هناك حفظة ، ويعلم هؤلاء أن هاولئك لم يحدثوا في الباب حدثاً . وبالقرب من هذا الموضع حصن كبير يكون عشرة فراسخ في عشرة فراسخ ، تكسيره مائة فرسخ .

قال سلام : فقلت لمن كان بالحضرة من أهل الحصون : هل عاب من هذا الباب شيء قط (٢٩٦١) . قالوا : مافيه إلا هذا الشق، والشق كان بالعرض مثل الخيط دقيق . فقلت تخشون عليه شيئاً . فقالوا : لا إن هذا الباب ثخنه خمس أذرع بذراع الاسكندر ، يكون ذراعا ونصف بالأسود كل ذراع واحدة من ذراع الاسكندر . قال فدنوت وأخرجت من خفي سكيناً ، فحككت موضع الشق ، فأخرج منه مقدار نصف درهم (٢٩٦٢) ، وأشده في منديل لأريه الواثق بالله .

وعلى فرد مصراع الباب الأيمن في أعلاه مكتوب بالحديد باللسان الأول (٢٩٦٣) : فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء ، وكان وعد ربي حقا . وننظر الى البناية،وأكثره مخطط ساف أصفر من نحاس ، وساف أسود من حديد . وفي الجبل محفور الموضع الذي صب فيه الأبواب ، وموضع القدور التي كان يخلط فيها النحاس ، والموضع الذي كان يغلى فيه الرصاص والنحاس . وقدور شبيهة بالصفر لكل قدر ثلاث عرى فيها السلاسل والكلاليب التي كان يمد بها النحاس الى فوق السور.

وسألنا من هناك هل رأيتم من ياجوج وماجوج أحداً.فذكرواأنهم رأوا مرة عدداً فوق الجبل ، فهبت ريح سوداء ، فألقتهم الى جانبهم. وكان مقدار الرجل في رأي العين شبراً ونصفاً . والجبل من خارج (٢٩٦٤) ليس له متن ولا سفح (٢٩٦٥) ، ولا عليه نبات ولا حشيش ، ولا شجرة ، ولا غير ذلك ، وهو جبل مسلنطح قائم أملس أبيض .



شكل ــ ٣٣ ــ مخطط الترتيبات الرئيسية في جدار ياجوج وماجوج
(منظر أمامي) (كبر المفتاح عشر مرات والسلسلة مرتين)

هذه هي قصة سلام التي نكتفي منها بهذا القدر (٢٩٦٦) . لانقاش بأن اللهجة صادقة : فقد مات ستة وثلاثون من الرجال الذين كانوا معه من إعياء أو مرض ، ولم يسلم من البغال إلا ثلاثة وعشرون ، وأخذ المسحوق من موضع شق الباب في منديل ليراه الخليفة . ويختتم ابن خرداذبه بقوله : « فحدثني سلام الترجمان بجملة هذا الخبر ، ثم أملاه علي من كتاب كان كتبه للواثق بالله . » .

إلا أن ابن رسته يضيف : « وكتبناه نحن لتقف على مافيه من الخليط والتزييد ، لأن مثل هذا لايقبل صحته ، فوجدته موافقاً » (٢٩٦٧) . لا يسعنا أن نقول أقل من هذا . ولا ننكر (٢٩٦٨) أن يكون سلام وصل الى مشارف الجدار الكبير ، وحتى أن يكون رآه ، لكن كيف نفسر ورود بعض المعقول الى جانب الأسطوري الأكيد ؟ فوصف الجدار مثلا متماسك من ناحية الأبعاد الحسابية (انظر شكل ٣٢) (٢٩٦٩) ، إلا أنه غير مقبول في حبكاته . ونقيس في هذا المثال محل العجيب حسب ذوق العصر ، ويصل الى الترافق عند الخليفة مع ضرورات الإخبار الموضوعي . واذا كان ابن فضلان يبدي مرة أخرى في حديثه عن ياجوج وماجوج (٢٩٧٠) حذراً نقدياً حازماً جداً حيال الأسطورة ، يمكننا أن نقيم بالعكس النجاة من العقوبة في قصة سلام ، فماذا نقول ؟ فالإكرام الذي يتمتع به (٢٩٧١) حتى لدى السلطات العليا ، التي تلعب بصراحة ورقة العجيب الذي يقباه جميع الناس وينتظرونه (٢٩٧٢) .

في بلاد ياجوج وماجوج

هيهات أن تستوفي قصة سلام التقاليد العربية الاسلامية الخاصة

بياجوج وماجوج . مع ذلك ، تمتاز هذه القصة بأنها تعطينا رؤية هامة الى أقصى حد عن جدار الصين . فقد بنته « الممالك المحاربة » من شمال الصين ، التي كانت تريد أن تحمي نفسها من أعدائها من بدو السهوب. ويقوم الجدار من جانب دار الإسلام بالمهمة ذاتها ، تجملها الأسطورة: فالصين تحترس من البداوة الحقيقية في الجغرافية ، أما دار الإسلام فتحترز من البداوة الأسطورية في تاريخ أخروي يجعلها على أرض الإسلام قانون الإنسانية العام .

وهكذا يرجع جدار الصين حتى تخوم العالم رؤية كانت من قبل رؤية جبل القبق (٢٩٧٣) الى حد معين . ويسود الترك خلف هذا السور ، وقد رأينا الغموض الذي يكتنف نظر المؤلفين اليه . لكن ليس الأتراك أنفسهم سوى جزء من ياجوج وماجوج ، فاجأتهم أعمال ذي القرنين ، عندما كان يحارب غرب الجدار ، فاحتجزوا نهائياً من جانب العالم المتمدن (٢٩٧٤) . وهذا يعني أن بدو الأساطير ، المفروض وجودهم وراء جدار الصين ، الذين يعطي الترك صورة ناقصة عنهم ، قد يكونون أخطر على دار الإسلام من الأتراك ، ممن يستفيدون من السمعة الحسنة والسمعة السيئة معاً . واذا كان الأتراك في نظر دار الإسلام خطيرين وانصاراً ، فالأمر يختلف بالنسبة الى إخوانهم الأسطوريين في الجانب الآخر : فظهور ياجوج وماجوج يعتبر حقاً نذير الكارثة والدمار . ويحمل نص سلاّم بعض آثار الجدل بين ياجوج وماجوج وبين دار الإسلام : فعند الفجر والظهر والعصر ، أي في ثلاثة من مواقيت الصلاة الإسلامية اليومية ، يضرب الحفظة على الباب ليذكروا بوجودهم . وتشير إحدى روايات قصة سلام الأصلية

الى ان تفتيش الجدار لم يعد يجري يومي الأثنين والخميس ، بل أيام الجمعة .

إضافة الى قصة سلام ، تكثر الأخبار عن جدار الصين في النصوص الجغرافية.فمنها أولاً أخبار التقاليد: مثل خبر بناءذي‌القرنين(٢٩٧٥)السد، ثم « الإفساد » الوارد في القرآن المنسوب الى تصرف ياجوج وماجوج الذين كانوا ، قبل تدخل ذي القرنين ، يخرجون الى أراضي آسية ، فلا يدعون شيئاً أخضر إلا أكلوه ، ولا شيئاً يابساً إلا احتملوه (٢٩٧٦) . واذا نزل عيسى وقتل الدجال ، ظهر ياجوج وماجوج ، فيقوم عيسى في المسلمين خطيبا ، ويقول : « اللهم انصر القليل في طاعتك على الكثير في معصيتك (٢٩٧٧) » ، فينصر الله المؤمنين . وسوف يباد ياجوج وماجوج في الأماكن المقدسة : ومعقل المسلمين من ياجوج وماجوج ... الطور (٢٩٧٨) . ويهلك ياجوج وماجوج حول بيت المقدس (٢٩٧٩).

وترد في النصوص الجغرافية بعض التفاصيل عن الجدار : فقد ذكر المسعودي أن عرض السد بين الجبلين مائة وخمسون فرسخاً ، وأنكره واعتبره مستحيلاً ، لكنه لم يقاوم إغراء إعطائه . ويشدد بعض المؤلفين في بعض الكتب الأخرى على جودة البناء الذي يعتبر أروع أبنية العالم ، ويقال بأنه قطعة واحدة متماسكة تماما ، بسبب الاعتناء بصب المعادن فيه : ويقارنون « حشوة زبر الحديد » المذكورة في القرآن بصخور طينها نحاس مذاب يلصقها ، بلصق الغضار الحجارة في السدود الأخرى في حين تؤلف صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد في الشرفات (٢٩٨٠) مايشبه برداً محبراً .

وذكر لنا سلام من قبل مدة رحلته . ومن بلاد الخزر الى موضع

سد ياجوج وماجوج مسيرة شهرين على حد قول ابن الفقيه . وياجوج وماجوج من الصقالبة على ثلاثة أشهر ، وهم على شط البحر (٢٩٨١) . وفي أقصى المشرق أو أقصى الشمال من الأقليمين السادس والسابع (٢٩٨٢) تمثل بلاد ياجوج وماجوج حيزا غير محدد من الأرض لكنه واسع : فتحسب الأرض سبعة أقاليم (٢٩٨٣) إقليم منها في أيدي ياجوج وماجوج ، أو تحسب ستة أجزاء لياجوج وماجوج خمسة أجزاء وسائر الخلق في جزء واحد (٢٩٨٤) ، ويروي ابن الفقيه أن الجناح الأيسر من طير العالم ، الخزر ، وخلف الخزر أمتان يقال لهما منشك وماشك ، وخلفهما ياجوج وماجوج (٢٩٨٥) .

ويحاول مؤلفون آخرون طموحون، كالمقدسي أو ابن حوقل، إعطاء بعض الأرقام: فالأرض العامرة مسيرة ماثة أو ماثة وأربعة أعوام ثمانون أو تسعون عاماً منها لياجوج وماجوج (٢٩٨٦) . وقد قلنا مراراً وتكراراً (٢٩٨٧) كيف يميل مفهوم حضاري غامض جداً الى الظهور اعتماداً على نسبة مساحة الأرض الى عدد السكان القاطنين فيها . ويقال لنا بأن عدد أهل ياجوج وماجوج كبير جدا (لنذكر أنهم سيشغلون مساحات شاسعة في يوم القيامة) : ٤٠٠٠٠٠ قبيلة على حد قول المقدسي ، يعرف ابن الفقيه ستاً منها فقط ، وكل قبيلة من هؤلاء مثل جميع أهل الأرض (٢٩٨٨) . فهل يعني هذا أن نسبة الأرض الى السكان ملائمة لياجوج وماجوج ؟ كلاّ قطعاً . ذلك أنهم مهما كثر عددهم ، تبدو بلادهم ذاتها لامتناهية في الشكوك التي تكتنفها (٢٩٨٩) .

امة ياجوج وماجوج

هل ياجوج وماجوج بشر على وجه التخصيص ؟ لاشك أن المؤلفين

يربطونهم أحياناً بمجتمعات معروفة : فابن حوقل مثلا يقول إنهم في ناحية الشمال ، ويلحقهم بملكة الصين ، ويضيف أن الروس والخوارزميين يصلون اليهم ، ويبتاعون منهم جلود القندس (الكستر) أو غيرها من الفراء الجيدة (٢٩٩٠) . لكن يتضح بجلاء أن هذا الكلام ذكريات غامضة عن قصص البحارة ، تشير الى بلدان أقصى الشمال ، حوالي عروض روسية أو سيبيرية الغربية (٢٩٩١) . ويرى ابن حوقل أن ياجوج وماجوج — وهو يحترس جدا من وصفهم — في جوهرهم شكل من الأشكال البشرية الهامشية ، هذا اذا لم يكن يجهلهم تماماً .

ونود أن نزيد فكرتنا وضوحاً ، فنميز بين تنظيمهم الاجتماعي ووصفهم الجسدي . فمن ناحية التنظيم ، ينتمي ياجوج وماجوج الى مجموعة غامضة جداً من الأقوام المجهولة . فأولاً عندهم مدينة جابلقا في مشرق الأرض ، التي تقابل قرينتها جابرصا (٢٩٩٢) في المغرب . وكلتاهما من صنع الله ، وطول الواحدة منهما عشرة آلاف فرسخ ، ولها عشرة آلاف باب (٢٩٩٣) ، يحرسها عشرة آلاف رجل كل ليلة ، ولن يأتي دورهم ثانية إلا عند القيامة : اذن هم أمة لاتحصى ، لكنها أمة سعيدة أيضاً ، إذ إن الفرد منهم يعمر سبعة آلاف سنة تقريبا ، أخيرا هم أمة مباركة : فأهل المدينتين نبلاء ، رفيعو الأخلاق ، وعلماء وأتقياء ، لايتلقون نورهم من كواكبنا المسكينة ، بل مباشرة من العرش (٢٩٩٤) . فما وجه الغرابة ؟ تقطن في جابلقا عاد التي آمنت بالنبي هود (٢٩٩٥) ، والنبي محمد ، الذي شاهدهم في المعراج ، وقال لهم : « خيرهم خيركم وشرهم شركم » .

تعتبر المدينتان الفردوسيتان نقيضتي ياجوج وماجوج . ذلك أن

النبي ، الذي رآهما ، وكلمهما أيضاً في المعراج ، لم يسمعهما يجيبانه (٢٩٩٦) . ومن هنا جاء طرح ياجوج وماجوج خارج نطاق البشرية والبلدان الفردوسية : فقد قطعهم الجدار عن البشرية بشكلها التركي (٢٩٩٧) ، وأبعدهم الى أقاصي العالم حيث يحتمل وجود الخير المطلق ، لكن ليس بالنسبة الى هذه الأمة من المنبوذين . فالنعيم والفضيلة يختصان بجابلقا أو بأمم أخرى ، تسمى باسمها : مثل ناسك ومتنسك ، من مشتقات جذر نسك (تقوى ، ورع) ، وتاويل وهاويل ، إحدى المزدوجات الصوتية ، الشائعة عند العرب ، التي يشبه اللفظ الثاني منها ، في هذه الحالة ، هابيل ، وكان من الصالحين (٢٩٩٨) .

خلافاً لذلك ، يذكرنا تقسيم أمة ياجوج وماجوج ذاتها الى عدد غير محدود من القبائل (٢٩٩٩) ، باخراج التوراة بعض الأقوام قديماً من جماعة الأبرار . فأقرب الناس الى جدار الصين ياجوج وماجوج بالمعنى الضيق . وتتوالى فيما يظن ، مع الابتعاد عن السور ، وقبل الوصول الى أقوام مجهولة الأسماء ، الأمم التالية : تاويل ، تاريس ، منسك وكمارى (٣٠٠٠) . فتاويل توبال ، وتاريس ترشيش ، ومنسك (أو منشك)تتقاسم، كما مر معنا (٣٠٠١) الجناح الأيسر من طائر العالم مع ياجوج وماجوج ومع ماشك ، التي تذكر بموزوك . أخيراً ، لايفوتنا أن ندرك أن غومر هي كمارى . ونحن نعلم أن ارتباط ياجوج وماجوج وتوبال وترشيش وموزوك وغومر ، وثيق بنبوة حزقيال (٣٠٠٢) الداعية الى قبول قصاص الرب .

وتتقوى هذه الظنون الكامنة ، عندما نتقل الى عرض الأمم

إفرادياً . ويضخم الأبتعاد الى الشمال ، عند ياجوج وماجوج ، خصالاً كانت تتجلى عند الأتراك أو البلغار أو الصقالبة : فهم قوم قصار، صلع ، عراض الوجوه ، بشعون ، متوحشون ، رعن ، أغبياء (٣٠٠٣) . وهم يتداعون تداعي الحمام (٣٠٠٥) ، ويعوون عواء الذئاب ، ويتسافدون حيث ما التقوا . ولهم مخاليب في مواضع الأظفار ، ولهم أضراس وأنياب كالسباع . في نهاية الأسطورة ، هم خلق خرافيون ، لا يخضعون لضابط : فتارة يكونون عمالقة ، وفي معظم الأحيان أقزاماً مقدار الرجل شبر ونصف ، وطوراً كشجر الأرز ، أو أيضا مربوعين ، ولهم آذان عظام يفترشون إحداها ويلتحفون الأخرى . ولبعضهم قرون أو أنياب أو ذنب ، ومنهم من يمشي قفزاً ، ومنهم من يشبه كلامه القباع أو لا يتكلم البتة (٣٠٠٦) .

ولا يتحمل ابن فضلان (٣٠٠٧) مسؤولية مايقال عنهم ، فيروي أقوالا سمعها من البلغار : الذين أسروا رجلاً من ياجوج وماجوج كان طافيا (٣٠٠٨) فوق ماء نهر أتل في أثناء مده وطغيانه . وكان عملاقاً لايتكلم ، طول أنفه أكثر من شبر ، لاينظر اليه صبي إلا مات ، ولا حامل إلا طرحت حملها . وكان إن تمكن من رجل عصره بيديه حتى يقتله . وضاق ملك البلغار ذرعاً بهذا الأسير الخطر، فعلقه في شجرة حتى مات . ثم أخذ ابن فضلان اليها ، الذي يكتفي بحذره المألوف بوصف مارأى من عظام هائلة ورأس مثل القفير الكبير (٣٠٠٩) وأضلاع وعظام سوق أكبر من عراجين النخل : أي مايشبه مكمن مستحاثات حيوانية تعود الى ماقبل التاريخ ، كما نرى ، وهذا مايسعه تفسير وجود هذه البقايا (٣٠١٠) وحجمها .

وغذاءياجوج وماجوج مرتبط ارتباطا تامابالخوارق(٣٠١١).فلموضوع السمكة روايات متباينة . إحداها أن البحر يقذف اليهم بسمكتين ، كل عام ، كل سمكة منهما مسيرة عشرة أيام . وفي رواية أخرى أن الله يخرج لهم كل يوم سمكة من البحر . فيجيء الواحد منهم ومعه المدية ، فيحز منها قدر ما يكفيه ويكفي عياله . فان أخذ فوق مايقنعه ، اشتكى بطنه ، وكذلك عياله يشتكون بطونهم وربما مات وماتوا بأسرهم . فاذا أخذوا منها حاجتهم ، انقلبت ووقعت في البحر ، فهم كل يوم على ذلك .

والسمك غذاؤهم الوحيد . فمتى أراد الله أن يخرجهم من جحورهم ، ينفذ ماء البحر في الأرض ، فيذهب غذاؤهم مع الماء (٣٠١٢) . وهذا الغذاء أسطوري ، كما اتضح لنا . لكن خرافته لاتقاس بما يلي . فالسحاب يطرح التنين الى ياجوج وماجوج . ويقول بقراطيس ، انه وجد طوله فرسخين ، وعرضه أذرع كثيرة ، وجسمه مستديراً ، ولونه مثل لون النمر ، ومفسلساً كفلوس السمك ، وله جناحان عظيمان كأجنحة السماك بالقرب من رأسه . وهذا الرأس على خلقة رأس الإنسان ، مثل التل العظيم . وله أذنان طويلتان عريضتان كآذان الفيل . ويتشعب من ذلك الرأس ستة أعناق طول العنق عشرة أذرع ، على كل عنق رأس شبيه برأس الحية . في النهاية تتراءى لنا العدرة من خلال هذا الوصف بأرؤسها السبعة (٣٠١٣) .

والتنانين كثيرة في بحر الروم . وعندما يظهر التنين ، يطرأ تغيير على البحر ذاته : لأن تصفيق الأمواج يهدأ فيه ، ثم يسمع له دوي شديد ينشأ عن ضجيج دواب البحر التي آذاها اقتراب التغيير :

اذ تقبل سحابة وتغيب في اليم ، ثم تقبل أخرى فأخرى ، حتى تعد سبع سحائب . ثم ترتفع الى جانب آخر ، تنهزم،تتبعها التي تليها ، والريح تصفقها ، ثم يرتفعن جميعاً في السماء ، وقد أخرجن شيئاً يبين أنه تنين ، يرى ورأسه في السحاب وذنبه يضطرب . فيطرحه السحاب الى ياجوج وماجوج . وقد يقع التنين وينتن ، فيفشو الموت ، مثلما حصل في زمان بقراطيس ، الذي أنقذ أهل البلاد بالقاء ملح على التنين .

ويكاد الإنسان لايدرك من خلال تنميق الاسطورة أن التنين المزعوم زوبعة . ويعتبره المسعودي (٣٠١٤) وحده ظاهرة خاصة ببحر الأعاجم (بحر الخزر) وبحر الروم مما يلي بلاد طرابلس واللاذقية والجبل الأقرع (بحر الروم الشرقي) . ويقول إن بعض الناس يرون أنه ريح (سوداء) تكون في قعر البحر ، فتظهر الى النسيم ، وهو الجو ، فتحاق السحب كالزوبعة . ويعلن أن الناس تتوهم « اذا صارت السحب من الأرض ، واستدارت ، وأثارت معها الغبار ، ثم استطالت في الهواء ذاهبة الصعداء، إنها حيات سود ، ظهرت من البحر لسواد السحب وذهاب الضوء وترادف الرياح » . لايقاوم المسعودي رغبته بذكر الفرضيةالثانية ، التي تجعل التنين الوحش الذي عرفناه عند ابن الفقيه :فالسحاب الموكل بالتنين يخطفه حيث ما وجده ، كما يخطف حجرالمغناطيس الحديد ، وربما انفلت منه ، فتجيء السحابة بهدّة ورعد وبرق، فتدخل في البحر ، فتستخرجه ثانية . وربما مر في طريقه بالشجرالعادية فيقتلعها ، والصخرة العظيمة فيرفعها .

عندما يتصل المشرق بالجنوب : بلاد الواق واق

يتحدث ابن الفقيه عن واق واق ، ويميز بين واق واق الصين وبين واق واق اليمن (٣٠١٥) . ويذكر المقدسي وجود أمة في شرق الصين تعيش في احجار بسبب شدة الحر السائد فيها . ويستطرد فيقول : « في أقاصي بر الزنج ، أمة لاغذاء لها سوى الحيوانات البحرية المحرقة في الشمس عند مغيبها ، ولا لباس سوى أوراق الشجر ، ولا أبنية سوى الاحجار الجوفية (٣٠١٦) . »

فما معنى هذا الكلام ، إن لم يكن ، لأسباب نعرفها جيداً (٣٠١٧) أن أقاصي الصين وأقاصي إفريقية يلتقيان ويؤلفان بلاداً أسطورية ، ترسم قوساً كاملاً من الأرض من الجنوب الى الشرق ؟ وتشير النصوص الجغرافية ،حسب الحالة ،الى مدغسقر أو اليابان أو الفيليبين أو إحدى جزائر الزابج ، أو ربما لم تشر الى أي منها أو اشارت اليها جميعاً على حد سواء . أما نحن ، فنعقل ، ونرفض الاختيار بين واق واق وبين واق واق ، وننظر الى هذه البلاد كما تعطى لنا : شاسعة جداً ، ونائية وشبه خرافية (٣٠١٨) .

ويؤكد وصف واق واق على الناحية الخرافية : والبرهان الدور الساحق والحصري تقريبا ، الذي يلعبه فيها كتاب عجائب الهند (٣٠١٩) ولا يقال لنا في النهاية إلا النذر القليل عن بلاد واق واق ذاتها ، التي تقع تارة في البر ، وطوراً في الجزر ، وأحياناً في طرف العالم أو في البحر الكبير : وهي قاسية وحارة ، بها مدن ضئيلة الأهمية ، لكنها تزخر بالخيرات (٣٠٢٠) . وما دام واق واق يمكن أن يشير الى

بلدان واقعة على تخوم أراضي التجارة الدولية ، فلا نعجب اذا ورد اسم هذه البلاد في المبادلات : فهم يستوردون العاج والذبل وجلود النمر والعنبر الأسمر والرقيق (٣٠٢١) . ويصدرون الأبنوس والعطور وخصوصا الذهب (٣٠٢٢) .

وواق واق كثيرة الذهب ، يعثر عليه فيها في جميع الأماكن ، حتى جعل الذهب واسمها مترادفين (٣٠٢٣) . وله مكانة فريدة فيها ، يستعمله أهلها في كل شيء لوفرته : فيتخذون منه سلاسل كلابهم وأطواق قرودهم (٣٠٢٤) ، ويأتون بالقمص المنسوجة به للبيع ، ويصنعون منه الأسلحة . وتثير الحيوانات الفضول أكثر مما يثيره الذهب. فبناحية من الواق واق عقارب تطير كالعصافير ، اذا ضربت الإنسان، ورم جسمه ، واعتل ، وانقشر جلده ومات . وبها دابة شبيهة بالأرنب، تصير الذكور منها مرة أنثى ومرة ذكراً ، والأنثى كذلك . وبجزيرة من جزائر واق واق ، طير ملون بحمرة وبياض وخضرة وزرقة ، على لون الشقراق ، وفي قد الحمام الكبار ، يسمونه سمندل . يدخل النار ، فلا يحترق . ويمكث الأيام ، فلا يطعم إلا التراب . فاذا أحضن بيضه لم يشرب الماء حتى يفقس . فاذا خرجت فراخه ، تركها أياماً لايدنو منها . ويطوف بالفراخ الذباب والبق الى أن يخرج ريشهم . فاذا ريشوا وتحركوا زقهم حينئذ .

والنباتات غريبة أيضاً ، على الأقل نوع واحد منها . فهناك شجر كبار ، له ورق مستدير ، ومنه ما هو الى الطول ، يحمل حملاً على مثال القرع ، إلا أنه أكبر منه ، داخله منفوخ اذا قطع عن الشجر صار مثل الجلد ، وصورته صورة الناس . تحركه الريح ، فيخرج منه صوت (٣٠٢٥) .

وأهل واق واق ؟ ذلك أن الأمر يتعلق بأهلها . خلافاً لما قلناه عن ياجوج وماجوج . وهم بشر على حد مايروى لنا . ويشبه بعضهم الأتراك ، وهم كثر ، وأحذق خلق الله بالصنائع ، وسود وعراة . وأهل مكر وخبث . وجبناء ، ومحدودون جداً حتى إنهم ينقادون بسهولة لمن يسترقهم (٣٠٢٦) .

مع ذلك ، ينازع بعض المؤلفين في أنهم بشر ، كالجاحظ الذي يجعل الواقواقيين في كتاب الحيوان (٣٠٢٧) . نتيجة تزواج الحيوان والنبات . وطرب ابراهيم بن وصيف شاه جداً لمثل هذا الموضوع ، فبادر الى وصف هذه الكائنات . فقال : يتعلّقون بشعورهم بأشجار كبيرة ، ولهم أثداء ، وفروج ، وهم ملونون ، وكل كلامهم عبارة عن صراخ واحد : واق واق . وعندما يؤسر أحدهم ، يصمت ويموت (٣٠٢٨) .

والاستنتاج بسيط . تتبع الأسطورة مساراً متصاعداً منتظماً : من إغفال واق واق في اخبار الصين والهند ، الى الإكثار من الإشارة اليها في عجائب الهند أو مختصر العجائب (٣٠٢٩) ، ومن الورد الأحمر المكتوب عليه الشهادتان (٣٠٣٠) الى الثمرة ذات المظهر البشري والرجل الشجرة . وقد نشأت هذه الأسطورة في الشرق الأقصى في البلدان المعروفة منه ، فلا يسعها إلا أن تتكاثر متى زال الشرق الأقصى وتواري خلف شرق آخر أبعد منه ، يقع في أطراف العالم الذي لايبلغه أحد أبدا مبدئياً ، ويطلق هنا وفي الغرب أو الشمال أو الجنوب،شحنات الأحلام التي كبتها حتى الآن الخجل من حقيقة الواقع .

الفصل العاشر

مستوطنات المسلمين خارج دار الإسلام

درنا حول العالم ، وانتهينا . ولم يبق علينا إلا أن نثبت بلدان دار الإسلام على الخريطة ، على أن نرجىء وصفها الى كتاب آخر . انما لايجوز أن ننسى المسلمين الأتاويين الغرباء الذين يقيمون في غير وطنهم ، ويتوزعون في المعمورة من أقصاها الى أقصاها تقريبا .

وسنورد التفاصيل في الحواشي (٣٠٣١) . لكن اذا نظرنا الى الخريطة (شكل ٣٤) وجدنا أن جميع الأسماء التالية أسماء أماكن التجارة البعيدة : إفريقية الغربية ، النيل ، بحر القلزم ، سواحل إفريقية الشرقية ، مصاب نهر اتل ، سهوب آسية الوسطى ، الهند ، ماليزية ، جزائر الزابج ، كمبودية (قمار) ، الصين ، وربما كوريا (سيلا) . ولا ينقص هذه الأسماء سوى أوربة الغربية (٣٠٣٢) .

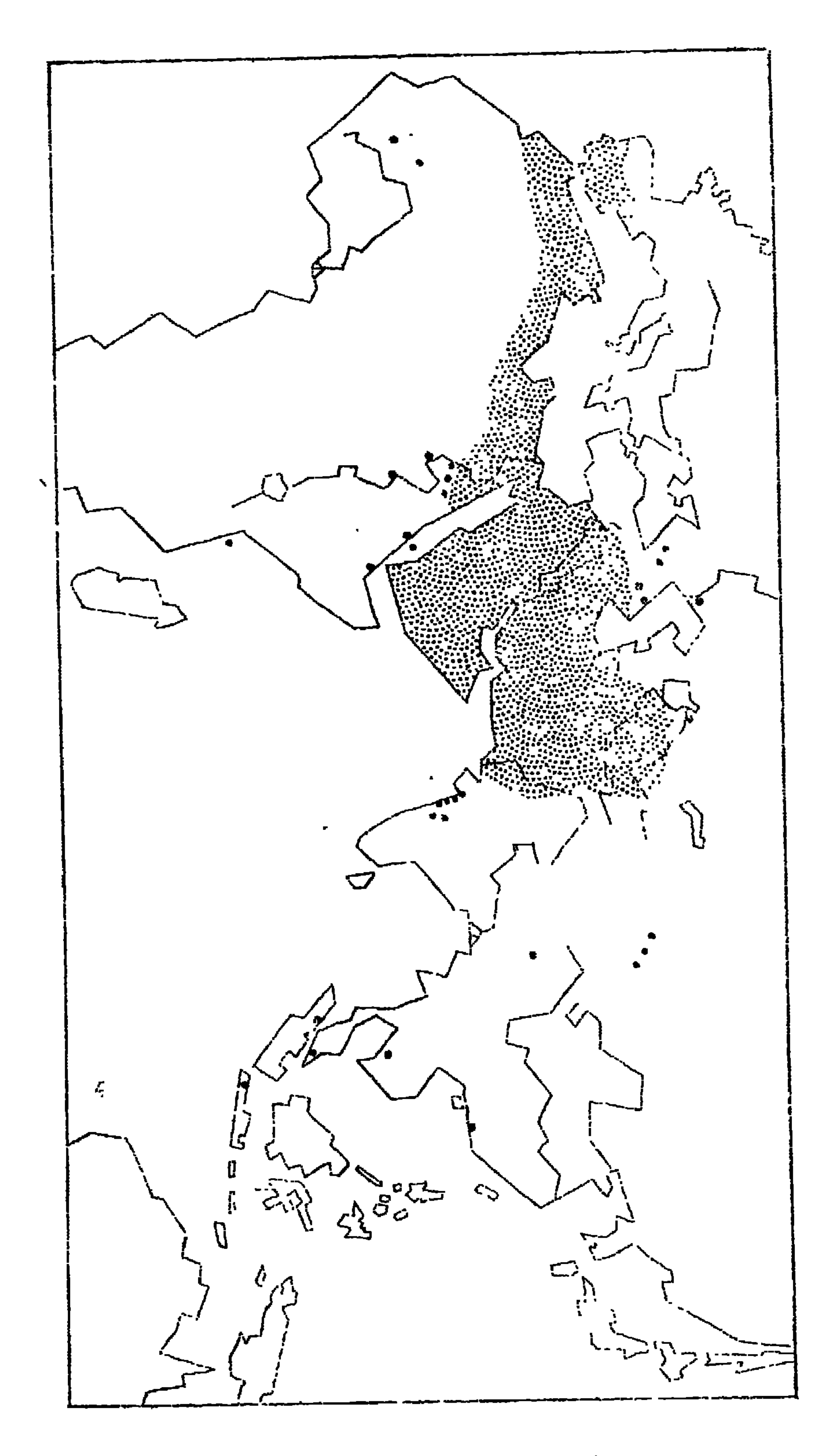
في جميع الأحوال ، من المقصود بلفظ المسلمين ؟ فالنصوص الجغرافية تقتصر على استعمال الكلمة وحدها ، فتظل غامضة في هذه الحالة . ذلك أنها لاتعني تجاراً منفردين أو جواسيس أو سفراء ، يمرون مروراً في البلدان ، ولا يحلون فيها ، بل فئة من الناس ، يجمعهم أصل واحد

انقطعوا عنه ، وينزلون في أرض غريبة . ويقال لهم جالية في اللغة العربية الحديثة . أما في النصوص الجغرافية فلا يرد لفظ جالية ولا غيره ، بل تعبير المسلمين ، وأحياناً العرب والفرس ، ولا شيء سوى ذلك .

فخلافاً لوضع الأفراد الذين يمرون مروراً في المكان ، يعتبر ثبات الجماعة في محلها القرينة الأولى على استيطانها . لكن نود هنا مرة أخرى أن نقول كلمة عن التطور الزمني . فربما تحول وضع الجماعة من حال الى حال . ولدينا مثال شهير نكتفي بايراده . فقد قضت اضطرابات صينية أهلية (٣٠٣٢) على القسم الأكبر من أهل المستوطنات المسالمة فيها . ولا يستهدف بحثنا . كما هو معروف ، أخذ محل المسلمين اعتماداً على المؤلفين ، وتصورها ، مثلما فعل الكتاب ، على بعد عدة آلاف من الكيلومترات .

ولا بد من إقامة الجماعة في مكان واحد . إلا أن هذا الشرط لايكفي وحده . ويقتضي شروطاً أخرى تتممه. منها أن تشكل الجماعة الثابتة في مكانها أقلية في المجتمع الذي حلت به . لكن هل يسعنا في هذه الحالة أن نعتبر أن المسلمين المحاربين في لاغاردفرينه (جبل القلال) يؤلفون مستوطنة ؟ لانعتقد ، اذا قارناهم بالجماعات الأخرى . ذلك أننا نبحث هنا في مؤسسات مسالمة ، متمسكة بالسلام إلى أقصى حد ، لأنهم بدونه لايستطيعون أن يزاولوا على أفضل وجه أعمالهم التجارية ، أبرز مبرر لوجودهم .

أخيراً ، لايجوز اعتبار الجماعة «ستوطنة ، بالمعنى الصحيح . إلا اذا خضعت الى تنظيم المستوطنات . فعلى هذا المستوى ، تقوم فيها بنيات إدارية ومراتب داخلية . ترتبط بعلاقات رسمية مع



شكل ٣٤ . المستوطنات الاسلامية في الخارج

المجتمع الذي نشأت فيه . ويستبعد هذا الشرط جماعات الأسرى ، مهما بلغ عددهم ، كالجماعات التي مرت معنا في بيزنطية (٣٠٣٤) .

أوجه النشاط والتنظيم

قلنا بأن النشاط الأول هو التجارة . واذا كان موقع المستوطنات على الخريطة لايكفي لإثباته ، فيمكننا أن نعود الى النصوص ذاتها (٣٠٣٥) ، التي تبرز أيضا نشاطات حرفية (٣٠٣٦) أحياناً .

ويستطيع مؤلفان أن يلخصا التنظيم . فقد ورد في أخبار الصين والهند (٣٠٣٧) : « أن بخانفو ، وهو مجتمع التجار ، رجلاً مسلماً، يوليه صاحب الصين الحكم بين المسلمين الذين يقصدون الى تلك الناحية ، بتوخي ملك الصين ذلك . واذا كان في العيد ، صلى بالمسلمين وخطب (٣٠٣٨) ودعا لسلطان المسلمين . وإن التجار العراقيين لاينكرون من ولايته شيئاً في أحكامه ، وعمله بالحق ، وبما في كتاب الله عز وجل وأحكام الإسلام » .

ويروي ابن حوقل (٣٠٣٩) في حديثه عن الهند ، ويقول : « وفيها (بلد بلهرا) مسلمون . ولا يلي عليهم من قبل بلهرا الذي في زماننا هذا ، إلا مسلم ، يستخلفه عليهم . وكذلك العادة وجدتها في كثير من بلدان الأطراف ، التي يغلب عليها أملاك الكفر ، كالخزر والسرير واللان وغانه وكوغه . والمسلمون لايقبلون أن يحكم عليهم إلا مسلم منهم ، ويتولى حدودهم ، ولا يقيم عليهم شهادة إلامن في دعوتهم » .

فالجماعة تحكم ذاتها بذاتها . والناحية الأساسية في هذا الحكم أنه يتخذ شكلا تعهد به السلطات الى أحد أعضاء الجماعة ، برضى

السلطة المحلية . ويعثر على هذا الأول بين أقرانه في جميع الأماكن تقريباً : في إفريقية والصين ، والقبق ، والهند ، مثلما رأينا منذ قليل (٣٠٤٠) . ويدعى هنرمن في الهند (٣٤٠١) . والهنرمن مثل القاضي (٣٠٤٢) في دار الإسلام ، ولا يكون إلا من المسلمين . وهو يفصل في خلافات المسلمين وفي الخلافات التجارية بين المسلمين ورعايا السلطة الآخرين أحيانا (٣٠٤٣) . وفي جزيرة قنبلو خلائق من المسلمين ، ويتوارثها (٣٠٤٤) ملوك منهم .

ويمثل زعيم المستوطنة مستوطنته لدى السلطة المحلية (٣٠٤٥) . وتخضع العلاقات بين المستوطنة والسلطة المحلية الى **شروط (٣٠٤٦)** ، نستطيع أن نكوّن صورة دقيقة جدا عنها . يؤخذ من العرب جزية مالهم ، ويطلب منهم التقيد بالأنظمة المرعية (٣٠٤٧) ، فيحصلون بالمقابل. على حريتهم الدينية(٣٠٤٨)،وحقهم بادارةأنفسهمبأنفسهم وبالاتجار . ومتى كانت مملكة الإسلام قريبة ، تتجلى قوتها السياسية ، فتتأثر بها البلدان المجاورة لها ، فتوقع معها معاهدة أصولية ، تترك لدار الإسلام تدبير شؤون المسلمين : مثلاً ، تلتزم البجة بحماية المسلمين وتأمين حرية التجارة لهم (٣٠٤٩) ، ويضيف البقط الموقّع مع النوبة الى البنود السابقة أن يشيد النوبيون أنفسهم (٣٠٥٠) المساجد ويصونوها . خلافاً لذلك ، تشدد السلطة المحلية أحياناً رقابتها . فيؤكد مثلا أن المسلمين في ذمة النجاشي ، أو تحت سلطان الأتراك الغزية (٣٠٥١) قرب بحيرة خوارزم ، وعلى المسلمين ، عند الخزر ، رجل من غلمان الملك ، وهو مسلم ، يختاره الملك ، وأحكام المسلمين المقيمين في بلد الخزر والمختلفين اليهم مردودة الى ذلك الغلام (٣٠٥٢).

مستوطنة المسلمين ومجتمع الاستقبال

هذه هي الأصول . فما هي الوقائع ؟ ماهو نوع العلاقة التي تقيمها مستوطنة المسلمين مع مجتمع استقبالها ؟ نستطيع أن نؤكد مبدئياً بأن هذه العلاقة تؤمن مصلحة ممثلي دار الإسلام بشدة ، كلما تماسكت الجماعة وزادت كفاءتها وظلت أقلية. وتشير النصوص الجغرافية أحيانا الى حجم هذه الجماعات ، فتقول إنهم قلائل في التبت أو جزائر الزابج (٣٠٥٣) ، ومتوسطو الأهمية بلا ريب في النوبة (٣٠٥٤) ، وكثيرون أحيانا ، كما هي الحال على تخوم صعيد مصر ، وفي الملايو التي بها مدينة مسلمة بأجمعها ، وفي الهند وعلى نهر آتل الأسفل . ويعطي المسعودي وابن حوقل رقماً واحداً : عشرة آلاف شخص في ناحية صيمور وحدها ، أو في مدينة أتل وحدها (٣٠٥٥) .

ويبدي الاندراج في مجتمع الاستقبال أمايز إضافية . فأحياناً تنعزل المستوطنة المسلمة عن مجتمع الاستقبال ، كما هي الحال في الخزر أو الصين أو في إحدى المدن النوبية (٣٠٥٦)وتندروج به في أماكن أخرى كما في الهند أو قنبلو (٣٠٥٧) . مع ذلك ، يدل لفظ المسلمين ذاته على مزيج من الناس . فكتاب أخبار الصين والهند يتحدث عن العرب (٣٠٥٨) . ويضم العرب الى الفرس والهنود (٣٠٥٩) في ماليزية . ويجري المسعودي للهند تفريقاً مهماً ، عندما يميز بين أهالي سيراف وبين أهالي عمان والبصرة وبغداد (اذن الفرس عن العرب) وبين البياسرة المولودين في الهند ذاتها من أهل مسلمين من قبل (٣٠٦٠) .

مع ذلك ، تسمح هذه المعلومات ، وإن كانت غامضة جداً أحياناً

في بعض الحالات الخاصة ، بتصور شتى الأوضاع المحتملة ، من التساهل البسيط الى التعايش مع المجتمع المحلي وحتى الانفتاح عليه . وتتبع أنماط الاستقبال والمؤثرات المحتملة تنوعاً مماثلا . فالطابع العام في النصوص الجغرافية يعكس وضعاً جيداً ثابتاً(٣٠٦١).فمن جهة، نرى مسلمين ، في حالات اضطرارية ، يقبلون أن تناط بغير المسلم مهمة إدارة شؤونهم الخاصة (٣٠٦٢) . ومن جهة أخرى ، تغدق السلطة المحلية الهدايا على المسلمين (٣٠٦٣) . وتعفي المسلمين من رسم البرسيلا (٣٠٦٤) ، وتظهر احترامها للأعراف الإسلامية (٣٠٦٥) . وفي بعض الأحيان ، تستطيع المستوطنة ، نظراً لنفوذ العالم العربي الإسلامي الذي تمثله ، كما هي الحال في الهند ، أن تلعب ورقتها السياسية الخاصة في الإطار المحلي ، الذي يطلب تأييدها ويؤيدها هو (٣٠٦٦) .

ويمثل مجتمع الخزر حالة قصوى ، يشاهد فيها ، نظراً لأهمية الجماعات الإسلامية ودورها ، تعاظم آثار نفوذها وردود الفعل المحتملة عليها . وتعتمد دار الإسلام هنا على جماعتين : جماعة العسكريين من نخبة الجيش الملكي الخزري الذين يتمتعون بوضع خاص ، ثم جماعة المستوطنة الإسلامية بالمعنى الضيق ، التي يبدو أن المسؤولين فيها يتمتعون بنفوذ وحتى بتأثير يتجاوز على نطاق واسع إطار جماعتهم (٣٠٦٧) . وربما تفسر هذا الوضع بالصدمات الراجعة التي تظهر أحيانا : فابن فضلان (٣٠٦٨) يعلن أن ملك الخزر عام ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م لما علم بتدمير كنيس على يد المسلمين (٣٠٦٩) هدم مقابله مأذنة جامع أتل الكبير وقتل مؤذنيه . لكنه لم يتجاوز هذا الحد ، وامتنع

عن تدمير الجامع نفسه ، خشية أن يثير ردود فعل متسلسلة وتدمير كنيس آخر في دار الإسلام .

ويشهد حقل السياسة الملكية وحدودها شهادة جيدة ودقيقة على حجم الجماعة المسلمة ومكانتها في مدينة اتل . فهي لاتشكل أكثرية بلا ريب ، مثلما يزعم ابن حوقل (٣٠٧٠) — وإلا ماذا يكون مصير السلطة الملكية ومصير بنية مجتمع الخزر بالذات — وليست قليلة العدد : فالنصوص الجغرافية تتفق على التلميح الى أنها مستوطنة قوية ، عدديأ واجتماعياً ، ومع ذلك ، من يأبه بمصاعب حفنة من الرجال ؟ ويثبت رد فعل الملك وحذره أن مسلمي أتل ليسوا كثيرين الى درجة ، لايجد معها وسائل سياسية لإعادتهم الى النظام . لكنهم يظلون مع ذلك أقوياء الى حد يدفعه الى الاهتمام بما قد تجر عليه مصائبهم من مضاعفات مع العالم العربي الإسلامي (٣٠٧١) ، وحتى أقوياء جدا ، حتى ليشعر الملك بضرورة تذكير هذه الجماعة بحدودها ، لأن نفوذها قد يعتبر أحيانا مضخماً (٣٠٧٢) .

الإسلام واللغة العربية

يمكن قياس استقبال المستوطنات الإسلامية بمعيار العبادة ، لأن الجوامع أصلاً مقياس تقريبي تقاس به أهمية الجماعات : فمتى ظهرت المساجد الكبيرة ، أمكن التحدث عن جماعات قوية جداً ، تؤلف حشود الصلاة الجماعية ، لاسيما صلاة الجمعة ويمكن أن تؤخذ دلائل أخرى من المآذن والمؤذنين والكتاتيب . وتؤيد الرؤية الإجمالية لهذه الخريطة الدينية معظم ماعرفناه من قبل : فاكثف الجماعات تقع قرب صعيد مصر ، وعند الخزر وفي الهند (٣٠٧٣) .

بقي أن نعلم اذا كان الإسلام يشع الى ما وراء هذه المستوطنات . واذا كانت دعوته فعلية ومقصودة معا : فاظهار الدين على الملأ ، بتساهل من مجتمع الاستقبال (٣٠٧٤) . لايعني حتماً حصول تجاوز على هذا المجتمع . ونتساءل عن ناحية أخرى : هل يجر احتمال توسع الإسلام الى توسع اللغة العربية ، أم يتم باللغات المحلية ؟ أم يؤدي استعمال اللغة العربية في المبادلات التجارية الى الرغبة باعتناق الإسلام ؟

تنقصنا المعلومات بشكل مريع . ونكاد لايسعنا أن نشير الى الوقائع المتعلقة بالشرق الأقصى أو إفريقية . فيقال لنا بأن اللغة العربية غير مستعملة في جزر لنجبالوس اونيقوبار (٣٠٧٥) ، وأن الاهتمام باللغة وبالإسلام مفقود في الهند أو الصين (٣٠٧٦) . وفي إفريقية ، نشير ، مع الأسواني والمسعودي (٣٠٧٧) ، الى أن اللغة العربية لم تدخل إلا بصعوبة في وادي النيل الأعلى ، بعكس الإسلام ، كدين وحتى كظاهرة اجتماعية اقتصادية ، لأن تجار أسوان اشتروا عقارات في أماكن نائية من جهة أعالي النيل ، وضمنوا بها لأنفسهم اكتساب مكانة خاصة في المجتمع النوبي . وفي بلاد البجة ، تحدثنا من قبل عن المؤثرات العربية وعن نجاح الإسلام وحدوده (٣٠٧٨) أيضا . أخيرا في إفريقية الشرقية ، يمكن قياس تقدم الاستيطان الإسلامي من مقارنة الجاحظ والمسعودي. فالجاحظ (٣٠٧٩) يشير في القرن ٣ هـ / ٩ م الى تجار يمرون مروراً ولايستعملون اللغات المحلية. ويتحدث المسعودي بعد قرن من الجاحظ عن الجماعة الإسلامية في قنبلو ، ويخبرنا أنهم يتكلمون اللغة الزنجية (٣٠٨٠) .

المستوطنات الإسلامية ودار الإسلام

بقي علينا أن نطرح سؤالاً أخيراً : ماهي العلاقات التي تقيمها المستوطنات الإسلامية خارج دار الإسلام مع العالم الذي تعتنق معتقداته ؟ وهل تمثله وكيف ؟ فلفظ « جالية » الذي لم يستعمل في ذلك الوقت ليدل عليها ، يعبر عن وضع المنفي أو الأسير البعيد عن وطنه (٣٠٨١) : فلو استعمل لقيل عن هؤلاء المسلمين بأنهم أبناء مفقودون بعض الشيء؛ لكنه لم يستعمل . اذن ، كيف ينظر الى هؤلاء المسلمين القاطنين خارج دار الإسلام ؟

ينبغي أن نؤكد على أننا نعتبر أن جماعاتهم قبل كل شيء دعامة المرور والتجارة ، التي نشأت عن مبادرات شخصية وعن حاجات التجارة الكبرى البعيدة . اذن لاتتسم هذه المستوطنات بطابع استعماري ولا شيء فيها يوحي بفكرة احتمال توسع دار الإسلام بالقوة منطلقة من هذه العوالم الإسلامية الصغيرة الضائعة بين جماهير الكفار . ويمكن أحيانا ، كما هي الحال في إفريقية الشرقية ، أن تقترب من نظام الاستثمار الذي يسبق الاستعمار ، حسب الاهتمام بالنخاسة والذهب على حد سواء . إلا أن التعبير السياسي عن هذا الوضع لن يظهر ، في معظمه، إلا في وقت لاحق ، عندما تشاد المدن ــ الدول القوية ، باشعاعها المتفاوت الاتساع ، والمتفاوت الاندماج بمملكة الإسلام في بحر القلزم أو في الخليج العربي الفارسي على وجه التخصيص. في جميع الأحوال ، لاشيء في هذين القرنين ٣ و ٤ هـ / ٩ و ١٠ م يبشر من قريب أو بعيد بحلم التوسع .

وتقيم المستوطنات مع دار الإسلام علاقات تجارية (٣٠٨٢)

أساسية وثابتة وفيما عداها لايسع هذا الإسلام في المنفى ، ولا يرد ، أن أن يفاخر المجتمعات التي يحل بها ، إلا بصلاته الثقافية ، وبوجه أدق ، الدينية بها . من جهة أولى ، يتضح بجلاء أن المستوطنات لا تستغل بعدها عن دار الإسلام لتنحرف عن المعتقدات الإسلامية : « فالتجار العراقيون لاينكرون من ولاية « زعيم المستوطنة المسلمة في خانفو » شيئاً في أحكامه وعمله بالحق وبما في كتاب الله عز وجل وأحكام الإسلام (٣٠٨٣) . وبذا تتوطد بين التجار المقيمين في الصين والتجار الذين يتنقلون بين العراق وبينها ، علاقة دائمة ، كما نرى ، قوامها الأخبار والاحترام . ذلك أن الاتجار وحسن التصرف يتلازمان . وفي العلاقة بين المستوطنة ومجتمع الاستقبال ، تستهدف صرامة الأخلاق الجماعية ، كما هي الحال عند هنرمن صيمور الذي حكم على أحد البنانية لتدنيسه الصنم ، « أن يعظم أمر الإسلام عند الهنود » (٣٠٨٤) .

لاريب أننا بعيدون هنا عن الجماعات المنعزلة التي أشار اليها سلام الترجمان على طريقه في آسية الوسطى (٣٠٨٥) . لكن مادام الاتصال لم ينقطع بين المستوطنات المسلمة والعالم البعيد الذي تنتمي اليه ، ترتدي هذه الصلة فوراً قيمة نموذجية يحتذى بها في الإطار المحلي.فالعلاقات التجارية والدعوة ، تخدم توسع الإسلام ، والدعوة تعني الإشعاع حسبما يجب أن يكون .

وهكذا يضيع أبناء الإسلام البعيدون في أنحاء الأرض ، لكنهم يظلون قريبين من القلب . ولا ريب أنهم لاينتمون ، بالمعنى الصحيح ، الى العالم العربي الإسلامي ، إلى هذه المملكة التي سوف نضعها الآن على الخريطة ، ونهملهم أثناء وصفها . مع ذلك ، يؤلفون في الواقع صلة بين المملكة وبين هذا العالم الآخر الشاسع ، الغريب ، والوثني معا .

الفصل الحادي عشر

دار الإسلام على الأرض

نعتبر هذا الفصل الأخير في الواقع الفصل الأول من سلسلة فصول جديدة ، نأمل الشروع بكتابتها بعد هذا السفر ، ونخص وصف دار الإسلام وأهلها بها . وقد أبنا من قبل (٣٠٨٦) لماذا يجب ألا يأتي هذا الوصف إلا بعد وصف الأرض التامة ووصف البلدان غير الإسلامية . ويشكل هذا الفصل خاتمة هذا الكتاب لأنه يتحدث عن آخر مجموعة من المجموعات البشرية الكبرى التي تتألف منها الأرض العامرة ، ومدخلاً لأبحاث أخرى ، لأنه يحدد موقع دار الإسلام على الخريطة ، وهي وسط الدنيا .

تعريف « أرض » دار الإسلام : مملكة الإسلام .

قد يكون لفظ « المملكة » مصدر ملك : بمعنى حاز أو استولى. إلا أنه يعبر بالتخصيص عن الشيء المملوك : مماكة أو ملك على التعيين . على أن مفهوم الإقطاع الإسلامي الذي ينطوي عليه استعمال اللفظ المطلق (المملكة أو الأرض) ، لم يظهر أو يكتسب دفعة واحدة . فقد اقتضى قبوله استعماله في النصوص الجغرافية قرنا ونيفا : كما

لو أن دار الإسلام اتبعت في حيازة حيزها الخاص بها ، الوتيرة ذاتها التي سارت عليها في تعاريف أخرى ، كالأخلاق مثلاً . فهل شاءت الصدف أن يستغرق النضج من الجاحظ الى المقدسي المدة ذاتها تقريباً التي استغرقها من ابن قتيبة الى مسكويه ؟

ففي كتاب الأمصار وعجائب البلدان (٣٠٨٧) ، يميز الجاحظ مملكة العرب عن مملكة غير العرب ، الفرس بالدرجة الأولى (العجم) ، ويصرح في حديثه عن بني هاشم ، أفضل زهرة في العروبة ، أن بعض خصالهم مجهولة في مجمل مملكة العرب ومملكة غير العرب ، وحتى على جميع سطح الأرض (حرفياً : مجمل الأقاليم السبعة) . ونرى في هذا النزوع تباشير تمييزات أساسية . مع ذلك لاشيء سوى تباشير : فالعالم الخارج عن دار الإسلام مفرود لوحده ، بلا أرض خاصة به . انما لم توصف « الأرض » بأنها تخص دار الإسلام ، بل تتوزع بين الشقيقين المتنازعين ، العرب والفرس ، المتورطين في جدل طويل حول القومية الثقافية التي تمثلت في الشعوبية ، كما قلنا (٣٠٨٨) .

وبدأت مرحلة حاسمة ، بعد انقضاء نحو من سبعين عاماً ، حوالي ٣١٦ — ٣٢٠ هـ / ٩٢٨ — ٩٣٢ م ، بكتاب الخراج لقدامة . وقدامة مسيحي اعتنق الإسلام، رسالة الايمان ورسالة المساواة والوحدة أيضا . ويرى أمثال قدامة الذين يريدون في النهاية تجاوز جدل الشعوبية، أن تنوع الثقافات في دار الإسلام يرافق تفرد دين القرآن وأولوية اللغة العربية ، لأن الإسلام والتعبير عنه بالعربية يؤسسان جماعة المؤمنين. فلا عجب والحالة هذه أن يظهر تعبير مملكة الإسلام في عنوان الفصل الذي يخصصه قدامه لوصف هذا العالم المسلم الذي يدرك ككل (٣٠٨٩)

بعد الآن . وبعد بضع صفحات ، سنجد المملكة بمعناها المطلق : الأرض (٣٠٩٠) .

ويرد أيضا لفظ المملكة في حالة خام ، منفرداً ، في مقطع آخر (٣٠٩١) ، لكن بغموض معبر الى أقصى حد ، ويدعو نصه الى الأخوة الإسلامية لمناوءة العدو المشترك أي الروم. ويذكر قدامة أن الأمم والأجيال المخالفة دار الإسلام تكتنف دار الإسلام في جميع أطرأفها، وأن ملوك الطوائف الذين ملكهم ذو القرنين كانوا يؤدون الأتاوة الى ملك الروم خمس مائة وإحدى عشرة سنة الى أن جمع أردشير بن بابك المملكة « بعد مشقة وطول مجاهدة ، فمنع حينئذ الأتاوة التي كانت الفرس تؤديها الى الروم بعد مشقة » . فينبغي أن لايكون المسلمون « لصنوف أعدائهم أشد حذراً منهم للروم » (٣٠٩٢) . وقد جاءت بذلك آيات يظهر به حقيقة .

يلاحظ الغموض في هذا النص الذي يتجاوز القرون والأمم . لكن يمكن أن نقول بأن الشرق يبقى ، كما كان في التقاليد الفارسي ، « محور الأرض » أي المملكة المقصودة هنا،الفرسية موقتاً . ذلك أن المرء يشعر بالحدس بأنها تنتظر الإسلام الذي سيجمعها نهائياً ضد العدو الأول . وسوف يجد بلد العراق نفسه رأساً ، وهو سرة العالم ، وبعد أن أصبح مركز الخلافة ، أنه « قصبة مملكة الإسلام » (٣٠٩٣) .

وقد باشر بعض المفكرين من أمثال قدامة ، تطوراً قوياً جداً ، بلغ حده الأقصى مع ممثلي مدرسة البلخي . فتصوروا أطلس دار الإسلام وحدها ، واكتفوا أن يتحدثوا عن سائر العالم ، إما في مدخل مصنفهم بشكل خريطة عامة للبرور والبحار ، وإما في استطرادات تبحث في أمم مجاورة ، تتميز معرفتها بأهميتها الخاصة في الدفاع عن المملكة .

مع ذلك يظل الاختلاف واضحاً بين الإصطخرى أو ابن حوقل من جهة ، والمقدسي من جهة اخرى . فلدى الأولين ، لم يتخلص بعد تعبير مملكة الإسلام ، المستعمل أحيانا هو وتعبير دار الإسلام (٣٠٩٤)، من الاهتمامات الجيوبولتيكية القديمة . العزيزة على فارس التي استفاد منها على نطاق واسع جداً الجغرافيون العرب . كالبلخي وسواه . ففي تقديم الأرض العام ، تتعارض مملكة الإسلام ، في موضوع ملوك العالم الكبار ، مع ممالك الهند أو الصين أو الروم (٣٠٩٥) ١ .

وتبرز أصالة المقدسي الثابتة مرة أخرى . فقد رأينا (٣٠٩٦) أنه يصرح بلا لبس أنه لم يتكلف ممالك الكفار . فبعد إعلان مثل هذا الإيمان الصاخب (٣٠٩٧) ، لانعجب لأنه تخلى عن تقليد تقديم العالم في مدخل مصنفه ، وضمنه فصلاً مختصراً جداً يلي أبحاثاً طويلة جداً (٣٠٩٨) . ويمثل هذا الفصل تساهلا في النمط ، لايستساغ أحيانا ، يعقبه فصل آخر مستقل تماماً ، يحتوي نظرة إجمالية الى مملكة الإسلام (٣٠٩٩) . وبذا تنفصل دار الإسلام عن العالم (٣١٠٠) ، وتصير تكفي نفسها بنفسها بعد الآن ، حتى إن المؤلف يشرع يستعمل في فصل عرضها لفظ مملكة معرفاً ومنفرداً ومطلقاً بلا إضافة « الإسلام » : المملكة (٣١٠١) . ونحن مطمئنون لمتانة المفهوم : فليست هذه التسمية صيغة نادرة (٣١٠٢) .

المملكة ، قصبتان أم ثلاث قصبات

انتقلت الخلافة من دمشق الى بغداد . فعادت التقاليد الفارسية الجزيرية الى الظهور في موقع فارس والجزيرة في وسط الدنيا . (٣١٠٣) إلا أن هذا الانتقال لم يمنع الدين الإسلامي أن ينازع في هذا الاختيار .

ولم يغفل أحد البتة القبلة ، أي قصبة الإيمان حيال القصبة السياسية . ويتضح على وجه الإجمال ، بأن ابن خرداذبه واليعقوبي والمسعودي اتبعوا الاتجاه الأول . أما قدامة وابن رسته وابن الفقية ، فقد أصروا بقوة في تصانيفهم على إبراز احتلال الأماكن المقدسة في جزيرة العرب وسط العالم ، وعلى استهلال وصف البلدان بها . وحذت حذوهم مدرسة البلخي ، بما فيها الإصطخري وابن حوقل والمقدسي . مع ذلك ، بقي التمييز بين الاتجاهين تقريبياً ، وبدت الخيارات مترددة . فسار كل مؤلف بعض الشيء في هذا الاتجاه أو ذاك ، فكال المديح للجزيرة ، بل أشاد بمكانتها الممتازة في المملكة ، فعدل ، وفق الحالات الطارئة ، أو نازع في الأولية العربية ، والعكس بالعكس : وهكذا شدد بن خرداذبه وابن رسته ، وهما من مؤيدي الاتجاه « الجزيري » ، على موقع الكعبة الفريد ، في حين تبنى ابن حوقل أو المقدسي الاتجاه الآخر ، فبدأ وصف المملكة بالجزيرة العربية ، لكنهما تمسكا بموقع الجزيرة المتوسط (٣١٠٤) ، وهو موضوع قديم .

في جميع الأحوال ، يظل الشرق ، جزيرة كان أم جزيرة العرب ، قصبة المملكة والكون . وهذا الموضوع أساسي ومطروق كثيراً ، ويعبر عنه أحياناً حرفياً حتى في الأقوال الطريفة : « فالعراق مركز العالم ، والبصرة مركز العراق ، والمربد (ساحة القوافل) مركز البصرة ، وبيتي مركز المربد » (٣١٠٥) . وينطوي أيضا ، بطريقة غير مباشرة ، على احتقار أو على الأقل على التعالي على الغرب البعيد ، مسلماً كان أو غير مسلم . وكما يأتي الغرب ليأخذ الثقافة من الشرق ، كذلك ليس على الخريطة ، على حد قول الإصطخري (٣١٠٦) ، بلا

مراعاة ، سوى « كم الثوب » . ويذكر ابن الفقيه (٣١٠٧) صيغة أخرى : « فالذنب من طير العالم كتاة المغرب ، ثم يقول « شر ما في الطير الذنب » .

بقي أن نتكلم عن مصر ، البلد القديم الداخل في النقاش دوماً ، الواثق من نفسه ، الذي يشكل في جميع الأحوال قصبة إضافية في دار الإسلام ، على الأقل في القرن ٤ هـ / ١٠ م ، الذي كانت الخلافة الفاطمية فيه تقيم في القاهرة . هنا أيضا حددت دار الإسلام مركزاً سياسياً ، فاستعادت تقاليد الاعتزاز المحلي ، في هذه الحالة ، تلك التقاليد التي تتغنى بثلاث نواحي تتفرد بها مصر في العالم ، أي أصالتها البارزة ونهرها وتاريخها . لكن لاشك أن هذا الموضوع لايتخذ إحصائياً ، حتى او دعمته حيوية الفاطميين ، سعة المواضيع التي تشيد بالجزيرة وبجزيرة العرب . مع ذلك ، يرد هذا الموضوع في تصانيف المؤلفين الكبار أمثال المسعودي وابن حوقل ولا سيما المقدسي الذي يبذ الجميع ويقول بأن باقليم مصر نهراً يجري (عسلا) في الجنة ، وأن الله وضع إقليم مصر بين بحرين ، وجعله « أحد جناحي الدنيا » ، وجعل مصره « قبة الإسلام » (٣١٠٨) .

هذه هي أقسام المملكة الكبرى ، وقصباتها العظيمة . وهي تتميز عن جميع سائر المدن ، التي خصتها حظوتها لدى الكتاب ، أو خياراتهم السياسية ، أو ثقافتهم التاريخية أو ذكرى استقبالها لهم ، بمكان مرموق في الجغرافية العربية : مثل بخارى ، وسمرقند ، وخمدان ، وشيراز ، والموصل ، ودمشق ، والقيروان ، وحتى قرطبة ، مع أنها هي أيضاً دار خلافة منذ ٣١٥ هـ / ٩٢٨ م . أما منارات دار الاسلام الثلاث ،

مكة وبغداد والقاهرة فتشمخ عالياً جداً فوق هذه المدن وحتى خارجها، وتلقي الضوء على تاريخ المملكة . وتأسست أحدثها في إطار ماض لم يشترك الإسلام بعد فيه . فهذا العالم شاسع ومتنوع ، لاينصاع إلا بصعوبة الى الرتابة ، والى القصبة الوحيدة . مع ذلك يبدو عالماً موحداً، لأن أضواء مدنه واحده : ويمكن القول بأنه يعرف هويته باشعاع نور الإسلام ، وبه وحده . والبرهان شعور دار الإسلام الحاد بما ليس فيها، وبحدودها على الخريطة . فدار الإسلام ، على نحو ما تتصور ذاتها من خلال تنوعها الخاص ، تعلم جيدا جدا أين تبدأ وأين تنتهي .

المملكة حيال البحر (٣١٠٩)

يتخذ الحوار بين المملكة والبحر ثلاثة أشكال ، تتوقف على استجابة اليم الى رغبة التملك . فاذا امتدت دار الإسلام الى ماوراء البحر ، سيطر عليها شعور قوي جداً بالحيازة التامة ، والهيمنة الإسلامية على مياه بينها وبينها معزفة ، ولو كانت المياه عاصفة . فالمسلمون يترددون كثيراً على بحر القلزم (اشتق اسمه من تعريب اسم قليزما وهي مدينة قديمة قرب السويس) والخليج العربي الفارسي(٣١١٠)، ويعتبرونهما بحيرتين في دار الاسلام . وتماماً مثلما يسيطر على مياههما الملاحون العرب والفرس (٣١١١) ، فدار الإسلام والبحر مترادفان : وجاء في الحديث عن هذا المجمع المائي للملاحة الإسلامية، الذي يأخذ من السويس الى البصرة : « رب ، اذن أحملهم (عبادك) على ظهري ، فاذا سبحوك سبحتك ، معهم ، واذا قدسوك قدستك معهم ، واذا كبروك كبرتك معهم » ؛ أجاب الرب : اذهب فقد باركت فيك ، سأكثر حليتك وصيدك » (٣١١٢) . فلا غرو والحالة هذه أن تكون الملاحة صعبة ، وأن تختلط الى هذه الحد الكبير (٣١١٣)

طرق ومعابر السفن من مضيق تيران الى شط العرب . فهذا البحر بحر محظي ، أغنى البحار ، « بحرنا » ، « سيد جميع البحار » (٣١٠١٤) .

وتتبدل اللهجة عندما تصبح دار الإسلام طرفاً حائزاً واحداً بين عدة أطراف على سواحل البحيرات الكبرى الدولية . فأصغرها بحيرة خوارزم ، ومعرفتنا بها ضئيلة أحيانا (٣١١٥) ، وقد نجهلها ، لكنها في النهاية لاتنفصل البتة عن نطاق البر ، عن بلد نهر سيرداريا (سيحون) وأموداريا (جيحون) (٣١١٦) ، وعن بلد الترك أيضا . ذلك أن هذه البحيرة تحمل اسم بحيرة خوارزم إشارة الى الثغور الإسلامية المتبدلة الى أقصى حد ، التي ترتادها شعوب محاربة لم ترضخ أبداً رضوخاً تاماً الى دار الإسلام ، وتستند من جهة الشمال الى سهوبها التقليدية الكافرة (٣١١٧) . أما بحر قزوين أو بحر الخزر (٣١١٨) فقد اشتق اسمه من اسم أقوام ترتاد السواحل الشمالية ، وينفصل عن الأرض المحيطة به أكثر مما تفعل بحيرة خوارزم ، ويأخذ صفة بحر أكثر منها ، لأنه يطلق عليه اسم بحر . فهنا الشعور بالحيازة أقوى ، ويسمى البحر أحياناً باسم سواحله المسلمة الجنوبية : طبرستان ، جيلان ، ديلم ، جرجان ، خراسان (٣١١٩) . إلا أن هـذه النواحي أصقاع دخلها الإسلام دون أن يستقر فيها (٣١٢٠) ، قبل أن يختفي تماماً في الشمال ، في سهوب ينزل بها أو يمتلكها الترك وخزر نهر أتل المتهودون ، وفي الغرب ، مجموعة من الأمم يستصعب الجغرافيون أن يستوفوا اسماءها (٣١٢١) ويوضحوها . وقعر هذا المجمع المائي القاحل ، آجن وآسن بلا ريب (٣١٢٢) ، وتضخم المخيلة اتساعه (٣١٢٣) ، وتفضل الملاحة المسلمة أن تبقى محصورة في جنوبه ولا تجازف بالذهاب الى طرفه الآخر (٣١٢٤) ، وهو مغلق (٣١٢٥)

يدخل اليه نهر الروس المعروف بأتل الذي يأتي من بلدان الشمال (٣١٢٦) . باختصار ، يشعر بحر الخزر بأن دار الإسلام أضعفت مكانته لأنها هي تلاشت شيئاً فشيئاً ، واختفت على مياهه وسواحله .

وبحر الروم آخر البحيرات الكبرى ، تتقاسمه دار الإسلام والكفار ، ويعطيانه تسميتين متميزتين ، هما بحر الشام (بحر سورية وفلسطين) وبحر الروم . وفيه ، تعرف دار الإسلام جيداً جداً أنها في دارها على سواحله الجنوبية ، ويراودها الشك بأنها في دارها في باخته ، وتدرك تماماً بأن شماله غريب عنها ، في « بلاد الرومان » أو الصقالبة أو الفرنجة (٣١٢٧) . فالسواحل أو الجزر أو الخلجان معروفة اذا كانت في طاعة دار الإسلام ، إلا أن التحفظ والشك الأساسيين يتعلقان ببحر الروم بأجمعه ، الذي يسمى على وجه الإجمال ومن الناحية الهندسية ، بحر المغرب ، بتعبير آخر ، بحر صقع هامشي قليلاً ، كما قلنا ، وبحر لاتستولي عليه دار الإسلام برمته (٣١٢٨) . وخلافاً لبحر العراق (٣١٢٩) ، تمرد بحر الشام على الله لما خلقه ، فلعنه الله وقال له : « ساقل حليتك وصيدك » (٣١٢٩) . فدار الاسلام لم تسيطر تاريخياً ابداً على بحر الروم ، ولم تعتبره بحراً إسلامياً . ويثابر المقدسي على الحديث عن موضوع البحرين ، وعن الفارق بين الإله الحق والكفر ، وبين طاعة الخليقة والجلبة الخاصة شبه الظاهرة التي تسمع للبحر في ليالي الجمع الإسلامية (٣١٣٠) .

وتتجابه دار الإسلام مع البحر في ناحية ثالثة . فهي تستولي على السواحل فقط ، وتجهل ماوراءها ، ولا تدري حتى بوجود داخل خلفها ،

فهذا هو تحدي المحيط منشأ جميع بحار العالم . ويلاحظ تباين إدراك مفهوم الطرف بين المشرق والمغرب . فمن جهة المشرق ، وصل التجار المسلمون الى الصين في الحد الأدنى ، وتعلم دار الإسلام جيداً جداً أنها لاتقع في مشرق العالم المعروف الأقصى . وهكذا تتصور أن اكتمالها سيتحقق من صوب البحر لا من صوب البر الذي يحد توسعها . بذا أصبحت المواجهة بين دار الإسلام والبحر حتمية ، واشتركت معها فيها الهند والصين أو إفريقية (٣١٣١) في الجنوب البعيد . مما أدى بالتالي الى إضعاف البحر وتمييعه واضفاء الصبغة الإنسانية عليه . فأبعد الى مابعد البحر القريب والى ماوراء الأفق ، ولم يعد يسمى إلا بأسماء وجوه الأرض المعروفة ، وصارت من بين أسمائه الكبرى بحر الصين أو بحر الهند أو بحر الزنج ، أي زنوج إفريقية الشرقية والجنوبية .

ويحصل في المغرب نقيض ماحدث في المشرق . فالتحدي مطلق . ودار الإسلام تجهل سواحل خليج غينية ، وتعرف بحار الشمال وراء الأندلس (٣١٣٢) معرفة سيئة جداً ومتقطعة وجزئية الى أقصى حد . وهي ، سواء في الأندلس والمغرب أو في الصحراء الكبرى ، تحمل عبء البر (٣١٣٣) تاماً متمماً مقابل المحيط . وتصل هنا على أرضها بالذات الى حدود المعمورة : ويلتقي موضوع مجاز هيراقليس هنا بموضوع التمثال الذي ينذر بنهاية الحياة على الأرض (٣١٣٤) . ولا شك أن دار الإسلام تقيم بينها وبين المحيط بحراً متوسطاً ، هو بحر المغرب الذي يمدده الناس ، بعد مجاز هراقليس، حتى سواحل الأندلس وإفريقية الأطلسية (٣١٣٥) . لكننا نعلم جيداً أن هذا الحاجز المائي المعروف رقيق ، في حين أن المحيط قريب منه ومقلق ، وبذا تعيد له

دار الإسلام ، بالضبط عند أفق هذه السواحل التي تواجهه فيها منفردة، تسمياته المفضلة ، المستقلة عن المرتكزات الأرضية ، فتدعوه البحر المحيط ، أو البحر الأخضر ، أو بحر الظلمات ، أو أخيرا البحر .

في البرور : مملكة راسخة

وجدت الجغرافية العربية في عهدها الأول دار الإسلام قائمة ضمن حدود ثابتة تقريباً . وهذا واقع تاريخي . وراوح توسعها في مكانه قبل اندفاعه الثاني في عهد الأتراك . ونابت التجارة عن الفتح في جميع أنحاء العالم المتصلة بدار الإسلام تقريباً . ومما يدل على استقرار المملكة، سكوت الجغرافية العربية عن التمييز الأساسي في الشرع الإسلامي ، بين دار الإسلام وبين سائر العالم ، أي البلاد القائمة فيها حرب الإيمان (دار الحرب) . ولا يأبه المؤلفون إلا قليلا لهذه المفاهيم وهذه الألفاظ (٣١٣٦) ، ويعتبرون المملكة كلا استكمل تكوينه ، فيما يبدو ، نهائياً ضمن حدودها التي تتبدل أحياناً ، هنا وهناك ، لكنها حدود مع ذلك ، لايدل شيء على أن وضعها موقت ومعرض للتغير .

ويفوق المقدسي سائر المؤلفين في إيجاز هذه المسألة . فهو يهتم بالمملكة وحدها ، مثلما قلنا من قبل ، ويشدد كثيرا على هذه الناحية ، فيصف دار الإسلام فوراً في حالة سكون ، لا دور للزمن فيها تقريباً ، أو على الأقل ، بصرف النظر عن تطورها الزمني ، ويتناولها في جمود تام يرضي ميله الى وضع الأمور في نصابها ، وحبه الفهرسة والتصنيف (٣١٣٧) . وقسم المملكة الى اقاليم ، فصلها إقليماً إقليماً ، وكاد يغفل ، وهذا أقل ما يمكنه قوله ، ماليس من دار الإسلام ، مثلاً مواضع المسلمين في خارجها ، فعين بطريقة شبه كيفية ، نوعاً من الحدود المثالية

التي فصلت نهائياً دار الإسلام عن ممالك الكفار ، على الأقل في التزامن الذي اتخذه لنفسه . فهكذا فعل باقليم الشام . فأعرض عن ذكر طرسوس واحتفظ على العموم بكوره التقليدية الشمالية ، مع أن الأطراف خربت آنذاك وانقضى أمر الثغور التي احتلها الروم (٣١٣٨) . وهكذا فعل أيضاً بجرأة بالغة ببلدان أتل ، التي دفعته مصلحة دار الإسلام الى جعلها كورة من كور إقليم الديلم (٣١٣٩) .

ويدل هذا التحيز فعلا الى الحد المثالي ، على رفض مفهوم منطقة الحدود ، أي الثغر (جمعه ثغور) ، مع أنه أساسي في هذا الوقت على الخريطة وفي أذهان الناس . وقطعاً يتحدث المقدسي عن الثغور الشامية ، من قبيل التساهل مع ماهو معروف من قبل (٣١٤٠) . ولا تحول إشارته ، هنا وهناك ، الى حالتها المريعة (٣١٤١) ، دون رفضه الحدود الناشئة عن هذه الأوضاع ، مثلما رأينا . ولعل الشعور أقوى بأخطار الحدود من جهة آسية الوسطى ، حيث تتكرر بانتظام ألفاظ الحصن والتخريب والترك . لكن حتى هنا ، لايستخلص الإنسان في النهاية من اللوحة صورة منطقة متبدلة . فنطاق الوصف يجمع دار الإسلام والكفار ، ويجمدهما كليهما على الأرض التي يفرضها (٣١٤٢) عليهما العلم الجغرافي .

وأوضح مما تقدم أن يستطيع المقدسي ، في حديثه عن صقلية ، أن يشير الى وجود الروم بجوارها ، ويعدد قلاع مدنها الساحلية ، دون أن يكتب صراحة بأن هذا الوضع ينطوي على علاقة علة ومعلول ، وأن هذا الحارس المتقدم لدار الإسلام مؤقت (٣١٤٣) . وزال مضمون مفهوم الثغر نهائيا ، عندما أصبح يعني حدوداً عادية ، وطبق على مدن

أو بلدان تقوم بوظيفة سلمية ، أي تجارية ، يسهلها لها موقعها ذاته واتصالها بالبلدان الغريبة . ونرضى عن هذا التطبيق على سجلماسة ، لأنها عقدة مرور القوافل في شمال الصحراء (٣١٤٤) ، لكن ماذا نقول عن خوارزم ، منطقة الثغور الأصلية ، التي قيل عنها مع ذلك، نظراً لأهميتها الستراتيجية على طرق التجارة مع آسية الوسطى وروسية الجنوبية ، بأنها « مثل سجلماسة » (٣١٤٥) .

الحدود الهادئة والثغور المضطربة

يتأثر جميع ما قيل بروح التنظيم . ويبدي البناء الرائع في كتاب أحسن التقاسيم ناحية سيئة : فالخريطة حاسمة كالمصنف إياه . لكن لابد أن يخطر لنا أن هذه النزعة تطنب الى الحد الأقصى في صياغة الشعور الشائع ، المشار اليه من قبل ، بأن المملكة استقرت نهائياً ضمن حدودها . ولا تنازع تقلبات الحالة ، السلمية أو الحربية ، السائدة على مقربة من المملكة بوجود حدودها على علاتها ، وينبغي التشديد على هذه الناحية .

على هذا الأساس ، يمكن أن يعين السلم والحرب بدقة نمطي حدود دار الإسلام في عقر دارها ولنبدأ بالسلم الذي يقل الكلام عنه . ففي أقصى شرق المملكة ، لاريب أن ولاية مهران والسند ، تبدو منطقة نائية ، منفردة ، أحياناً غامضة ، لم تتحرر جيداً من الوسط الهندي المحيط بها، وتتحدى حتى دار الإسلام في دارها : وهذا الحد «حد بيت الذهب» ، معبد ملتان الكبير ، وبه الصنم الشهير الغني . إلا أن المسلمين فتحوا السند ، وبقي بعض ذريتهم فيها ، ويشتركون بالدعوات السياسية

الدينية لسائر المسلمين : إذن السند هامشية ، لكن التنازع عليها ضعيف (٣١٤٦) في النهاية .

وتمتد الصحراء الكبرى في طرف المملكة الآخر ، وتجعل المغرب عنصراً أصلب من سواه على المسرح الإسلامي . وخلف هذه المفازة ، شرع المسلمون ،بشيء من الصعوبة ،يمارسون تأثيراً قوياً على البربر ، أسياد تجارة القوافل مع السودان النيجيري ، ويمكن القول بأن دار الإسلام لم تخدش إلا من الداخل ، بظلال الوثنية أو العصيان ، التي استمر بربر السواحل المغربية وبربر الجبال (٣١٤٧) إياهم ، يجرونها وراءهم . وتفاوت اعتناق الإسلام في رمال الصحراء الكبرى ، فتأمنت به أيضاً حماية مماثلة ، من الجهة الشرقية ، في داخل طرابلس الغرب وبرقه وواحات مصر ، التي « قضي » فيها شيئاً فشيئاً على المسيحية القبطية القديمة (٣١٤٨) .

أخيراً ، من جهة الجنوب ، صعداً نحو أعالي النيل ، تعتبر دار الإسلام مثلما رأينا (٣١٤٩) أن أرضها تنتهي في أسوان ، التي كانت « في الماضي ثغر دفاع ضد النوبيين الذين أخمدت فتنتهم الآن » ، على حد ما يكتب ابن حوقل : وموضوع هذا الصلح مطروق ، مع ضريبة تسمى البقط ترافقه (٣١٥٠) . وتكمل ناحية البجة البدوية أرض النوبة بين نهر النيل وبحر القلزم ، بطريقة مشوشة . وقد اعتنقت البجة الإسلام، لكنها تتمرد بطيبة خاطر ، وتقوم على مناجم الذهب والزمرد الشهيرة في وادي العلاقي . اما البلدان الساحلية، بما فيها عيذاب وحتى بعض الجزر ، ففي طاعة الحبشة .

وفي بعض الأماكن الأخرى ، يزول استعمال لفظ حد ، ويحل

محله لفظ ثغر ، حسب الغارات الخارجية عليها (٣١٥١) . وأقيمت منشآت عسكرية أو مدن أو رباطات في خط دفاعي ، تفاوت اتصاله، واتبع بداهة توسع الإسلام وانكفاءه في حالات أندر ، وبقي أحياناً، في حالة التوسع ، على تخوم أصقاع ظلت متمردة مثل المفاوز الفارسية والهندية (٣١٥٢) . مع ذلك ، تعتبر الثغور في جوهرها مراكز أمامية لدار الإسلام في خمسة قطاعات ممتازة : هي الأندلس ، والقبق ، والبلدان الشامية الأناضولية ، وآسية الوسطى ، يضاف اليها حتماً سواحل بحر الروم ، المعرضة الى الغارات الرومية (٣١٥٣) . أما المقدسي (٣١٥٤) ، فينهج ، وينسب الى كل أمة ، ضمن دار الإسلام وخارجها ، عدواً مشهوراً : وهذا تعداد يقصد به تغطية التصنيف المقترح .

وتكمن سفن الروم في أقريطس ورودس وقبرس . بالمقابل ، جهزت سواحل بحر الروم بشبكة منتظمة من الحصون ، كثيفة جدا في الشام ومصر وتونس ، وتدعمها في الشمال تحصينات المدن الساحلية في صقلية (٣١٥٥) . مع ذلك ، يمر في هذا البحر أيضاً الأسرى المسلمون ، من رجال ونساء ، الذين اختطفوا من سواحله أو أخذوا في العمليات العسكرية في الشام والأناضول (٣١٥٦) .

وتمثل الأندلس نقطة ساخنة أخرى من الحدود . ويغير النورمان (٣١٥٧) على سواحلها . وتجابه تخومها الشمالية النصرانية الخارجة عن طاعة دار الإسلام . ففي القرن الرابع الهجري : / العاشر الميلادي، لايؤكد أحد من المؤلفين إلا ابن الفقيه ، وبرباطة جأش ، أن حدود دار الإسلام في الأندلس تقع في نربونه . أما المؤلفون الآخرون فيعيدونها بتعقل وموضوعية زائدين الى حوضي نهري تاجه والأبره الأوسط

والأسفل ، اللذين تحميهما من الشمال منطقة تتبدّل الهيمنة عليها ويتفاوت عرضها ، وتخترقها غارات المعسكرين ، في حين تمتد السيطرة المسلمة في البحر حتى جزر الباليار والى «جزيرة» غار دفرينه (جبل القلال) ، التي يضعها ابن حوقل في طاعة الأندلس مثلما رأينا . وعلى وجه الإجمال ، تشكل الأندلس في دار الإسلام حدوداً متبدلة وثابتة معاً ، وحدوداً خطرة في جميع الأحوال : ويتكرر لفظ الثغر بانتظام عند الإشارة اليها ، مقابل ألفاظ أخرى تدل على الأعداء : كالفرنجة ، والوشكند ، والجلالقة ، أي بايجاز الكفار . في النهاية ، يعتبر ابن حوقل أوثق صلة بالموضوع ، فهو يشير صراحة الى وجود حدين على المحيط ومقابل البلدان المسيحية في الشمال ، وضمنا الى حد ثالث هو حد سواحل بحر المغرب من مرسية الى طرطوشة : وحتى لو كانت الأندلس حصينة ، كما كانت حالها آنذاك ، فهي تعطي في الواقع صورة (٣١٥٨) محرز أو رأس جسر .

والوضع أشد غموضاً في جبل القبق ، بسبب التضاريس وكثرة الأمم المتعذر تمييزها ، التي تعكسها الخريطة الدينية واللغوية : وقد رأينا من قبل جميع هذه الأمور ، فنرجو العودة الى الفصل الخامس . خلاصة القول : فيما عدا المقدسي الذي يبعد ، مثلما قلنا ، حدود دار الإسلام حتى بلدان نهر أتل ، يتفق المؤلفون على إنهاء المملكة عند باب الأبواب (دربند) . فبعد الفترة الحماسية لغارات الفرسان المسلمين الأولى وردود فعل الأمم الشمالية ، تثبتت الحدود عند هذا المرفأ النشيط ، الموروث عن العهد الساساني . ثم تأتي السهوب الذاهبة الى مدينة سمندر والى نهر أتل . وفي الغرب ، يبدو ثغر تفليس معزولاً في وسط معادي ، إلا أنه نقطة حيوية في التحصينات الإسلامية ، ويدعم تموين

الحامية التي تحرس ، على مسافة خمسة أيام من هنا ، مضيق أبواب بحر قزوين أو باب اللان : وهم أمة تعني الكفر والقوة والتهديد ، مثل عدد كبير من الأمم ، ممن يرتادون الجبال العالية ومشارفها : كالخرج والأبخاز ، والأفر ، واللكز ، والكشك ، والارمن ، وكثير غيرهم ، ممن يجاملون دار الإسلام أو يخاصمونها ، ولا ننسى في جهة الشمال ، الخزر والبلغار وحتى الروس بعدهم ، الذين تمثل في الذاكرة غاراتهم المؤلمة .

وكتبت دار الإسلام في القرنين ٣ ــ ٤ ﻫ / ٩ ــ ١٠ م ملحمة صراعها الدائم على التخوم الشامية الأناضولية ، أكثر مما فعلت أعمالها الحربية القديمة على الحدود الشمالية .فهنا تعتقد أنها تجابه الروم ألد أعدائها ، الذين يطرحون ، مثلما رأينا ، قضية مصيرها الحرجة ، في غمرة اذكار اندفاعاتها الماضية وإدراك كوارثها الحالية ، هنا بالذات في جميع الأحوال ، لا بين بحر قزوين وبحيرة خوارزم وفرغانة في آسية الوسطى . وفي هذا القطاع الأخير من الحدود ، يتنازع دار الإسلام الأمل والقلق ، وتنجح في « استمالة » الأتراك اليها ومحاربتهم معاً ، ولا بد أن نفكر لا في لفظ الفتح ، بل في التأثير المتبادل (٣١٥٩) . ولا ريب البتة أن الإسلام انتشر (٣١٦٠) بقبول الدعوة والتجارة والغارات المفاجئة ، ثم تترك . وقطعاً ، يغالي من يتحدث عن التعاطف الخالص ، لكن يجب في النهاية أن نعترف أن بعض الأفكار الخلفية السياسية ، التي ترتبط بما وصل اليه الأتراك من مكانة سامية في المملكة أو الممالك الإسلامية ، قضت بعض الشيء على مفاهيم الثغور وحرب الكفار ، استناداً الى الأحاديث الدينية ، ومنها قول النبي : « تاركوا الأتراك ما تركوكم » (٣١٦١) .

وتعوض الأسطورة عن الأخبار في بعض الأماكن غير المعروفة جيدا أو المعادية . فيختلط الغريب والعجيب . وينكفىء العجيب المنسوب الى العالم غير الإسلامي الى حدود دار الإسلام .

وتسيطر الصحراء الكبرى والأندلس على هذا المشهد من الحدود الخيالية . وتحوي الصحراء مدناً نادرة ونهر رمل يتعذر عبوره (٣١٦٢) وتخفي الأندلس النصرانية المتمردة في جبالها المنيعة ،وتجمع بين الغموض و « طرف العالم » ، وتضيف الى لغز الشمال المستعصي ،الغرابة التي تكتسبها من موقعها في طرف العالم وفي دار الإسلام معاً . فأمكن في هذه الحالة أن يشاهد هنا قيام شكل جديد من مجاز هيراقليس (٣١٦٣) . ففي بلد سيء التحديد (٣١٦٤) ، وفي زمن يرتبط بآن واحد بماضي غامض ومستقبل أخروي (٣١٦٥) ، باختصار ، في طرف العالم وآخره ، صورة فرس من نحاس عليه فارس من نحاس ، ماد يده اليمنى مكتوب فيها باحدى لغات جزيرة العرب الجنوبية (الحميرية) ، ليس ورائي مسلك ، فلا يطأ خلفه أحد إلا ابتلعته النمل (٣١٦٦) .

ويتنوع موضوع قصة التمثال . فالمسعودي ، أقرب المؤلفين الى التقليد القديم ، يتحدث عن المنارة النحاس والحجارة التي بناها هرقل (٣١٦٧) ، وابراهيم بن يعقوب ، عن صنم بسيط ، وابن سيرابيون عن تمثالي نحاس يحملان تمثالاً ثالثاً قائماً على أيديهما . والناحية الأساسية في جميع هذه الروايات ، هي إجماعها على إعطاء مؤشرات تعين طرف العالم : كالنحاس الذي لايؤكد عليه ، ولغة الجزيرة العربية الجنوبية ، الحميرية بدقة ، التي لقيناها من قبل في رمال صحراء لايمكن

الولوج اليها (٣١٦٨) ، وأخيرا النملة ومعها حيوان القرآن (٣١٦٩) ، دعامة مجتمع منظم (٣١٧٠) بصورة غامضة ، هذه هي المعرفة الشرعية التي تنتهي دفعة واحدة مع انتهاء الأرض : والبرهان سياق موضوع تمثال الحدود ، الممزوج هنا بالظلمات التي تغيب فيها الشمس ، وتنقشع في وقت مبكر في طرف الكون الآخر ، في ضوء النجم الطالع الباهر . (٣١٧١)

وبذا تكون المملكة قد تعينت . لكن كيف وبماذا ؟ لا نبالغ قط في الكلام عن الحقيقة ، عندما ننكر وجود الحدود ، حتى من جهة البحر ، الذي غالباً مالا يعتبر سوى حماية وهمية ضد قريب لاير كن اليه أو عدو . وليست الثغور المضطربة أو مساحات الرمال المضنية ، في جميع الأحوال ، إلا تقريبات مفهوم الحدود . في النهاية ، نعثر حتماً على أفضل تعريف للمملكة ، لا في رقعة الأرض التي لاتحددها بدقة ، بل في الإسلام الذي يشكلها على حقيقتها . فسيطرة الإسلام أو عدم وجوده ، تنبؤنا اذا كنا لانزال ضمن المملكة أو خارجها . وهكذا نعود فنجد ، خلال فكرة الحدود الغامضة ، معطى رئيساً في تقليد الجغرافية العربية ، : هو مفهوم المملكة ، الذي لاينفصل عن مفهوم القصبة الحيوية ، والوسط العربي أو الشامي أو الجزيري أو المصري ، الذي يبدأ منه ، في جميع الأحوال ، التلاشي باتجاه الثغور (٣١٧٢) . وجملة القول أن لدينا سديماً لاحقلاً مسوراً ، وانتماء لا مملكة .

حواشي القسم الثاني

حـواشي

الفصل السادس

(١٤٨٤) ابن خرداذبه ، ١٥٥

قدامه (م) ، ٥٤ .

يجمع المسعودي (م) ، فقرة ٩١٠ (انظر أيضاً المرجع ذاته ، فقرة ٩٢٢) ، أوربة الشرقية والغربية في ولد يافث ذاتهم ، الذين يشملون أيضاً الأتراك (انظر ماتقدم ، ٢٩٢/١) ويأجوج ومأجوج . حول تقسيم العالم هذا ، انظر ماتقدم ، ١٠٤/١ نحيل إلى الهمداني (ماتقدم ، ٧١/١ وما يليها ، للأسماء القديمة في الكرتوغرافية على الطريقة العتيقة .

(١٤٨٥) تتبع مصر لوبيه ، مع الحبشة وبلدان بحر القلزم ، خصوصاً أنحاء خليج بربره (البربر ، حذار من الخلط بينهم وبين البرابرة) : حول هذا التمييز ، انظر ماتقدم ، ٢٣٠/١ - ٢٣٢) .

(١٤٨٦) يتم تصور دار الإسلام بدءاً من مركزها : انظر توزيع اليعقوبي ، ص ٢٦٨ في اخرها . يستبعد « ربع الشمال » (ص ٣٢٠) ، من جهة ، الأتراك (ص ٢٩٥) ، الذين يدخلون في ربع المشرق ، ومن جهة أخرى ، الأندلس (ص ٣٥٣ وما يليها) التابعة إلى ربع المغرب . اذن المقصود الشمال الغربي في الواقع .

(١٤٨٧) مما يبرر الفصل الخاص الذي أفرد لهم .

(١٤٨٨) تندرج التلوينات النادرة التي تتناوله في وصف الروم العام .

(١٤٨٩) حدود العالم ، فقرة ٤٣ - ٥٣ ، يجمعها (المرجع ذاته ، ٤٢٥) الناشر المترجم بعنوان « أوربة الغربية » .

(١٤٩٠) سنعود إلى هذا الموضوع في الفصل الثاني عند حديثنا عن الفرنجة .

(١٤٩١) إذا لم تستنفد الوصف بأجمعه ، تهيمن عليه هيمنة كبيرة جداً ، مثلما سوف نرى .

(١٤٩٢) انظر س . فان ارندونك ، الموسوعة الإسلامية ، المجلد ٢ ، ص ٦٣٢ — ٦٣٣ .

(١٤٩٣) تقديم جيد لجبل القبق الشرقي في ذلك الزمن في و . برتولد و ا . بيننجسن ، « داغستان » ، في الموسوعة الاسلامية (٢) ، مجلد ٢ ، ص ٨٧ .

(١٤٩٤) انظر مدخل ف . مينورسكي ، في كتاب حدود العالم ، ٥٣ روماني ، الذي يشير مع ذلك إلى أنه يمكن أن يتعلق الأمر ، عبر المصنفين ، بمصدر وحيد ، يحتمل أن يكون كتاب حدود العالم قد استغله بطريقة منهجية فائقة . لكن يبقى أن المسعودي اتبع مخططاً أوضح إلى درجة استثنائية (ربما لأنه صادر عن ملخص) من مخطط كتاب الحدود ، الذي « يقسم » وصف جبل القبق ليدخله ، اما في وصف الولايات الاسلامية الطرفية ، واما في وصف الأمم الغريبة . ولا يظهر اسم جبل القبق نفسه إلا مرتين في النص (كتاب الحدود ، ٦٧ ، ١٤٥) : قارن بالمسعودي (م) ، فقرة ٤٤٢ وما يليها ، ٤٧٦ وما يليها ، ٤٩٣ وما يليها ، ٤٩٨ وما يليها .

(١٤٩٥) ابن خرداذبه ، ١٢٢ (شروان مدرجة في « ارمينية الأولى » ، كررها ابن الفقيه ، ٢٨٧) ، ١٢٤ .

ابن الفقيه ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ .

المسعودي (م) ، فقرة ٤٤٤ — ٤٤٦ (تمتد شروان حتّى « مملكة طبرستان » : ينبغي طبعاً أن نفهم بأن هذا اللفظ يدل ، اجمالا ، على مجمل المسافريين ؟ ، الذي يشتمل أيضاً على أذربيجان إضافة إلى طبرستان : انظر ف . مينورسكي ، « مسافري » ، في الموسوعة الإسلامية ، مجلد ٣ ، ص ٧٩٤ — ٧٩٦) ، ٤٦٠ ، ٤٦٣ — ٤٦٤ ، ٥٠٠ — ٥٠١ ، (ت) ، ٩٠. الاصطخري ، ١١٠ (شروان داخلة في اران : ابن حوقل ، ٣٤٢) ، ١١٣ ، ١٢٩ . ابن حوقل ، ١١٤ في آخرها (بلد غني بالبغال) ، ٣٤٢ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩٨ (أطماع سياسية مثبتة باتجاه الشمال ، بمناسبة النزاعات بين الروس والخزر) .

المقدسي ، ٣٧٤ (شروان داخلة في اران) .

حدود العالم ، ١٤٤ — ١٤٥ ، ٤٠٣ وما يليها ، ٤١٠ (حاشية ٢ - ٣) ، ٤٥٤ و . برتولد ، « شروان » ، « شروان شاه » ، في الموسوعة الاسلامية ، مجلد ٤ ، ص ٣٩٧ — ٣٩٨ ، ٣٩٨ — ٤٠٠ .

(١٤٩٦) المسعودي (م) ، فقرة ٤٤٤ — ٤٤٦ ، غامض بعض الشيء في هذه الناحية ، لكن يتحدث كتاب حدود العالم ، ١٤٤ ، عن ملك وحيد له ثلاثة ألقاب . يعطي المسعودي (م) ، فقرة ٤٤٦ ، لقباً اضافياً رابعاً لها مبهماً تماماً : زادان شاه .

(١٤٩٧) الرسم مشكوك جداً فيه : ليزان (أفضلها : كتاب الحدود ، ٤٠٨) ، ليزان ، ليران ، لايجان ، وحتى ابخان (المقدسي ، ٥١ ، ٣٧٤ و ٣٧٦) والابخاز انظر كتاب الحدود ، ٤٠٨ ، و ٤٠٩ حاشية ٣ . يجب ألا يخلط بينه وبين الأمة التي تحمل الاسم ذاته ، وسنتحدث عنها فيما بعد) . حول ليزان ، التابعة لشروان ، ويدخلها المؤلفون معها في وصف دار الاسلام . انظر ابن خرداذبه ، ١٢٤ ، المسعودي (م) ، ٤٤٥ — ٤٤٦ ، ٥٠١ ، الاصطخري ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ابن حوقل ، ٣٤٢ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، المقدسي ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، كتاب حدود العالم ، ١٤٤ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤٠٦ — ٤١٠ .

(١٤٩٨) انظر بسنيه ، ذكر في مكانه ، ص ٤٢٢ ، ف . مينورسكي ، « لك ٢ » في الموسوعة الاسلامية ، المجلد ٣ ، ص ١٢ .

ابن خرداذبه ، ١٢٢ (تتبع « أرمينية الثانية » : مكرر عند ابن الفقيه ، ٢٨٧) ، ١٢٤ (مكرر عند ابن الفقيه ، ٢٩٧) .

ابن الفقيه ، ٢٨٢ ، ٢٨٨ (دودانية : انظر المسعودي (م) ، فقرة ٤٤٥ مذكور في مكانه ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٤٥ (لكز دودانية ، « ولهم أخبار طريفة في المناكح والمعاملات ») — ٤٤٦ ، (ت) ، ٢٤٩ .

المقدسي ، ٣٧٦ (لكزان) .

كتاب حدود العالم ، ١٤٤ — ١٤٥ ، ١٦٢ (لكن) ، ٤٠٧ — ٤٠٨ ، ٤١١ ، ٤٥٤ — ٤٥٥ تترجم ، بـ « glacis » أو « marche » لفظ معول (المسعودي (م) ، مذكور في مكانه . ترجمة بيلا : « boulevard » ، مينورسكي ، في في كتاب الحدود ، ٤٥٥ : « بلورق ») .

حول دودانية ، الذين ذكرهم المسعودي ، مستشهد به في مكانه ، وحول اللكز الشديدي الكفر والتمرد ، انظر ابن الفقيه ، ٢٨٨ ، ٢٩٢ .

(١٤٩٩) ابن خرداذبه ، ١٧ (ضعيف) ، ١١٩ (مثله . في ١٢٠ و ٢١٣ ، المقصود موقان بحر الخزر (. قارن بلائحة كتاب الحدود ، ١٤٢) . الملاحظة ذاتها بالنسبة إلى المسعودي (ت) ، ٩٠ ، ٢٤٣ .

الاصطخري ، ١٠٨ (مكرر عند ابن حوقل ، ٣٣٦) .

المقدسي ، ٣٧٥ .

كتاب حدود العالم ، ٧٧ ، ١٤٢ .

المسعودي (م) ، فقرة ٤٤٥ ، ٥٠٠ .

كتاب حدود العالم ، ٤٠٢ (شاهد صيغة من الاصطخري (مخطوطة اسطنبول) ، حيث ترد الموقانية التي تهمنا هنا ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

(١٠٠٠) ابن خرداذبه ، ١٢٢ (تتبع « أرمينية الأولى : كرره ابن الفقيه ، ٢٨٧) ، ١٢٣ . اليعقوبي، ٣٦٤ (« أرمينية الثانية »)، ابن الفقيه، ذكر من قبل ، و ص ٢٩٣ المسعودي (م) ، فقرة ٥٠٠ ، الاصطخري ، ١١٠ ، ابن حوقل ، ٣٤٢ ، المقدسي ٥١ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، حدود العالم ، ٧٧ ، ١٤٤ ، ٤٠٢ — ٤٠٣ (مع ذكر مخطوط القسطنطينية للاصطخري (مذكور في الحاشية السابقة) حيث يرد اسم العبسية (عوضاً عن عنبسة ، الأعور اسم ملك قبلة ، حسب المسعودي) ، وذكر العلاقات الحسنة بين قبلة وليزان) ، ٤٠٧ .

(١٠٠١) اعتبر لفظ فيلان شاه أحياناً لقب ملوك السرير : المسعودي (م) ، فقرة ٤٧٩ . إلا أن بلد فيلان (لوبينيي عند المؤرخ بلين ؟) ، مهما كان لغزاً ، لايخرج عن كونه حقيقياً ومتميزاً عن بلد السرير . لعله يقع إلى شرق شكي ، على السفوح الجنوبية من جبل القبق : انظر ابن خرداذبه ، ١٢٤ (كرره ابن الفقيه ، ٢٩٧) ، ١٦٣ (فيلان واقعة بين اللان والخزر : كرره ابن رسته ، ٢٤٩ ، والمقدسي ، ٣٦٢) ، ابن الفقيه ، ٢٨٧ ، وذكر من قبل ، المسعودي (ت) ، ٢١٥ ، حاشية ٢ ، حدود العالم ، ٤٥٤ (وحاشية ١) الذي يقترح خصوصاً مقارنة لوبينيي (ليب ، ليف فيل بالقلب) و لفظ آخر : لبان . حول هذا الأخير ، انظر ابن خرداذبه ، ١٢٤ ، ورسم لبن (؟) في ابن خرداذبه ، ١٢٣ ، ابن الفقيه ، ٢٨٧ آخرها .

(١٠٠٢) المسعودي (م) ، فقرة ٤٤٤ .

(١٠٠٣) ابن خرداذبه ، ١٢٤ (ابن الفقيه ، ٢٩٨) ، ابن الفقيه ، ٢٨٨ (انظر قدامه ، ٢٥٩) ، ٢٩٣ ، وذكر من قبل ، المسعودي (م) ، فقرة ٥٠٥ ، حدود العالم ، ١٦١ — ١٦٢ ، ٤٠١ ، ٤٥٤ — ٤٥٦ : يفسر غموض التدوين (ادخلت مسقط على التوالي في السرير (الافر) والخزر ، في حين يتبع في الحقيقة ، مثلما قلنا شروان) بأن حملة مروان (١١٩ هـ / ٧٣٧) المسلمة جلبت بعض الخزر الذين استقروا بين السمور وبلد اللكز الأدنى .

(١٠٠٥) أو أيضاً«الباب والأبواب » . بشأنها ، انظر د . م . دونلب ، في الموسوعة

الاسلامية (٢) ، ج١ ، ص ٨٥٨ – ٨٥٩ ، ابن خرداذبه ، ١٢٢ – ١٢٣ ، ١٧٣ ، اليعقوبي ، ٣٦٤ ، ابن رسته ، ١٠٦ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ابن الفقيه ، ٧ ، ٢٥ ، ١٤٥ ، ١٩٣ ، ٢٨٦ – ٢٨٨ ، ٢٩١ – ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، قدامة ، ٢٢٧ ، ٢٥٩ ، المسعودي (م) ، فقرة ٢٨١ ، ٢٩٥ ، ٤٤٢ – ٤٤٤ ، ٤٤٦ – ٤٤٧ ، ٤٧٦ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥ ، ٤٩٨ ، ٥٠٢ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، (ت) ، ٩٠ ، ٩٤ ، ١١٢ ، ١٢٨ ، ٢٤٣ ، ٢٤٩ ، الاصطخري ، ١٠٩ – ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٨ آخرها ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ابن حوقل ، ١١٤ (لديه بغال شهيرة) ، ١٦٦ ، ٣٣٩ – ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٧٣ ، ٣٨٨ – ٣٨٩ ، ٣٩٣ – ٣٩٤ ، ٣٩٨ ، المقدسي ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٨٠ ، حدود العالم ، ٦٠ ، ١٤٥ ، ٢٠٣ ، ٤٠٧ ، ٤١١ ، ٤٥٤ .

(١٥٠٦) انظر ماتقدم ، حاشية ١٥٠٣ .

(١٥٠٧) المسعودي (م) ، فقرة ٤٧٦ .

(١٥٠٨) رسم غامض : خيلان ، خنذان ، خيزان (يلتبس أحياناً بخيزان في ناحية باكو : ابن خرداذبه ، ١٢٤ ، حدود العالم ، ٤٤٩) ، جيدان . ينسب القيتق أحياناً إلى الافر (السرير) . انظر ابن خرداذبه ، ١٢٣ ، ابن رسته ، ١٤٧ – ١٤٨ ، ابن الفقيه ، ٢٩٣ ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٤٧ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، حدود العالم ، ١٦١ (استشهادان) ، ٤٤٨ – ٤٥٠ .

(١٥٠٩) ابن خرداذبه ، ١٢٣ ، ١٢٤ ابن الفقيه ، ٢٨٧ – ٢٨٩ المسعودي (ت) فقرة ٩٣ ، ابن فضلان ، ١٣٥ (ترجمة ، ١٠٧ ، ح ٢٤٣) ، حدود العالم ، ١٦٢ ، ٤٥٢ – ٢٥٣ ، و د . م . دنلوب ، في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج١ ، ص ١٠١٥ – ١٠١٦ .

(١٥١٠) ابن خرداذبه ، ٦٣ ، ٦٤ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ابن الفقيه ، ٢٨٨ ، ٢٩٨ المسعودي (م) فقرة ٤٤٧ ، الاصطخري ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ابن حوقل ، ١٥ ، ٣٨٩ ، ٣٩٣ – ٣٩٤ ، ٣٩٨ ، المقدسي ، ٢٠ ، ٣٦١ ، حدود العالم ، ١٦٢ ، ٤٥٢ – ٤٥٤ .

(١٥١١) الاصطخري ، ١٣٠ ، ابن حوقل ، ٣٩٤ : مجمع ناس . يجب فهم التدوين بأنه يتعلق فقط بهذا القسم من بلد الخزر . وسنرى أن بلد الخزر يحوي مدناً أخرى ، على الأقل اتل دار المملكة .

(١٥١٢) يعطي الاصطخري ، ١٣٠ ، ابن حوقل ، ٣٩٤ ، المقدسي ، ٣٦١ رسوماً

متقاربة . توضح هذه المعلومات ماقيل من قبل ، حاشية ١٣٢٤ . لاحظ أن المقدسي ، احالة ذاتها ، يحدد منازل الخزر في اتل على الوجه التالي : « أبنيتهم خيم وخشب ولبود وخركاهات (انظر ماتقدم حاشية ١٢٩٦) إلا القليل فانه طين » .

(١٥١٣) المسعودي (م) ، فقرة ٤٧٧ . حذار من الخلط بين هذه الأمة وبين الكرج الذين سنتحدث عنهم فيما يلي (يخصهم المسعودي (م) فقرة ٤٩٨ بتفصيل مفرد لهم) ، أو بين مدينة كرخ التي سنتكلم عنها في بحث المجغرية .

(١٥١٤) ابن رسته ، ١٤٨ (للملك السرير قلعة يقال لها الآل وغميق حصينة يكون بها بيت ماله ، وهي التي أعطاه اياها أنو شروان) . المسعودي (م) فقرة ٤٧٧ ، حدود العالم ، ٤٥٠ وحاشية ٢) ، ٤٥٥ ، و . و. برتولد ، « غميق » ، في الموسوعة الاسلامية ، ج٢ ، ص ١١٨٢ — ١١٨٣ .

(١٥١٥) المسعودي (م) فقرة ٤٧٧ : يقول ان أكثرهم يعمل الزرد واليلب واللجم والسيوف وغير ذلك من « أنواع الحديد » . وقد أشير إلى أصل الاسم الفارسي ، إلا أن الاملاء الصحيح زرهجران ، مفرده زرهجر ، من زره (زرد) ولفظ جر (صانع) . يحتمل أن يؤدي املاء المسعودي إلى حصول التباس مع زرجر (ان) ، أي الصائغ . انظر ديميزون ، قاموس فارسي فرنسي ، ج٢ ، ص ٩٦ — ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ج٣ ، ١٨٧ .

(١٥١٦) حول السرير أو الافر(الابر)، انظر ابن خرداذبه ، ٩٢ (ابن الفقيه، ٨٣)، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٦٣. اليعقوبي ، ٣٦٤ (ابن الفقيه ، ٢٩٠ — ٢٩١)، ابن رسته ، ١٤٧ — ١٤٨ ، ١٤٩. ابن الفقيه ، ذكر من قبل ، و ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٩٨ ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٤٢ ، ٤٤٤ ، ٤٧٨ (حول فيلان شاه ، انظر ماتقدم ، حاشية ١٥٠١) ، ٤٧٩ ، (ت) ، ٥٢ ، ٢١٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٧، المقدسي ، ج٤ ، ٦٣، الاصطخري ، ١٦ ، ١٩ ، ١١٠ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ابن حوقل ، ١١ ، ١٥ ، ٣٢٠ ، ٣٣٩ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨. المقدسي ، ٣٦٢. حدود العالم ، ٤٢ — ٤٣ ، ٦٧ — ٦٨ ، ٧٧ ، ٨٣ ، ١٤٢ ، ١٥٦ ، ١٦٠ — ١٦١ ، ٢٠٤، ٤١٩ ، ٤٢٢ ، ٤٢٩ ، ٤٤٦ — ٤٥٠ ، ٤٥٢ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ .

(١٥١٧) الاصطخري ، ١٣٠، ابن حوقل ، ٣٩٤ .

(١٥١٨) أو سرير من ذهب وسرير من فضة : ابن رسته ، ١٤٧ .

(١٥١٩) اصل آخر ذكره المسعودي (ت) ٢١٥ ، حاشية ٢ .

(١٥٢٠) ابن خرداذبه ، ١٢٤. المسعودي (ت) ، ١٢٠ . حدود العالم ، ١٦٢ ،

٤٠١ ، ٤٧٧ اخرها – ٤٤٨ ، ٤٥٤ – ٤٥٥ وفيما يلي ، حاشية ١٦٦٧ .
حذار من الخلط بينها وبين المدينة البلغارية الحاملة الاسم ذاته ، وسنتكلم عنها فيما بعد .
(١٥٢١) يقول ابن رسته ، ١٤٧ ، ان ملكهم يسمى اوار .

(١٥٢٢) أو مايعادل ٧٦٠ كم . حول حصن آخر ، انظر ماتقدم حاشية ١٥١٤ .

(١٥٢٣) ابن خرداذبه ، ١٧ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٦٣ ، ١٧٣ ، اليعقوبي ٣٦٤ ، ابن رسته ، ٨٩ ، ٩٨ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ابن الفقيه ، ٢٨٦ – ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ آخرها.المسعودي (م) فقرة ٤٤٢ ، ٤٧٩ – ٤٨٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، (ت) ٢١٥ ، ٢٤٩ الاصطخري ، ١٦ . ابن حوقل، ٩ ، ١١ ، ١٦٩ ، ٣٢٠ ، ٣٣٩.المقدسي ، ٦١ آخرها (ووسطه (الاقليم السابع) في بلاد اللان بلا مدن معروفة) ، حدود العالم ، ٥٣ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٨٣ ، ١٥٦ ، ١٦٠ – ١٦١ ، ٣١٣ ، ٣١٨ (حوشية ١) ، ٤٠١ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ – ٤٤٦ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ ، ٤٨١ ، بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٢٨ ، و . برتولد و ف . مينورسكي ، « اللان » في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج١ ، ص ٣٦٥ ، و د . م. دنلوب ، « باب اللان » ، مرجع ذاته ، ج١ ، ص ٨٦٠

(١٥٢٤) نتذكر الصيغة التي استعملها من قبل أبو زيد السيرافي في جزر الزابج (انظر ماتقدم ، ١٣٥/١) .

(١٥٢٥) اس اسم اللان القديم : انظر حدود العالم ، ٤٤٥ ، و و . برتولد – ف ، مينورسكي ، « اللان » ذكر من قبل ، (مع احالة إلى المسعودي (م) فقرة ٤٥٠ ٤٥٢) . حول هاتين القبيلتين ، انظر على التوالي ابن رسته ، ١٤٨ ، حدود العالم ٤٤٥ (وحاشية ١) ، ٤٥٨ ، بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٦٥٠ (تحت لفظ « روكسولاني ») وابن رسته ، ١٣٩ ، حدود العالم ١٦٢ ، ٣٢٤ ، ٤٤٥ ، ٤٥٦ – ٤٥٨ .

(١٥٢٦) المسعودي (م) فقرة ٤٨٠ .

(١٥٢٧) المسعودي (م) فقرة ٤٤٣ ، ٤٨١ – ٤٨٣ (وتفسير اسم كشك ، وهو فارسي – التيه والصلف – والكشك في الواقع أمة ايبيرية قفقاسية) (ت) ، ٢٤٩ (انظر حدود العالم ، ٤٤٦ ، حاشية ١) ، حدود العالم ، ١٦١ ، ٤٤٦ و س . كليجاي في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج٢ ، ص ٢٢– ٢٤ .

(١٥٢٨) المسعودي (م) فقرة ٤٨١ يذكر أيضاً العلاقات التجارية (البرية ؟) مع البلدان في طاعة دار الإسلام والمجاورة لأمة كشك .

(١٥٢٩) هنا يتراءى موضوع الجارية الكشكية ، التي سوف تصبح شهيرة في المستقبل في الأسواق : انظر ر . برونسفيغ ، « عبد » في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج ١ ، ص ٣٣ .

(١٥٣٠) المسعودي (م) فقرة ٤٨٣ – ٤٨٥ . يستنتج الموقع الشمالي نسبة إلى كشك ، لأن المسعودي يعود إلى القبق الغربي بعد اسهاب لايعنيه ، ثم ينزل هذه المرة إلى الجنوب إلى الابخاز والكرج : المسعودي (م) فقرة ٤٩٨ . بشأن التفصيل المقصود ، انظر ومايلي ، حاشية ١٥٣٣ . حول التماثل مع بعض البلغار ، انظر ٢٢/٢ .

(١٥٣١) نجد خصائص مماثلة فيما يأتي في الفصل التاسع في بحث ياجوج وما جوج .

(١٥٣٢) يلي (المسعودي فقرة ٤٨٥) وصف خسفة أخرى قريبة القعر ، فيها نوع من القرود .

(١٥٣٣) يطيل المسعودي الكلام في استطراد مسهب عن القرود ، اثارته الخسفة المشار إليها في الحاشية السابقة : المسعودي (م) ، فقرة ٤٨٥ – ٤٩٢ . ثم يعود المسعودي إلى وصفه ، فيذكر أربع أمم من الترك تلي بلاد اللان : هم بغنه ، وبجغرد ، وبجناك ، ونوكرده : حول هذه الأمم ، انظر على التوالي ماتقدم ، ص ٢٨٤/١ ، ٢٧٥/١–٢٧٨ (وما يلي المجغرية بحر بنطس) ، ٢٧٨/١ – ٢٧٩ (وما يلي حول بجناك بحر نيطس) ، ٢٢٤ .

(١٥٣٤) صورة أحياناً غامضة (اوغاز ، لغز) : حول التباس مع ليزان ، انظر ماتقدم ، حاشية ١٤٩٧ . حول الأبخاز ، انظر ابن خرداذبه ، ١٢٣ ابن رسته ، ١٣٩ (انظر حدود العالم ، ٤٥٦) المسعودي (م) فقرة ٤٩٨ ، ٥٠٦ ، (ت) ، ٢١٥ ، ٢٤٩ ، حدود العالم ، ١٦٢ ، ٣٢٤ ، ٤٤٥ ، ٤٥٦ – ٤٥٧ ، بسنيه ، ذكر من قبل ، ١ ، و . برتولد–ف. مينورسكي ، في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج ١ ، ص ١٠٣ – ١٠٤ .

(١٥٣٥) صورة غامضة جداً وتحتمل الالتباس في الغالب : جزر (ان) ، جرز ، جرج ، كرج (اسم مملكة في الهند أيضاً : ابن خرداذبه ، ١٦) ، جرج (ان) (بلد في الزاوية الشمالية الشرقية من بحر الخزر) . حول بلاد الكرج ، انظر ابن خرداذبه ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، اليعقوبي ، ٣٦٤ ، ابن رسته ، ٩٨ ، ١٠٦ ، ابن الفقيه ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ قدامة ، ٢٤٦ المسعودي (م) ، فقرة ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٦ ، (ت) ، ٩٣ ، ٢١٥ ، ٢٤٩ ، ابن حوقل ، ٣٣٩ ، ٣٤٧ ، ٣٥٤ ، حدود العالم ، ٥٣ ، ٦٧ ، ١٥٧ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢٠٤ ، ٤١٠ ، ٤٢١ – ٤٢٢ ، ٤٤٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، بسنيه ، ذكر من قبل ، ٣٨٠ (تحت لفظ « ايبيريا ») ، و ا . در ، في الموسوعة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ١٣٩ – ١٤٠ .

(١٠٣٦) أشير من قبل إلى هذه العزلة في الحديث عن حصن باب اللان . مع ذلك يلاحظ أن بلد الكرج عاد مجدداً إلى دفع الضريبة إلى الملك العظيم المرزبان بن محمد المسافري في عام ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م ، ابن حوقل ، ٣٥٤ .

(١٠٣٧) المسعودي (م) فقرة ٤٩٩ و ف . مينورسكي ، « الصمصخي » ، في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج١ ، ٣٣٥ .

(١٠٣٨) ابن خرداذبه ، ١٢٣ ابن الفقيه ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ المسعودي (م) فقرة ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، (ث) ، ٢٤٩ الاصطخري (مخطوط القسطنطينية ، ذكر في الحدود ، ٤٠٠ ، ٤٠٢) ابن حوقل ، ٣٤٨ حدود العالم ، ١٤٤ ، ٤٠٠ - ٤٠٢ ، وو . برتولد ، « خزر » في الموسوعة الاسلامية ، ج٢ ، ص ٩٩١ (١)

(١٠٣٩) يحتمل أن يحمل لقباً هو أيضاً : حول ملوك آخرين لهم الاسم ذاته في هذه الأصقاع ، انظر ابن حوقل ، ٣٥٤ - ٣٥٥ .

(١٠٤٠) ابن حوقل ، « الصناري » ، المعروف بسنحاريب في طاعة بلايجانشاه (ليزان) ، الداخل في طاعة شروان شاه المزيدي ، كما نعلم (ماتقدم ، حاشية ١٤٩٦ ، ١٤٩٥) .

(١٠٤١) املاءات متباينة : شكي،شكي ، شكى ، شكن . انظر ابن خرداذبه ، ١٢٣ ابن الفقيه ، ٢٨٨ ، ٢٩٣ ، المسعودي (م) ، فقرة ٥٠٠ ، الاصطخري ١١٠ (ومخطوط القسطنطينية ، ذكر في حدود العالم ، ٤٠٠ ، ٤٠٢) ابن حوقل ، ٣٤٢ ، ٣٥٤، المقدسي ، ٥١ ، ٣٧٦ حدود العالم ، ٧٧ ، ١٤٤ ، ٣٩٨ و ف . مينورسكي في الموسوعة الاسلامية ، ج٤ ، ص ٣٥٨ - ٣٦٠

(١٠٤٢) حول القبق عامة ، انظر ابن خرداذبه ، ١٢٣ ، ١٧٣ ، ابن رسته ، ١٤٨ ، ابن الفقيه ، ٢٥ ، ٢٨٦ ، ٢٩٥،المسعودي (م) فقرة ٤٤٢ وما يليها ، (ت) ، ٩٤ ، ٢٤٩ ، الهمداني ، ١٢٦ ، الاصطخري ، ١١٣ ، ابن حوقل ، ٧ ، ١٦ ، ٣٤٥ ، ٣٤٩ ، ٣٧١،المقدسي ، ٣٧٥ (تدوين عن كثرة الألسنة ، لكن دون تسمية جبل القبق) ، حدود العالم ، ٦٧ ، ١٤٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٣١٨ ، ٤٠٩ ، ٤١١ ، و س . فان ارندونك ، في الموسوعة الاسلامية ، ج٢ ، ص ٦٣٢ - ٦٣٣ .

(١٠٤٣) ابن حوقل ، ٣٥٤ (المسافري مرزبان بن محمد) . يجوز لنا ، نظراً لموقع شكي ، أن نعتبر أن هذه التبعية تمر بشروان شاه المزيدي (ماتقدم ص ٢٦٠ ، حاشية ١٤٩٥ : انظر ف . مينورسكي ، في الموسوعة الاسلامية ، ج٤ ، ص ٣٥٩ (١) .

(١٠٤٤) أو ضعف الواقع .

(١٠٤٥) المسعودي (م) فقرة ٤٤٣ .

(١٠٤٦) ابن حوقل ، ١٦٩ انظر ماتقدم ، ١٩١/١ –١٩٢ ، والشكل ٢١ .

(١٠٤٧) ابن خرداذبه ، ، ١٧٣ (ابن الفقيه ، ٢٩٥) ، ينازع فيه المسعودي (م) فقرة ٥٠٣ ، الهمداني ، ١٢٦ (الذي ينطلق من اليمن) ، حدود العالم ، ٦٧ ، ٢٠٣ – ٢٠٤ .

(١٠٤٨) انظر س . فان ارندونك ، ذكر من قبل ، وما تقدم ، ٤٠/١ .

(١٠٤٩) القرآن ، ١٨ / ٥٩ وما يليها . انظر ابن خرداذبه ، ١٢٤ ، ابن الفقيه ، ٢٨٧ ، المقدسي ، ٤٦ ، حدود العالم ، ٤٤٩ .

(١٠٥٠) ماتقدم ، حاشية ١٤٩٥ ، حاشية ١٥٠٥ ، ح ١٥٣٢ . نضيف الغنم الذي يفترضه انتاج الصوف في ليزان : انظر ماتقدم ، ص ٨/٢ .

(١٠٥١) المسعودي (م) ، فقرة ٤٤٦ .

(١٠٥٢) المسعودي (م) ، ذكر من قبل .

(١٠٥٣) ابن الفقيه ، ٢٩٥ ، لكن مع تبسيط الخريطة الاتية : وجبل القبق متصل ببلاد الروم (افهم الآس : انظر الحدود ، ٤٤٥) إلى حد الخزر والان ، ويتصل ببلاد الصقالبة . وفيه أيضاً جنس من الصقالبة ، والباقون أرمن .

(١٠٥٤) المسعودي (م) فقرة ٤٤٢ – ٤٤٣ .

(١٠٥٥) ابن حوقل، ٣٤٩ (ويجمع الكثير فيهم لسان واحد) : لعبت لغة الاوار –الافر– في الواقع شيئاً فشيئاً دور اللغة الأساسية : انظر حدود العالم ٤٤٧ ، و ﻫ . كاريردنكوس – ا – بيننغسن ، « اوار » ، في الموسوعة الإسلامية (٢) ، ج١ ، ص ٧٧٨ .

(١٠٥٦) المقدسي ، ٣٧٥ (دون ذكر اسم قبق ، صراحة) .

(١٠٥٧) المسعودي (م) فقرة ٤٤٢ – ٤٤٣ .

(١٠٥٨) ابن خرداذبه ، ١٢٣ (كرره وفصله ابن الفقيه ، ٢٨٦ آخرها – ٢٩٢) .

(١٠٥٩) ابن الفقيه ، ٢٨٦ آخرها – ٢٨٧ ، يقول ان ١١٠ من القصور بأيدي دار الاسلام .

(١٠٦٠) مثال : الزريكران (المسعودي (م) ،) فقرة ٤٧٧ وما تقدم ، ١٣/٢ .

(١٠٦١) مثال : الخزر الذين يغير عليهم الأفر (المسعودي (م) ، فقرة ٤٧٨ ، وما تقدم ، ص ١٤/٢) .

(١٥٦٢) المسعودي (م) فقرة ٥٠٤ .

(١٥٦٣) انظر أيضاً مايلي الفصل التاسع ، بحث ياجوج وماجوج .

(١٥٦٤) المسعودي (م) ، ذكر من قبل ، ترجمة بيلا معدلة قليلا . ابرزنا المقطع نحن . يعثر على نهاية النص في المسعودي (ت) ٥٠٧ ، مكثفاً أكثر .

(١٥٦٥) لاننسى أنه آخر الأنبياء ، « خاتمهم » .

(١٥٦٦) ماتقدم ، ١٤/١ وما يليها وما يلي ، الفصل الحادي عشر .

(١٥٦٧) ماتقدم ، ٧/٢ .

(١٥٦٨) ربما ماعدا الجرمي (انظر حدود العالم ، ٤٢٣ ، ح١) والمسعودي (م) ، فقرة ٤٥٥ (انظر مايلي ، ح ١٥٨٣) و ح ١٧٤٥) ، ٤٨٣ — ٤٨٥ (ماتقدم حاشية ١٥٦٠)

(١٥٦٩) الرئيسيين على الأقل : انظر م . كانار ، ترجمة ابن فضلان ، ٤٤ — ٤٥ .

(١٥٧٠) ربما حسب مسلم الجرمي : حول هذا الجرمي ، انظر جغرافية ج١، ٢٨/١ وحدود العالم ، ٤١٩ .

(١٥٧١) ينقل كتاب حدود العالم بعض المعطيات عن الاصطخري : انظر حدود العالم ، ١٦١ ، وما يلي حاشية ١٥٨٦ . وابانت لنا تصنيفات مينورسكي تصنيف هذه المعطيات : (حدود العالم ، أماكن متفرقة) و ا . هريك ، في الموسوعة الاسلامية (٢) ج١ ، ص ١٣٤٥.مع ذلك يعطي هذا التصنيف في أفضل الاحتمالات خطاً دليلياً لايجوز رسمه بعنف شديد .

(١٥٧٢) يتميز المسعودي بتداخل ، غامض في الغالب ، للمعطيات المكانية والتاريخية . انظر حدود العالم ، ٤٦٩ ، في كلامه عن ولندره (درسوا مع بلغار دنبه) . سوف نورد هذه المعطيات (الضئيلة جداً) عن بلغار نهر اتل بطريقة عابرة : انظر مايلي ،حاشية ١٥٨٣ ، و ح ١٥٩٢ .

(١٥٧٣) ابن رسته ، ٩٨ ، ١٤٠ — ١٤٢ ، ١٤٥ حدود العالم ، ٧٥ ، ٨١ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٣ (انظر ح١) ، ١٨١ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٣١٢ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٦٠ — ٤٦١ .

(١٥٧٤) يتحدث ابن رسته ، ١٤١ ، على التوالي عن الخزر والصقالبة ، ثم عن الخزر

والروسية ، ويجمعهم ويعتبرهم جيراناً في كل مرة.بالتالي ، المقصود الروسية فعلا ، وربما الصلاوية بدقة (انظر ٨٩/٢) .

(١٠٧٥) الاحالة هنا اما إلى بقايا مملكة قديمة ، أو إلى أقوام بجناكية بقيت في هذه النواحي : انظر ماتقدم ، ص ٢١٦ – ٢١٧ .

(١٠٧٦) ربما مع تطبيق المقايضة الصامتة : المسعودي (م) ، فقرة ١٤٢٠ .

(١٠٧٧) حدود العالم، ١٦٢، ٤٦٠ (لاريب ان لهذا اللسان علاقة بلغة تشوفاش الحالية ، « جنس خاص وشاذ جداً من القبائل التركية ») . قارن بالاصطخري ، ١٣١ (ابن حوقل ، ٣٩٦) : ولسان البلغار كلسان الخزر .

(١٠٧٨) ابن رسته ، ١٤١ آخرها ، يقول « إذا جاءتهم سفن المسلمين للتجارة » : مراكب يجهزها تجار مسلمون على نهر اتل ؟

(١٠٧٩) ابن رسته ، ١٤١ ، حدود العالم ، ١٦٢ ، ٤٦١ .

(١٠٨٠) ابن رسته ، ١٤٢ .

(١٠٨١) ابن رسته ، ١٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ – ١٣٢ ، ابن حوقل ، ١٥ ، ١١٠ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٩٨ ، المقدسي ، ٣٢٤ آخرها – ٣٢٥ ، ٣٦١

(١٠٨٢) خلنج : انظر ماتقدم ، حاشية ١٣٣٠ آخرها .

(١٠٨٣) حملت تدوينات نص ابن رسته الخاصة بدار الاسلام إلى الاعتقاد بأنها متأخرة عن سفارة بن فضلان (٣٠٩ هـ / ٩٢٣ م) : ابن رسته ، ترجمة ١٥٨ ، ح ٤ ، وهذا يعني أننا ننسى أن البلغار لم ينتظروا سفارة ابن فضلان ليعرفوا الاسلام : فقد كان هدف هذه السفارة الرسمي ، كما سنقول فيما بعد ، ايضاح وتصحيح (انظر عادة السجود العلماني) الاسلام الموجود من قبل . ويذكر المسعودي أن اعتناق ملك البلغار الاسلام يرتبط بحلم رآه في خلافة المقتدر . وفي عهد هذا الخليفة بالذات ، تمت سفارة ابن فضلان الى البلغار الذين اسلموا سطحياً على الاقل و يدل هذا التفصيل على ضعف الثقة (انظر ابن فضلان ، ترجمة ١٤٤) التي يجب اعطاؤها هنا إلى نص المسعودي : (م) ، فقرة ٢٩٥ ، ٤٥٤ معلومات عن نهر اتل) ، ٤٥٥ (علاقات بخوارزم والروس ، دار الاسلام) ، ٤٥٦ (اعتناق الاسلام) ، ٤٥٧ (قصر الليالي في بلد البلغار) ، المقصود بلغار اتل . في (م) ، فقرة ٢٨٠ ، ٤٥٦ ، المقصود بلغار دنبه (مع تدوين مشكوك فيه عن اعتناق هؤلاء البلغار الاسلام المتنصرين في الحقيقة : انظر هـ . اينلسيك ، « بلغارية » في الموسوعة

الاسلامية (٢) ، ج١ ، ص ١٣٤٢ ، وحدود العالم ، ٤٢٣ ، ٤٤١ (حاشية ٥) ، ٤٦٨ (ح٦) . أما التدوين عن دار مملكة البلغار ، « على بحر مايطس » ، فيمكن أن يشير إما إلى ذكرى مشوشة عن المنازل البلغارية الأولى في كوبان (ماتقدم ، حاشية ١٥٦٨) ، وإما إلى النواحي الغربية من بحر بنطس (الذي ظن أنه بحر مايطس) وبالتالي إلى بلغار دنبه .

(١٥٨٤) قرينة أخرى : تقديمهم جنود للجهاد المقدس في آخر القرن : انظر مايلي .

(١٥٨٥) حذار من الخلط بينه وبين الأمة التي تحمل الاسم ذاته : ماتقدم ، حاشية ١٥٢٠ .

(١٥٨٦) يضيف كتاب حدود العالم (لعله يأخذ عن الاصطخري ، لكن بعد تعديله) إلى رقم ابن رسته ، ويتقيد به في النواحي الأخرى : حدود العالم ، ١٦٣ (فقرة ٥٣ ، ١ - ٢ و ح ١) ، ٤٦١ .

(١٥٨٧) ابن حوقل ، ١٥ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٨ .

(١٥٨٨) بقيادة سفياتوسلاف ، ملك كييف (يحدد ابن حوقل في الواقع تاريخ سماعه بالخبر : ٣٥٨ ﻫ / ٩٦٩ م) . حصلت غارة أخرى في عام ٣٧٥ ﻫ / ٩٨٥ م . انظر هربلك ، ذكر من قبل ، في الموسوعة الإسلامية (٢) ج١ ، ص ١٣٤٨ ، وحدود العالم ، ٤٣٩ ، حاشية ١ .

(١٥٨٩) سنجد فيما بعد أن ابن حوقل متفائل (ص ٢٨٧ آخرها - ٢٨٨) .

(١٥٩٠) وحتى أفضل من الخزر : انظر هربلك ، ذكر والمرجع ذاته .

(١٥٩١) الاصطخري ، ١٣٠ ، ابن حوقل ، ٣٩٣ ، وما يلي في بحث الخزر .

(١٥٩٢) المسعودي (م) ، فقرة ٤٥٧ (مناخ بلغار ومناخ قطبي . تدوين عائد للقدر) ، (ت) ، ٢٩٩ ، الاصطخري ، ١٣٢ ، ابن حوقل ، ٣٩٧ ، المقدسي ، ٣٦١

(١٥٩٣) انظر جغرافية ، ج١ ، ٢٢٧/١ - ٢٣٥ ، و م . كانار ، « ابن فضلان » ، في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج٣ ، ص ٧٨٢ .

(١٥٩٤) انظر م . كانار ، في ترجمة ابن فضلان ، مذكور من قبل ، ٤٤ - ٤٧ . س . كاهين (« غز » في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج٢ ، ص ١١٣٣) يرسم محورين : خزر خوارزم من جهة ، وبلغار غز من جهة أخرى : انظر ابن فضلان ، ١٠٣ آخرها - ١٠٤ (يصحح في مقال س . كاهين « قزوين » ويجمل « بحر ارال ») .

(١٠٩٥) حول معنى هذا اللفظ ، الواسع جداً ، انظر م . كانار ، ذكر من قبل ، ص ٤٩ ، ح ٢٧ ، ٦١/٢ . يعتقد مينورسكي (تاريخ شروان ودربند ، كبريدج ١٩٥٨ ، ص ١٠٩ — ١١٠) أن تعبير « ملك الصقالبة » الذي يطلق على ملك البلغار ، يجب أن يفهم « الملك (الحاكم على حدود) الصقالبة » — الا أن هذا التفسير المعقد جداً يتعارض مع تطبيق لفظ « الصقالبة في حالات غير الحالة الدقيقة التي ذكرها مينورسكي : فابن فضلان يقول : ... صقالبة البلغار » .

(١٠٩٦) سوف نذكر في الحواشي التالية ، بغية تحقيق مزيد من التسهيل ، احالة إلى ترجمة كانار ، بعد الاحالة إلى النص العربي ، ونصرف النظر عن اضافة ابن فضلان .

(١٠٩٧) انظر كانار في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ذكر من قبل ، وجغرافية ، ج١ ، ج٦٤٣ .

مع ذلك ، الا نبالغ إذا اعتبرنا أن شخصاً آخر غير ابن فضلان دس هذا العجيب ، ان صح ان هذا العجيب عجيب حقاً : انظر جغرادفية ، ج١ ، ٢٣٢/١ — ٢٣٣

(١٠٩٨) ص ٦٧ — ١١٠ / ٤٩ — ٨٦ (الطريق من بغداد إلى بلد البلغار) ، ١١٣ — ١٢٢ / ٨٦ — ٩٥ (الاستقبال ، النزول ، قضايا اعتناق الاسلام وطرائف) ، ١٤٥ — ١٤٦ / ١١٥ — ١١٦ (ظرف السياسة الخارجية التي سببت الاستعانة بالخليفة ببغداد) . بعد ص ١٤٩ / ١١٦ ، تبدأ التفاصيل عن الروس والخزر . ويعثر على التدوينات الخاصة « بالتزامن » ، لكنها نادرة ، في نصوص « تطورية زمنية » (ص ١١٣ — ١٤٦ / ٨٦ — ١١٦) : طبعاً ، جمعناها ، وأخذناها بعين الاعتبار في الدراسة التزامنية .

(١٠٩٩) ص ١٢٣ / ٩٥ .

(١١٠٠) انظر جغرافية ، ج١ ، ١/ ٢٣٢ — ٢٣٣ . .

(١١٠١) سنعطي في سياق بحثنا احالات أكثر تفصيلا ، ونكتفي هنا بأن نشير ، مع ترجمة كانار ، إلى القيم الكمية . المناخ وعناصر الطقس (لها مكانة ممتازة ، اضافة إلى ذلك ، لأنها تفتتح لائحة هذا « العجيب » : انظر مايلي ، حاشية ١١٠٤) : ص ٩٥ — ٩٩ و ١٠٤ ، المجموع ٨١ سطراً . النبات : ٩٩ — ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١١٢ — ١١٣ . النبات : ٨٦ ، ١٠٠ — ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١١ مجموع الحيوان والنبات : ٤٨ + ٣٢ = ٨٠ سطراً .

(١١٠٢) عادات اجتماعية (بما فيها العدالة وبعض الممارسات السحرية) : ٨٦ ، ٩٩ ، ١٠٤ — ١٠٦ ، المجموع ٥٩ سطراً . مواضيع ملكية : ٨٧ — ٨٩ (مندرجة كما نرى في السرد الزمني) ، ١٠١ ، ١٠٢ — ١٠٣ ، المجموع ٤١ سطراً . الغذاء : ٨٩ ، ١٠٠ —

١٠٢ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، المجموع : ٣٣ سطراً . تنظيم داخلي في المجتمع عامة : ١٠٧ ، ١١٠ — ١١١ ، ١١٥ ، المجموع : ٣١ سطراً . العلاقات الخارجية (مع ذلك على حدود السرد الزمني) : ١١٥ ، المجموع : ٢١ سطراً .

(١٦٠٣) طوبوغرافية : ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، المجموع : ١٦ سطراً . التجارة : ١٠٦ — ١٠٧ آخرها — ١٠٨ ، المجموع : ٦ — ٧ س .

(١٦٠٤) انظر ماتقدم ، حاشية ١٦٠١ .

(١٦٠٥) ص ١٣٤ — ١٣٥ / ١٠٦ — ١٠٧ ، و ١٣٦ / ١٠٧ آخرها ١٠٨ .

(١٦٠٦) في ناحية مدينتي بلغار وصور ، اللتين لم تكونا بعد موجودتين في عهد ابن فضلان .

(١٦٠٧) ص ١٣٥ آخرها — ١٣٦ / ١٠٧ (س ١٩ — ٢٥) ، و ١٤٠ — ١٤١ / ١١٠ (س ٢٠ — ٢٢) ، ١١١ (س ١٥ — ٢٠) ، ١١٢ (س ١)

(١٦٠٨) قارن بتعاظم قوة البلغار اللاحق ، مع اخضاع البشجرت : ماتقدم ، ٢/ ٢٥ خرها .

(١٦٠٩) ص ١٤٥ / ١١٥ (س ٩ — ١١ و ١٨ — ٣٢ ، والباقي خاص بتاريخ البعثة بالذات) .

(١٦١٠) ص ١٣٥ / ١٠٧ (س ٣ — ٩ ، مع معطيات عن المساعدة التي قدمتها البعثة) ، ١٤٠ — ١٤١ / ١١٠ (س ٢٠ — ٢٤) — ١١١ (س١ — ١٤) ، ١٤٥ / ١١٥ (س ١٣ — ١٧ و ١٧ — ٢٨) .

(١٦١١) ماتقدم ، ٢/١٢ . اعتنقوا الاسلام سطحياً .

(١٦١٢) حذار من الخلط مع مدينة صور التي تأسست فيما بعد ، أو مع الأمة التي تحدثنا عنها من قبل ، ٢/١٣ . في الحالة الراهنة ، صواز « اسم قديم لشعب تشوفاش » . انظر ابن فضلان ، ترجمة ، ١١٠ ، حاشية ٢٦٢ ، وما تقدم ، حاشية ١٥٧٧ . قسم من جماعة صواز متمرد أصلا على السلطة الملكية . حول التقسيم إلى أربع قبائل ، وهو تقليد في العالم التركي المنغولي ، انظر ابن فضلان ، ترجمة ، ٨٦ ، حاشية ١٧٠ .

(١٦١٣) انظر فيما يلي . يأخذ الملك من كل بيت في كل سنة جلد سمور : ص ١٢٩ / ١٠١ (س ١٨ — ١٩) .

(١٦١٤) في الاحالات التالية ، التي تحيل إلى مقاطع من نص الاستقبال ، عزلنا النقاط

المتعلقة بأصول التصرف الملكية الدقيقة ، بصرف النظر عن المواقف المطلوبة ، في هذه الحالة ، إذ ان السفارة المستقبلة آتية من بغداد : وجوب الوقوف أثناء قراءة رسالة الخليفة ، تسبيح لله ، الخ . المقاطع المقصودة هنا هي التالية : ص ١١٣ — ١١٧ / ٨٧ (س ٦ — ٧ و ٢٨ — ٣٠) ، ٨٧ (س ٣٥) ، — ٨٨ (س ١ — ٣) ٨٨ و (س ٥ — ٢٥) ، ٨٩ (س١و ٦ — ٩) ، ١٢٩ — ١٣٠ / ١٠١ (س ١٦ — ٥)— ١٠٢ (س ١) ، ١٣١ / ١٠٢ (س ١٩) — ١٠٣ (س ١١) ، ١٠٣ (س ١٣ — ١٥)

(١٦١٥) ص ١١٣ / ٨٦ (ذكر بسيط للخبز والذرة في نطاق احتمالات الاستقبال) ، ١١٦ — ١١٧ / ٨٩ (ذكر شراب العسل) المذكور من قبل) ، ١٢٨ / ١٠٠ (س ٢٠ — ٢٤) ، ١٢٩ / ١٠١ (س ٩ — ١٦) ، ١٣٠ / ١٠٢ (س ١ — ١٨) ، ١٣٤ / ١٠٦ (س ١٩ — ٢٠) ، ١٤٣ / ١٤٤ (س ١ — ٥ : سوء الحالة الصحية عامة ، وخاصة آلام الأمعاء المزمنة . رغم أن ابن فضلان لايحدد السبب ، لايسعنا إلا أن نصنف هذه الأمراض في مواضيع الأغذية) .

(١٦١٦) ماتقدم ، ٢٦/٢ .

(١٦١٧) ١٣١ / ١٠٣ (س ١٢) .

(١٦١٨) ص ١٣١ / ١٠٢ (س ١٩ وحاشية ١٢٢٥ ، ١٣٤ ، ١٠٦ (س ٦) .

(١٦١٩) ص ١٣١ / ١٣٢ / ١٠٤ (س ١ — ٩ و حاشية ٢٢٩ — ٢٣٠) .

١٦٢٠) تستطيع أرملته أن تتزوج منذ ذلك الوقت : ص ١٤٣ / ١١٤ (س ٦ — ٢٩)— — ١١٥ (س ١ — ٨) .

(١٦٢١) ص ١١٣ — / ٨٦ (س ١٣ —١٤) (في اطار قصة الاستقبال) ، ١٢٧ / ٩٩ (س ١٦ — ١٩) ، ١٣٢ — ١٣٤ / ١٠٤ (س ١١ — ١٩) — ١٠٥ — ١٠٦— (س ١ — ١٨) .

(١٦٢٢) اشرنا من قبل إلى هذا التناقض بين الاباحية وصرامة العقوبات : ماتقدم ، ٢٩٨/١ — ٢٩٩ (مع الفارق بأن البلغار لايقصدون الفسخ بالمعنى الضيق : تمّ العملية لابواسطة الشجر ، بل المرن ، بواسطة أوتاد معدن ، مثبتة في الأرض ، ويشق المذنب بالفأس طولانياً) .

(١٦٢٣) توحي فعلا بهذا الطباق ، الذهنية البلغارية ، التي يذكرها ابن فضلان هنا بالذات من قبل ، في حديثه عن عقوبة القتل غير المقصود . فالهواء ، فضاء الموت (فسخ ، تعليق الجثث) هو فضاء الاتصال بين الأرض والسماء ، وفضاء ماوراء الطبيعة للاتصال بين الحي ونقيضه الموت والمقدس .

(١٦٢٤) ص ١١٣ / ٨٦ (س ١٤) ، ١٢٨ – ١٢٩ / ١٠٠ (س ٩ – ٢٤) – ١٠١ (س ١ – ١٦) ، ١٣٢ – ١٠٥ (س ١) ، ١٤١ / ١١١ (س ٢٠ – ٢١) .

(١٦٢٥) مثال نموذجي عن هذه الآليات : وصف جذع شجرة يأتي بصورة طبيعية بعد وصف الحيات التي تعيش بين الأشجار ويخلط بينها وبين جذوع الشجر .

(١٦٢٦) خدنك أو خلنج : ابن فضلان ، ترجمة ، ١٠٥ ، ١١١ (حاشية ٢٦٧) ، ١١٢ (مقطع ثقتنا به ضعيفة ، لم ندونه في احالاتنا) ، وما تقدم ، حاشية ١٣٣٠) .

(١٦٢٧) ص ١٢٧ – ١٢٨ / ٩٩ (س ١٦ – ٢٨) – ١٠٠ (س ١ - ٥) ، ١٢٩ / ١٠١ (س ١٥) ، ١٣٠ / ١٠٢ (س ١٠ ، ١١) ، ١٣٤ / ١٠٦ (س ١٩ – ٢٠) ١٤١ – ١٤٢ / ١١٢ – ١١٣ . بالنسبة إلى التلميحات ، نعطي مثالا الحصان الواضح جداً لأنه لايذكر عادة بهذا الاسم ، إذا لم أكن مخطئاً : ص ١٢٩ / ١٠١ (س ١٥) و ١٤٢ / ١١٢ (س ١٧ – ١٨) ، يدعى دابة فقط .

ص ١١٣ / ٨٦ (س ١٧) ، ١٣٧ / ١٠٨ (س ١٧) وأماكن متفرقة . انها أفعال بسيطة (نزل عن الحصان ، ركب (الحصان) التي تدل على وجود الحيوان .

(١٦٢٨) انظر ابن فضلان ، ترجمة ، ص ١١٣ ، حاشية ٢٧١ ، وما تقدم ، حاشية ١٣٤١ .

(١٦٢٩) ص ١٢٣ – ١٢٧ / ٩٥ (س ١٦ وما يليه) – ٩٩ (س ١ – ١٥) ، ١٣٢ / ١٠٤ (س ١٠ – ١١) . مع ذلك يلاحظ أن س ٢ – ٤ من ص ٩٧ لاتشكل الا صيغة ثانية عما تقدم .

(١٦٣٠) حول تفسير الظاهرة (الفجر القطبي والأساطير الشمالية) ، انظر ترجمة ، ص ٩٦ ، حاشية ١٩٨ . حول موقف الواصف الفكري ، الذي يتحدث لا عن أشكال حقيقية ، بل عن صور ، أشياء رجال وحيوانات أو أسلحة ، انظر جغرافية ، ج١ ، ٢٣٤/١ (وقارن على مستوى آخر برؤيا القديس يوحنا) . وصف ماركو بولو أيضاً بالتفصيل ضجيج « أرواح » السماء . وصف العالم ، طبعة ل . همبيس ، باريس ، ١٩٥٥ ، ص ٦٥ – ٦٦ .

(١٦٣١) ماتقدم ، ٢٧/٢ . القدر موضوع أدب (انظر المسعودي (م) ، فقرة ٤٥٧ ، وابن فضلان ، ترجمة ٩٨ ، حاشية ٢٠٤) ، لكن اختبر هنا بالعيان .

(١٦٣٢) انظر مايلي حاشية ١٦٣٥ .

(١٦٣٣) انظر الفصل ٢ و ١١ ، أماكن متفرقة .

(١٦٣٤) انظر الاخوان ، ١ ، ١٧٥ ، عن بعد البلغار عن الاقليم الأوسط ، الرابع (بعد يجعلهم بشعين ومتوحشين) .

(١٦٣٥) النجاحات الافرادية لهذا الشخص أو ذاك (انظر ترجمة ، ٩٠ ، ١٠٧) لاتمنع ، كما رأينا ، مقومات المجتمع بمجمله . حول الصعوبات السياسية التي اصطدمت بها السفارة ، انظر ترجمة ، ص ٩٠ آخرها – ٩٥ (و ١٨٩ آخرها) ، ١٤٣ .

(١٦٣٦) انظر جغرافية ، ج١ ، ٢٣١/١ وما يليها .

(١٦٣٧) ابن رسته ، ١٤٠ – ١٤١ ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٥٤ ، ٤٦١ ، (ت) ، ٩٣ – ٩٤ ، الاصطخري ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ابن حوقل ، ٣٩٣ – ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨ ، حدود العالم ، ٧٥ ، ٨٣ ، ١٠١ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٣١٤ ، ٣١٥ (ح١) ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦٢ – ٤٦٥ ، و و . برتولد – س. كلكيجيه ، في الموسوعة الإسلامية (٢) ، ج١ ، ص ١٣٧٨ .

(١٦٣٨) لكن اي بجناك ؟ انظر ماتقدم ، ١/ ٢٧٨ – ٢٧٩ ، وحاشية ١٥٧٥

(١٦٣٩) بصرف النظر عن التخريبات الناشئة عن الغارات الروسية (ابن حوقل ، ٣٩٣ آخرها ، ٣٩٨) : انظر ماتقدم ، ص ٢٦/٢ آخرها .

(١٦٤٠) حدود العالم ، ١٦٢ ، يذكر مملكتين منفصلتين ، وهذا خطأ واضح : انظر المرجع ذاته ، ٤٦٣ .

(١٦٤١) خلنج (ابن رسته ، ١٤١) : انظر ماتقدم ، حاشية ١٦٢٦ .

(١٦٤٢) اذن،أثر تحضير . الاصطخري ، ١٣١ ، وابن حوقل ، ٣٩٦ ، يتحدثان عن « بيوت خشب » لكن الحدود عن « خيم مغطاة بالبد » : انظر ماتقدم ، حاشية ١٣٢٥ .

(١٦٤٣) خلنجي (المسعودي (ت) ، ٩٣) حرفياً : بمظهر الخلنج (عن هذا الخشب ، انظر الاحالة اعلاه ، حاشية ١٦٤١) . حول المظهر المعلن ، انظر ابن فضلان ، ترجمة ، حاشية ٦٧ ٢ آخرها . حول نوع الثعلب الذي يمكن تعيينه بهذا اللفظ ، انظر ماتقدم ، حاشية ١٣٣٩ آخرها .

(١٦٤٤) الذي يستقي نفسه من مصدر مجهول : انظر حدود العالم ، ٦٣٤

(١٦٤٤مكرر) ابن خرداذبه ، ٥ ، ١٦ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٣ ، ١٧٣ ، اليعقوبي ، ٢٣٤ ، ٢٦٢ ، قدامه ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ – ٢٦١ ،

ابن رسته ، ٩٨ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٣٩ - ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ابن الفقيه ، ٣ ، ٦ ، ٧ ، ١٤٥ ، ١٩٣ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٨٧ - ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٣٠ ، ابن فضلان ، ١٠٤ ، ١١٩ ، ١٤٥ ، ١٦٩ - ١٧٢ ، (ترجمة ، ٧٩ ، ٩١ ، (و ح ١٨٤) ، ١١٥ ، ١٣٥ - ١٤٢) ، المسعودي (م) ، فقرة ٢٩٥ - ٢٩٦ ، ٤٤٢ ، ٤٤٧ - ٤٥٤ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ - ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٧٨ ، ٤٩٣ ، ٩٠٧ (ت) ، ٨ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٢٠ ، ١٩١ - ١٩٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٥ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥٧ ، ٢٩٩ ، المقدسي ، ج٤ ، ٦٢ ، ابراهيم بن يعقوب (ص) ، ٧ ، الاصطخري ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ - ١٩ ، ١١٠ ، ١٢٨ - ١٣٢ ، ١٦٨ ، ابن حوقل ، ٧ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٣٢٠ ، ٣٣٩ ، ٣٤٧ ، ٣٨٣ ، ٣٨٩ - ٣٩٨ ، ٤٧٧ - ٤٧٨ ، ٤٨٢ ، المقدسي ٣٦٠ - ٣٦١ حدود العالم ، ٥٣ ، ٦٧ ، ٧٥ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١٢١ ، ١٤٢ ، ١٦٠ ، ١٦١ - ١٦٢ ، ١٨٠ ، ٢٠٣ ، ٣٢٣ - ٣٢٤ ، ٤١١ (ح١) ، ٤٣٩ ، ٤٥٠ - ٤٥٧ ، و . برتولد ، في الموسوعة الاسلامية ، ج٢ ، ص ٩٩٠ - ٩٩٢ ، ا . بوبا (مذكور فيما يلي ، حاشية ١٩٢٦) ، و س . سريسرمن ، « اكتشاف بلد الخزر » ، في حوليات اقتصاد اجتماع تجارة ، ٢٥ روماني (٣) ، أيار حزيران ١٩٧٠ ، ص ٨١٨ - ٨٢٤ .

(١٦٤٥) يتميز المسعودي ببعض الالتباس ، شأنه في البلغار (ماتقدم ، حاشية ١٥٧١) فيجعل مثلا ، في (م) ، فقرة ٤٩٣ ، جيران الخزر كلا من الغز باسم بجنى : ماتقدم ، حاشية ١٣٠٥) والجيناك ، وأيضاً البشجرت (حول النوكرده ، انظر ماتقدم ، ٢٨٦/١) . وتقدم لنا هذه الأقوام كمالشين بسلام مع الخزر ومحاربين أشداء في الوقت ذاته . لاشك أن المسعودي الذي يستقي من ابن فضلان انظر برتولد ، في الموسوعة الاسلامية ، ج٢ ، ص ٩٩١ (٢)) يخلط هنا وهناك المعطيات مع غيرها .

(١٦٤٦) يلهمه ابن فضلان . ويحتمل أن يكون ابن فضلان قد استوحى من معلومات جمعها عن الخزر أثناء بعثته إلى البلغار (انظر م . كانار ، ترجمة ، ١٣٥ ، حاشية ٣٦٢) . لكن طرح كموسكو (ذكره كتاب الحدود ، ٤٥١) فرضية مرجع مشترك لنصي الاصطخري وابن فضلان .

(١٦٤٧) ابن خرداذبه ، ١٢٢ آخرها ، ابن فضلان ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، قدامه ، ٢٥٩ آخرها - ٢٦١ ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٤٢ ، وما تقدم ، ١٢/٢٥١٠/٢ ، ٢٠/٢ .

(١٦٤٨) ابن الفقيه ، ٢٩٤ ، وما تقدم ، ١٢/٢ .

(١٦٤٩) المسعودي (م) ، فقرة ٢٩٥ ، ٤٥٨ - ٤٦١ ، ابن حوقل ، ٣٩٢ - ٣٩٤ ، المقدسي ، ٣٦١ ، وما تقدم ، (حاشية ١٢٧٨ ، و ٢٦/٢ .

(١٦٥٠) ابن خرداذبه ، ١٥٥ ، قدامه ، ٢٥٥ .

(١٦٥١) ابن الفقيه ، ٣ ، حول هذه البلدان ، انظر الفصل ٩ .

(١٦٥٢) ابن الفقيه ، ٣ ، ٦ ، ابن رسته ، ٩٨ .

(١٦٥٣) ابن رسته ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٥٨ ، ٤٧٨ ، ٤٩٣ (انظر ماتقدم ، حاشية ١٦٤٥) ، الاصطخري ، ١٩ ، ١٣٠ ، ابن حوقل ، ١٥ ، ٣٩٤ . حول البجناك ، انظر ، حاشية ١٦٣٨ .

(١٦٥٤) ابن فضلان ، ١٦٩ ، ترجمة ١٣٦ (و ١٤٢ ، النص الأخير لايرد في نسخة الدهان) .

(١٦٥٥) ماعدا مدينة اتل ، التي تطغى على الضفة الثانية كما سنرى .

(١٦٥٦) المسعودي (ت) ، ٢٢٥ . يلاحظ أيضاً وجود فرق خزر في الحرس الملكي : ابن رسته ، ١٢٠ ، ١٢٤ لهم فرق أيضاً في بغداد : اليعقوبي ، ٢٦٢ .

(١٦٥٧) حول البلغار ، انظر ماتقدم ، ٢٩/٢ آخرها - ٣٠ .

(١٦٥٧مكرر) ابن خرداذبه ، ٢٢٤ ، ابن الفقيه ، ٢٨٩ ، ٢٩٥ ، ابن رسته ، ١٤٧ ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٤٧ ما تقدم ، ١٠/٢ ١٣/٢ .

(١٦٥٨) انظر د . م . دنلوب ، « بحر الخزر » في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج٢ ، ص ٩٥٩ - ٩٦٠ .

(١٦٥٩) ابن رسته ، ١٣٩ ، الاصطخري ، ١٢٨ آخرها - ١٢٩ ، ابن حوقل ، ٣٨٩ . حول المطر ، انظر ابن خرداذبه ، ١٥٦ (سنعود إلى موضوع سواحل « بحر الخزر » والروم في بحث الروم (الفصل ٨) مع توضيحات ابن خرداذبه) .

(١٦٦٠) على الأقل قبل التخريبات الروسية : اصطخري ، ١٣٠ ، ابن حوقل ، ٣٩٣ (٤٠٠٠٠ كرمة) . سمندر واقعة في وادي سلق الأسفل .

(١٦٦١) ابن خرداذبه ، ١٢٤ ، ابن رسته ، ١٤١ ، المسعودي (م) ، الفقرة ٢٩٥ - ٢٩٦ ، ٤٤٧ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦١ ، (ت) ، ٩٣ ، ٩٩ ، الاصطخري ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ابن حوقل ، ٣٨٩ ، ٣٩٣ ، المقدسي ، ٣٦٠ -

٣٦١ ، حدود العالم ، ٧٥ ، ٢١٦. في المسعودي (ت)، ٩٤، صورة غامضة تدل على « نهر الخزر » ، هي : اوم ادم : امبا ! تيرك (ارم : انظر حدود العالم ، ٤٠١ .

(١٦٦٢) المقدسي ، ذكر من قبل ، يتحدث حتى عن نهرين ، اتل ، ونهر آخر الذي يجيء «من جهة الرحاب »، أي من النواحي المسلمة في جبل القبق .

(١٦٦٣) حول اتصال تنس – اتل ، الذي يتقاطع نفسه مع موضوع اتصال أوسع بين بحر مايطس وبحر قزوين ، انظر المسعودي (م) ، فقرة ، ٤٥٥ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ – ٤٦٢ ، (ت) ، ٩٨ – ٩٩ ، و د . م – دنلوب ، « بحر مايطس » ، في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج ١ ، ص ٩٦٢ .

(١٦٦٤) ماعدا الاحالات المعطاة فيما تقدم ، حاشية ١٦٦١ ، انظر ، ٢٧٥/١ ح ١٢٧٦ .

(١٦٦٥) لاحظ تناقضات المسعودي (م) ، فقرة ٤٥٤ و ٤٦١ الذي يشير الى وجود سفن الخزرية وينكره على التوالي .

(١٦٦٦) حول قضية أصول الخزر ، انظر د . م . دنلوب ، تاريخ الخزر اليهود ، برنستون ، ١٩٥٤ ، ص ٤ وما يليها و ٣٤ وما يليها (ذكره م . كانار في ابن فضلان ، ترجمة ، ٤٥ ، حاشية ١) .

(١٦٦٧) ابن فضلان (اختلاف عند أمين رازي : ترجمة ، حاشية ٣٧٦) ، المسعودي (ت)، ١٢٠ (باعتبار الخزر أتراك ، يدخلون في « الأمة » الخامسة حسب تصنيف العصور القديمة . ويسمون سبير (انظر ماتقدم ، ١٤/٢ بالتركية وخزران بالفارسية .)

(١٦٦٨) الاصطخري ، ١٣٠ ، ابن حوقل ، ٣٩٣ ، مع ذلك وردت في الاصطخري ، ١٣١ آخرها وابن حوقل ، ٣٩٤ ، صلة لسانية بلغارية خزرية : انظر ابن فضلان ، ترجمة ، ٤٥ ، حدود العالم ، ٤٥١ ، ا . هربك ، « بلغار » ، في الموسوعة الاسلامية (٢) ج ٤ ، ص ٩٥٢ (٢) .

(١٦٦٩) ابن فضلان (اختلاف أمين رازي : ترجمة ، حاشية ٣٧٦) ، الاصطخري، ١٣١ ، ابن حوقل ، ٣٩٤ (لايرد لفظ اقخزر ، الخزر البيض ، في النص ، بل النعت

«بيض» وحده). والمعلومات واردة بجانب بعضها في النصوص الجغرافية التي لاتوضح أين يكمن الاختلاف وفي أي من الخصائص المشار إليها . يلاحظ أن كتاب حدود العالم ١٦٢ أن طولاس ولوغر ناحيتان خزريتان . . طولاس يحيل في الواقع إلى قسم من أمة اللان

(ماتقدم ، ١٦/٢) ويجب أن يقرأ (انظر حدود العالم ، ٤٥٦) اللفظ الثاني اوغاز ، وهو صيغة أخرى لابخاز ، الأبخاز (ما تقدم ، ١٧/٢) .

(١٦٧٠) الاصطخري ، ١٣١ ، ابن حوقل ، ٣٩٤ — ٣٩٥ ، ٣٩٧ .

(١٦٧١) الاصطخري ، ١٢٩ — ١٣٠ ، ابن حوقل ، ٣٩٢ ، المقدسي ، ٣٦١ .

(١٦٧٢) ادام ، بلا تفصيل اضافي : المقدسي ، ٣٦١ (اختلاف : ادمهم من السمك) . لكن لفظ ادم (أو ادام) يشير على حد سواء إلى مايؤكل مع الخبز (ويمكن في النهاية أن يكون غذ أساسياً : ومن هنا معنى الزاد) أو إلى ما يحسن الخبز أو أي غذاء أساسي آخر (بهارات ، مرق : انظر دوزي ، ذكر من قبل ، ج١ ، ص ١٤) .

(١٦٧٣) المقدسي ، ذكر من قبل ، : خبزهم الأثير . يبدو أن المعنى أن خبزهم شهير ، أو ممتاز (أو معلم بخطوط ، أو ثلوم في العجين) .الا أن«ال» تثر قضية (مع ذلك ، النص غير موثوق تماماً : ذكر من قبل حاشية ه) ، كأنه يحيل إلى فئة معينة من الخبز . وتفيد اضافة من السمك إلى خبزهم والسمك (خبزهم الأثير وادامهم من السمك) : فهل يطلبون خبزهم الجيد والبهارات من السمك !) قد نضطر أن نرى وراء الجذر أثر الجذر ادم ، في التحليل الأخير في هذا النص المحرف ، الذي تختلط فيه عدة صيغ ، ونتجه عندئذ نحو صيغة قديمة أعطت الصفة ذاتها للبهارات والمآكل التي ترافق سائر الأطعمة ، للخبز و السمك معاً . وفي جميع الأحوال ، يهم بحثنا وجود الخبز لا نوعيته .

(١٦٧٤) المسعودي (ت) ، ١٢٠ .

(١٦٧٥) ابن رسته ، ١٣٩ — ١٤٠ ، المقدسي ، ج٤ ، ٦٢ ، الاصطخري ، ١٨ آخرها ، ١٢٩ ، ابن حوقل ، ١٥ ، ٣٩٢ ، المقدسي ، ٣٦٠ — ٣٦١ .

(١٦٧٦) حرفياً : رستاق ، جمعه رساتيق .

(١٦٧٧) انتاجه ضعيف قلما يكون بهذه الأساليب : المقدسي ، ٣٦١ ، يذكر أنها قشفة يابسة لا نعم ولا فواكه .

(١٦٧٨) ابن خرداذبه ، ١٢٤ ، ١٥٤ ، ابن رسته ، ١٣٩ — ١٤٠ ، ابن فضلان ، ١٧٢ (ترجمة ، ١٤٠ — ١٤١ (و ح ٣٧٨) ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٤٧ ، ٤٥٢ ، (ت) ، ٩٣ ، الاصطخري ، ١٢٩ — ١٣٠ ، ابن حوقل ، ١٥ ، ٣٨٩ — ٣٩٠ ، ٣٩٢ — ٣٩٣ ، المقدسي ، ٣٦٠ — ٣٦١ (الذي يجعل اتل وخزران مدينتين مختلفتين ، حدود العالم ، ١٦١ — ١٦٢ ، ٤٥١ آخرها — ٤٥٤ و د . م . دنلوب في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج١ ص ٧٦٠ . يقال أحياناً بأن المدينة الملكية واقعة في

جزيرة ، مما يعطينا ثلاث مدن : المسعودي (م) ، فقرة ٤٤٧ . حول مقطع شاذ قبلياً عند الاصطخري ، ١٣٠ ، وابن حوقل ، ٣٩٤ ، انظر ماتقدم ، حاشية ١٥١١

(١٦٧٩) وليس خمليج (انظر حدود العالم ، ٤٥٤) . هذا الاسم يجب قراءته وراء صور خنليج عند ابن رسته ، ١٣٩ آخرها (انظر حدود العالم ، ذكر من قبل) وختلج (انظر حدود العالم ، ذكر من قبل وما تقدم ، حاشية ١٣٠٧)

(١٦٨٠) المقدسي، ٣٦١ ، يميز هنا بين الخيم و بيين الخيم المسماة خركاهات : حول هذه الكلمة ، انظر ماتقدم ، حاشية ١٢٩٦ ، حاشية ١٣٢٤ .

(١٦٨١) اجر : الاصطخري ، ١٢٩ ، ابن حوقل ، ٣٩٠ .

(١٦٨٢) ابن خرداذبه ، ١٢٤ ، اليعقوبي ، ٢٣٤ ، ابن رسته ، ١٤١ ، ابن الفقيه، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٩٨ ، ابن فضلان ، ١٤٥ ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٥٨ ، ٤٩٥ ، (ت) ، ٩٣ ، الاصطخري ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٧٠ ، ابن حوقل ، ٣٨٣ ، ٣٨٨ ، ٣٩٢ ، ٣٩٧ ، ٤٨٢ ، حدود العالم ، ١٢١ ، ١٦١ . عند ابن حوقل ، ترجمة ٣٧٨ ، يحذف نعت « نشيطة (« الملاحة التجارية فيه (بحر الخزر) نشيطة ») : يقول النص العربي يركب فيه (ابن حوقل ، ٣٨٨ ، نقلا عن الاصطخري ، ١٢٨) .

(١٦٨٣) ماتقدم ، ٢/ ٤١

(١٦٨٤) الاصطخري ، ١٣١ ، ابن حوقل ، ٣٩٤ .

(١٦٨٥)لاتتحدث نصوص الجغرافية في جميع الأحوال عن تجار خزر. أما المسلمون، انظر المسعودي (م) ، فقرة ٤٩٥ ، والروس ، لاباعتبارهم مصدرين ، بل تجاراً يجوبون العالم (سنعود إلى هذا الموضوع فيما بعد ، عندما نعالج بلدهم) ، انظر ابن خرداذبه ، ١٥٤ ، ابن الفقيه ، ٢٧١ .

(١٦٨٦) حدود العالم ، ١٦١ ، ١٦٢ (تأتي ثروة الملك من الرسوم البحرية خاصة) .

(١٦٨٧) بصرف النظر عن التخريبات الروسية : مهما قال ابن حوقل (انظر ماتقدم ، ٢/ ٢٦) سوف يزيد الخزر الصدمة أكثر من البلغار بكثير : انظر و . برتولد ، في الموسوعة الاسلامية ، ج٢ ، ص ٩٩١ – ٩٩٢ ، ا . هربك في الموسوعة الاسلامية (٢) ج١ ، ص ١٣٤٨ و ل . موسيه ، « الغزوات الكبرى » ، في الموسوعة العالمية ، باريس ، ج٩ (١٩٦٨) ، ص ٥٦ .

(١٦٨٨) وهكذا نجد المحورين السياسيين الذين رسمهما س . كاهين (ماتقدم ،

حاشية ١٥٩٤) ، لكن يجب أن نلاحظ عندئذ أن الغارات على البلغار من قبل الخوارزميين أضرت في الواقع بتجارة الخزر . وقد أخذ المقطع الخاص بهذه الغارات من ابن حوقل ، ٣٩٢ آخرها . ولدى ابن حوقل مقطع آخر يتحدث عن العلاقات التجارية بين الخزر والروس ، لكنه في الواقع منقول عن الاصطخري (اصطخري ، ١٧٠) ، الذي أنهى تأليف كتابه حوالي ربع قرن قبل ذلك ، في منتصف القرن الرابع الهجري وتنطبق الملاحظة ذاتها على كتاب حدود العالم ، ١٢١ ، الذي نعرف أنه كتب حوالي ٣٧٢هـ / ٩٨٢ م ، ويستقي في الغالب من الاصطخري المقتضب جداً : انظر حدود العالم ، ٥٢) . ويبدي ابن حوقل دقة كبيرة في حالة ثالثة ، فيعطي دليلا واضحاً جداً على تقلبات طريق التجارة اتل — خوارزم ، لكن عبر جرجان ، إلى جنوب شرق بحر الخزر : الاصطخري ، ١٦٨ ، يقول لنا : « منها (خوارزم) تخرج القوافل إلى جرجان والخزر وإلى خراسان » . ويصبح النص عند ابن حوقل ، ص ٤٧٧ — ٤٧٨ : « منها (خوارزم) ، تخرج القوافل إلى جرجان (وكانت قوافلهم — أهل جرجان — تخرج إلى الخزر على مر الأيام ، وإلى خراسان » . وهكذا يبدو أن شيئاً من التاريخ يرتسم في هذا الكلام : أدت غارات قبائل الغز بلا شك إلى هجر طريق خوارزم اتل ، واتباع طريق أخرى أطول ، تمر عبر جرجان ، وتبعد كثيراً إلى الجنوب ، إلا أنها تمكن من الوصول إلى وادي نهر اتل الأسفل عبر سواحل بحر الخزر الجنوبية والغربية (تستبعد فرضية السير على السواحل الشرقية ، لأنه يقود إلى قلب بلد الغز ، ولا تعود الدورة الكبيرة عبر جرجان تتبرر) . اذن يجب أن نفكر أن « العلاقات » القائمة بالقوة بين خوارزم والبلغار ، جعلت المرور بجنوب بحر الخزر غير مفيد ، لأنها تجنبت عقبة الغز بالمرور من الشمال . بالتالي أصبحت طريق خوارزم جرجان اسلامية داخلية تماماً ، ليس لها امتداد دولي . لكن ربما وجب فهم قول ابن حوقل في جملته : وكانت . . . الأيام ، على أنها جملة معترضة لاصلة لها بالانطلاق من خوارزم : عندئذ تصبح اشارة إلى تخريبات الروس الذين أفسدوا العلاقات بين الخزر والنواحي الاسلامية في جبل القبق ، التي تعتبر ذاتها مراحل على طريق البلدان القريبة من بحر الخزر .

(١٦٨٩) انظر مايلي ، بحث ملكة الخزر .

(١٦٩٠) ابن رسته ، ١٤٠ ، ابن فضلان ، ١٧٢ ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٤٨ ، ٤٥٠ — ٤٥٢ ، الاصطخري ، ١٢٩ ، ابن حوقل ، ٣٢٠ ، ٣٩٠ ، المقدسي ، ٣٦٠

(١٦٩١) يعتبرها ابن حوقل ، ٣٩٠ ، أقوى . ثقل العرف الاسلامي حقيقي في جميع الأحوال : سنعود إليه فيما بعد .

(١٦٩٢) وليس كما يزعم المسعودي (م) ، فقرة ٤٥٠ ، « وهم ناقلة من نحو بلاد خوارزم » . انظر و . برتولد ف . مينورسكي ، « اللان » ، في الموسوعة الاسلامية(٢) ج١ ، ص ٣٦٥ : يقصد قبيلة قريبة من اللان ، على وجه الدقة .

(١٦٩٣) أيضاً ، حسب المسعودي (م) فقرة ذاتها ، أن تكون وزارة الملك فيهم . حول هذا « الوزير » الذي هو في الواقع زعيم المستوطنة الاسلامية ، انظر ابن فضلان ، ترجمة ، حاشية ٣٧٩ . نعثر مجدداً على موضوع اللارسية المختصين في القتال ضد غير المسلمين عند المسعودي (م) فقرة ٤٩٥ ، لكن تلميحاً فقط .

(١٦٩٤) ابن رسته ، ١٣٩ (دين مماثل « لدين الغز ») ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٤٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، الاصطخري ، ١٣١ ، ابن حوقل ، ٣٩٤ ، المقدسي ، ٣٦٠ ، حدود العالم ، ١٦٢ .

(١٦٩٥) المسعودي (م) ، فقرة ٤٥٢ ، الاصطخري ، ١٢٩ ، ابن حوقل ، ٣٩٠ (يصحح الاصطخري ويعطي المسلمين وحدهم امتياز أقوى جماعة) ، المقدسي ، ٣٦٠ .

(١٦٩٦) ابن رسته ، ١٣٩ ، ابن الفقيه ، ٢٩٨ ، ابن فضلان ، ترجمة ، ١٤١ — ١٤٢ (نص عربي غير وارد في نسخة دهان) ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٤٧ — ٤٤٨ ، المقدسي ، ج٤ ، ٦٢ ، الاصطخري ، ١٢٩ ، ابن حوقل ، ٣٩٠ ، المقدسي ، ٣٦٠ — ٣٦١ (مقطعان : الخزر أسلموا بعدما كانوا يهوداً : انظر بهذا الشأن ، دحض و . برتولد في الموسوعة الاسلامية ، ج٢ ، ص ٩٩١ .

(١٦٩٧) المسعودي (م) ، فقرة ٤٤٩ (الذي يقول إذا مات الرجل احترقت معه امرأته ، وهي في الحياة — لكن لايحرق الرجال — وهذا فعل من أفعال الهند) ، الاصطخري ، ١٢٩ ، ابن حوقل ، ٣٩٠ ، وما تقدم ، ص ٢٩٦/١ — ٢٩٨، ٢٥/٢، ٣٢/٢. نجد أيضاً خصائص مماثلة في عالمي الصقالبة والروس . أخيراً ، ودوما في خصائص الخزر ، نضيف مايقوله ابن الفقيه ٣٣٠ ، في اطار توزيع الخصال الحميدة والمثالب على الأمم في العالم : ولا في الخزر حياء .

(١٦٩٨) المسعودي (م) ، فقرة ٤٥١ ، الاصطخري ، ١٢٩ ، ابن حوقل ، ٣٩٠ — ٣٩٢ (مع توضيح الحكم الملكي : الحكم بالدم) ، حدود العالم ، ١٦٢ ، وما يلي ، ص ٢٩٩ ، حاشية ١٧٢١) .

(١٦٩٩) يوجد ١٠٠٠٠ مسلم و ٣٠ مسجداً حسب الاصطخري ، ١٢٩ ، وابن حوقل ، ٣٩٠ — ٣٩٢ .

(١٧٠٠) ملاحظة المسعودي ، المذكورة فيما تقدم ، ٤٥/٢ ، هامة جداً من هذه الناحية .

(١٧٠١) ابن خرداذبه ، ١٥٤ (تعشير الروم للتجار الروس : كرره ابن الفقيه ، ٢٧١ . انظر أيضاً ابن حوقل ٣٩٢ آخرها . إلا أن دفع العشر يبدو عائداً للماضي :

فهل هذا نتيجة تفوق الروس في الناحية بعد غاراتهم التي تحدثنا عنها !) ، ابن رسته ، ١٤٠ (وظف،لكهم الفرسان على أهل القوة واليسارمنهم:قارن بما تقدم،ص ٢/٢٥) ابن فضلان ، ١٤٥ (يؤدي ملك البلغار ضريبة جلد سمور على كل بيت ، ويأخذ بالمقابل عشر التجارات المحمولة من الخزر على نهر اتل) ، الاصطخري ، ١٢٩ (ابن حوقل ، ٣٩٠ : ضرائب عينية ، رسوم ، عشر التجارات الآتية براً وبحراً وبالأنهار) ، ابن حوقل ، ٣٩٦ (ضرائب تجبى من جميع الناس) ، حدود العالم ، ١٦٢ (تعتمد ثروة الخزينة الملكية على الرسوم البحرية) .

(١٧٠٢) ابن رسته ، ١٤٠ ، ابن فضلان ، ١٧٢ ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٥٠ — ٤٥١ ، الاصطخري ، ١٢٩ ،

(١٧٠٣) انظر ماتقدم ، حاشية ١٦٥٦ .

(١٧٠٤) ابن رسته ، ذكر من قبل .

(١٧٠٥) قلنا منذ قليل أن هذا نوع من الضريبة .

(١٧٠٦) بقيت موارد الغنائم : ابن رسته ، ١٤٠ .

(١٧٠٧) احالات عامة إلى البحوث الموسعة التالية : ابن خرداذبه ، ١٦ ، ١٦٣ ، ابن رسته ، ١٣٩ ، ١٤٩ ، ابن فضلان ، ١٦٩ — ١٧٢ (ترجمة ١٣٥ — ١٤٠) ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٥٣ ، الاصطخري ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ابن حوقل ، ٣٩٠ ، ٣٩٥ — ٣٩٦ ، حدود العالم ، ١٦١ .

(١٧٠٨) مع بعض الانطماسات أحياناً : انظر مايلي ، حاشية ١٧١٢ ، حاشية ١٧٢١ و ١٧٢٢ .

(١٧٠٩) حول اسم آخر ، ايشا (ابن رسته ، ١٣٩) ، انظر ابن الفقيه ، ترجمة ، حاشية ٣٦٤ .

(١٧١١) انظر ابن فضلان ، ترجمة ، حاشية ٣٦٧ .

(١٧١١) انظر ابن فضلان ، ترجمة ٣٦٦ ، وحدود العالم ، ٣٢٣ — ٣٢٤ .

(١٧١٢) يتعارض نصا الاصطخري وابن حوقل : الملك يقيم الخاقان — الخاقان يقيم الملك ، وجود خطاب اقامة — لاوجود خطاب اقامة . بعد قليل ، الخنق بالحريرة : يطبق على الخاقان — يطبق على الملك ، قبلياً،وعلى الأقل بالنسبة إلى النقطتين الأوليين ، نثق بنص ابن حوقل ، الأكمل ، الذي يحترم سلطة الخاقان ، التي لاسلطة فوقها — يلح

على هذه الناحية كثيراً ، وتعتبر بديهية جداً . انظر مع ذلك مايلي ، حاشية ١٧١٤ .
بشأن القضية ذاتها ، بما يختص بطقس الخنق ، انظر مايلي ، حاشية ١٧٦٦

(١٧١٣) ابن خرداذبه ، ١٦٣ (كرره ابن رسته ، ١٤٩) يجعل منه اسماً علماً فيما يبدو ، حدود العالم ، ١٦١ ، يجعله لقباً .

(١٧١٤) لكن من يختار الخاقان ؟ اذا تقيدنا بنص الاصطخري ، « الملك يقيم الخاقان » (يزعم ابن حوقل العكس ، كما رأينا) . في جميع الأحوال ، يمكن الدفاع عن موقف الاصطخري ، مادام منصب الخاقان يرتبط بشخص لابوراثة سلالية ، وتؤول إقامة الشخص الأجدر إلى تكريس مبدأ الاختيار ، إن لم يكن الاصطفاء (انظر نص ابن حوقل ، ٣٩٦ : نوع من اختيار الشعب للشاب الفقير في السوق) في انتقاء الخاقان . فما دام الخاقان لاينصب تطبيقاً لمبدأ سلالي ، لابد في النهاية أن يقيمه شخص (ومن غير الملك ؟) في منصبه . وجملة القول ، اذا أخذنا بصيغتي الاصطخري وابن حوقل دون أن نحاول بيان تعارضهما ، يؤول نصاهما إلى نظام اقامة متبادل بين الملك والخاقان .

(١٧١٥) المسعودي (م) ، فقرة ٤٤٧ ، الاصطخري ، ١٢٩ ، ابن حوقل ، ٣٩٠ .

(١٧١٦) في جوف قصرين ، على حد قول المسعودي (م) ، فقرة ٤٥٣ .

(١٧١٧) ابن فضلان ، ١٦٩ (ترجمة ، ١٣٥ — ١٣٦ ، وحاشية ٣٦٣) يعتبر هذا الخروج نظاميا : كل أربعة أشهر .

(١٧١٨) المسعودي (م) ، فقرة ٤٥٣ ينكر على الخاقان حق الانتقال على الدواب .

(١٧١٩) ابن فضلان ، ترجمة ، حاشية ٣٧٧ .

(١٧٢٠) حتى لو (لم توضح النصوص هذه الناحية ، يبدو الملك ، حسب الأعراف التركية المنغولية ، صاحب سلطة الاله الأكبر ، الانسان الملك الذي يمثل الاله الملك (تنغرى : ماتقدم، ص ١/٣٠١) : انظر م . الياد، مفصل تاريخ الأديان، باريس، ١٩٥٣، ص ٦٥ — ٦٧ (الذي يشدد على أن « الانفعالية والسكون من صفات الملك الأكبر : ملك السماء ، ملك الأرض ، الخاقان المحصور ، كما رأينا ، في داخل قصره (ما تقدم ، حاشية ١٧١٦) كالاله الأكبر في وسط السماء) . حول بحث الالهة الدنيا ، الخاضعة للاله الأكبر ، انظر ابن فضلان (اختلاف امين فارس : ترجمة ، حاشية ٣٧٦) ، وقارنه بما قيل عن بشجرت ، ص ٢٣٩ وما يليها .

(١٧٢١) ابن فضلان ، ترجمة ، حاشية ٣٧٧ . المقصود الخاقان ، على الرغم من لفظ ملك الذي يستعمله الاصطخري ، ١٢٩ ، وابن حوقل ، ٣٩٠ : انظر حدود العالم ، ١٦١ — ١٦٢ . مع ذلك تحيل التفصيلات عند الاصطخري وابن حوقل إلى ملك منعزل :

يتقدم المتداعون إلى قضاة دينهم (ما تقدم ، ٤٦/٢) ، إلا أن الدخول على الملك لايسمح به إلا لرسول بينه وبين هيئة المحكمة .

(١٧٢٢) يقول ابن حوقل صراحة : بقضاء الله .

(١٧٢٣) الاصطخري ، ١٣١ ، يطبق على الخاقان طقس الخنق ، وابن حوقل ، ٣٩٥ ، على الملك : يبدو أن هذا البعد الزمني ، المقدس بين سائر الأبعاد ، لايمكن تطبيقه إلا على شخص أنيط به على الأرض تمثيل السلطة الالهية العليا . والافتراض الآخر هو أن الموت العنيف يرتبط بمنصب الخاقان فيما يبدو ، كمجازفة دائمة ، إذ يخشى الا يقوم الخاقان بدوره كوسيط بين الالهي والانساني على الوجه الصحيح : مر معنا اعدامه في حالة الانكسار أو القحط . في جميع الأحوال ، يقطع م . كانار في الموضوع لصالح الخاقان (ابن فضلان ، ترجمة ، حاشية ٣٧٦ ، مع احالة إلى د . م . دنلوب ، تاريخ الخزر اليهود ، برنستون ، ١٩٥٤ ، ص ٩٧) . ابن فضلان ، ١٧٢ ، يحدد مدة الملك « للملك » بأربعين سنة ، ويعطي تفسيراً عقلانياً : يقتلون الملك متى بلغ هذا الحد من ملكه ، لأنهم يحترسون من قدراته العقلية بعد ذلك .

(١٧٢٤) انظر قيمة عالمية أخرى للرقم ٤ عند البلغار : ابن فضلان ، ترجمة ٨٦ ، حاشية ١٧٠ ، مذكورة فيما تقدم ، حاشية ١٦١٢ . نذكر ، بالنسبة إلى المدينة وأبوابها الأربعة المفتوحة على الجهات الأصلية ، النموذج الصيني : أخبار الصين والهند ، فقرة ٣٣ ، حاشية ٤ (ذكرت من قبل ، حاشية ٦٢٨ .

(١٧٢٥) انظر حاشية م . كانار المهمة جداً في ابن فضلان ، ترجمة حاشية ٣٦٩ — ٣٧٠ .

(١٧٢٦) بشأن هذه التفصيلات وما يليها (ص ٣٠٣ وما يليها) ، يجب الرجوع إلى الخلاصات التاريخية الجديدة في مؤلف ا . بوبا (مذكور فيما يلي ، حاشية ١٩٢٤) .

(١٧٢٧) انظر ماتقدم ، ٢٧٩/١ .

(٢٧١٨) حول هؤلاء البجناك ، انظر ابن رسته ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، المسعودي (م) ، فقرة ٢٨٠ ، ٤٩٣ ، ٤٩٦ ، (ت) ١٩٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، الاصطخري ، ١٨ ، ١٣١ آخرها ، ١٣٢ ، ابن حوقل ، ١٥ ، ١١٣ ، ١٩٩ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ابراهيم (ص) ٦ — ٧ ، حدود العالم ، ٦٧ ، ٨٣ ، ١٦٠ ، ٤٤٢ — ٤٤٤ ، م . كنار ، في ابن فضلان ، ترجمة ٨٣ ، حاشية ١٦٠ ، ف . بجراكترفيه ، في الموسوعة الاسلامية ، ج٣ ، ص ١١٠٧ — ١١٠٨ ، و ب . دياكونو ، البجناك في الدانوب الأسفل ، بوكارست ، ١٩٧٠ . سنجد البجناك فيما بعد في بحث ولندره

(١٧٢٩) ابن حوقل ، ١٥ ، ١١٣ ، لابد أنه التباس مع الغارات البلغارية ، التي ستتحدث عنها فيما بعد (أو إلمام غامض جداً بغارات سابقة جداً (يقول النص العربي : قديماً) ، خاصة غارات اللان التي توالت في القرن الخامس على « فرنسة والأندلس ») . انظر أيضاً مايلي ، ص ٣٦٢ وحاشية ٢٠٨٤ .

(١٧٣٠) المسعودي (ت) ، ١٩٤ .

(١٧٣١) الاصطخري ، ١٣١ آخرها ، ابن حوقل ، ٣٩٦ .

(١٧٣٢) سنجد فيما بعد مراوة مع الصقالبة . حول مراوة الكبرى ، انظر ر . بورتال ، الصقالبة ، باريس ، ١٩٦٥ ، ص ١٣ ، ٢٦ ، ٧٩ .

(١٧٣٣) ماتقدم ، ١/٢٧٥ - ٢٧٨ .

(١٧٣٤) ماتقدم ، حاشية ١٢٦٦ ، وإليها نحيل في التفصيلات اللاحقة .

(١٧٣٥) يتعلق بالبشجرت : انظر حدود العالم ، ٣١٩ - ٣٢٠ . النص المقصود : ابن رسته ، ١٤٢ - ١٤٣ .

(١٧٣٦) يترافق بحر مايطس وبحر بنطس في الغالب في الجغرافية العربية . ويحسب كلاهما من بحر الروم وملحقاته) ، أحد بحار العالم الكبيرة : انظر د . م . دنلوب في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج١ ، ص ٩٦٢ (٢) و ٩٦٤ (١) .

(١٧٣٧) أقوام « صقلبية » على حد قول ابن رسته . لاشك أنه لايجوز اعطاء أهمية زائدة إلى هذا اللفظ هنا : انظر ماتقدم ، حاشية ١٥٩٥) .

(١٧٣٨) كرخ ، كرج : انظر ماتقدم ، حاشية ١٥١٣ ، وحدود العالم ، ٣٢ ، ١٨٢ ، ٣٢١ (ح١) يؤيد ذكر هذه المدينة أقصى شرق القرم ، موقع المجغرية في ليبيديا . يصحح في ترجمة وايت ، « قرصنة » (يغيرون على الصقالبة فيسيرون بالسبايا على حد قول النص العربي) . وفيما بعد : « فيسيرون (المجغرية) بالسبايا مع الساحل حتى يأتوا بهم مرقى بلاد الروم (يقال له كرخ... فاذا سارت المجغرية بالسبايا إلى كرخ خرجت إليها الروم ، فسوقوا هناك ودفعوا إليهم الرقيق ... » . لايبرر استعمال الماضي (يستعمل الماضي التام في العربية عادة في جملة مزدوجة بها اذا) .

(١٧٣٩) المسعودي (م) ، فقرة ٣١٣ (مجرد تعداد القبائل التركية) مشكوك بها : بشجرت أو مجغرية ؟ المسعودي (م) ، فقرة ٤٩٣ و (ت) ٢٤٥ تتناولان المجغرية على الأصح فيما يبدو : سنعود إلى هذا الموضوع في بحث ولندره .

(١٧٤٠) الاصطخري ، ١٣١ آخرها – ١٣٢ ، ابن حوقل ، ٣٩٦ ، ٢٩٨ . يعثر مجدداً على اجتماع البشجرت والبجناك ، وكذلك على موضوع مجاورة مملكة الروم ، في ابن حوقل ، ١٩٤ (مقطع طريف لم يرد عند الاصطخري) ، ويبدو أن هذا الاجتماع يرجح في هذا النص أيضاً كفة المجغرية . حول تحديد بشجرت الداخل – مجغرية « شمال بحر بنطس » ، (اتلكوزو) ، انظر حدود العالم ، ٣١٩ ، حاشية ٣ .

(١٧٤١) حدود العالم ، ١٠١ ، ٣١٧ – ٣٢٤ وأماكن متفرقة .

(١٧٤٢) ابرز ناشر كتاب حد د العالم (ص ٢٣٢) هذه الغرابة . مع ذلك يلاحظ وجود حكم مسبق اجمالي على البشجرت عند ابن فضلان ، ١٠٧ – ١٠٨ (هم قذرون وقساة ووثنيون : انظر ماتقدم ، ٢٧٨/١) .

(١٧٤٣) حدود العالم ، ١٠١ ، ١٦٢ آخرها و ٣٢٠ (س ١٧ – ١٩) ، يشار إلى بلغار (دنبه) المتنصرين من خلال لفظ فندر (ولندر : انظر مايلي) .

(١٧٤٤) يلمح المسعودي إليها تلميحاً بسيطاً في حديثه عن بوهيميا : انظر ٦٩/٢ بقي في النواحي الشمالية من بحر بنطس ، امة لم نتحدث عنها ، وهي غوط الكرخ . لكن يبدو أن النصوص الجغرافية لاتلحق بهم ضرراً حتّى ولو من بعيد: انظر المسعودي(ت)، ١٩٤ (و ح٢) ، حدود العالم ، ٤٤٠ (ح١) ، ٤٤٢ (ح٢) ، ٤٤٦ (ح٢ ، أصلا حسب مصدر أرمني) ، ٤٦٨ (حسب قائمة مطرانيات رومية) . .

(١٧٤٥) لعله بقي بعض آثار من هذه القصة الأولى لدى مؤلفينا : انظر المسعودي (م) فقرة ٤٥٥ (دار مملكة البلغار على ساحل بحر مايطس) وحدود العالم ، ٤٢٣ ، ح١ (في بحث نص مسلم الجرمي المفقود ، وهو مصدر ابن خرداذبه) .

(١٧٤٦) انظر الموسوعة الاسلامية (٢) ، ح١ ، ص ١٣٤٢ – ١٣٤٥ ، مقالي « باغاريا» و « بلغار » ل هـ . اينالسيك و ا . هربك ، و ر . برتال ، الصقالبة ، ذكر من قبل ، ص ٧ ، ٩ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٨ ، ٨١ ، ٩٤ – ٩٧ .

(١٧٤٧) المسعودي (م) ، فقرة ٢٨٠ (رسم بلغر) ، (ت) ، ٩٨ ، ٩٩ (مع فرضية اتصال نهر دنبه ونهر الشاش : اياكسارت ، سيحون) .

(١٧٤٨) ابن خرداذبه ، ١٠٥ ، ١٠٩ (انظر حدود العالم ، ٤٠ – ٤١) ، ابن الفقيه ، ٨٣ ، قدامه ، ٢٥٧ ، المسعودي (ت) ٥٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥٧ (حيث ورد تمييز بين بلغار وبرجان فقط) ، اصطخري ، ١٦ ، ١٧ ، ابن حوقل ، ١١ ، ١٢ . وردت تسمية البلغار الأعظم في الاصطخري ، ١٣٢ ، وابن حوقل ٣٩٧ آخرها .

(١٧٤٩) المسعودي (م) ، فقرة ٤٩٤ ، المسعودي (ت) ، ٢٤٩ ، يذكر معاً

البرجان (برغوند) والبلغار ، فيميزهم فيما يبدو عن القبائل التركية . يعتبرهم المسعودي (ت) ، ١٩٤ ، صقالبة .

(١٧٥٠) المسعودي (ت) ، ٩٩ ، ٢٤٦ (يجعلهم يعترفون بسلطة رومية) ، اصطخري ١٣٢ (ابن حوقل ، ٩٧ ، ٣٩٧ آخرها ، يكرر هذا النص الأخير ويصححه : نصارى أو مسلمون : قطعاً حصل التباس مع بلغار نهر اتل التالي ذكرهم (لم يذكروا عند الاصطخري ابن حوقل ، ٣٩٨ . ينطوي مع ذلك نصا الاصطخري وابن حوقل على بعض النواحي المشكوك بصحتها : انظر ترجمة في حدود العالم ، ٤٣٨ — ٤٣٩) . يلاحظ بشأن علاقات الروم والبلغار ، ذكر استقبال ملك الروم المعزول ، يوستنيان رينوتميت (٦٨٥— ٦٩٥ و ٧٠٥ — ٧١١) ،عند ملك البرجان (بلغار وليس برغوند ، كما نرجم كارادي فو) ، تربليس : المسعودي (ت) ، ٢٢٥) انظر ج . استروغورسكي ، تاريخ مملكة الروم بالألماني ، طبعة ثالثة ، مونيخ ، ١٩٦٣ ، ص ١١٩ ، والطبعة الفرنسية ، تاريخ المملكة البيزنطية ، باريس ، ١٩٦٩ ، ص ١٧٠ — ١٧١) .

(١٧٥١) المسعودي (ت) ، ١٩٤ (يصحبهم البجناك : انظر ماتقدم ، ٥٣/٢ . حول تاريخ علاقات البلغار والروم ، انظر مايلي ، ص ٣٠٧ ، حاشية ١٧٦٦ .

(١٧٥٢) ابن رسته ، ١٢٦ آخرها ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٥٦ ، ٤٩٧ (ت) ، ١٩٤ (محاربون بلغار يستخدمها الروم ضد البرجان ! وضد المسلمين) ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٦٣ (مع تمييز بين برجان وبلغار) ، الاصطخري ، ١٣٢ ، ابن حوقل ، ٣٩٧ آخرها ، المسعودي (ت) ، ١٩٥ ، يتحدث عن الحيلة التي لجأ إليها قسطنطين لكي يؤسس عاصمته ، وخدع بها ملك برجان . لايمكن أن يقصد البرغوند . بالتالي يجب التفكير بالبلغار ، لكن بالفارق التاريخي ذاته (بالنسبة إلى مجيء البلغار) وكذلك بالنسبة إلى الحصون .

(١٧٥٣) ابن الفقيه ، ٢٧٠ ، اصطخري ، ١٣٢ ، ابن حوقل ، ٣٩١ ، ٣٩٧ آخرها .

(١٧٥٤) المسعودي (م) ، فقرة ٤٥٦ (حول ذكر بلد الجلالقة ، انظر ماتقدم ، حاشية ١٧٢٩) ، ابن حوقل ، ١١٣ آخرها . يقصد ببحر الروم هنا ، بحر اذريس ، والدليل ذكر البندقية (فندية) . تقارن السمة المزعومة لغارات البجناك ، ماتقدم ، ٥٣/٢ (أصلا المقصود النص ذاته عند ابن حوقل الذي يضم إلى الامتين الصقالبة والنورمان) . تتضمن لائحة البلدان التي أصابتها الغارات البلغارية ، حسب ماجاء عند المسعودي ، (م) ، فقرة ٤٥٦ ، الجلالقة ، الأندلس رومية والفرنجة ، البرجان (يمكن ترجمتها هنا ببرغوند ، بسبب الاطار الذي يشمل أمماً من أوربة الغربية) . أخيراً يلاحظ أنه يجب أن يعطف على البلغار اتل في النص ذاته ، الكلمات التي نبرزها

في المقطع التالي : « والفارس ممن قد أسلم مع ذلك الملك يقاتل المائة من الفرسان والمائتين من الكفار » .

(١٧٥٥) ابن خرداذبه ، ١٧ .

(١٧٥٦) المسعودي (م) ، فقرة ٤٥٦ . مساحة أخرى رقمية في المرجع ذاته ، فقرة ١٣٦٦ : ٤٥٠٠٠٠ فرسخ مربع . الهمداني ، ٩ ، يضعهم في الاقليم السادس .

(١٧٥٧) التنوخي ، ذكر عند ابن فضلان ، ترجمة ، حاشية ٣١٢ آخرها (مقاربة مشار إليها مع العادة الروسية) ، انظر من أجل خصائص أخرى ، ماتقدم ، ٢٩٦/١ — ٢٩٨ ، ٣٢/٢ ، ٤٦/٢ .

(١٧٥٨) ابراهيم (ص) ، ٦ — ٧ / ١٧٥ — ١٧٩ .

(١٧٥٩) الذين أخذوا محل المجغرية في بلد اتلكوزو .

(١٧٦٠) لذلك يعالجهم البكري ، الذي حافظ نصه جزئياً على معطيات ابراهيم ، في نطاق بلدان الصقالبة العام . حول ترجمة الأناجيل هذه ، انظر ر . بورتال ، ذكر من قبل ، ص ٩٤ — ٩٥ ، و س . كاهين ، في تاريخ الحضارات العام ، ج٣ ، باريس ، ١٩٦٥ ، ص ١٨٠ — ١٨١ .

(١٧٦١) في هذه الفترة وحدها ، تضعف الثقة باخبار ابراهيم (أو أحد اخبارييه) على الأقل إذا صدقنا البكري : يتدخل هنا شخصياً (وبحدة) ويصرح بأنه استخلص من معطيات ابراهيم أن الحدث وقع عام ٣٠٠ / ٩١٢ م ، عندما كانت بيزنطية ليون السادس (٨٨٦ — ٩١٢) في الواقع في صراع مع مؤسس القوة البلغارية العظيم ، القيصر سيميون (٨٩٣ — ٩٢٧) . ويضيف البكري ، اعتماداً على مؤلفين آخرين ، أن التنصر تم في عهد بسيلوس (صور مختلفة : بسبوس) ، بسيوس : المقصود في الحقيقة بوريس) .

(١٧٦٢) وصيف شاه ، ١٢٣ — ١٢٤ . حول المصادر ، انظر ماركار ، Steifzüge ص ٢٠٤ .

(١٧٦٣) تبدو الخاصة متناقضة مع ماسبق ، كما نرى .

(١٧٦٤) المجغرية أو البجناك .

(١٧٦٥) حدود العالم ، ٥٣ (الموقع على بحر بنطس) ، ٦٧ (تلميح غامض إلى كريات غير المسماة) ، ٦٩ (تلميح إلى البلقان ، غير المسمى) ، ٧٩ (ذكر نهر يحتمل أن يكون مارتزا) ، ٨٣ ، ١٥٦ — ١٥٨ ، ١٦٠ ، ٢٠٥ ، ٣١٩ (ح٣) ، ٤٢٣ ، ٤٢٩ ، ٤٣٨ — ٤٤٠ ، ٤٤٢ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ .

(١٧٦٦) ملخص في كتاب الحدود ، ٤٤٠ . يتداخل التاريخ أيضاً ، فيخلط ازدهار البلغار بذكريات البداية الصعبة ، حيال بيزنطية . صحيح أنه يمكن أن نفكر (تاريخ حدود العالم ، ٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م) ، بشأن البرجان الذين يدفعون الضريبة العقارية ، لا ببلغارية القديمة ، بل بلغارية بعد سيميون ، التي أخضعتها بيزنطية عام ٩٧٢ . لكن يبدو أن المدة قصيرة قليلا بين الحدث وتسجيله (من ٩٧٢ إلى ٩٨٢) ، خاصة لمصنف ألف في فارس ، بعيداً عنهم ، ولا يخالجنا أدنى شك – في كتاب نقلي إلى حد كبير مثل حدود العالم ، حيث تعطى الأولوية إلى المعلومات المستقاة من المؤلفين الآخرين – أن المقطع المتعلق بالبرجان ينتمي إلى تقليد ابن خرداذبه (انظر مثلا ذكر تراقية ، ابن خرداذبه ، ١٠٥ ، ١٠٩ (مذكور فيما تقدم ، حاشية ١٧٤٨ ، وحدود العالم ، ١٥٧ . ومصنف ابن خرداذبه ، بنسختيه (٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م و ٢٧٢ هـ / ٨٨٥م) سبق كثيراً جداً عهد بوريس (٨٥٢ – ٨٨٩) الذي أعطى الدفع للازدهار البلغاري الأول : وتتأييد احالة ابن خرداذبه إلى أول عهد البرجان الصعب ، بالفترة التي يكتب فيها اخباريه ، الجرمي : ٢٢٨ هـ / ٨٤٢ م – ٢٣٣ هـ / ٨٤٧ م (انظر جغرافية ، ج١ ، ٢٨/١) .

(١٧٦٧) نحافظ على الاملاء الذي تبناه كارادي فوفي المسعودي (ت) .

(١٧٦٨) المسعودي (م) ، فقرة ٤٩٣ – ٤٩٧ .

(١٧٦٩) انظر المسعودي (م) ، فقرة ٤٩٥ .

(١٧٧٠) حول هاتين الامتين ، انظر ماتقدم ، ٢٨٤/١ – ٢٨٦ .

(١٧٧١) المسعودي (ت) ، ٢٢٤ – ٢٤٥ ، ٢٤٨ .

(١٧٧٢) حول هذا الاسم ، انظر حدود العالم ، ٤٢١ .

(١٧٧٣) حدود العالم ، ٨٢ ، ١٠١ ، ١٦٠ – ١٦٢ ، ٢٠٣ ، ٣٢٠ – ٣٢٤ ، ٤٢٣ ، ٤٤٠ – ٤٤٤ ، ٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٤٥٥ – ٤٧١ .

(١٧٧٤) يؤدي تأويل سيء للفظ ترسا (مسيحي أو ذليل) إلى جعل فندر أمة فقيرة وضعيفة ومرعوبة : حدود العالم ، ٤٦٨ (وحاشية ٦) .

(١٧٧٥) حول ذكريات أخرى غامضة عن فترة البداية ، انظر ماتقدم ، ص ٣٠٣ ، ح ١٧٤٧ .

(١٧٧٦) ماتقدم ، ٥٣/٢ .

(١٧٧٧) مما قد يؤدي إلى العثور على أثر لاسم اونوغندر في تسمية المجغرية الغربية : هنغار ، انظر حدود العالم ، ٤٦٧ ، حاشية ٣ .

(١٧٧٨) هذا اللفظ الذي استعملناه عدة مرات هو لمينورسكي : حدود العالم ، ٤٦٩ .

(١٧٧٩) للحصول على نظرة اجمالية ، نحيل إلى أبحاث ا . فيشيل في تاريخ العالم في موسوعة بليياد ، ج٢ ، باريس ، ١٩٦٤ ، ص ١١٠٥ وما يليها . ف . دفورنيك ، الصقالبة ، تاريخ وحضارة من العصور القديمة إلى مطلع العصر المعاصر ، ترجمة فرنسية لد . بافلفسكي و م . شبوليانسكي ، باريس ، ١٩٧٠ ، و ر . بورتال ، ذكر من قبل، ص ٢٥ وما يليها . جمع س . رابوبورت النصوص الرئيسية للجغرافيين، في المجلة الأوربية الشرقية السلافونية ، ٨ روماني ، (١٩٢٩ — ١٩٣٠) ، ص ٨٠ وما يليها و ٣٣١ وما يليها (ترجمة انكليزية) ، و ت . ليويكي zrodla Arabskie do dziejo Wslowianszcyny وروكلو — كراكو ، ج١ ، ١٩٥٦ (مع النص والترجمة البولونية واللاتينية والتعليق) . نذكر أيضاً ، للمؤلف ذاته ، « Jeszce o Wieletach Wopisie . . almas 'udiego » ، في Pam slowianski ، ٢ (١٩٥١) ، ص ١٠٧ — ١٢٠ (انظر المسعودي (م) ، ترجمة فقرة ٩٠٥ ، حاشية ١) ، ونشر نص ابراهيم بن يعقوب لت . كوالسكي ، ذكر من قبل .

(١٧٨٠) انظر ماتقدم ، حاشية ١٥٩٥ .

(١٧٨١) ابن خرداذبه ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٥٤ ، اليعقوبي ، ٢٣٧ ، ابن الفقيه ، ٢٩٥ ، ابن رسته ، ٩٨ ، ١٤١ ، ١٤٢ (جميع الصقالبة الذين يحيطون بالمجغرية : لايزال هؤلاء في نواحي بحر مايطس : ماتقدم ، ٢/٥٣ — ٥٤) ، المسعودي (م) ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، ٩٠٧ (ت) ، ١٥٧ ، الاصطخري ، ١٦ — ١٨ (يخترق بحر بنطس بلد الصقالبة) ، ابن حوقل ، ١١ — ١٣ ، ١٥ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١٩٩ آخرها ، ٣٩٢ اخرها ، المقدسي ، ٢٤٢ (وراء خوارزم) ، ٣٦٨ .

(١٧٨٢) ابن رسته ، ٩٨ .

(١٧٨٣) المسعودي (م) ، فقرة ٩٠٥ ، ٩٠٧ ، وبورتال ، ذكر من قبل ، ٢٥ — ٢٦ .

(١٧٨٤) حدود العالم ، ١٥٨ .

(١٧٨٥) ابراهيم (ص) ، ١ / ١٥٥ .

(١٧٨٦) ابن خرداذبه ، ٩٢ ، ٩٣ ، ابن الفقيه ، ٨٣ ، المسعودي ، (ت) ، ٣٩ ، ١٩٢ .

(١٧٨٧) ابن خرداذبه ، ١٠٥ ، ابن الفقيه ، ١٣٦ ، ١٤٥ ، ٢٩٥ ، المسعودي (ت) ١٩٤ ، الاصطخري ، ١٦ ، ١٨ ، ابن حوقل ، ٩ ، ١١ ، ١٣ .

(١٧٨٨) المسعودي (ت) ١٢٠ . انظر أيضاً المرجع ذاته ، ١٩٩ — ٢٠٠ .

(١٧٨٩) المسعودي (ت) ، ٢٤٦ — ٢٤٧ ، ٢٤٩ (فرنجة وصقالبة مع بلغار وروس وافر) .

(١٧٩٠) المسعودي (ت) ، ٥٢ (تصنيف مكرر ، بلا تلميح إلى الأقاليم ، المرجع ذاته ، ١٩٢) وما تقدم ، شكل ١٤ .

(١٧٩١) ابن خرداذبه ، ١٥٥ ، ابن الفقيه ، ٦ .

(١٧٩٢) ابن خرداذبه ، ٩٢ ، ابن الفقيه ، ٨٣ ، ابن الفقيه ، ١٣٦ ، يعلن أن مملكة الروم تمتد من أنطاكية إلى صقلية ومن قسطنطينية إلى توليه ، والغالب على أهلها الروي والصقلبي ، ويضيف أن الأندلس صقالبة . إلا أنه فيما بعد (ص ١٤٥) ، يكرر النص ذاته ويصححه قائلا الغالب عليها (أرض الروم) رومي وصقلبي وأندلسي .

(١٧٩٣) الاصطخري ، ١٨ ، ابن حوقل ، ١٥ ، ١١٠ (سعة هائلة بلا تفصيل) .

(١٧٩٤) المسعودي (ت) ، ٨٤ .

(١٧٩٥) ابن خرداذبه ، ٩٣ .

(١٧٩٦) ابن خرداذبه ، ١٢٤ ، ابن الفقيه ، ٢٧١ ، المسعودي (ت) ، ٨٨ .

(١٧٩٧) ابن خرداذبه ، ١٥٤ ، المسعودي (م) ، فقرة ٢١٥ ، ٢٧٨ ، (ت) ، ٩٩ ، ٢٤٨ — ٢٤٩ .

(١٧٩٨) أعطي هذا الاسم (المسعودي (ت) ، فقرة ٩٩) على أنه صقلبي محض . يبدو أنه يجب أن نجد فيه اسم روافد : موراڤا أو ملاڤا .

(١٧٩٩) المقصود (المسعودي (م)، فقرة ٢٧٨) في هذه الحالة ، صقالبة ، كما سوف نرى فيما بعد (ص ٣٢٢) ، وكما يقول المسعودي (ت) ٢٤٩ بدقة .

(١٨٠٠) نامجين . سنعود إلى هذه الكلمة فيما يلي أثناء القاء نظرة إجمالية على بلدان الصقالبة .

(١٨٠١) تفترض العصور القديمة اليونانية الرومانية أن نهر تنيس يتصل بهذه الأنهار : انظر بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٣٧٩ . حول دنبه ، انظر المسعودي (ت) ، ٩٩ ، ٢٤٨ — ٢٤٩ .

(١٨٠٢) الاصطخري ، ١٨ ، ابن حوقل ، ١٣ ، ١١٠ ، ١٩١ ، ٢٠٢ ، ٣٩٢ . لاتميز نظريتهم بين بحر بنطس وبحر مايطيس ، وتستلهم من التقليد الذي يرفع بحر مايطيس حتى النواحي الشمالية القصوى ، أي نواحي توليه : انظر د . م . دنلوب ، « بحر مايطيس » في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج١ ، ٩٦٢ ، والمسعودي (م) ، فقرة ٤٠٤ . نجد المفهوم ذاته ، بغموض زائد أيضاً ، عند اليعقوبي ، ٣٥٤ ، الذي يتحدث عن واجهة الأندلس الغربية ، فيقول انها تطل على البحر المحيط ، « الذي يأخذ إلى بحر الخزر » .

(١٨٠٣) ابن حوقل ، ١١٠ .

(١٨٠٤) انظر بورتال ، ذكر من قبل ، ص ٢٥ — ٩١ . ويميز التقسيم الأخير الكبير ، الذي لايرد في النصوص الجغرافية بين صقالبة الجنوب وبين باقي كتلة الصقالبة ، هذا بعد زحف المجغرية على بانونية .

(١٨٠٥) ابن خرداذبه ، ١٤٣ ، حدود العالم ، ١٥٩ ، ٤٣٠ — ٤٣٢ ، بورتال ، ذكر من قبل ، ص ٣١ — ٣٣ .

(١٨٠٦) ابن رسته ، ١٢٧ — ١٢٨ ، حدود العالم ، ١٥٧ ، ٤٢٣ — ٢٤ ، ٤٢٩ ، ٤٦٦ ، بورتال ، ذكر من قبل ، ص ١٧ و ٢٧ . يقرأ اسم بلغراد في رسم بلغر ، في مقطع آخر : ابن رسته ، ١٢٦ (انظر كتاب حدود العالم ، ٤١ ، ح١ ، ٢٢١ ، ٤٢٣ ، ح٢) . لكن المقصود قرية واقعة إلى شمال القسطنطينية .

(١٨٠٧) ابن رسته ، ١٤٤ — ١٤٥ ، حدود العالم ، ١٥٩ .

(١٨٠٨) حدود العالم ، ١٥٩ ، ٤٢٩ — ٤٣١ ، بورتال ، ذكر من قبل ، ص ٩٩ . س . كاهين في تاريخ الحضارات العام ، ج٤ ، باريس ، ١٩٦٥ ، ص ١٧٩ ، فيشيل ، ذكر من قبل ، ص ١١٤٥ ، ودفورنك ، ذكر من قبل ، ص ١٤٢ ، ١٤٧ . وقرىء أيضاً جرواب ، غرادست (هرادشتيه ، مقر سفيتوبلوك ، على مراوه : احالة في حدود العالم ، ٤٣٠ ، حاشية ٣ ، وفيشيل ، ذكر من قبل ، ص ١١٢٠) ، الا أن هذه القراءة مشكوك فيها جداً . وقراءة جيره أدعى للشك أيضاً : فاذا كانت غوره ، حسب قسطنطين بورفيروجينيت (انظر ابن رسته ، ١٤٥ ، حاشية ماركار ، Steifzüge ، ص ١٨٨ — ١٨٩) ، أين يجب التفتيش عن هذه المدينة الثانية ! أدرك ماركار أن هذا الاسم يشمل في الواقع لامدينة في نص قسطنطين ، بل ناحية ، ففكر في صقع وابنيت ، التي تحدثنا عنه من قبل .

(١٨٠٩) يكرر نص البكري المعلومات التي يعطيها المسعودي في مروج الذهب ، فقرة ٩٠٥ وما يليها . ويبدو كأنه يقطع بهذا الاستشهاد تقليده لابراهيم بن يعقوب : انظر البكري ، طبعة كوالسكي ، ص ١ و ٩ . الا أن ع . ر . علي الحجي في طبعة البكري (ص ١٥٦ ، ١٨٥ – ١٨٦) ، يميل على العكس ، ص ١٨٥ ، ح١) إلى استشهاد ذي أدراج ، باعتبار نص المسعودي يرتبط بذات نص ابراهيم الذي يرويه البكري .

(١٨١٠) بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٨٠٨ ، دفورنك ، ذكر من قبل ، ص ٤١ ، ٥٣ ، ٧٤ ، ١٠٣ ، ٢٣٧ ، ٢٦٢ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٢٧٥ . يظن مركار (ذكر من قبل ، ١٤٦ ، ١٤٧) ان المقصود هنا فولهينيان (بوزان) ، ويعتقد أنهم دولابه (انظر مايلي) قبل اخضاع الأمر لهم . أما اسم حاجيك ، فيحيل تحبباً ، إلى زعيم جاء قبل مزمير (موجمير ؟) .

(١٨١١) مركار ، ذكر من قبل ، ص ١٠٣ – ١٠٥ ، و ٣٠٥ – ٣٢٩ : نزل الاسطترانه في براندبورغ الحالية ، ونشب نزاع مسلح بينهم وبين هنري الأول واوتون الأول . ويميل مركار إلى أن يرى عبر اسم أميرهم ، ملك صبرابه (انظر مايلي) ، وهي أمة في تلك النواحي : مسلوس ، مسيلا ، وتثير صعاب كبيرة جداً الشك في مصادر هذا التاريخ وتسلسله الزمني ، وتمنع البت في الموضوع ، على حد قول مركار .

(١٨١٢) كوالسكي ، ذكر من قبل ، ص ١٢٠ – ١٢١ ، ح ١٥٥ ، يميل رابوبور (ذكر من قبل ، ص ٣٤٠) إلى الصرب (سوارب ، صرب بيض) بين نهري الب وسال ، لكن يظهر الصرب عندئذ مرتين (انظر مايلي) في نص المسعودي الوارد عند البكري . حول السوارب ، انظر دفورنك ، ذكر من قبل ، ص ٤٠ – ٤١ وأماكن متفرقة ، فيشيل ، ذكر من قبل ، ص ٥٩٩ .

(١٨١٣) ونجسلاف . يعثر على الدولابه ، وهم قبيلة صقلبية من الشرق (دفورنك ، ذكر من قبل ، ص ٥٥ – ٥٦) في بوهيميا ، التي تركوها في وقت مبكر جداً . أما الملك ، فهو ونجسلاف الأول (٩٢٤ – ٩٢٩) : انظر كوالسكي ، ذكر من قبل ، ص ١٢١ ، ح١٥٦ ، مركار ، ذكر من قبل ، ص ١٠٣ ، ١٤٤ ، وأماكن متفرقة .

(١٨١٤) يكمل كتاب التنبيه (ص ٩٩) ، كتاب المروج ، فقرة ٩٠٥ ، وينزلهم على دنابى مع المراوه . والأرجح على أساس التلميح إلى قوتهم الحربية ، ان المقصود في الواقع الناجمين (نمتز) . يحيل اسم الملك إلى اما إلى كونراد (الأول من فرانكونية) واما إلى لقب غراف (كونت) ، واما ، أفضل من ذلك ، إلى جيرو تيبلجين الشهير ، الذي وسع في عهد أوتو الأول (٩٣٦ – ٩٧٣) السيطرة الجرمانية حتى نهر نييس : انظر مركار ، ذكر من قبل ، ص ١٠٥ – ١٠٦ ، ودفورنك ، ذكر من قبل ، ص ١٠٣ – ١٠٤ ، كوالسكي ، ذكر من قبل ، ص ١٢١ ، حاشية ١٥٧ .

(١٨١٥) يعثر حتى الآن على اسم غلوماسي في اسم مدينة لوماتشي ، في شمال غرب درسد : مركار ، ذكر من قبل ، ص ١١٣ – ١١٥ . اسم الملك غامض جداً حتى أنه لايمكن تقديم شيء موثوق بشأنه : فقبيلة راديمتش (دفورنك ، ذكر من قبل ، ص ٥٦ وأماكن متفرقة) تنزل بعيداً إلى الشرق ، ويرتبط مصيرها بمصير كييف الروسية . وتريمير اسم يحمله ملوك الكرواتيون ، في دلماسيا حقاً . لكن قد لانجازف إذا فكرنا بكرواتين آخرين (في هذه الحالة ، الكرواتين البيض في الواديين الأعليين لنهري الأودر والفستول) ، على التخوم الشمالية لبلدان بوهيمية ومورافيه (دفورنك،ذكر من قبل، ص ١٠٠ – ١٠١ ، ١٦٥) .

(١٨١٦) مركار ، ذكر من قبل ، ص ١٠٦ وما يليها ، وما تقدم ، حاشية ١٨١٢ .

(١٨١٧) حدود العالم ، ١٦٠ ، ٤٤٠ – ٤٤٢ ، المسعودي (ت) ، ٩٩ ، مركار ، ذكر من قبل ، ص ١١٥ وما يليها ، دفورنك ، ذكر من قبل ، ص ٨٠ ، وما يليها وأماكن متفرقة ، كوالسكي، ذكر من قبل ، حاشية ١٦٠ ، بورتال ،ذكر من قبل، ص ٢٦ .

(١٨١٨) حدود العالم ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ (ح٢) ، ٤٤١ ، مركار ، ذكر من قبل ، ص ١٠٧ ، ١١٥ ، ١٢٩ – ١٣٩ ، كوالسكي ، ذكر من قبل ، ١٢١ ، حاشية ١٦١

(١٨١٩) المسعودي (م) ، فقرة ٩٠٦ و (ترجمة) ، مركار ، ذكر من قبل ، ص ١٠٧ ، ١١٥ ، ١٢٢ وما يليها ، ٤٤ ، ١٤٤ ، كوالسكي ، ذكر من قبل ، ص ١٢١ ، ح ١٦٢ .

(١٨٢٠) مركار ، ذكر من قبل ، ص ١٠٧ ، ١٤٠ – ١٤٢ ، كوالسكي ، ذكر من قبل ، ص ١٢١ ، حاشية ١٦٣ ، رابوبور ، ذكر من قبل ، ص ٣٤٠ .

(١٨٢١) مركار ، ذكر من قبل ، ص ١٠٧ ، ١٤٠ .

(١٨٢٢) المسعودي (م) ، فقرة ٩٠٨ .

(١٨٢٣) الدير . اذا كان لابد من القراءة الجيدة والتفسير الجيد ، يجب أن نذكر أن كييف أصبحت مطرانية عام ٨٦٤ (انظر دفورنك ، ذكر من قبل ، ص ١٧٨ – ١٨١) . لم تصبح كراكوفية مطرانية الا في آخر القرن الرابع الهجري : العاشر الميلادي (انظر فيشيل ، ذكر من قبل ، ص ١١٢٦) ، الا أن النصرانية أقدم كثيراً في منطقة نهر الفستول الأعلى ، لأنها ارتبطت بضم هذه الناحية إلى كراكوفية الكبرى : دفرنك ، ذكر من قبل، ص ٩٢ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ .

(١٨٢٤) مركار ، ذكر من قبل ، ص ١٠٧ ، ١٤٠ .

(١٨٢٥) يقول النص العربي : م يلي . أميل بالأحرى إلى الحل الأول ، لأن الصيغة ذاتها مكررة بين المملكتين الثانية والثالثة ، في حين أن الثالثة أقوى الجميع ، كما سيقال .

(١٨٢٦) مركار ، ذكر من قبل ، ص ١٤٢ – ١٤٣ ، دفورنك ، ذكر من قبل ، ص ١٠٢ وما يليها . انظر لقب « ملك الروم » ، المعطى إلى اوتون الأول عند ابراهيم (ص) ٥ / ١٧٠ .

(١٨٢٧) مركار ، ذكر من قبل ، ص ١٤٣ – ١٤٤ (يصحح بحق : بزكارد ، الرسم المعطى أحياناً نوكرده (حولها انظر ماتقدم ، حاشية ١٣١٠) ، الذي يحيل إلى اللومبارد : انظر مايلي ، ح ١٨٦٢) .

(١٨٢٨) المسعودي (م) ، فقرة ٩٠٨ . وهذا الجنس أحسن الصقالبة صوراً ، وأكثرهم عدداً ، وأشدهم بأساً . ويعلق مركار على جمالهم أهمية كبرى (ذكر من قبل ، ص ١٤٣ – ١٤٥) ، ليس لها مايبررها . ، ويتبسط فيها .

(١٨٢٩) المسعودي (م) ، ٩٠٩ .

(١٨٣٠) انظر ابراهيم (١) ، ١٠٥١ – ١٠٥٢ ، وكانار في ابن فضلان ، ترجمة ، ح٢ .

(١٨٣١) ابراهيم (ص) ، ١ / ١٥٧ .

(١٨٣٢) ابراهيم (ص) ، ١ – ٢ / ١٥٨–١٦٠ ، كانار ، في DHZLP ، ص ٥٠٨ ، مركار ، ذكر من قبل ، ص ٣١١ – ٣١٢ ، ٥١٠ – ٥١١ ، رابوبور ، ذكر من قبل ص ٣٣٤ – ٣٣٥ ، كوالسكي ، ذكر من قبل ، ص ٦٣ ، ح ٢٠ .

(١٨٣٣) انظر . ميكيل ، « ابراهيم بن يعقوب » ، الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج٣ ، ص ١٠١٥ – ١٠١٦ .

(١٨٣٤) هذا ما أتبينه من لفظ فرغ (أو برغ) : ١٠٠ ميل تساوي تقريباً ١٩٢ كم . وفي الواقع ، المسافة بين مغد بورغ والبلطيق (الذي تبعد غراد ١١ ميلا عنها أو حوالي ٢١ كم) ، ١٩٠ كم ونيفا . يقع الجسر على نهر الالب على ثلاثة أخماس الطريق انطلاقاً من مغدبورغ : وهذه النسبة هي بالتمام النسبة الموجودة على الخريطة ، بين مغدبورغ وشويرين . إذن يجب وضع عاصمة ناكون في منطقة هذه المدينة الأخيرة . انظر حجي ، طبعة نص البكري ، ١٥٩ ، ح٢ ، رابوبور ، ذكر من قبل ، ص ٣٣٥ .

(١٨٣٥) ابراهيم (ص) ، ٢ – ٤ / ١٦٠ – ١٦٦ ، رابوبور ، ذكر من قبل ، ص ٣٣٦ ، كانار ، في DHZLP ، ص ٥٠٨ .

(١٨٣٦) حول احتمالات قراءة اللفظ العربي ، انظر حجي ، ١٦٤ ، ح١ . بين مغدبورغ ومرسيبورغ (هذه الأخيرة على ٢٠ كم إلى غرب لايبزغ) ، ويبدو أن مغدبورغ تفرض نفسها ، إذا فكرنا أنها المكان الذي مر به ابراهيم ، لكي يستقبل في بلاط أوتون الأول .

(١٨٣٧) قراءة مبهمة ، لكن واضح مما قيل عن المدينة التالية ، ان الطريق يتبع وادي نهر السال . وبين نينبرغ التالية وقليوه ، المسافة ميلان ، أي مايعادل أقل من أربعة كم ، كما ورد في النص . والمسافة سبعة كم في الحقيقة : انظر رابوبور ، ذكر من قبل ، وطبعة كوالسكي ، ص ٨٦ ، ح ٥٥ .

(١٨٣٣) ا . ميكيل ، « ابراهيم بن يعقوب » ، في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج٣ ، ص ١٠١٥ – ١٠١٦ .

(١٨٣٨) المسافة ٣٠ ميلا (٥٧ كم) بين هذه المدينة ونوبغراد . وفي الواقع ، المسافة بين نينبورغ وسالزموند ٣٥ كم تقريباً جوا ، إلا أنها أطول بكثير اذا اتبعنا وادي نهر السال . كوالسكي (ص ٨٧ ، ح ٥٩) يقترح دورنبرغ .

(١٨٣٩) انظر رابوبور ، ذكر من قبل ، وطبعة كوالسكي ، ص ٨٧ ، ح ٦٠ .

(١٨٤٠) جاء في النص الذي يشير إلى هذه « الغرابة » أيضاً أن الشقر (أو الصهب) : ابراهيم (ص) ، ٣ آخرها (و ١٤٦) / ١٦٣ .

(١٨٤١) ضمها بولسلاف : انظر دفورنك ، ذكر من قبل ، ص ١٠٤ . ابراهيم (ص) ١ آخرها : ١٥٧ ، يعلن صراحة أنه ملك براهة وبوهيمية وكراكوفيه .

(١٨٤٢) مبالغة بينة ، الا أن الأيام الثلاثة (أو المراحل) التي يقترحها رابوبور (ص ٣٣٥) و طبعة حجي (ص ١٦١ ، ح٢) فيها أيضاً مبالغة مماثلة بالاتجاه المعاكس .

(١٨٤٣) قراءات وتفسيرات مشكوك بها فعلا : انظر طبعة حجي ، ص ١٦١ ، ح٨ (مع المراجع) .

(١٨٤٤) اقرأ قطعاً رقيق وليس دقيق .

(١٨٤٥) من جلد (درق ، مفرده درقة : انظر ماتقدم ، ص ١٨٢ح ١٠٦٨، و ص ١٩٤ .

(١٨٤٦) ابراهيم (ص) ، ١ آخرها / ١٥٧ ، ٤ آخرها – ٥ / ١٦٦ – ١٦٨ كانار في DHZLP ، ص ٥٠٨ ، رابوبور ، ذكر من قبل ، ص ٣٣٦ – ٣٣٧ .

(١٨٤٧) حرث . لكن يمكن أن نقرأ أيضاً حوت : سمك (معتبرين أن هذا اللفظ مستعمل هنا اسم جمع) .

(١٨٤٨) تدفع أو تقبض بالعملة البيزنطية ؟ انظر ماتقدم ، حاشية ١٨٤٣ .

(١٨٤٩) ابراهيم (ص) ، ٥ / ١٦٨ ، رابوبور ، ذكر من قبل ، ص ٣٣٧ . نعرف أن البروسيين ينتمون لغويا إلى الفئة اللغوية البلطية .

(١٨٥٠) مع الأسف ، لايسمح النص الغامض جداً بمزيد من التفصيل لهذه النقطة . حول ولتابا عند ابراهيم انظر ابراهيم (ص) ، ٥ – ٦ / ١٧٤ – ١٧٥ ، رابوبور ، ذكر من قبل ، ص ٣٣٧ .

(١٨٥١) ابراهيم (ص) ١١ (و ١٥١) ١٩١/١ ، رابوبور ، ذكر من قبل ، ص ٣٤١ . نتبين تواليًا ذكره من قبل المسعودي : ماتقدم ، حاشية ١٨٢٦ و ١٨٢٧ (خاصة لتصحيح الرسم نوكرده (لوكبارد) الذي نعثر عليه هنا بزكرد) .

(١٨٥٢) ابراهيم (ص) ، ٧ / ١٨١ – ١٨٢ (وفي طبعة كوالسكي ، ص ١٠٥ – ١١٥ ، ح ١٢٦ و ١٢٧) ، رابوبور ، ذكر من قبل ، ص ٣٣٩ ، مركار ، ذكر من قبل ، ص ١٩٢ – ١٩٤ ، ٥٠٩ – ٥١٠ . ننتبه إلى أن الأمم الألمانية أصبحت تعرف بخمسة أسماء (نانجمين ، فرنجة ، « رومان » ، سكسون وتودمك) والمجغرية ، بثلاثة (بزكرد وترك وهنغار) .

(١٨٥٣) انظر ماتقدم ، ٦٧/٢ – ٦٩ .

(١٨٥٤) انظر حدود العالم ، ٤٣٢ ، الذي يبرز في هذا النص صعوبة حصر هذه الخاصة أو تلك بهذه الأمة أو تلك .

(١٨٥٥) ابن رسته ، ١٢٧ ، ١٤٣ ، حدود العالم ، ١٥٨ – ١٥٩ .

(١٨٥٦) ابن رسته ١٤٣ – ١٤٤ ، حدود العالم ، ١٥٨ .

(١٨٥٧) ابن رسته ، ١٤٣ ، حدود العالم ، ١٥٨ .

(١٨٥٨) ابراهيم (ص) ، ٨ آخرها (و ١١٩ ، ح ١٤٦ : قراءة سبك كلمة فارسية / ١٨٤ ، رابوبور ، ذكر من قبل ، ص ٣٣٩.

(١٨٥٩) يستبعد الببغاء لأسباب واضحة تتعلق بالوسط . تشبه طيور أخرى ، هي الصردان ، من بين « المقلدة » طيراً له قنزعة ، صوته حاد ، يحمل اسم أصله ، ويدعى ثرثار بوهيمية .

(١٨٦٠) ابراهيم (ص) ، ٨ آخرها (و ١١٩ ، ح ١٤٨ ، رابوبور ، ذكر من قبل ، ص ٣٣٩ - ٣٤٠ يخلط النص في الواقع معلومات عن الطيرين : فالخريس الكبير أسود ، مقلم برمادي لماع ، له ذنب أزرق داكن يبدي نقاطاً بيضاء بشكل هلال عندما ينشر ريشه . أما ديك الخلنج فأسود ضارب إلى الزرقة لماع ، ويبحث أصواتاً حادة ، أثناء التزاوج (خلافاً للخريس) تسمع أحياناً على بعد كيلومتر واحد .

(١٨٦١) أو من أقاليم الأندلس التي جاء منها ابراهيم بن يعقوب ، الذي نقلت عنه هذه المعلومات (ابراهيم (ص) ، ٧ - ٨ / ١٨١ - ١٨٢) . لكن لايجوز أن ننسى أن الرجل يكتب بالعربية ، فحتى لو كان يهودياً ، يتأثر بالنماذج الثقافية (اذن بالمواضيع الأدبية الصحراوية) الشرقية في الأندلس المسلمة .

(١٨٦٢) ابن رسته ، ١٤٤ ، ابراهيم (ص) ، ٨ / ١٨٢ - ١٨٣ . يطلق اسم لنقبرديه على اللومبارد في ايطالية الشمالية : مما يعطي سبباً اضافياًأمام هذا الرسم الواضح ، لرفض تحديد اللومبارد الذين بحثوا فيما تقدم ، حاشية ١٨٢٧ .

(١٨٦٣) ابراهيم (ص) ، ١٠ / ١٨٨ - ١٨٩ .

(١٨٦٤) الجبال الرواسي : جبال راسخة ، لاتتحرك : انظر القرآن ، أماكن متفرقة .

(١٨٦٥) ابراهيم (ص) ، ٨ / ١٨٣ .

(١٨٦٦) المسعودي (ت) ، ٣٩ . انظر أيضاً المرجع ذاته، ٩٨٧(صقالبة صهب)،ابن الفقيه ، ١٤٥ (صقالبة سمر وادم) ، المقدسي ج٤ ، ٦٣ (الصقالبة أطول من الروس) ، والمقدسي ، ٣٦٨ (وفي الخزر مشابه للصقالبة) .

(١٨٦٧) ابن الفقيه ، ١٦٢ ، الاخوان ، ١ ، ١٧٥ ، وما تقدم ، ٧١/٢ ، حيث يعتبر السمر نوادر .

(١٨٦٨) المسعودي (م) ، فقرة ١٣٨٨ ، آخرها ، الاخوان ، ١ ، ١٧٥ ، ابراهيم (ص) ، ٧ / ١٨١ .

(١٨٦٩) وصيف شاه ، ١١٥ . لم تكن هذه التقسيمات موجودة في الماضي ، هذا ماتذكر به : انظر ما تقدم ، ٦٧/٢ ، ٦٩/٢ .

(١٨٧٠) ابراهيم (ص) ، ٧ / ١٨١ .

(١٨٧١) المسعودي (م) ، فقرة ٩٠٥ ، ٩١٠ ، ابن حوقل ، ١١٠ . اختلاف (الصقالبة من ولد متوشلح هم والبلغار والروس) حسب المسعودي (م) ، فقرة ٦٣ .

(١٨٧٢) المسعودي (م) ، ٩٠٦ .

(١٨٧٣) انظر اللغة الصقلبية : كنياز (أمير) الألمانية كوننغ : ابن خرداذبه ، ١٧ (و ح ج) ، المسعودي (م) ، فقرة ٩٠٥ — ٩٠٦ ، حدود العالم ، ٤٢٩ .

(١٨٧٤) المسعودي (م) ، فقرة ١٣٦٦ .

(١٨٧٥) انظر ماتقدم ، حاشية ١٢١٣ (مع احالات أخرى) و حاشية ١٣٧٣ .

(١٨٧٦) ابراهيم (ص) ، ٨ / ١٨٣ ، حدود العالم ، ١٥٨ — ١٥٩ .

(١٨٧٧) ابن رسته ، ١٢٧ .

(١٨٧٨) ابراهيم (ص) ، ٩ / ١٨٤ ، حدود العالم ، ١٥٨ .

(١٨٧٩) ابن رسته ، ١٤٤ ، ابراهيم (ص) ، ٨ / ١٨٣ ، حدود العالم ، ١٥٩ . نلاحظ أن اللبن حدد بأنه غذاء الملك حصراً ، وأن الخنزير لم يشر صراحة إلى أنه طعام رغم ذكره (انظر مايلي في بحث النشاطات الزراعية) .

(١٨٨٠) ابراهيم (ص) ، ١٠ — ١١ / ١٨٩ — ١٩٠ .

(١٨٨١) طبعة — كوالسكي اصطبا (انظر ص ١٢٦— ١٢٧ ، ح ١٨٠) . طبعة حجي : اطبا .

(١٨٨٢) انظر لغة روسية مخع : طحلب . يقول ابراهيم أن هذه المادة تلعب دور الزفت في المراكب .

(١٨٨٣) ابن رسته ، ١٤٤ — ١٤٥ ، يستقي من الجرمي على الأرجح : انظر حدود العالم ، ٤٣٠ ، و جغرافية ، ج ١ ، ١/ ٢٨ .

(١٨٨٤) ابن رسته ، ١٤٣ — ١٤٤ ، المقدسي ، ج ٤ ، ٦٣ (الصقالبة أغنى من الروس) ابراهيم (ص) ، ٧ — ٨ / ١٨١ — ١٨٤ ، حدود العالم ، ١٥٨ . (انظر م . سور ، ذكر من قبل ، ج ١ ز ص ٢٤٠ — ٢٤١) مسماة دخن (ماتقدم ، ح ١٠٩٧) يلاحظ أن ابن رسته ، المرجع ذاته ، يناقض نفسه ، فينفي أن عندهم مزارع ، ثم يعود فيقول أنهم يزرعون الدخن . وعند ابن رسته تفصيل آخر ، ١٤٤ : وليس لهم (الصقالبة) من البراذين إلا القليل ، وللملكهم دواب . ويشير ابن رسته إلى أن ليس لهم كروم ، ١٤٣ (يكرره كتاب الحدود ، ١٥٨) . في موضوع استمرار المزارع،أنظر أيضاً ماتقدم،٢/٦٥ بشأن لفظ اليشج ، انظر اللغة الروسية اولي وشولسنازفستيا اوخزره ... سان بترسبورغ،١٨٦٩، ص ١٢٦ . أما لفظ فرشك (انظر ديميزون ، ذكر من قبل ، ج٢ ، ص ٨١٩) ، كوالسكي (ابراهيم (ص) ، ١٤٩) ، فيترجمه ب : شجرة

فارسية : دراق . والشك كبير لاسيما أن النص يمكن أن يقرأ : « معظم أشجارهم في مشاجرهم (شعرائهم)(أو : أوديتهم : شعاب) مؤلفة من تفاح واجاص وفرشك » . وعلى الرغم من أن لفظ فرشك قد يكون نقلا عن اللغة الصقلبية (انظر الروسية برسيكع) لايجوز الاعتماد على نص قراءته غامضة جداً .

(١٨٨٥) انظر ماتقدم ، ٧٧/٢ ، (وحاشية ١٨٨٢) .

(١٨٨٦) حدود العالم ، ١٥٨ .

(١٨٨٧) ابن رسته ، ١٤٤ ، حدود العالم ، ١٥٩ .

(١٨٨٨) ابراهيم (ص) ، ٩ / ١٨٤ ، ابن رسته ، ١٤٤ ، حدود العالم ، ١٥٨ — ١٥٩

(١٨٨٩) المسعودي (ت) ، ٩٤ .

(١٨٩٠) لذلك ينبغي ، كما قلنا (ماتقدم ، ٧٣/٢) أن يعرفوا الصقلبية : ابراهيم (ص) ، ٧ / ١٨١ .

(١٨٩١) ابن رسته ، ١٤٤ .

(١٨٩٢) ماتقدم ، ٢/ ٧١ .

(١٨٩٣) ابن الفقيه ، ٢٧٠ — ٢٧١ ، ابن حوقل ، ٣٩٢ .

(١٨٩٤) ابن خرداذبه ، ١٥٤ ، ابن رسته ، ١٤٢ — ١٤٣ ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٥٢ ، ابن حوقل ، ٩٧ ، ١١٠ ، ١١٩ ، ٤٨٢ ، المقدسي ، ٢٤٢ ، ٣٢٥ ، وما تقدم ، ٢/ ٧١ .

(١٨٩٥) ابن حوقل ، ١١٠ ، المقدسي ، ٢٤٢ — ٢٤٣ ، يحدد القيام بهذه العملية الرهيبة في الأندلس ذاتها ، لكن دوماً على يد اليهود . انظر ترجمة فرنسية لهذا المقطع لشارل بيلا ، المقدسي ، وصف الغرب المسلم في القرن ٤ هـ/ ١٠ م ، الجزائر ، ١٩٥٠ ، ص ٥٧ — ٥٨ (مع تفسير مختلف لبعض الألفاظ الفنية في الخصي ، يبدو لي أنه لايأخذ بعين الاعتبار المعنى الصحيح لفعلي مسح (قطع : انظر دوزي ، ذكر من قبل ،ج٢ ، ص ٥٧٩) وقط : قطع عرضانيا .)

(١٨٩٦) المقدسي ، ٢٤٢ (التفاصيل غير المذكورة هنا تتعلق بالخصيان عامة) . حول دور اليهود والنصارى في هذه التجارة ، انظر ر . برنسويغ ، « عبد » في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج١ ، ص ٣٣ - ٣٤ ، ولومبار ، دار الإسلام ... ، ص ١٩٦ — ١٩٧ ، العملة والتاريخ ... ، ص ١٩٩ - ٢٠٣ .

(١٨٩٧) انظر ماتقدم ، ٢٩٨/١ - ٢٩٩ .

(١٨٩٨) ابن الفقيه ، ١٦٢ ، ابراهيم (ص) ، ٨ / ١٨٣ (مع ذكر تعدد الزوجات : عشرين زوجة وحتى أكثر) ، ١٠ / ١٨٧ (و ح٣ مع المراجع) .

(١٨٩٩) ابن رسته ، ١٤٣ - ١٤٤ ، ابراهيم (ص) ، ٩-١٠ /١٨٦ - ١٨٧ ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٤٩ ، ٩٠٦ - ٩٠٧ ، حدود العالم ، ١٥٨ ، وصيف شاه ، ١١٦ ،

(١٩٠٠) اختلاف عند ابن رسته ، ١٤٣ : يجري هذا التقطيع على جثة المرأة الميتة (خطأ كبير) .

(١٩٠١) انظر ماتقدم ، ٣٠١/١ آخرها - ٣٠٢/١ .

(١٩٠٢) ابن الفقيه ، ٧٧ ، ابن رسته ، ١٢٧ ، المسعودي (م) ، فقرة ٩٠٥ ، ابراهيم (ص) ، ٩ / ١٨٦ (يكرر قول المسعودي : وهم من ينقاد إلى دين النصرانية إلى رأي اليعقوبية (أي القائلين بطبيعة واحدة) . (انظر المسعودي ، النص العربي ، حاشية ٥) به اختلاف ، يذكر النسطورية وهذا غريب أيضاً) . وصيف شاه ، ١١٥ - ١١٦ (يشير إلى كنائس بها نواقيس : خشبات أو صفائح معدنية أو حجرية للدعوة إلى الصلاة) .

(١٩٠٣) لفظ الجاهلية وارد من قبل عند المسعودي (م) ، فقرة ٩٠٥ ، الا أن ابراهيم (ص) ، ٩ / ١٨٦ ينسبه إلى الملكية خاصة ، وهذه خاصة لايبدو أنها تتفق كثيراً مع التاريخ : انظر دفورنك ، ذكر من قبل ، ص ٨٠ - ٨٢ وأماكن متفرقة .

(١٩٠٤) حدود العالم ، ١٥٩ .

(١٩٠٥) ابراهيم (ص) ، ١١ / ١٩١ .

(١٩٠٦) ابن رسته ، ١٤٥ .

(١٩٠٧) ابن رسته ، ١٤٤ ، المقدسي ، ج٤ ، ٦٣ ، حدود العالم ، ١٥٨ ، وصيف شاه ، ١١٥ - ١١٦ .

(١٩٠٨) ابن رسته ، ١٤٤ .

(١٩٠٩) المسعودي (م) فقرة ١٣٨٦ - ١٣٨٨ .

(١٩١٠) دون المس بالمعطيات ذاتها طبعاً ، نكشف قليلا ترجمة المسعودي عن هذا البيت والبيت التالي .

(١٩١١) انظر م . الياد ، مفصل تاريخ الأديان ، باريس ، ١٩٥٣ ، ص ٣٢١ - ٣٢٢ .

(١٩١٢) المعالجة بالماء .

(١٩١٣) يبدو أن قرائن الاقناع يجب أن تقوم هنا على أساس ندرة تآلف اللون والمادة والمكان . فأندر الألوان على مادة أساسية ، هو اللون الأخضر (زمرد) . وكالأخضر ، ذكر الأحمر مرتين ، ووضع في جدران الهيكل وأعضاء الأصنام ، لكن يتدخل عنصر بحث مع توزيع الأحمر في حجرين كريمين : لعل (ياقوت أحمر) ، المرجان . العقيق الأحمر والبلور أندر : ذكرا مرة واحدة ، ويستعملان فقط في الأصنام . إلا أن العقيق يفضل البلور بأن لونه يذكر به لون الرأس . أخيراً الذهب يذكر مرة واحدة، إلا أنه مصنوع من أندر المواد (تبر ، يقول المسعودي بدقة) ويحتل مكاناً ممتازاً : رأس الصنم . إذن المراتب كما يلي : ذهب (أصفر) ، عقيق (أصفر) بلور (أبيض) لعل ومرجان (أحمران) ، زمرد (أخضر) .

(١٩١٤) سنجد مجدداً مبدأ الثنائية ٨٦/٢ .

(١٩١٥) انظر ماتقدم ، ٨١/٢ ، التدوينات عن عبادة الشمس والنار .

(١٩١٦) هذا هو موقف آليات الشمس و « الأصوات » .

(١٩١٧) نلاحظ بهذه المناسبة أن الزنج والأحباش ، في ٢ ، يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بهذا الملك ، انظر ماتقدم ، ٢٠٢/١ .

(١٩١٨) نشير إلى نقطتين هامتين في هذا البحث : يتميز البيت ، مركز الالهي ، المحاط بالينابيع ، عن الأرض التي تشتمل على هذه الأعين ذاتها . يلاحظ من ناحية ثانية أن تصبيغ الاحتواء بين الهيكل والمعدن منعكس هنا مرتين بالنسبة إلى ١ : في تصبيغه ذاته (الهيكل شامل ١ ومشمول في ٢) ، وأيضاً (هذا يفسر ذلك) في كيفياته : في ١ ، كانت النسبة داخلية (حجارة الهيكل) ، إذ علاقة الهيكل الوحيدة الخارجية هي مع الهواء ، وفي ٢ ، العلاقة خارجية (هيكل ومملكة معدنية (أعين) محيطة) .

(١٩١٩) يلاحظ الفارق مع الحالة ٢ .

(١٩٢٠) لاشك أنه كالانسان يتصل مباشرة بالآلهة ، لكن عدا أنه لايتصل إلا مرة واحدة (وليس ثلاث مرات كالانسان) ، تنصب هذه العلاقة على احتواء واحد أوحد في العالم (في حين يعوض الانسان عن هذا الاحتواء لأنه يستطيع أن يعكسه لصالحه ، كما في ١) . ولعل هذا الفارق الأساسي في الوضع ، يرمز له ، في ٢ ، بتصبيغ آخر ، هو أن الحيوان (مع الزنج والأحباش : انظر ماتقدم ، حاشية ١٩١٧) موضوع تحت رجلي الصنم ، في حين ينجو الانسان (عظام) من هذا النوع من الاخضاع المطلق .

(١٩٢١) في المجمل ، وليس في الألوان وحدها ، كما فيما سبق .

(١٩٢٢) ماتقدم ، ٢/٨٣ — ٨٤

(١٩٢٣) دون أن ننسى المبدأ الثلاثي ، أساس توزيع المجمل ، مع الجبال الثلاثة .

(١٩٢٤) نرى أن هذه الاستنتاجات عن الحرية وعن نظام العالم تقترب من الاستنتاجات التي استخلصناها (ماتقدم ، ١/٩٩ — ١٠٠) من نص الهمداني .

(١٩٢٥) اوفارنجيان . في أوربة الشرقية ، تدل الكلمة في الواقع ، حسب ١ . بوبا ، (مذكور فيما يلي ، حاشية ١٩٢٦) على سكان الغرب الجرماني .

(١٩٢٦)خلاصة جيدة عن الدعاى الكلاسيكية عند بورتال ، ذكر من قبل ، ١/٦٩–٧٣ لكن عند ١ . بوبا البدو ، الشماليون والصقالبة . أوربة الشرقية في القرن التاسع ، باريس لاهاي ، ١٩٦٧ ، خلاصات جديدة هامة . حول الروس ، انظر أيضاً ، عدا المؤلفات المذكورة من أجل الصقالبة ، ب . كاويرو ، Arabische quellen zur Christianisierung Russlands ، ويسبادن ، ١٩٦٧ ، حدود العالم ، ٤٣٢ ، وابن فضلان ، ترجمة، حاشية ٢٨٠ .

(١٩٢٧) البيروني (انظر حدود العالم ، ٤٣٢ ، ح٣) أول من تحدث عنهم . حول موقفنا منه ، انظر جغرافية ، ج١ ، ١/٢٨٤ — ٢٨٨ .

(١٩٢٨) حدود العالم ، ٥٤ ، ٥٩ ، ١٨١ — ١٨٢ ، ٤٢٢ . انظر بشأن بحر مايطس مبالغات مماثلة فيما تقدم ، حاشية ١٨٠٣ .

(١٩٢٩) حدود العالم ، ١٠٠ ، ٣٠٩ ، ٣١٨ .

(١٩٣٠) حدود العالم ، ١٠٠ ، ٣٠٩ ، ٤٣٣ (ح١) .

(١٩٣١) ابن فضلان ، ١٢٦ (ترجمة ، ٩٨ ، حاشية ٢٠٧ ، مع المراجع) ، ١٣٥ ، ١٣٧ .

(١٩٣٢) حدود العالم ، ٤٣٣ وما يليها .

(١٩٣٣) حول حالة المقدسي ، انظر مايلي ، حاشية ١٩٥٥ .

(١٩٣٤) انظر ابن فضلان ، ترجمة ، ص ١١٦ ، (حاشية في أسفل الصفحة) .

(١٩٣٥) ابن فضلان ، ١٤٩ ، ١٥١ .

(١٩٣٦) أخذ كتاب الحدود معطياتهما ، كما قلنا .

(١٩٣٧) الاصطخري ، ١٦ ، ١٣٠ ، ابن حوقل ، ١١ ، ١٣ ، ٣٣٩ ، ٣٨٨ ، ٣٩٢ - ٣٩٤ . يشير ابن حوقل وحده إلى الغارات ، في هذه الحالة ، غارات سفياتوسلاف ملك كييف ، إلا أنها ليست الغارات الأولى : انظر ماتقدم ، ٢/٢٦ - ٢٧ ، ٢/٣٩

(١٩٣٨) الاصطخري ، ١٨ ، ١٣٢ ، ابن حوقل ، ١٥ ، ٣٩٧ - ٣٩٨ ، حدود العالم ، ١٥٩ .

(١٩٣٩) انظر بورتال ، ذكر من قبل ، ص ٣٧ .

(١٩٤٠) ابن حوقل ، ٣٩٧ ، يحدد لهم دار مملكة صلا ، التي يبقى اسمها بلا تفسير (انظر الحدود ، ٤٣٤) . يحتمل أن ابن حوقل « استخلصه » من اسم قوم ، قياساً على المزدوجة ارطانية - ارطا .

(١٩٤١) حول الصقالبة والسلوفين أو السكلافين في نوفوغورود ، انظر حدود العالم ، ٤٣٤ ، دفورنك ، ذكر من قبل ، ص ٣٢ - ٣٣ ، وبورتال ، ذكر من قبل ، ص ٣١ .

(١٩٤٢) انظر حدود العالم ، ٤٣٤ ، وابن فضلان ، ترجمة ، حاشية ٢٨٠ . يستحق نص آخر (اصطخري ١٨ ، ابن حوقل ، ١٥) بعض الانتباه : « ينزل الروس على نهر اتل باتجاه البلغار ، الذين يفصلهم الصقالبة عنهم » . يبدو أن هذا النص يحوي تداخل تقليدين : أحدهما نعرضه هنا إذ ان الروس نازلون على ملتقى نهري اتل واوكا . إلا أن « الانفصال » لاوجود له في الواقع (انظر شكل ٢٨) ، لابد كي نضع حاجزاً صقلبياً بين الروس والبلغار (بلغار اتل نقصد) ، أن نرجع إلى فترة سابقة ، كان فيها الاسكاندينافون غير المتصقلبين ، يجوبون أودية أنهار روسية الغربية : وبينهم وبين نهر أتل كان يمتد بلد الصقالبة ، الذي لم يكن بعد البلد الروسي .

(١٩٤٣) ابن خرداذبه ، ١٥٤ (كرره ابن الفقيه ، ٢٧٠ آخرها - ٢٧١ ، الذي يتحدث فقط عن « الصقالبة » ماتقدم ، شكل ٢٨ ، ولومبار ، دار الاسلام ... ذكر من قبل ، ١/ ٢٩٠ . بشأن العلاقات مع بيزنطية ، انظر هـ . اهرويلر ، « العلاقات بين البيزنطيين والروس في القرن التاسع » ، (« يوم بيزنطية » في المؤتمر الثالث عشر الدولي للعلوم التاريخية ، موسكو ، ٢٢ آب ١٩٧٠) ، في مجلة الأخبار والتنسيق للاتحاد الدولي للدراسات البيزنطية ، ٥ (١٩٧١) ، ص ٤٤ - ٧٠ .

(١٩٤٤) اليعقوبي ، ٣٥٤ ، ترجمة ، ٢١٨ ، ح٩ (مع المراجع) .

(١٩٤٥) ابن خرداذبه ، ١٥٤ (كرره ابن الفقيه ، ٢٧٠ آخرها - ٢٧١ ، الذي يلغي بصراحة كما قلنا لفظ الروس ويستبدله بكلمة الصقالبة : ماتقدم ، ح ١٩٤٣ ، في حديثه عن المسالك المذكورة من قبل) .

(١٩٤٦) حدود العالم ، ٤٣٣ - ٤٣٤ .

(١٩٤٧) ماعدا ابن فضلان وتقليد الاصطخري ابن حوقل ، طبعاً . الاحالات هي التالية : ابن خرداذبه ، ١٥٤ ، ابن رسته ، ١٤١ ، ١٤٥ — ١٤٧ ، المسعودي (م) ، فقرة ، ٢٨٠ ، ٢٩٥ — ٢٩٦ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، ٤٥٥ ، ٤٥٩ — ٤٦٢ ، (ت) ، ٩٨ ، ١٩٤ ، ٢٤٩ ، المقدسي ، ج٤ ، ٢٢ ، ٦٢ ، حدود العالم ، ١٥٩ ، ٤٣٢ — ٤٣٨ وأماكن متفرقة .

(١٩٤٨) المسعودي (ت) ، ١٩٤ ، يشمل فيما يبدو مع ذلك تحت هذا اللفظ الروس (الذين يظن هو أن بعضهم داخل في المملكة البيزنطية : انظر أيضاً المقدسي ، ٣٦١ : « سمعت أن جيشاً من الروم يقال لهم الروس ») ، بعض الأرمن والبلغار (يعتبرهم صقالبة) والبجناك .

(١٩٤٩) المسعودي (م) ، فقرة ٤٥٨ ، و ا . اشتر ، « بعض ملاحظات مستشرقين على بيرين » ، في JESHO ، ١٣ روماني (١٩٧٠) ، ص ١٨٤ ، حاشية ٥ . مع ذلك انظر المسعودي (ت) ، ١٩٤ ، ح٢ .

(١٩٥٠) ربما كان لابد من اضافة الفضة : المسعودي (م) فقرة ٤٥٥ ، يؤكد أن الروس لديهم منجم هام لها يضاهي منجم بنجهير في خراسان ، الذي نعرف دوره في تزويد دار الاسلام بهذا المعدن .

(١٩٥١) يفسر المسعودي (ت) ، ١٩٤ ، بهذا اللون اطلاق اسم الروس عليهم : انظر المرجع ذاته ، حاشية ٣ .

(١٩٥٢) تتعارض هذه الخاصة (ابن رسته ، ١٤٦) ، كما نرى ، مع موقف بعض الجماعات الروس ، المذكورين فيما تقدم ، ٨٩/٢ آخرها .

(١٩٥٣) حدود العالم ، ١٥٩ ، يذكر أنهم أصحاب « مروءة » .

(١٩٥٤) حدود العالم ، ١٥٩ ، يشير إلى وجود طبقة عبيد حقيقية مؤلفو من الصقالبة .

(١٩٥٥) لانعرف جيداً الغارات التي يشير إليها المقدسي ، ٣٦١ : هل هي الغارات التي ذكرها المسعودي (حوالي ٣٠٠ / ٩١٢ — ٩١٣) أم الغارات المتأخرة التي يذكرها ابن حوقل (احالة فيما تقدم ، حاشية ١٩٣٧) .

(١٩٥٦) يدقق المسعودي (م) ، فقرة ٤٥٥ مايبقى كامناً لدى المؤلفين الآخرين . يؤكد ابن خرداذبه وحده ، ١٥٤ (بلا شك التباساً مع الصقالبة) أن الروس يزعمون أنهم نصارى ، مضيفاً أنهم يؤدون الجزية .

(١٩٥٧) ابن رسته ، ١٤٦ ، يكرره المقدسي ، ج ٤ ، ٦٢ : « فاي السيفين كان أحد ، كانت الغلبة له » .

(١٩٥٨) حرفيا أطباء : ابن رسته ، ذكر من قبل .

(١٩٥٩) انظر ماتقدم ، ٣٤/٢ .

(١٩٦٠) ابن رسته ، ١٤٦ – ١٤٧ ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٤٩ ، وحدود العالم ، ١٥٩ ، تتباين في هذه النقطة .

(١٩٦١) ابن فضلان ، ١٤٩ – ١٥٥ و ١٦٥ – ١٦٦ ، ترجمة ، ١١٦ – ١٢٢ . نشير من الناحية التاريخية ، إلى وفرة حواشي كانار ونوعيتها .

(١٩٦٢) تكرار صيغة ، استخدمها من قبل ابن فضلان في بحث الترك : انظر ماتقدم ، ٣٠١/١ .

(١٩٦٣) على الأقل هذا التأويل المترجم (ابن فضلان ، ترجمة ، ١٢٠ ، ح ٢٩٦) كلمة نبيذ : شراب روحي مصنوع من التمر أو العنب أو الحبوب .

(١٩٦٤) انظر ماتقدم ، ٢٩٦/١ ، ٣٢/٢ – ٣٤ .

(١٩٦٥) ابن فضلان ، ١٥٥ وما يليها ، ترجمة ١٢٢ وما يليها (الذي يعطي بعض الصيغ المختلفة مما يسمح بايضاح بعض النقاط التفصيلية (إذ تبدو العقبات المثارة أضعف مما قاله م . كانار : ابن فضلان ، ترجمة ، ح ٣٣٢) وحواشي كثيرة على علاقات الطقوس المتبعة في عوالم الترك والصقالبة والفنيين والاسكندنافيين وغيرهم) .

(١٩٦٦) انظر ماتقدم ، حاشية ١٩٦٣ .

(١٩٦٧) من خدنك أو خلنج : انظر ماتقدم ، حاشية ١٣٣٠ .

(١٩٦٨) اختلاف في النص (ترجمة ، ١٢٨) يدل فيما يبدو بالنسبة إلى الميت عن مرحلة انتقالية فى جناح خاص ، بين القبر والسفينة .

(١٩٦٩) يقول، تباين في النص (ترجمة ، ١٢٩) : يقطع رأس ديك و « يلقى على يمين السفينة ويسارها » . ولا يذكر هذا التباين سوى الكلب والديك أصلا .

(١٩٧٠) أو « مورس الحق » . يقام الطقس ، سواء كان حقاً أو واجباً ، نيابة عن المتوفى طبعاً ، الذي يراد أن يسمع (ومن هنا الاعلان بصوت عال) .

(١٩٧١) أضيف هذا التفصيل في أحد اختلافات النص . ولا يحوي اختلاف آخر اطار

الخشب ، لكن نوعاً من طريق الشرف يسلكه الرجال على راحة يدهم ، وتسلكه الجارية لتذهب إلى المركب . وفي النص المختلف ذاته ، ينوم الملاك الجارية إلى جانب الميت ، وتخنق الجارية بمنديلها ، ولا ذكر للخنجر .

(١٩٧٢) يبدو أن هذا النشاط الأخير يتم باشارات (حركات) عادية : في جميع الأحوال لايذكر النص تكرار جميع الناس الموقف الطقسي للشخص الأول .

(١٩٧٣) نحيل هنا اجمالا إلى حواشي المترجم ، الغنية جداً ، كما قلنا ، وإلى ماجرت الاشارة إليه في هذا الفصل وفي الفصل السابق ، عن عادات مماثلة .

(١٩٧٤) ولا نتحدث طبعاً ، فيما يخص مصر طبعاً ، عن سفينة الأموات (إذ ننا نتكلم هنا عن مقارنات ، لاعن انتماءات أو انتشار محتمل) .

(١٩٧٥) ذكر صراحة (ترجمة ، ١٣٢) لفظ زوجة بالنسبة إلى الميت . ولا ريب أن المناديل (ماتقدم ، حاشية ١٩٧١) يرمز إلى وضع الزوجة (انظر الترجمة ، ح ٣٥٠) . أخيراً ، تبرز الصفة المقدسة للزواج ، المختلفة عن الصلة الجنسية المحضة ، بالحد من العلاقة الجنسية : اقرباء الميت يجامعون الجارية مرة واحدة .

(١٩٧٦) الاحتمال ضعيف جداً أن يكون المقصود أهل الجارية بسبب وضعها كجارية .

(١٩٧٧) الزواج الأرضي مع الميت بواسطة أشخاص وسطاء : أهله .

(١٩٧٨) انظر المثال الشهير (مع الانتقال إلى المأساة الحقيقية : كرنفال رومان) في ا . لوروا لادوري ، فلاحو لانغدوك ، باريس ، ١٩٦٦ ، ص ٣٩٥ وما يليها . مثال آخر في لعبة « التماكس » المطبق في بعض المجتمعات المدرسية : في هذا اليوم ، يصبح الجدد « قوة » (لكن ليوم واحد) .

(١٩٧٩) على الحقيقة ، في النص العربي (أبرزناه نحن) . يقوى التأثير الحاصل من اللعب بالألفاظ بالجذر رمد : رماد رمديد (رماد يتفت ، يتطاير في الهواء) .

حواشي الفصل السابع

(١٩٨٠) انظر ماتقدم ، ١/٧٠ وما يليها .

(١٩٨١) غالاطية أو غالوغريسية . انظر بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ١٩١ — ١٩٢ و ٣٢٥ .

(١٩٨٢) انظر ماتقدم ، حاشية ١٠٤

(١٩٨٣) انظر سترابون ، ناشر تارديو ، ج٢ ، باريس ، ١٨٧٣ ، ص ٣٢ ، وبسنيه ، ذكر من قبل ، ص ١٢٤ — ١٢٥ .

(١٩٨٤) انظر ماتقدم ، ١/٨٦ وبسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٣٣٧ ، ٦٧١ .

(١٩٨٥) بالتالي لايهمنا وصفها الآن .

(١٩٨٦) انظر ليفي بروفنسال ، تاريخ الأندلس ، ج١ ، باريس لايدن ، ١٩٥٠ ، ص ٢١٨ — ٢٢٥ ، ٣١٠ — ٣١٢ وأماكن متفرقة .

(١٩٨٧) اليعقوبي (ماتقدم ، ٢/٨٩) يذكرهم ، لكن في حديثه عن اشبيلية ضحية غاراتهم ، دون أن يصفهم .

(١٩٨٨) غزال (ن) ، ١٤ وما يليها .

(١٩٨٩) حول النقاش المثار ، انظر جغرافية ، ج١ ، ١/ح ٦٨٨ ، ٨٨٩ . هويسي ميرنده ، في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج٢ ، ص ١٠٦٢ ، و ا . ا . الحجي ، « العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع الفايكنغ في عهد الأمويين » في هسبيريس ، ٨ روماني ، ص ٦٧—١١٠

(١٩٩٠) نجد الوحي ذاته ، مع اشارات مختلفة في مقابلات سفراء مسلمين في البلاط الساساني : مثال في المسعودي (م) ، ج٤ ، ٢٣١ — ٢٣٢ .

(١٩٩١) ترجمة دوزي ، ذكر من قبل ، ص ٢٧٥ .

(١٩٩٢) نعرف أن النورمان يعرفون آنذاك باسم المجوس ، الذي يدل على الزرادشتين . هذا ما يقوله الغزال (ن) ، ١٥ ، بصراحة : « المجوس وعبدة النار » .

(١٩٩٣) مع مياه جارية وحدائق ، على الأقل في الجزيرة التي يقيم بها الملك : غزال (ن) ، ١٤ – ١٥ .

(١٩٩٤) انظر ج . شابو ، في الموسوعة العالمية ، ج٥ ، باريس ، ١٩٦٨ ، ص ٣١٧ آخرها – ٣١٨ .

(١٩٩٥) انظر دوزي ، أبحاث في تاريخ اسبانية والأدب الاسباني في القرون الوسطى ، باريس ، لايدن ، ج٢ ، ١٨٨١ ، ص ٢٥٠ وما يليها .

(١٩٩٦) المسعودي (م) ، فقرة ٤٠٤ (حول تماثل الروس ، انظر ماتقدم ، ٢/٨٩) يستدعي النص بعض الشروح : فالمسعودي يؤكد في البدء ، على حد زعم أهل الأندلس ، على وجود خليج يعترض من بحر أوقيانوس ، « وليس بالخليج الذي عليه المنارة النحاس » ، (المقصود مجاز هيراقليس عند ملتقى المحيط بالبحر المتوسط ، الذي يشمل السواحل الغربية من جزيرة الأندلس : انظر المسعودي (م) ، فقرة ٢٧٣ ، و م . دنلوب ، « بحر الروم » في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج١ ، ص ٩٦٣ ، ا . هويسي ميرنده ، « جليقية » ، المرجع ذاته ، ج٢ ، ص ٥٥٥) : فالخليج المذكور هنا ينطبق اذن مع بحر البلطيق – بحر الشمال – بحر المانش ، ثم يتحدث المسعودي باسمه عن اتصال هذا الخليج ببحر مايطس (حول ابعاد مايطس الاسطورية ، انظر ماتقدم ، حاشية ١٨٠٢) ، ويضيف أن أمة المجوس التي أغارت على الأندلس هم الروس . إذن قد يظن أن المسعودي يلمح إلى فرضية مجيء الروس من بحر الروم ، لكن لاأثر لهذه الفكرة لديه . ومع أنه لايعطي نظريته بصراحة تامة (الروس قدموا من الشمال ، من بلدان واقعة شمال بحر مايطس) ، فهي تتضح بجلاء ، لأنه يختتم بقوله « ان هذه الأمة المغيرة هم الروس الذين قدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب ، اذ كان لايقطع هذه البحار المتصلة ببحر أوقيانوس غيرهم » . ونحن نعلم جيداً أن غارات النورمان لاتأتي عن طريق بحر الروم .

(١٩٩٧) يتم هذا الفصل بما سوف يقال لاحقاً في الفصل التاسع ، حول الشمال الاسطوري .

(١٩٩٨) ابراهيم بن يعقوب (١) ، ترجمة ، ١٠٥٣ (وحاشية ٤ – ٥) .

(١٩٩٩) هذا هو النوع المسمى شن شمالي قطبي .

(٢٠٠٠) ابراهيم بن يعقوب (١) ، ترجمة ، ١٠٥٧ (وحاشية ١ – ٢) .

(٢٠٠١) ابراهيم بن يعقوب (١) ، ترجمة ، ١٠٥٧ – ١٠٥٨ .

(٢٠٠٢) حول هذا الاسم انظر ماتقدم ، حاشية ١٩٩٢ .

(٢٠٠٣) ابن رسته ، ٨٥ ، ١٣٠ قدامة ، ٢٣١ المسعودي (م) ، فقرة ١٨٨ ، (ت) ، ١٠٠ حدود العالم ، ٥٨ – ٥٩ ، ١٥٨ ، ١٩١ ، ٢٤٥ . يصحح عند ابن رسته ، ١٣٠ ، الترجمة (ذكر من قبل ، ١٤٦) بـ « برطينية العظمى » : جاء في النص مدينة برطينية ، أي المدينة المسماة برطينية ولايسمح لنا تتمة النص بأن نقطع

(٢٠٠٤) انظر ا . بورد ، في الموسوعة العالمية ، ج١٠ ، باريس ، ١٩٦٨ ، ص ١٠٥

(٢٠٠٥) ابن رسته ، ١٣٠ : سبعة من الملوك .

(٢٠٠٦) بدأ تنصر الانكلوسكسون في القرن السادس ، وكان البراطانية نصارى في ذلك التاريخ .

(٢٠٠٧) هي ، منذ العصور القديمة ، كما نذكر ، من أشهر منتجي القصدير : جزر كاسيتيريد (انظر بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٧٠٢ ، لفظ « سيلوروم انسوليه ») ، في أقصى كرنوول .

(٢٠٠٨) سنعود إلى بحثهم فيما بعد في الفصل الحادي عشر ، في اطار تخوم دار الاسلام .

(٢٠٠٩) ابن خرداذبه ، ٩٠ ابن الفقيه ، ٨٢ – ٨٣ ابن رسته ، ٧٩ المسعودي (م) ، فقرة ٣٩٨ ، ٧٠١، ٧٤٧ ، ٩١٠ ، (ت) ، ٤٢٩ اسحاق بن الحسين ، ٤٥٦ .

(٢٠١٠) ابن الفقيه ، ٨٢ – ٨٣ ابن رسته ، ٧٩ (ترجمة ٨٧ ، ح١) .

(٢٠١١) المسعودي (م) ، فقرة ٣٩٨ . الانتقال بين التأكيدين وارد في الفقرة ٩٢٢ : الجلالقة من ولد يافث .

(٢٠١٢) اليعقوبي ، ٣٥٥ المسعودي (م) ، ٣٩٩ ، ، ٤٠٣، ٩١٠ ، ٩١٤ ، ٩١٧ (حول طقس الملكيين ، انظر ماتقدم في الحديث عن الجلالقة) اسحق بن الحسين ، ٤٥٦ ، الاصطخري ، ٣٣ ، ٣٦، ابن حوقل ، ٦١ – ٦٢ ، ١٠٩ ، ١١١ .

(٢٠١٣) منطقة طرطوشة – افراغة – لاردة المسعودي (م) ، فقرة ٤٠٣ .

(٢٠١٤) وليس قارله ، مثلما يشكل الناشر (اصطخري ، ٣٦). حول هذه النهاية، انظر ابراهيم بن يعقوب (١) ، ترجمة ، ١٠٥٥ ، حاشية ٣ آخرها .

(٢٠١٥) بشأن مقارنة الفرنجة بالجلالقة ، المسعودي (م) ، فقرة ٩١٠ يقدم مثالا جيداً على صعوبة التمييز أحياناً بين الفرنجة المتاخمين الأندلس والفرنجة على وجه العموم .

يبدو أن الفرنجة المقارنين بالجلالقة ، هم الفرنجة باختصار ، نعني بدقة فرنجة فرنسة الذين لنا عودة إليهم فيما بعد : اذ نحدث بشأنهم عن « أوسعهم ملكاً » ، وعن « أكثرهم مدناً » .

(٢٠١٦) اليعقوبي ، ٣٥٥ ابن الفقيه ، ٨٧ (وحاشية ك) المسعودي (ت) ، ٢٤٦ ، ٤٢٩ الاصطخري ، ٣٣ ، ٣٦ (تصحح عين إلى غين) ابن حوقل ، ٦٢ ، ١٠٩ حدود العالم ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ٤٢٤ — ٤٢٥ ، بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٣٧٧ .

(٢٠١٧) تصحح ترجمة وايت ، ص ٥٩ : يجب قراءة النص العربي (ص ٦٢) جيل وليس جبل : انظر كتاب حدود العالم ، ٤٢٤ آخرها .

(٢٠١٨) اليعقوبي ٣٥٥ ،المسعودي (م) فقرة ٣٩٩ ، ٩٢٨ ، (ت) ، ٢٤٦ ، ٤٢٩ الاصطخري ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ،ابن حوقل ، ٦٢ ، ١٠٩ ، ١١١ ، حدود العالم ، ١٥٨، ، ٤٢٤ .

(٢٠١٩) يدعى الوشكند أيضاً ، كالجاسقس ، فرنجة ، وبما أنه بالنسبة إلى الوشكند يجب أن نفكر أن لفظ فرنجة يشير إلى سكان جبال الجانب الآخر من البيرينه الغربية : معرفة غامضة عن هوية السكان على سفحي الجبل ! يخلط ابن حوقل من ناحية أخرى ، أحياناً الوشكند والجلالقة : انظر الحاشية التالية .

(٢٠٢٠) ابن حوقل ، ١٠٩ يسمي الوشكند « نصارى الجلالقة » .

(٢٠٢١) يدل الاصطخري ، ٣٦ على البأس الحربي بكلمة شوكة ، وهذا مجاز : شوكة = الشوك ، الرأس ، ابرة ... انظر ماتقدم ، حاشية ١٤٥٥ .

(٢٠٢٢) اليعقوبي ، ٣٥٤ — ٣٥٥ ، المسعودي (م) ، فقرة ٣٩٨ — ٣٩٩ ، ٤٠٣ ، ٤٥٦ ، ٤٩٧ ، ٩١٠ ، ٩١٧ ، ٩٢٢ ، ٩٢٨ ،(ت)، ٢٤٦ ، ٤٢٩ ، الاصطخري ، ٣٣ ، ٣٥ — ٣٦ ، ابن حوقل ، ١٣ — ١٤ ، ٦٠ — ٦٢ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٧ ، اسحق بن حسين ، ٤٥٦ .

(٢٠٢٣) انظر ليفي بروفنسال ، تاريخ الأندلس الاسلامية ، باريس ليدن ، ١٩٥٠ ، ج١ ، ص ١٩٢ ، ج٢ ، ص ٦٦ .

(٢٠٢٤) اليعقوبي ، ذكر من قبل ، ابن حوقل ، ١١١ ، ١١٧ .

(٢٠٢٥) المسعودي (م) ، فقرة ٤٠٣ ، الاصطخري ، ٣٦ (يصحح ابيط إلى ارنيط : انظر ياقوت ، معجم البلدان ، اللفظ ذاته ، يستشهد بابن حوقل) ، ابن حوقل ، ١٠٩ ، ١١١ .

(٢٠٢٦) اسحق بن حسين ، ٤٥٦ .

(٢٠٢٧) المسعودي (م) ، فقرة ٤٠٣ (يتحدث عن معركة زموره ، المقصود في الواقع سيمنكس على حوالي مائة كم إلى الشرق الشمال الشرق) ، ٩١٧ - ٩١٩ ، وليفي بروفنسال ، ذكر من قبل ، ج٢ ، ص ٥٦ وما يليها .

(٢٠٢٨) المسعودي (م) ، فقرة ٩١٧ و ٩٢٨ ، يقولها صراحة .

(٢٠٢٩) المسعودي (م) ، فقرة ٩١٠ .

(٢٠٣٠) اعتبرهم الاصطخري ، ٣٦ ، أشجعهم (انظر ماتقدم ، حاشية ٢٠٢١)

(٢٠٣١) المسعودي (م) ، فقرة ٩١٩ .

(٢٠٣٢) المسعودي (م) ، فقرة ٣٩٨ ، (ت) ، ٢٤٦ ، ٤٢٩ .

(٢٠٣٣) المسعودي (م) ، فقرة ٩١٩ ، (ت) ، ٢٤٦ .

(٢٠٣٤) أول من استعمل لفظ الملكيين ، اوتيخوس (القرن الخامس) ، كما نعلم ، ليدل على الأرثوذكسية التي حرمته (انظر المسعودي (م) ، فقرة ٢١١ ، ٧٣٦ ، ٧٤٩) . يستحيل أخذ الملكية حرفياً لأن تاريخ النصرانية الأندلسية حرفياً كان يتوزع بين الاريوسية والكاثوليكية التثليثية ، قبل آخر القرن السادس .

(٢٠٣٥) انظر المسعودي ، ذكر من قبل ، حاشية ١٩٠٢ .

(٢٠٣٦) المسعودي (م) ، فقرة ٣٩٨ ، ٤٥٦ ، ٤٩٧ ، ابن حوقل ، ١٥ ، ١١٣ ، وما تقدم ، حاشية ١٧٢٩ ، حاشية ١٧٥٤ .

(٢٠٣٧) ابن حوقل ، ١٣ - ١٤ ، ٦٠ - ٦٢ ، ١٩٠ - ١٩١ ، ١٩٩ - ٢٠١ .

(٢٠٣٨) انظر ماتقدم ، ٦٥/٢ (وحاشية ١٨٠٢) ، و ١١٠/٢ .

(٢٠٣٩) انظر ا . هويسي ميرنده ، « برت » ، في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج١ ، ص ١٣٧٧ - ١٣٧٨ ، وابن حوقل ، خرائط ، ص ٦٥ ، ١٩٤ . المخطوط الذي يحويها مؤرخ في ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦ (انظر كرامر ، مدخل إلى كتاب صورة الأرض ، ذكر من قبل) . وعلى الرغم من أن نسخة المخطوطة تزيد ثلاثة عقود عن الحد الزمني المعين لدراستنا ، يمكننا اذن ، بثقة شبه تامة ، أن نعتمد على معلومات الخرائط على أنها معلومات ابن حوقل بالذات (ألف مصنفه في ٣٧٨ و/ ٩٨٨ م) .

(٢٠٤٠) انظر ب . لويس و ج . ف . ب . هويكنز ، في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج٣ ، ص ١٠٧٠ - ١٠٧٣ .

(٢٠٤١) المسعودي (م) ، فقرة ٦٦٥ (ترجمة ، حاشية ١) ، ٩١٢ ، ١١٠٧ و ١٣٨٥ .

(٢٠٤٢) ابراهيم (١) ، ترجمة ، ١٠٥٢ وما يليها . حول وصف شليسويغ ، انظر ١٢٦/٢ .

(٢٠٤٣) الوحيدة التي لم تدخل في هذا المخطط العام : وهي خارجة قليلا عن حدود الثغور حقل ديكومات .

(٢٠٤٤) بشأن تراباني ، التي ذ كر أيضاً بأنها فرنجية (التي استطاع ابراهيم أن يعود منها إلى المغرب ، ومن المغرب إلى الاندلس : انظر ياقوت ، معجم البلدان ، لفظ « اطرابنش » ، حيث ورد أنه مرسى الابحار إلى المغرب) ، أساق إلى اعادة النظر بما كتبته في ابراهيم (١) ، ترجمة ، ذكر من قبل . ربما كان الوصف من ابراهيم (انظر المرجع ذاته ، ص ١٠٥٠ — ١٠٥١) ، ويحيل بلا ريب البتة إلى ترااباني ، لكن إلى ترااباني المسلمة فقط (لن توصف بالتالي في الكتاب الحالي). وفي آخر القرن الرابع هـ / العاشر م ، الذي كتب فيه ابراهيم لامجال بالفعل لتفسير « فرنجية » ، خاصة بالنسبة لهذا الجزء الغربي من صقلية ، الذي يضمن مواصلاتها مع المغرب ، وحيث لاجدل بالسيطرة الاسلامية عليه ، خلافاً لما يجري في الشرق . اذن يجب أن نستنتج أن ذكر « فرنجية » في حالة ترااباني ، (بمعنى احالة عامة إلى أمم أوربة الغربية) مأخوذ عن القزويني ، الذي ينقل نص ابراهيم ، لكن في عهد (٨ هـ / ١٣ م) لم تعد الجزيرة فيه خاضعة سياسياً لدار الاسلام .

(٢٠٤٦) انظر ماتقدم ، ٦٩/٢ .

(٢٠٤٥) ابراهيم (ص) ، ٧ / ١٨٠ .

(٢٠٤٧) انظر ماتقدم ، ٦٩/٢ — ١١٧ ، المسعودي (م) ، فقرة ٩١١ ، (ت) ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ١٩٩ ، ٢٤٦ — ٢٤٧ ، اسحق بن حسين ، ٤٥٦ ، ابن حوقل ، ١٣ — ١٤ ، ١٩٠ ، ٢٠٣ ، حدود العالم ، ١٥٥ ، ١٥٨ .

(٢٠٤٨) المسعودي (م) ، فقرة ٩١١ آخرها ، (ت) ، ٩٩ (نامجين ؟ انظر ماتقدم ، ٦٧/٢ — ٦٩) ، ٢٤٦ و ٤٢٩ (ارمانجس ، قرمانيس ، وجوطش) . ابن حوقل ، خرائط ، ص ٦٥ و ١٩٤ (ماتقدم ، حاشية ٢٠٣٩) ، يعطي اسمين كتابتهما غامضة جداً (نمتين ، تمتين) في حديثه عن الألسنة في ناحية فنديه : المقصود حتماً نامجين ، لانمسي : حسب ترجمة وايت ، ٦١ و ١٨٩ .

(٢٠٤٩) اسحق بن حسين ، ٤٥٦ .

(٢٠٥٠) ابن خرداذبه ، ٩٠ ، ابن الفقيه ، ٨٢ ، المسعودي (م) ، فقرة ٩١١ وما يليها . حول الفرنجة جيران الأندلس ، انظر ماتقدم ، ١١٤/٢ .

(٢٠٥١) وصيف شاه ، ١٢٠ - ١٢١ (كان الفرنجة يحاربون أيضاً الروميس) . مع ذلك يلاحظ أن اسم دار المملكة ، دريوه ، يمكن أن يقترب من بريزه (باريس) ، وهو اسم ورد عند المسعودي (م) ، ذكر من قبل ، إلا أن هذه الامكانية لاتزيل شيئاً من الغموض الباقي .

(٢٠٥٢) ابن خرداذبه ، ٨٩ - ٩٠ ، ١٥٥ ، ابن الفقيه ، ٦ ، ٨٢ ، ابن رسته ، ٨٥ ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٠٣ ، (ت) ٨٤ ، ١٢٠ ، ٢٦٥ ، الهمداني ، ٣٢ ، اسحق بن حسين ، ٤٥٦ ، ابن حوقل ، ١٣ - ١٤ ، ١٩٠ ، ٢٠٣ ، حدود العالم ، ٥٣ .

(٢٠٥٣) أو حوالي ٣٨٥ كم (ابن رسته ، ٨٥ ، قدامه ، ٢٣١) . المسافة الحقيقية (إذا كانت هذه هي المسافة المطلوبة ، وليست مسافة التوغل في داخل الأراضي) من خليج الأسد ، من مرسيليا إلى مرفأ - فندر ، حوالي ٢٠٠ كم .

(٢٠٥٤) في حين أنها انتزعت نهائياً من دار الاسلام على يد بيبين القصير عام ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م : انظر ش . بيلا ، في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج١ ، ص ٦٢٨ .

(٢٠٥٥) ابن رسته ، ١٣٠ ، المسعودي (ت) ، ٣٩ ، ٨٨ ، ١٠٠ ، اسحق بن حسين ، ٤٥٦ ، وما تقدم ، ٧٥/٢ - ٧٦ ، ٩٠/٢ ، ١٠٩/٢ .

(٢٠٥٦) ابن خرداذبه ، ١٥٣ ، المسعودي (ت) ، ٢٤٦ ، ابن حوقل ، خرائط ، ص ٥٦ و ١٩٤ ، وصيف شاه ، ١٢٠ - ١٢١ . لاحظ أن كلمة « مجوس » التي تطلق على عبدة النار في الديانة المجوسية شاع استعمالها للدلالة على النورمان (انظر ماتقدم ، حاشية ١٩٩٢) : نطاق « شمالي » مماثل لما أشرنا إليه . بشأن الملوك ، الملك الوحيد الممكن ذكره هنا (وان كان لم يوصف بأنه فرنجي ، بل « روماني » : انظر ماتقدم ، حاشية ٢٠٤٦ ، لكن انظر أيضاً ماتقدم ٦٩/٢ ،) هو اوتون الأول : يعتقد بأنه تبادل (ابراهيم ، عند القزويني ، ذكر من قبل ، ١٣٩/٢ ترجمة يعقوب ، ذكر من قبل ، ٨ - ٩) الرسائل مع أمويي الأندلس لصيانة مكان مقدس به شجرة زيتون عجائبية . لاحظ أن هذه الشجرة تقابل هنا شجرة الزيتون الواردة في القرآن ، والواقعة في سيناء (قران ، ٢٤ ، ٣٥ والمقدسي ٢٠٩ وترجمة ، ١١٩ ، حاشية ٧) .

(٢٠٥٧) ابن خرداذبه ، ٩٢ ، ١٥٣ - ١٥٥ (كرره مع بعض تعديلات تفصيلية (راهدانية ، صقالبة عوضاً عن روس) عند ابن الفقيه ، ٢٧٠ - ٢٧١ ، (المسعودي (ت) ،

٩٤ ، وصيف شاه ، ١٢٠ – ١٢١ ، لومبار ، دار الاسلام ... ص ٢٠٩ (و ح٣ مع المراجع : نلفت النظر بهذا الخصوص إلى أن المقال الوارد في مجلة الدراسات اليهودية هو ل س . كاهين) ، الملة والتاريخ ... ، ص ٢٠٠ وما يليها ، و س . كاهين ، بعض الأسئلة عن الراهدانية » ، في مجلة دار اسلام ، ٤٨ (٢) ، ١٩٧٢ ، ص ٣٣٣ – ٣٣٤ . لاحظ أن وصف المسالك البرية في نص ابن خرداذبه ، لايتبع (يلي) مباشرة المسالك البحرية ، التي تليها مسالك التجار الروس . لكن ، مادام لايقال لنا شيء عن الاتصالات بين الروس (أو الصقالبة عند ابن الفقيه) وبين الفرنجة (خلافاً لما يجري مع التجار اليهود في الطرق البحرية) ، لامناص لنا من التسليم بأن هذه الاتصالات ، عندما يعود ظهورها مع مسلكهم في البر ، هي اتصالات الفرنجة بالتجار اليهود ، الذين يشار إليهم فقط بالضمير هم .

(٢٠٥٨) المسعودي (م) ، فقرة ٩١٠ – ٩١٢ (مع تمديد أرض الفرنجة ، في الماضي ، حتى رودس وافريقية : انظر ماتقدم ، ١١٨/٢) ، ٩١٤ – ٩١٦ ، ٩١٩ آخرها ، ١٣٨٥ (الملاحظة ذاتها عن امتداد أرض الفرنجة) .

(٢٠٥٩) انظر ماتقدم ، (ح ٢٠١٤) و ١١٩/٢ .

(٢٠٦٠) انظر ماتقدم ، ١١٩/٢ .

(٢٠٦١) من ٨٠ أو ٩٠ مدينة غالية تعترف رسمياً بها السلطة الرومانية ، ارتفع العدد إلى ١٢٠ تقريباً حوالي آخر القرن الرابع : انظر نظرة اجمالية عند م . بورديه ، غالية الرومانية ، باريس ، ١٩٧١ ، ص ٣٨ و ١٣٢ .

(٢٠٦٢) قارله ، في النص ، كما بالنسبة لكل من يدعى « شارل » فيما يلي : حول هذا الاملاء ، انظر ماتقدم ، حاشية ٢٠١٤ .

(٢٠٦٣) التبس اسم «يدسه» في رسم غامض جداً مع اسم قومس ، عرف بأنه قائد: انظر المسعودي (م) ، فقرة ٩١٦ ، ترجمة ، حاشية ١٣ . أما فيما يتعلق بمصالحته المجوس (النورمان) ، فقد كانت من صنع قارله البدين (سلف يدسه ، وليس خلفه) ، وقارله البسيط (ملك مع يدسه ثم خلفه) ، الذي وقع مع رولون معاهدة سان كلير على ابت عام ٩١١ .

(٢٠٦٤) المسعودي (م) ، فقرة ٩١٦ آخرها ، يعلن أنه يملك في وقت كتابة المسعودي للمروج ، في عام ٣٣٦ ﻫ / ٩٤٧م، منذ عشرة أعوام ، بالفعل ملك لويس الرابع من عام ٩٣٦ إلى ٩٥٤ .

(٢٠٦٥) ابراهيم (ا) ترجمة ، ١٠٥٢ – ١٠٥٣ .

(٢٠٦٦) يبدو مستحيلا ، كما كتبت في ابراهيم (١) ترجمة ، ١٠٥٣ ، حاشية ١ ، تحديد ما يقابل هذه المدينة : تلميح إلى الدفاع عن مدن ايطالية الجنوبية (وحتى رومية) ضد الغارات العربية ، أو إلى عجز المسلمين عن اخضاع مجمل مدن ساحل صقلية تماماً .

(٢٠٦٧) لاريب أن هذه الصفات دونت من تجربة خاصة ، مع ذلك تنسجم مع ملاحظات تناولت من قبل أمم الشمال : انظر ماتقدم ،ص ٢٧٨/١ ، ٢٧٩/١، ٢٨٤/١ ، ٣١٨/١، ٣١/٢، ٩٤/٢ .

(٢٠٦٨) يكذب هذا القول ماسوف يقال فيما بعد عن روان : لكن قد يكون استثناء ، مع كل الابراز الذي يستحقه .

(٢٠٦٩) المسألة مجادل بها : انظر ا . ج . ونسنك ، مفصل التقليد المحمدي القديم ، لايدن ، ١٩٦٠ ، ص ٩١ و ٢١٣ ، و هـ . لاهوست ، كتاب الشرح والابانة على أصول السنة والديانة لابن بطة ، دمشق ، ١٩٥٨ ، ص ١٤٢ .

(٢٠٧٠) نحيل هنا اجمالا إلى ابراهيم (١) ، ترجمة ، ١٠٥٣ وما يليها (والحواشي)

(٢٠٧١) سنعود إلى هذا الموضوع فيما يلي ، الفصل ١١ ، في بحث الحدود الاسطورية لدار الاسلام .

(٢٠٧٢) تقليد لموضوع احسان مارتين الذي تخلى عن نصف معطفه .

(٢٠٧٣) انظر ماتقدم ، ١١١/٢ .

(٢٠٧٤) ورد عند ابراهيم اسم باجألب ، الذي نرى فيه لا اسم المؤسس ستورم ، تلميذ القديس بونيفاس ، في الواقع ، بل اسم القس الثاني في فولده ، بوغلف (٧٧٩ - ٨٠٢) . ويذكرنا النص أيضاً خاصة بلفظ شهيد ، بالقديس بونيفاس ذاته ، مطران ماينس ، الذي نصر بلدان هيس وتورنج وبافيير ، ومات شهيد في فريزه في القرن الثامن ، ودفن في فولده . أما حظر دخول المدينة على النساء فقد حرموا فعلا حتى عام ١٣٩٧ من دخول الادارة الجماعية .

(٢٠٧٥) حتى لو بولغ بوزن التمثال ، فقد كان حتماً هائلا ، لأنه يقال لنا بأنه كان « مثبتاً من الخلف بصفيحة عريضة وكبيرة » .

(٢٠٧٦) يدقق النص في تحديد موقع العين : الرسم ، الغامض ، مستوحى من الجذر شعر ، واحد معانيه « الشعر » . لعل فيه « ترجمة » هآر ، الذي يظهر في عدة أسماء من أماكن المنطقة : هآر ، هآرسترنج ، هآرن . مع ذلك انظر مايلي حاشية ٢٠٧٨) . حول تحديد العين حديثاً ، انظر الاحالة في ابراهيم (١) ، ترجمة ١٠٦١ ، حاشية ٨ .

(٢٠٧٧) تقع بصورة أدق في داخل جون عميق من شلي .

(٢٠٧٨) الشعرى : يلاحظ أننا نجد هنا الجذر ذاته الذي مر في الحاشية ٢٠٧٦ .

(٢٠٧٩) حول هذه المواضيع ، انظر خاصة ، ص ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٣٢٥ و ٣٣٧ .
بشأن النورمان ، انظر ماتقدم ، ١٠٩/٢ .

(٢٠٨٠) لعل لهم صفة واحدة أفضل : « تزيد النساء والرجال من جمالهم بخضاب ثابت »

(٢٠٨١) يصف ابراهيم أيضاً كوتونه (انظر مايلي ، في بحث ايطالية) وترابانى التي لنا عودة إليها : انظر ماتقدم ، حاشية ١٩٨٥ ، حاشية ٢٠٤٤

(٢٠٨٢) تفصيل له مغزاه : لاترد الفرنجة في جدول مساحات الممالك الكبرى في العالم ، الذي يعطيه المسعودي (م) ، فقرة ١٣٦٦ – ١٣٦٧ .

(٢٠٨٣) بالنظر إلى التمييزات التي أجريناها حتى الآن (انظر الحواشي فيما تقدم ، ٥٦/٢ وما يليها تصبح النصوص التي تهمنا على الوجه التالي : ابن خرداذبه ، ٩٢) (حيث قد لايدل اللفظ على بلغار دنبه ، خلافاً لما ورد في حدود العالم . كرره ابن الفقيه ، ٨٣) ، ابن رسته ، ١٣٠ (انظر حدود العالم ، ٤٢٣) ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٥٦ و ٩٢٢ (فقط المقاطع الموثوقة تقريباً ، في (م) ، فقرة ٧٣٤ و ٧٣٧ ، وفي (ت) ، ١٩١ ، ١٩٤ – ١٩٥ ، ٢٢٩ ، ٢٤٨ ، ٢٦٣ . يتكرر لفظ برجان بانتظام في الحديث عن حروب قسطنطين (بما فيها ضد مكسنس) أو غيره : بشأن هذا الموضوع ، انظر ماتقدم ، حاشية ١٧٥٢ ، لكن أيضاً ، المسعودي (م) ، فقرة ٧٣٤، ترجمة ، ح٤ ، وفي (م) ، فقرة ٩١٠ (قائمة الأمم فقط) ، يبدو بالأحرى أن المقصود البلغار) ، (ت) ، ٢٤٩ ، ٢٥٧ (ذكر فقط) ، ابن حوقل ، خرائط ، ص ٦٥ و ١٩٤ (برجان واردة كاحدى الألسنة المحكية في فنديه) ، ماركار ، Streifzüge ، ص ٢٠٧ ، ٢٦٩ – ٢٧٠ .

(٢٠٨٤) انظر ماتقدم ، حاشية ١٧٢٩ ، حاشية ١٧٥٤، ٦٠/٢ ماركار Streifzüge ، ص ٦٨) يعتقد أنهم مجغرية بنونية وراء اسم « البلغار » هنا .

(٢٠٨٥) سنقول فيما بعد ، في الحديث عن رومية ، الحذر الذي يجب أخذ جانبه عند الكلام عن هذه القصة .

(٢٠٨٦) ابن رسته ، ٨٥ ، قدامه ، ٢٣١ ، المسعودي (م) ، فقرة ٢٧٦ ، ٤٥٦ .
انظر أيضاً مايلي ، ١٣١/٢ .

(٢٠٨٧) أي حوالي ١٠٠٠ كم ، وهي مسافة تزيد قليلا عن الحقيقة .

(٢٠٨٨) يجب أن نفهم من هذا التعبير أن المقصود ايطالية الوسطى . لكن لايستبعد تماماً احتمال وجود خطأ . سنعود فيما بعد إلى رومية ذاتها .

(٢٠٨٩) حول كورتونه ، انظر مايلي . يبدو أن ابن حوقل ، ٢٠٣ ،يحدد كافرنجية سواحل بحر الروم في ايطالية الشمالية . سنعود فيما بعد إلى رومية ذاتها .

(٢٠٩٠) رسم آخر فيما تقدم ، ح ١٨٦٢ ، وفيما يلي ، ١٣١/٢ . حول رسم نوكرده انظر ماتقدم ، حاشية ١٣١٠ .

(٢٠٩١) ابن رسته ، ١٢٨ ، ترجمة ١٤٤ (الذي يتبع اعادة الترتيب البارعة التي أجراها مركار ، Streifzüge ، ص ٢٣٩ وما يليها ، ٢٥٩) . لومبار الشمال أيضاً عند وصيف شاه ، ١٢٠ : أقوياء ويملكون مدناً عديدة ، متنصرون ، ويشبه لباسهم لباس الروم ، وينزلون بين الروم وبين الفرنجة ، ويحاربون الفرنجة والصقالبة .

(١٠٩٢) يقارن بالخاصة الواردة فيما تقدم ، ٥٨/٢ .

(٢٠٩٣) من هذه الجهة ، يجب فهم الاحالة إلى الكرد كاشارة بسيطة إلى البداوة : انظر حدود العالم ، ص ٣٣٦ ، حاشية ١ .

(٢٠٩٤) انظر تفسير ماركار ، ذكر من قبل ، ٧/٢ ، لجملة غامضة من ابن رسته ، الذي يرى أن اللومبار « لايغادرون سهولهم إلى أكثر من عشرين خطوة » . في جميع الأحوال ، يبدو أن الاشارة إلى مشارف رومية صحيحة تاريخياً : يمكن أن نرى فيها مرامي الملوك اللومبرديين الأخيرين ، خصوصاً ايستولف ، ضد مدينة البابا .

(٢٠٩٥) انظر ، انشودة الحرب الصليبية الالبيجية ، طبعة ا . مارتين شابو ، باريس ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٠ .

(٢٠٩٦) المسعودي (م) ، فقرة ٩٢٠ — ٩٢٢ .

(٢٠٩٧) حول القراءة اداكيس ، المشكوك فيها كثيراً ، انظر المرجع ذاته ، فقرة ٩٢٠ ، ترجمة ح٣ .

(٢٠٩٨) انظر حدود العالم ، ١٩١ — ١٩٢ .

(٢٠٩٩) الواقع أنهم ينضمون أحياناً إلى الفرنجة في حروبهم في مقاطعة برومانس ضد المسلمين القادمين من لنغدوك (حول هذه الحروب ، انظر ليفي بروفنسال ، تاريخ الأندلس المسلمة ، ج١ ، ص ٥٥ ، ٦٣ : انظر ل . موسيه ، « لومبار » في الموسوعة العلمية ، ج١٠ ، باريس ، ١٩٦٨ ، ص ١٠١ لاحظ أيضاً دور الايطاليين في الحرب ضد قاعدة المسلمين في جبل القلال (التي يجعلها ابن حوقل في طاعة الأندلس الاسلامية ، كما سنذكر في آخر هذا الفصل) : انظر ليفي بروفنسال ، ذكر من قبل ، ج٢ ، ص ١٦٠ (و ح ٢) . لاحظ أيضاً على مستوى آخر أن النكبرد يستعبدون باعتبارهم أمة شمالية :

انظر ابن خرداذبه ، ٩٢ ، الذي يذكر خدم اللمبرديين مع خدم الصقالبة والفرنجة (وكذلك الروم) .

(٢١٠٠) ورد في احدى المخطوطات رسم قد يقرأ نابول : نابولي ، التي لم تدخل في مملكة نوكبرده حول تاريخ ايطالية الجنوبية ، من منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، إلى منتصف الرابع هـ / العاشر م ، انظر ا . ا . فاسيليف ، بيزنطية والعرب ، ج٢ / ١ ، أماكن متفرقة . بشأن يست يقول المسعودي (م) ، فقرة ٩٢٠ ، مايسميه ، بمبالغة ظاهرة ، أحد أنهار العالم الموصوفة بالكبر والعجائب ، يخترقها ، السايبط . يقصد (انظر المرجع ذاته ، فقرة ٢١٥ : سابط) سباتو ، الرافد الأيسر لنهر كالور ، الذي يصب فيه عند يست : انظر بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٦٥٥ .

(٢١٠١) يقول المسعودي (م) ، فقرة ٩٢١ : مدينة سردانية . اصحح بلا تعيين لأنني أفكر بأن المسعودي أراد بهذا الاسم الذي بدا له لغزا أن يجد إحدى « الجزائر » التي يذكر المرجع ذاته ، فقرة ٩٢٠ ، أن النوكبرده يملكونها .

(٢١٠٢) ابن حوقل ، ٦ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ١١٨ ، ١٣٠ ، ١٩٠ — ١٩١ ، ٢٠٠ — ٢٠١ (مع تفصيل هام عن مرور الرقيق) ، ٢٠٢ — ٢٠٣ . ص ١١٠ ، يعود إلى الظهور الموضوع المسعودي عن اجتماع الفرنجة والجلالقة ضد الأندلس المسلمة ، إلا أن كلابره والصقالبة انضما إلى هذه الكتلة ، فقلبت الأندلس اتجاه العمليات ونقلت الحرب إليها لتأخذ الرقيق منها .

(٢١٠٣) ابن حوقل ، ١١٨ ، ٢٠١ — ٢٠٣ ، ٢٥٥ ، وخرائط ص ٨ ، ٦٤ — ٦٥ و ١٩٤ .

(٢١٠٤) انظر ماتقدم ، حاشية ٢٠٤٨ و ١٢٨/٢ .

(٢١٠٥) ابن رسته ، ١٢٨ ، ماركار ، Steifzüge ، ص ٢٤٠ وما يليها ، حدود العالم ، ٤٢٣ — ٤٢٤ . وهكذا تبدو فنديه نهاية المسلك في بلد الصقالبة الذي تحدثنا عنه فيما تقدم ، ٢٧٣/١ .

(٢١٠٦) ابراهيم (ص) ، ٧ (و ١٠٢، حاشية ١١٣) / ١٧٩ — ١٨٠ ، وما تقدم ، ١١٩/٢ (حول اذريس ، انظر أيضاً ماتقدم ، ١٢٨/٢) . لاحظ أننا نعثر أيضاً على تعبير « بحيرة بناجيه » .

(٢١٠٧) يزيد عرضها قليلا عن عروض كروتون ، إلا أن المطابقة فيما يبدو أفضل مع غسبرينا ، الأفضل مع ذلك بالنسبة إلى درجة العرض : حول الدور التاريخي لسانتا سيفيرينا ، انظر فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٢ / ١ ، ص ١١٠ ، ١٥٣ .

(٢١٠٨) اوباتركوكسا : انظر فاسيليف،بيزنطية والعرب ، ج٢ / ١ ، ذكر من قبل ، ١٣٥/٢ .

(٢١٠٩) خلال هذا الاسم الغامض قبلياً ، نستشف بنتيداتلو (من اليونانية بنتيدكتيلوس ، « ذو أصابع خمس » ، مما يشير إلى الصفاة المتشعبة التي تقوم عليها هذه البلدة ، الواقعة على ستة كم من ميليتو دي بورتو سالفو) . ويحيل الجزء الثاني من الاسم العربي ، وهو دقتل إلى دكتيلوس بداهة ، ويكون الجزء الأول قراءة سيئة لبندا .

(٢١١٠) الرسم غامض : كسشا ، كسنتا ، إلا أن توالي المدن يساعدنا ، فيصبح تحديد المدينة راجحا .

(٢١١١) اوشلوره : يقع البلد على الخريطة بجلاء وراء امالفي ، في داخل البر : قد يقصد فيما يبدو كالور (ى) ، اسم أحد النهرين ، اللذين يتلقى أحدهما ساباتو في يست (ماتقدم ، حاشية ٢١٠٠) ، والآخر ويقع إلى الجنوب ، يرفد سيلاروس (سيلي) الذي يصب في البحر التيريني إلى شمال بايستوم : انظر بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ١٤ و ١٦٣ . لكن ربما استطعنا ، رغم الموقع على الخريطة ، أن نفكر في سالرنو ؟ أو رغم الرسم ، في اغروبولي ؟

(٢١١٢) لاتدخل امالفي في مملكة نوكبرده ، شأنها شأن نابولي التي انفصلت عنها في القرن التاسع .

(٢١١٣) ابن حوقل ، ٢٠٢ – ٢٠٣ . ترد في النص أيضاً (وليس فقط على الخريطة) ، لكن تذكر ذكراً فقط ، بناجية وريجيو وشلوري وغابيت : احالة إلى ماتقدم ، حاشية ٢١٠٣ .

(٢١١٤) ابراهيم (١) ، ترجمة ، ١٠٦٣ : ربما وجب التفكير بارتداء قبعة في الطقس الحار ، لاتحمي الا قسماً من الوجه من الشمس والسمرة .

(٢١١٥) ابن حوقل ، ٢٥٥ – ٢٥٦ (مع كثير من عدم الدقة في تحديد موقع جميع هذه البراكين) : مقطع علق عليه شوارز ، Iran im Mittelater nach den arabischen Geographen ، لايبزغ ، ج٤ ، ١٩٢١ ص ٢٩٣ – ٢٩٤ .

(٢١١٦) ابن حوقل ، ١٧ .

(٢١١٧) حول هذه المسألة ، انظر نظرة اجمالية ممتازة عند س . كاهين ، الاسلام من نشوئه إلى الامبراطورية العثمانية ، باريس ، ١٩٧٠ ، ص ١٢٩ وما يليها .

(٢١١٨) وهو يهودي ، يحتمل أن يفتح له دينه أبواب اليهود في أوربة الغربية .

(٢١١٩) ابن رسته ، ٩٨ .

(٢١٢٠) ابن رسته ، ١١٩ ، ١٢٦ وما يليها .

(٢١٢١) وليس تدخل الدهشة ، كما عند ابن فضلان (انظر ماتقدم ، ٢٨/٢) . فيما يتعلق بهارون يبدو أن ابن رسته ، ١٣٠ آخرها ، يميز في تفصيل خاص ، بعض المعطيات العائدة إلى رومية عن المعطيات المنقولة عن هارون . الا أن الخاتمة العامة للوصف ، الصادرة عن مؤلف حريص على الحقيقة (انظر جغرافية ج١ ، ٦/٢ ، ١٢/٢) ، تستحق أن تذكر : « وقد تركنا من ذكر ذلك أشياء كثيرة كرهنا ايداع جميعها هذا الكتاب استسرافاً واستكثاراً ، ولأنها بالكذب أشبه منها بالصدق ، وان كان جميع ذلك مدوناً في الكتب يدور بين الناس ، قد استحسنوه وقبلوه ، واتفقوا على التصديق به » (ابن رسته ، ١٣٢ ، ترجمة ١٤٦) .

(٢١٢٢) هكذا يستنتج برصانة تامة م . كانار ، في فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٢ / ٢ ، ص ٣٨٠ ، حاشية ٢ . حول هارون ، انظر احالة عند ابن رسته ، ترجمة ، ١٣٤ ، حاشية ٣ .

(٢١٢٣) المسعودي (م) ، فقرة ٧١٥ .

(٢١٢٤) ابن خرداذبه ، ١٠٤ .

(٢١٢٥) المسعودي (م) ، فقرة ٦٦٤ ، ٧٠١ ، ٧١٥ (انظر الترجمة ، الحواشي – ٧٣٤ (ت) ، ١٦٢ ، ٢٣٧ – ٢٣٨ ، ٢٤٧ .

(٢١٢٦) المسعودي (م) ، فقرة ٦٦٤ .

(٢١٢٧) مع ذلك يجمعون تحت الاسم الواحد « ملوك » رومية وملوك القسطنطينية : المسعودي (م) ، فصل ٢٨ و ٢٩ (عناوين) .

(٢١٢٨) انظر ماتقدم ، ١١٧/٢ ، ١١٩/٢ ، ١١٧/٢ .

(٢١٢٩) المسعودي (م) ، فقرة ١٢٨٤ ، ١٢٩٧ .

(٢١٣٠) يتحدث اليعقوبي مراراً عن الرومان الذين يزعم أهل طرابلس وبرقه وتونس انهم من نسلهم : اليعقوبي ، ٣٤٤ ، ٣٤٧ (ترجمة ، ٢٠٨ ، ح ٢) ، ٣٤٨ (حيث يترجم روم برومان وليس بيونان) ، ٣٥٠ (انظر أيضا ابن خرداذبه ، ٨٣ ، ٩١ – ٩٢) ، المسعودي (ت) ، ٧٢ ، يذكر في كلامه عن البطالسة حروب الرومان في بحر الروم ، وابن خرداذبه ، ١١٧ – ١١٨ ، خراب بيت المقدس على يد الروم (حول هذه القضية ، انظر مايلي ، ٢٥٥/٢) .

(٢١٣١) قارن حدود العالم ، ١٥٨ (رومية دار مملكة ملوك الروم قديما) بالمسعودي (ت) ، ٢٤٦ — ٢٤٧ : رومية دار مملكة الفرنجة ، « قديما وحديثا » .

(٢١٣٢) المسعودي (م) ، ٧١٥ — ٧٣٤ ، (ت) ، ١٧٠ ، ١٧٢ — ١٨٩ . لا حظ ان اوغسطس ، الذي تلتبس شخصيته جزئيا بشخصية انطونيوس ، مات من لسعة الحية ذاتها التي قتلت كليو بتره : المسعودي (م) ، فقرة ٧٠٨ — ٧١٢ .

(٢١٣٣) المسعودي (ت) ، ١٨٨ — ١٨٩ ، ١٩٩

(٢١٣٤) يجعل المسعودي (ت) ، ٢٤٦ ، هذا الوضع يدوم حتى حولي ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م. قارن هذا التدوين بما قيل ، حاشية ٢١٣١ . انظر أيضا المقدسي ، ج ٤ ، ٦٤ : أعظم مدن الروم رومية إلا ان مركز المملكة بيزنطية (القسطنطينية) .

(٢١٣٥) المسعودي (م) ، فقرة ١٣٨٥ ، يشير في بضعة أسطر إلى ثلاثة بيوت . « معظمة عند اوائل الروم » : البيت الأول والثاني عند الافرنجة في قرطاجنة (انظر ما تقدم ، حاشية ٢٠٤١)وبيت في مقدونية (قد تدعي مصر السفلى (الوجه البحري) بهذا الاسم : انظر ابن الفقية ، ٥٧ وياقوت ، معجم البلدان ، لفظ « مقدونية») .

(٢١٣٦) ابن رسته ، ١٢٩ ، المسعودي (م) ، فقرة ١٢٨ ، ٧١٨ ، ٧٢١ — ٧٢٢ ، ٧٢٦ — ٧٢٩ ، ٧٣٤ ، (ت) ، ١٧٤ وما يليها ، ٢٠١ — ٢٠٢ ، ٢١٩ — ٢٢١ .

(٢١٣٧) يروي المسعودي ، (ت) ، ١٧٥ — ١٧٦ أيضا ان بطرس سجن في عهد نيرون ، ثم اطلق سراحه ، وعندئذ ذهب إلى انطاكية .

(٢١٣٨) حول اختراع الصليب على يد هلاني (المسعودي (م) ، فقرة ٧٣٤ ، نشير إلى ان المسعودي يعطي في مقطع آخر ، (ت) ، ١٧٦ ، لهلاني مثلا أعلى في شخص « بروتونيكي » ، زوجة كلود » : انظر (ت) ، ذكر من قبل ، حاشية ٣

(٢١٣٩) ابن رسته ، ١٢٨ ، انظر أيضا ما تقدم ، ١١٧/٢

(٢١٤٠) ابن رسته ، ذكر من قبل .

(٢١٤١) المسعودي (م) ، فقرة ١٢٩١ ، (ت) ، ٢٠١ — ٢٠٢ ، ٢١٩ ، ابن حوقل ، ٢٠٢ يحدد رومية بأنها كرسي : مركز (مطرنية أو بطريكية : انظر دوزي ، ملحق ، ج ٢ ، ص ٤٥٦) .

(٢١٤٢) المسعودي (ت) ، ١٩٦ ، ٢٠٤

(٢١٤٣) المسعودي (م) ، ١٣٦٧ الذي يميزها عن مملكة « روم القسطنطينية » . تقارن مساحتها بمساحة بلدان الصقالبة : انظر ما تقدم ، ٥٩/٢ . يصعب استخلاص استنتاج معين من الرقم المعطى ، لأن نسبة المساحة إلى السكان (انظر الاحالة فيما تقدم ، حاشية ١٨٧٥) هنا مشكوك جدا فيها : ندرة المعطيات العائدة إلى السكان وغموض المساحة (الروم أو الفرنجة ؟)

(٢١٤٤) ابن الفقيه ، ٨ ، ابن رسته ، ٩٨

(٢١٤٥) المسعودي (ت) ، ٨٤ ، حدود العالم ، ١٥٨ ، وما تقدم ، ١٢٩/٢ (وحاشية ٢٠٨٨) . أما ابن حوقل ، فيجمع جميع السواحل الشمالية لبحر الروم ويضعها في المملكة البيزنطية : انظر ما تقدم ، ص ٣٥٣ .

(٢١٤٦) المسعودي (م) ، فقرة ٤٩٣ ، (ت) ، ٢٤٥ ، وما تقدم ، ٢٥٣/٢ ، ٥٦/٢ — ٥٧ ، ٦٠/٢ ، ١٢٨/٢ .

(٢١٤٧) نص ابن خرداذبه ، ١١٣ — ١١٥ ، أساس وصف رومية . كرره ابن الفقيه مع بعض التباين ، ١٤٩ — ١٥١ ، وابن رسته ، ١٣٠ — ١٣٢ ، والمقدسي ، ج ٤ ، ٦٤ ، واسحق بن حسين ، ٤٥٦ — ٤٥٩ . يضيف ابن رسته معطيات تأتي على الأرجح من هرون بن يحيى . يعثر على مجمل هذه المعلومات مع بعض الاختلاف عند ياقوت في معجم البلدان ، لفظ « رومية » .

(٢١٤٨) ذكرت هذه العجائب على ما هي بدون تبسيط (تفصيل) عند ابن الفقيه ، ٥١ ، ٢٥٥ (لائحة عجائب العالم) . يرد ذكر نيل رومية في ثاني هذه المقاطع : نيل روماني ؟ نيلة رومانية ؟

(٢١٤٩) اسحق بن الحسين يعطي الرقم ٥٠٠٠ .

(٢١٥٠) حول معنى لفظ ناقوس ، جمعه نواقيس ، انظر حاشية ١٩٠٢ حاشية ٢١٥٨ .

(٢١٥١) دي خويه (ابن الفقيه ، ١٥٠ ، حاشية د) يستشف من الاسم العربي ، اوستيا تيبيريس . يحتمل ، إلا ان الاسم (الذي يوجد عند ابن خرداذبه مهما قيل عنه) هو الاسم ذاته الذي يقرأ فسطيلا طس في مكان آخر .

(٢١٥٢) وكذلك كنيسة بطرس وبولس ، كما سوف نرى ، ابن رسته ، ١٢٩ ، يذكر ان رومية معرضة لهجمات المسلمين : انظر س . كاهين ، في تاريخ الحضارات العام ، ج ٣ : القرون الوسطى ، باريس ، ١٩٦٥ ، ص ١٤٢ ومركار ، ذكر من قبل ، ص ٢٦٨ .

(٢١٥٣) يرى ابن خرداذبه ان شبه الجزيرة متصلة بالبر من الشمال ، ويغمرها البحر من الغرب والجنوب والشرق : ونقربان هذا الوضع ينطبق على القسطنطينية أكثر منه على رومية (مع ذلك لا حظ ان ابن رسته ، ١٢٩ (حسب هرون بن يحيى ؟) لا يتحدث عن البحر إلا من الغرب) . نشير بالنسبة إلى السور ان سور القسطنطينية الذي بناه تيودوز ليس مزدوجا بل مثلثا : وحوله وحول باب الذهب ، انظر ر . جانين ، القسطنطينية البيزنطية ، ذكر من قبل ، ص ٢٤٨ وما يليها . يقدم ابن الفقيه ، ١٠٨ ، نوعا آخر من الالتباس : فرجال ، هم رسل الروم (مملكة بيزنطية ، حسب سياق الحديث) ، يسمون أنفسهم معاشر أهل رومية .

(٢١٥٤) انظر ما يلي ، الفصل التاسع .

(٢١٥٥) ابن رسته ، ١٣١ - ١٣٢ . لا حظ أيضا ، المرجع ذاته ، ذكر أحد الشمانين بلا تفصيل .

(٢١٥٦) ابن خرداذبه ، ١٦٠ (وحاشية ج)

(٢١٥٧) لا حظ وجود سوق مماثل في القسطنطينية . لا أثر له عند جانين ، ذكر من قبل ، لكن انظر ب . لومرل ، النزعة الإنسانية الأولى في بيزنطية ، باريس ، ١٩٧١ ، ص ٢٤٨ .

(٢١٥٨) يدل الناقوس (ما تقدم ، حاشية ١٩٠٢) اذن لا على القطعة التي يضرب عليها ، بل على القطعة (مقرعة خارجية أوداخلية) التي يضرب بها على « القبة » الثابتة فيما يبدو : المبنية من الفضة ، حسب النص (ابن رسته ، ١٢٩) . بالنسبة إلى الكؤوس (فيما بعد) قارن بـ ٦٠٠ وعاء الصفحة ٣٧٣ .

(٢١٥٩) ابن رسته ، ١٢٩

(٢١٦٠) ابن رسته ، ١٢٩ - ١٣٠ (انظر أيضا اسحق بن الحسين، ٤٥٩). ليس هذا برهان على وجود هرون في رومية . قد يكون سأل روميين في القسطنطينية ذاتها .

(٢١٦١) انظر متى ، ١٠ ، ٩ - ١٠ ، لوقا ، ٩ ، ٣

(٢١٦٢) يعثر على موضوع الكنيسة التي تنورها ثرواتها أيضا في كنيسة الرسولين : اسحق بن الحسين ، الذي لا يذكر سوى قبر سمعان بطرس ، ويتحدث عن عمود ياقوت أحمر الذي يشع بالليل وينثر النور .

(٢١٦٣) ابن خرداذبه ، ١١٥

(٢١٦٤) ابن خرداذبه ، ١١٦ ، ابن الفقيه ، ٧٢ ، ابن رسته ، ٧٩ (ترجمة ،

٨٦ ، حاشية ٤) ، ١٢٨ ، المسعودي (م) ، فقرة ١٤٢٢ (يحمل الزيتون في أيامه ويطرح في السودانية النحاس) ، اسحق بن الحسين ٤٥٨ (الذي يحمل زرزور النحاس في أعلى الرجل المبني من نحاس)

(٢١٦٥) العاشر من شهر المحرم ، يوم صيام اختياري : انظر ا . ج . ونسنك ، في الموسوعة الإسلامية (٢) ، ج ١ ، ص ٧٢٦ .

(٢١٦٦) ابن الفقيه ، ١٥

(٢١٦٧) شابشتي ، ١٠٣

(٢١٦٨) انظر ليتبرند ، انتابودوسيس ، ٦ روماني ، ٥ وما يليها . انظر أيضا جانين ، ذكر من قبل ، ١٥٧/١

(٢١٦٩) مركار Streifzuge ، ص ٢٦٣ ، وما يليها ، الذي يستفيد من بعض الاختلافات الواردة عند ياقوت (انظر ما تقدم ، حاشية ٢١٤٧)

(٢١٧٠) انظر ج . ه . هوردتمان ، « القسطنطينية » في الموسوعة الإسلامية (٢) ، ج ١ ، ص ٨٨٩ .

(٢١٧١) ابن الفقيه ، ١٤٩ . مقطع آخر مهم عند ابن الفقيه ، ١٠٨ (ذكر جزئيا فيما تقدم حاشية ٢١٥٣) : يعترف رسل الروم (المملكة البيزنطية ، حسب سياق النص) في دمشق ، انهم ، هم أهل رومية ، خدعوا ، عندما ظنوا ان بقاء العرب قليل . أخيرا ، موضوع التبشير بقرب خراب رومية يقارن بما قيل عن الأندلس ، ما تقدم ، ١١٤/٢ .

(٢١٧٢) الجزائر الاسطورية في الغرب والشمال الأقصيين سيأتي وصفها في الفصل التاسع .

(٢١٧٣) رغم اننا مضطرون ، كما سوف نرى ، لذكر اسمائها في هذا الفصل ، ما دام المؤلفون يتحدثون عن جميع جزر بحر الروم دفعة واحدة

(٢١٧٤) مع ذلك لا يجوز ان نبالغ بهذه « الوحدة » البحرية الرومية . وعندما يتحدث ابن حوقل ، وهو ابرز ممثل للتيار « الاسلامي » عن جزر بحر الروم عامة (ابن حوقل ٢٠٣) ، يحرص على إدخال جزيرة مايوركه (المرجع ذاته ، ١١٤ - ١١٥) وخاصة جزيرة صقلية الهائلة (المرجع ذاته ١١٨ - ٢٣٢) في وصف المغرب المسلم . ونلحظ الموقف ذاته عند المقدسي (ص ١٥ ، ٢٢١ ، ٢٣١ - ٢٣٢) . وهكذا نرى اننا نستطيع ان نعتمد على هذين المؤلفين العظيمين .

(٢١٧٥) ابن رسته ، ٨٥ ، قدامه ، ٢٣١

(٢١٧٦) اذا حصرناها ضمن متوازي الأضلاع تقريبي ، أبعاده ٢٢٠ × ١٣٠ كم، نصل كما نرى إلى ٧٠٠ كم . تعرضت الجزيرة إلى الغارات المسلمة ، لكن لم تتعرض إلى احتلال متواصل : انظر ج . كروثر غورلون ، في الموسوعة الإسلامية ، ج ٤ : ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٢١٧٧) تمثل جزيرة ميرقه الارخبيل على خريطة ابن حوقل : انظر ابن حوقل ، ٦٥ .

(٢١٧٨) أي أقل قليلا من ٤٠٠ كم . يبلغ محيط المثلث التقريبي الذي تشكله (١١٠ × ١٢٠ × ١٨٠ كم) القيمة المعينة تقريبا ، كما نرى . حول غارات المسلمين ، انظر ك . كاهين ، في تاريخ الحضارات العام ، ذكر من قبل ، ص ١٥٦ .

(٢١٧٩) انظر أيضا ما تقدم ، حاشية ٢١٠١

(٢١٨٠) ما عدا صقلية ، لأنها مقر بطريق آخر : ابن خرداذبه ، ١٠٩ . ورد ذكر جزائر قبرس ، اقريطش ، وجزيرة الذهب (فامينيانا ، إلى عرب صقلية) وجزيرة الفضة (بنتلاريا ؟) . أما سردانية ، فقد افتتحها جوستينيان ، والحقت بولاية (ابرشية) افريقية ، ثم باكسر خسية افريقية ، قبل ان تصبح مجازفة الحروب بين البيزنطيين والمسلمين : انظر بريهيه ، مؤسسات الامبراطورية البيزنطية ، ذكر من قبل ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ ، ش. ديهل ، افريقية البيزنطية ، باريس ، ١٨٩٦ ، ص ١٠٧ - ١٠٨ ، ١١٠ ، ٥٣٦ وأماكن متفرقة ، ج . جاي ، ايطالية الجنوبية والأمبراطورية البيزنطية ، باريس ، ١٩٠٤ ، ص ٥٦ ، ٢٢٤ ، ٣١٠ .

(٢١٨١) ابن حوقل ، ١١٨ . وردت على الخريطة مع سردينية، المرجع ذاته، ٦٤ : انظر شكل ٢٩

(٢١٨٢) حدود العالم ، ٥٩ - ٦٠ ، ١٩١ - ١٩٢

(٢١٨٣) انظر ليفي بروفنسال ، تاريخ الأندلس المسلمة ، ج ٢ ، ص ١٥٧ - ١٦٠

(٢١٨٤) يمكن مع ذلك ان تعود هذه الصفات إلى جبل القلال ذاته .

(٢١٨٥) الاصطخري ، ٥١

(٢١٨٦) انظر ليفي بروفنسال ، ذكر من قبل ، ص ١٥٨ ، حاشية ٢

(٢١٨٧) ابن حوقل ، ٢٠٤ . وضع جبل القلال على الخريطة ، ص ٦٥ ، مقابل

نهر كبير (الرون بداهة) ومقابل بلدان مختلفة موزعة توزيعا غامضا جدا (انظر شكل ٢٩) . لا حظ ، بالنسبة إلى جزيرة أخرى ، هي مالطة في هذه الحالة ، وكانت مسلمة في الفترة التي يكتب فيها ابن حوقل ، ويصفها (ابن حوقل ، ٢٠٤) بانها آهلة فقط بالحمير والغنم المتوحشة ، وبالنحل : ولا ينزل اليها سوى تجار هذه الحيوانات ومن يريد شور العسل .

(٢١٨٨) انظر الفصل العاشر

(٢١٨٩) انظر ليفي بروفنسال ، ذكر من قبل ، ص ١٦٠

حواشي

الفصل الثامن

(٢١٩٠) تفضل علي كثيرا صديقي جلبرت دراغون ، لأنه تلطف وراجع مسودة هذا الفصل ، وعين لي كثيرا من التصحيحات أو التتمات الضرورية . كذلك ، أعطاني م . بول ليميرل من جهته الارشادات الأساسية لأجراء المطالعة . أخيراً ، فتحت لي افاقا عديدة محادثاتي الطويلة مع ر . باريه . فاقدم اليهم شكري الحار ، واصرح ، اذا لزم الأمر بأن مسؤولية الأخطاء أو النواقص في هذا الفصل تقع بداهة على عاتقي وحدي .

(٢١٩١) يبدي ابن حوقل ، ٢٢٣ ، تشاؤمه حيال مستقبل امد الواقعة في الجزيرة ، على بعد مايقرب من ٦٠٠ كم عن بغداد . في الواقع ، تعرضت آمد إلى هجمات عديدة واحتلت أيضا (انظر اوستروغورسكي ، ذكر من قبل ، ص ٣٠٣ وأماكن متفرقة) .

(٢١٩٢) انظر أيضا « شتى المؤلفين » الذين ترجمهم م . كنار ، في بيزنطية والعرب ، ذكر من قبل ، ص ٢٨٥ ومايليها .

(٢١٩٣) انظر كانار ، ذكر من قبل ، ص ٢٩٩ ومايليها

(٢١٩٤) حول المعالجة الأدبية للمواضيع (قد تبدو هذه النقطة أقل وضوحاً لأول وهلة) ، أحيل إلى رثاء ابن حوقل الطويل ، ٢٠٥ ، ٢٢٣ ، لحالة دار الإسلام حيال بيزنطية . انظر أيضا تأمل م — كانار ، ذكر من قبل ، ص ٤٢٠ ، حاشية ٣ .

(٢١٩٥) بتحفظ واحد : انظر ص ٣٨٧ اخرها — ٣٨٨ . نلاحظ ، فيما يتعلق بالتاريخ ؛ اننا لا نأخذ منه هنا (انظر جغرافية ، ج ١ / ٣٩ إلا المعطيات الواردة في مصنفات الجغرافيين . أما المعطيات التاريخية ، الواردة عند الموسوعيين أمثال المسعودي (في القسم التاريخي المحض من كتابيه : المروج ، فقرة ١٤٤١ وما يليها ، والتنبيه، ص ٣٠١ وما يليها)فقد نحيل اليها أحيانا احالة بسيطة فقط .

(٢١٩٦) حالة معركة معطى ، منذ عهد النبي ، عام ٨ هـ / ٦٢٩ م (انظر ف . بهل ، في الموسوعة الإسلامية ، ج ٣ ، ص ٨٢٦) .

(٢١٩٧) انظر ابن الفقيه ، ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٩ . حول كعب ، المتوفى عام ١٣٢ أو ٣٤ هـ / ٦٥٢ - ٦٥٤ م ، انظر م شميتز ، في الموسوعة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٦٢٠ - ٦٢١ . حول حذيفة ، المتوفى بعد ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م ، كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ٣ ، ١٩٠ . حول سيف بن عمر ، المتوفى عام ١٨٠ هـ / ٧٩٦ - ٧٩٧ م ، انظر Gal ، الملحق ، ج ١ ، ٢١٣ وما يليها . حول هشام الكلبي (الوارد هنا بكنيته « أبو المنذر ») ، المتوفى عام ٢٠٤ هـ / أو ٢٠٦ هـ / ٨١٩ - ٨٢١ ، انظر ك . بروكلمان ، في الموسوعة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٧٣٠ - ٧٣١ تدخل في عداد معطيات التقليد ، المعطيات التي يقول ابن خرداذبه انه تلقاها من عالم ببلاد الروم .

(٢١٩٨) جغرافية ، ج ١ ، ص ٢٩ - ٣١ ، وروزنتال ، ذكر من قبل ، ص ٩٥ وما يليها .

(٢١٩٩) المسعودي (م) ، فقرة ٣٠٥ ، ٧٣٩ ، ابن حوقل ، ١٩٧

(٢٢٠٠) ابن حوقل ، ١٩٧ وكانار ، ذكر من قبل ، ص ٤١٣ ، حاشية ٢

(٢٢٠١) هكذا يبدو خاصة وضع المقدسي ، ١٤٧ - ١٤٨

(٢٢٠٢) ابن حوقل ، ١٩٥

(٢٢٠٣) حول مسلم ، انظر المسعودي ، (ت) ، ٢٥٧ - ٢٥٨ ، وجغرافية ، ج ١ ، ٢٨/١ . حول هرون ، انظر ما تقدم ، ٢ /١٣٤ - ١٣٥ ، وجغرافية ، ج ١ ، ١٤/١ .

(٢٢٠٤) ما عدا تحفظ الجواسيس (مع ذلك انظر ، لجمع وظيفتي السفارة والتجسس ، المسعودي (م) ، فقرة ٧٦٩ ، المذكور فيما يلي ، حاشية ٢٢٠٥)

(٢٢٠٥) انظر ابن الفقيه ، ١٣٧ (وحاشية هـ) ، المسعودي (م) ، فقرة ٧٦٩ (مع الاشارة إلى التجسس) ، المقدسي ، ١٥٣ ، ابن النديم ، ٢٤٣ (انظر كانار ، ذكر من قبل ، ص ٢٩٥ ، حاشية ٢) . نتذكر أيضا سفيرا آخر ، لحساب الأندلس المسلمة : نعني الغزال ، الذي يروى لنا المؤرخ ابن حيان بعض تفاصيل عن بعثته (انظر ما تقدم ، ١٠٧/٢ ، وليفي بروفنسال ، تاريخ الأندلس المسلمة ، ج ١ ، ج ١ ص ٢٥١ - ٢٥٣ . نجري احالاتنا إلى هذه السفارة استناداً إلى المؤرخ المقرى : انظر جغرافية ج ١ ، (المراجع) : بالاتجاه المعاكس ، نتذكر ان سفارة الغزال جواب على سفارة بيزنطية إلى الأندلس . حول سفير بيزنطي في بغداد ، انظر اليعقوبي ، ٢٤٣ .

(٢٢٠٦) المسعودي (م)، فقرة ٧٣٩، (ت)، ١٥٥ وما يليها.

(٢٢٠٧) المسعودي (م)، فقرة ٨٣٨ (جاسوس بيزنطي)، ابن حوقل، ١٩٧ آخرها (حول أغراض المؤلف لصالح الفاطميين في هذه المادة، انظر كانار، ذكر من قبل، ص ٤١٠). يقوى التجسس في لعب المهجرين من هذا الجانب أو ذاك: انظر ابن رسته، ٢٢٦، المسعودي (م)، فقرة ٤٩ (عرب تنصروا) (ت)، ٣١، ٣٦، ٢٥٧ آخرها، ٢٥٨، ابن حوقل، ٢١١ — ٢١٢

(٢٢٠٨) ابن خرداذبه، ١٠٦، المسعودي (م)، فقرة، ٧٣، المقدسي، ١٥٣. حول محمد بن موسى انظر مايلي، حاشية ٢٧٢١

(٢٢٠٩) نفكر خاصة فيهم لطول اقامتهم في بلد الروم. لكن يمكن ان نتصور أيضا احتمال معرفة التجار (الذين نذكرهم النصوص الجغرافية قليلا: سنعود إلى هذه النقطة فيما يلي، ص ٤٦٢) اللغة اليونانية قلما يكون اليونانية العامية، نظرا لا لتزاماتهم.

(٢٢١٠) سنرجع فيما بعد إلى قضية الأعمال (البنود). نذكر هنا فقط المجموعتين المتزامنتين: من جهة العرب، مسلم الجرمي (منتصف القرن الثالث. / التاسع الميلادي)، ابن خرداذبه (نسختان: ٢٣٢ هـ/ ٨٤٦ م و ٢٧٢ هـ/ ٨٨٥ م)، ابن الفقيه (حوالي ٢٩٠ هـ/ ٩٠٣ م)، قدامه (بعد ٣١٦ هـ/ ٩٢٨ م)، تنبيه المسعودي (٣٤٥ هـ/ ٩٥٦ م) وحدود العالم (حوالي ٣٧٢ هـ/ ٩٨٢ م)، من جهة الروم، تكتيكون تأليف اوسبنسكيج (٨٤٥ — ٨٥٦)، كليتورولوجيون تأليف فيلوتيه (حوالي ٩٠٠)، تكتيكون لبينيشيفتش (٩٢١ — ٩٣٤)، ودي تيماتيبوس لقسطنطين بورفيروجينيت (ملك من ٩١٣ — إلى ٩٥٩. الكتاب الأول منه وحده يهمنا هنا ولعله يعود إلى ٩٣٤ — ٩٤٤): انظر استروغورسكي، ذكر من قبل، ص ٢٤٤، وليميرل، ذكر من قبل، ص ٢٧٨ — ٢٧٩.

(٢٢١١) انظر كانار، ذكر من قبل، ص ٤٣٦ — ٤٣٧، الذي يستشهد بابن حوقل (آخر القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي)، ويحيل ابن حوقل ذاته إلى معلومات تلقاها خاصة من الاسرى (ابن حوقل، ١٩٥، ترجمة ١٩٠ آخرها)، ليون السادس ملك من ٨٨٦ إلى ٩١٢. حول دي سيريمونييس، انظر ليمرل، ذكر من قبل، ص ٢٧٥ — ٢٧٧، الذي يشير إلى ان الكتاب الثاني «كان قيد الكتابة بآخر ملكه» (٩١٣ — ٩٥٩) لعل لدينا مثالا على الوصول إلى مراجع بيزنطية، بالنسبة إلى التاريخ بالمعنى الضيق، مع المسعودي (م)، فقرة ٧٥١، الذي يحيل إلى «تاريخ الروم». لكن قد يكون المصنف مكتوبا بالعربية، على يد احدى الطوائف المسيحية في دار الإسلام: انظر المسعودي (ت)، ٢١٢ — ٢١٣

(٢٢١٢) انظر المسعودي (ت) ، ٢٥٧

(٢٢١٣) انظر حدود العالم وما يليها ، وابن خرداذبه (وبالتالي مسلم عبره) اللذين يؤلفان مصدرين أساسيين لابن الفقيه وقدامه (انظر بروكز ، ذكر من قبل ، ص ٧١) ، ويبدو ان المسعودي عرف هو أيضا كتاب مسلم (انظر المسعودي (ت) ، ٢٥٧ . مع ذلك سنضطر إلى التدقيق في هذه المسألة العائدة إلى المراجع أثناء سير بحثنا .

(٢٢١٤) اقام في القسطنطينية في العقود الأولى من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي أو إلى العقود الأخيرة من القرن السابق : انظر كانار ، ذكر من قبل ، ٣٨١ - ٣٨٢

(٢٢١٥) انظر ما يلي ، في بحث جدول الأعمال (البنود) عند ابن الفقيه وقدامه والمسعودي .

(٢٢١٦) افتتح نيسوفور فوقاس عام ٩٦٥ ، انظر سوس ويعلن المقدسي ، ١٥٢ آخرها انها بيد الروم ، وان الروم يخربون الثغور الشامية (المقدسي ، ١٥٢) ، ابن حوقل ، ١٧٧ ، يشير إلى افتتاح حلب) فتحها نيقوفور ، قبل ان يصبح ملكا ، عام ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م : انظر ج سوفاجيه في الموسوعة الإسلامية (٢) ، ج ٣ ، ص ٨٨ ، وأيضا ابن حوقل ، ترجمة ، ١٧٤ ، حاشية ٨٥٢) وإلى فتح انطاكية (ابن حوقل ، ١٨٠ : مطلع ٣٥٩ هـ / تشرين الثاني ٩٦٩ م ، ٢٩ تشرين الأول ٩٦٩ ، ستة أسابيع بعد وفاة نيقوفورس : اوستروغورسكي ذكر من قبل ، ص ٣١٥ و ٣١٧) ، وفتح حمص (حمص ، على يد جان تزيميسيس ، عام ٣٦٤ هـ / ٩٧٥ م : ابن حوقل ، ١٧٦ ، استروغورسكي ، ذكر من قبل ، ص ٣٢١) . انظر أيضا ، عند ابن حوقل ، ١٨٨ ، الاعتراف بأن قسما كبيرا من سورية الشمالية لم يعد خاضعا لسلطة المسلمين . مع ذلك ، لاحظ ان بعض معلومات ابن حوقل عن تنظيم الامبراطورية البيزنطية خاصة ، تحيل إلى « فترة اقدم ، أو لها مرمى عام » : كانار ، ذكر من قبل ، ص ٤١٠

(٢٢١٧) من جهة البيزنطيين وعلى الأعم من جهة نصارى المشرق ، انظر النصوص التي جمعها ا . دوسيليه مرآة الإسلام ، باريس ، ١٩٧١ .

(٢٢١٨) ابن حوقل ، ١٩٦ آخرها - ١٩٧ .

(٢٢١٩) ابن حوقل ، ٢٠٠ ، ترجمة ، ١٩٥

(٢٢٢٠) ما تقدم ، ١٥٣/٢ .

(٢٢٢١) ابن خرداذبه ، ١٥٥ ، الهمداني ، ٦ ، ٣٢ وأماكن متفرقة ، ابن رسته ، ٩٧ - ٩٨ ، ابن الفقيه ، ٦ ، ٨٢ ، ١٣٦ ، ١٤٥ ، أسحق بن الحسين ، ٤١٦ - ٤١٧ ،

المسعودي (ت) ، ١٢٠ (مع ذكر ان الروم ينتمون إلى الأمة الثالثة حسب تصنيف العصور القديمة) ، ٢٣٩ ، حدود العالم ، ١٥٦ .

(٢٢٢٢) ابن رسته ٧٩ ، يحدد موقع المدينة المسماة المستطيلة «في بلاد الروم» وينسب اليها هذه الصفات التي ينقلها عن ابن خرداذبه ، ١٥٦ (ذكر من قبل ، حاشية ١٦٥٩) : وعند ابن خرداذبه ، « مدينة المستطيلة في بلاد الروم ، على بحر الخزر » ، ويبدو ان بحر الخزر يحيل هنا لا إلى بحر قزوين كالعادة ، بل البحر الأسود (بنطس) : انظر حدود العالم ، ٤٢٠ . حول الثلج ، انظر ابن خرداذبه ، ٩٠ .

(٢٢٢٣) ابن خرداذبه ، ١٠٤ ، ١٢٢ آخرها — ١٢٣ ، ١٧٤ بن الفقيه ، ١٣٦ (اختلاف ، المرجع ذاته ، ١٤٥) ، ١٩٧ ، حدود العالم ، ١٥٧ — ١٥٨ ، وما تقدم ، ٢/١٠٧ ، ٢/١١٧ ، ٢/١١٩

(٢٢٢٤) ابن خرداذبه ، ١٠٤ ، ١١٢ ، قدامه ، ٢٣٠ — ٢٣١ ، ابن رسته ، ٨٥ ، ٩٨ ، المسعودي (م) ، فقرة ٢٧٦ ، ٩١١ ، (ت) ، ٨٩ ، الاصطخري ٥١ ، ابن حوقل ، ١٧٩ ، ٢٠٣ — ٢٠٤ ، المقدسي ، ١٥ (ترجمة فقرة ٣٦) ، حدود العالم ، ٥٩ وما تقدم ، ٢/١٤٥ — ١٤٦

(٢٢٢٥) خرداذبه ، ١٠٤ ، الذي يضع رومية وسقلية في بلاد الروم . يعتقد ان هذا التدوين يعود إلى النسخة الأولى (حوالي ٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م) التي ظهرت ١٩ عاما بعد عمليات الفتح الأولى للمسلمين ، وبعد ١٥ عاما من احتلال بالرمو . إلا ان هذه الفترة الزمنية طويلة على أي حال تدفع إلى التساؤل عن سبب المعلومات التي يقدمها ابن خرداذبه : تلميح — بعيد جدا — إلى ان فتح الجزيرة لم يكتمل بعد ؟ حول وجود سردانية في طاعة الروم (ابن خرداذبه ، ١٠٩) ، انظر ما تقدم ، حاشية ٢١٨٠ .

(٢٢٢٦) المسعودي (م) ، ذكر من قبل ، حول هؤلاء « الفرنجة » ، انظر الإحالة فيما تقدم ، ٢ /١١٩ .

(٢٢٢٧) المسعودي (م) ، الاصطخري وابن حوقل .

(٢٢٢٨) كتب الاصطخري حوالي ٣١٨ — ٣٢١ هـ / ٩٣٠ — ٩٣٣ م ، والمسعودي (المروج) عام ٣٣٢ / ٩٤٣ ، وابن حوقل (النسخة الأولى قبل عام ٣٥٦ / ٩٦٧ م) ، ونقح مصنفه حوالي ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م (انظر ترجمة وايت ١٣ روماني ، وحدود العالم ، ١٦٨ و ٤٠٦) . حول اقريطس ، انظر فجيبيس ، في الموسوعة الإسلامية ، ج ١ ، ص ٩٠١ ، واستروغورسكي ، ذكر من قبل ، ص ٢٣٥ ، ٢٤٩ ، ٢٦٠ ، ٣٠٨ ، ٣١٠

(٢٢٢٩) ابن حوقل يوسع هنا معلومات الاصطخري ، الذي يتحدث عن نبذ النصارى

(٢٢٣٠) حول الجزيرة ، والسيطرة العربية الرومية (الحكم) وإعادة الفتح الرومي ، انظر اوستروغورسكي ، ذكر من قبل ، ص ١٤٦ ، ١٦٠ ، ٢٦٥ ، ٣١٥ ، ور . هارتمان ، في الموسوعة الإسلامية ، ج ١ ، ص ٩٠٥ . لاحظ ان تأثير دار الإسلام الديني يبدو هنا سطحيا بعض الشيء : يعلن الاصطخري ان الجزيرة مسيحية باجمعها .

(٢٢٣١) انظر ما يلي ، ح ٢٣٥٣ . ب . ليمرل يكتب (ذكر من قبل ، ص ١٠٧) : آسية الصغرى « هي المملكة » . لا ريب انه يقصد بهذه الصيغة ، الفترة التي تمتد من ممنتصف القرن السادس إلى آخر القرن الثامن (المرجع ذاته ، ص ٧٤) . لكن يبدو لي ان هذا التدوين يصلح للقرون اللاحقة ، حتى باسيل الثاني الذي اعاد قبل وفاته (١٠٢٥) موقتا على الأقل التوازن بين القسم الأوربي والآسيوى من بيزنطية . لا حظ ان أهمية آسية الصغرى تتجلى حتى في حق التقدم في المراسم : انظر استروغورسكي ، ذكر من قبل ، ص ٢٧٨

(٢٢٣٢) انظر مثلا حدود العالم ، ١٥٦ – ١٥٧ . سنعود إلى هذه الاشارة العامة ، في ٢٤٩/٢

(٢٢٣٣) ابن حوقل ، ٢٠٠

(٢٢٣٤) مطامير ، مفرده مطمورة : عادة اهراء ، وعلى الأعم : أي بناء تحت الأرض (انظر دوزي ، ملحق ، ج ٢ ، ص ٦٠) . وايت (ابن حوقل ، ترجمة ١٩٤ – ١٩٥) ترجمها قرى كهفية

(٢٢٣٥) حدود العالم ، ٥٤ – ٥٥ و ١٨٣ – ١٨٥

(٢٢٣٦) حدود العالم ، ٦٧ – ٦٩ ، و ٢٠٣ – ٢٠٥ ، مع ذكر جبال منطقة افسيس على الأرجح (٦٨ و ٢٠٤) .

(٢٢٣٧) حدود العالم ، ٧٨ – ٧٩ و ٢٢٠ – ٢٢١ . يتخذ الجغرافيون الآخرون الموقف ذاته عندما يتحدثون عن الأنهار : فابن خرداذبه (١٣٠ ، ١٠٩ – ١١٠) يعرف رنداكوس (الرنداق ، ادرناس : الأناضول الشمال الغربي) ، « نهر دوريلة » (تمبرس ، برساك : الناحية ذاتها) ، بودندوس (انظر فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج ١ ، ص ١١٦ ، ج ١) وشاغري (سنغريوس : انظر حدود العالم ، ٢٢٠) . ولا يعرف المقدسي (٢٢ ، ترجمة فقرة ٥٥) إلا أنهار الأناضول الجنوبي الشرقي . أخيراً ، لاتتعدى البحيرات والانهار عند ابن حوقل نطاق المسالك الأناضولية . مع ذلك ، لاتعطى أسماؤهم ، الا اللس : حول عدم الدقة الاجمالية

انظر استشهاد ابن حوقل ، فيما تقدم ، ١٤٦/٢ .

(٢٢٣٨) الأعين الرئيسية مذكورة فيما تقدم ، حاشية ٢٢١٠ .

(٢٢٣٩) يجب أن نضيف الادريسي إلى المؤلفين الذين يتبعون مسلم ، خارج الفترة التي تهمنا : انظر حدود العالم ، ٤١٩ - ٤٢١ ، وخاصة بروكز ، ذكر من قبل ، ص ٦٧ وما يليها . حول المسعودي ، نشير إلى أن المقصود كتاب التنبيه : لاتتحدث مروج الذهب عن البنود . حول البنود في القرنين التاسع والعاشر ، انظر المقال الأساسي لـ ه . غلبكاتزي - اهرويلر ، « أبحاث... » ، ذكر من قبل ، ص ٧٨ وما يليها .

(٢٢٤٠) ابن خرداذبه ، ١٠٥ - ١٠٨ .

(٢٢٤١) انظر بروكز ، ذكر من قبل ، ص ٧١ آخرها - ٧٢ ، حدود العالم ، ٤٢١ ، جانين، ذكر من قبل ، ص ٢٦١ ، وكانار في فاسيليف، ج٢ / ٢، ص ٤٠٣ ، حاشية ١ .

(٢٢٤٢) بحر الخزر : انظر ماتقدم ، حاشية ٢٢٢٢ .

(٢٢٤٣) وهكذا يعود تقريباً ، لكن بمعنى أصلي مغلوط (اوتي ماتي : انظر دي غانج ، Glossarium ad Scriptores Mediae et inf imae Graecitatis ليون ، ١٦٨٨ ، ص ١٥٦ ، ٨٨٨ ، ١٠٤١) ، المعنى العام لـ « نخبة » للفظ أفطي ماطي . حول معناه الدقيق في إطار التاريخ البيزنطي ، انظر المسعودي (ت) ، ٢٤٠ ، حاشية ١ (مع إحالة إلى الطبعة الأولى لابن خرداذبه ، لبربيه دي مينار ، باريس ، ١٨٦٥ ، ص ٢٢٥ ، حاشية ٢) ، وما يلي ، حاشية ٢٢٧٥ .

(٢٢٤٤) حول معنى Obsequium ، انظر المسعودي (ت) ، ٢٤١ ، حاشية ١

(٢٢٤٥)يذكر اسم البند « بالفرق الأوربية المعسكرة من قبل في هذه الناحية »(استروغورسكي ذكر من قبل ، ص ١٨٦) .

(٢٢٤٦) بالفعل كان « واسعاً جداً » (استروغورسكي ، ذكر من قبل ، ص ١٨٦) قبل تقسيمه إلى بندين في عهد ليون الثالث (٧١٧ - ٧٤١) ، الذي ضم إليه أرض البند السابق .

(٢٢٤٧) بروج : لنا عودة بعد قليل إلى هذه الإشارة إلى عمورية .

(٢٢٤٨) انظر ا . هونغمان ، « حصن خرشنه » ، في مجلة بيزنطيون ، ١٠ (١٩٣٥)، ص ١٢٩ - ١٦٠ ، وفاسيليف ، ذكر من قبل ، ج١ ، ص ١٠٤ ، حاشية ٤

(٢٢٤٩) حسب « البقلار القدامى (حول هذه الكلمة انظر المسعودي (ت) ، ٢٤٢ ، حاشية ٣) النازلين في هذه الناحية » : استروغورسكي ، ذكر من قبل ، ص ١٨٦ .

(٢٢٥٠) حصن صمالو : انظر حدود العالم ، ٢٢٠ ،فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج١ ، ص ٢٣٤ (مع إحالات وتصنيف لبند ارمنياك) . حول انتهاء اللفظ بـ و ه ، انظر ابراهيم (١) ، ترجمة ، ١٠٥٥ ، حاشية ٣ .

(٢٢٥١) عامل الدروب : تلميح إلى الوضع الأصلي لهذا البند وبضعة بنود غيره كـ كليسوري انظر مايلي .

(٢٢٥٢) انظر بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٦٨٧ .

(٢٢٥٣) انظر بروكز ، ذكر من قبل ، ص ٧٥ ، حاشية ٨ ، فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج١ ، ص ١٠١ ، حاشية ٣ .

(٢٢٥٤) « المحصنة » ، يسميها الروم كاسين : انظر فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج١ ، ص ١١٢ ، حاشية ١ ، ج٣ ، ص ٤٥ ، حاشية ٩ .

(٢٢٥٥) انطغو : انظر فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج١ ، ص ١١١ ، حاشية ٣ .

(٢٢٥٦) رسم غامض : انظر المرجع ذاته ، ص ١١٢ ، حاشية ٢ .

(٢٢٥٧) ورد أن اسم « ذو الكلاع » يرادف (بعد تخفيف النطق : انحدر ،حرفياً : نزل) « ذو القلاع » : وهو (« جبل عليه قلاع ، فسمته العرب ذا القلاع . أما تعبير مناغية الكواكب (دانى الكواكب لطوله ، كالسحاب الذي يرتفع نحو السماء عالياً جداً ، أو أيضاً : أراد مداعبة واستمالة الكواكب) فهي ترجمة لفظي ايغس استيرون (قرب الكواكب) ، ومنهما جسسطرون : المدينة التي تدعى عادة كبسترة ، وتسمى أيضاً أحياناً سيديروبوليس . انظر ابن خرداذبه ، ١٠٨ (حاشية ر) ، المسعودي (ت) ، ٢٤٢ ، (حاشية ٢) ، فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج١ ، ص ١١٠ ، حاشية ٢ ، ٣٩٩ ، حاشية ١ ، ج٢ / ١ ، ص ٢١٧ ، حاشية ٣ ، ج٣ ، ص ٤٦ وأماكن متفرقة .

(٢٢٥٨) مطامير : انظر ماتقدم ، حاشية ٢٢٣٤ . تؤلف هذه المطامير ، في داخل البند ، ناحية حقيقية : انظر بروكز ، ذكر من قبل ، خريطة ص ٦٨ ، فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج١ ، ص ١٠٠ ، حاشية ١

(٢٢٥٩) انظر فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج١ ، ص ١٠١ ، حاشية ٢ ، ج٣ ، ص ٤٧

(٢٢٦٠) فليسه أو بلبيسه : انظر فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٣ ، فهرس ، اللفظ

(٢٢٦١) ذكرى محفوظة في التسمية الحديثة : ملندر – داغ وملنديزاوفا : انظر المرجع ذاته ، ص ٤٦ .

(٢٢٦٢) يجب ألا يحصل التباس مع قونية (ايكونيوم) : لاريب أن المدينة المقصودة هي غونيه الواقعة في ميلنديزداغ ، لكن هنالك قراءات أخري محتملة ، منها كانا : انظر بروكز ، ذكر من قبل ، ص ٧٥ ، حاشية ٩ ، فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٣ ص ٤٦ ، حاشية ٨ ، ٤٧ ، حاشية ١ .

(٢٢٦٣) مالاكوبيه (اليوم ميليغوب : انظر فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج ٣ ، ص ٤٧) حيث نقرأ فعلا « ملاكوس (رخو ، لين) وكوبي (ثلم من كوبتو قطع) .

(٢٢٦٤) قراءة مفضلة على بداله . لعل تواله اندبليس (اندفال) : انظر المرجع ذاته

(٢٢٦٥) قراءة غامضة جداً : لعلها اوربادون كومي (اليوم اسكي ارفان): انظر المرجع ذاته ، ص ٤٦

(٢٢٦٦) اليوم وادي سلمه : انظر المرجع ذاته ، ص ٤٧ ، حاشية ٨ .

(٢٢٦٧) انظر ماتقدم ، ٢/١٥٦ .

(٢٢٦٨) انظر بروكز ، ذكر من قبل ، ص ٧٠ – ١ . حول فتح عمورية ، انظر فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج١ ، ص ١٤٤ – ١٧٤.

(٢٢٦٩) وأيضاً بند اقريطس (على الأقل فتح المسلمين لها) وبند شرسون ، الذي يضم الأراضي الضيقة على سواحل بحر بنطس الشمالية : انظر أسروغورسكي ، ذكر من قبل ، ص ١٦٣ ، ١٨٦ ، ٢٢٣ – ٢٢٤ ، ٢٣٧ ، والفهرس ، لفظ « بند »

(٢٢٧٠) انظر استروغورسكي ، ذكر من قبل ، ص ١٢٦ ، ١٦٣ ، ٢٢٣ – ٢٢٤ وأماكن متفرقة .

(٢٢٧١) انظر بروكز ، ذكر من قبل ، ص ٧١ آخرها – ٧٢ .

(٢٢٧٢) حول البنود البحرية ، انظر هـ . اهرويلر ، بيزنطية والبحر ، ذكر من قبل ، أماكن متفرقة (مصنف أساسي يرجع إليه لكل مايتعلق بتنظيم بيزنطية البحري وخاصة لتعريف البنود البحرية الصرفة) .

(٢٢٧٣) وهكذا الناطليق ، الذي اقتطع منه عمل الترقسيس ، وعمل الابسيق الذي اقتطع منه عمل البقلار ، والبقلار الذي اقتطع منه بدوره افلاجونية ، وعمل الأرمنياق الذي اقتطع منه عمل خلدية ، الخ انظر استروغورسكي ، ذكر من قبل ، ص ١٨٦ ، ٢٣٧

(٢٢٧٤) تحرس دروب قيليقية و قباذوقية : انظر استروغورسكي ، ذكر من قبل ، ص ٢٣٧ ، فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج١ ، ص ١٠٤ ، حاشية ٤ آخرها ، وما تقدم ، ٢٩٣/١ .

(٢٢٧٥) « أول عمل بحري في المملكة ، عمل سيبيريوتس ، الذي يشمل السواحل الجنوبية من آسية الصغرى والجزر المجاورة لها ... » « وهو العمل الوحيد البحري الصرف في ذلك العصر » : اهرويلر ، بسيزنطية البحر ، ص ٥١ و ٨١ . نفهم ألا نشعر بأن هذا العمل يشبه تماماً الأعمال الأناضولية . حول تاريخ الأعمال حتّى عهد تيوفيل ، انظر استروغورسكي ، ذكر من قبل ، ص ١٢٥ – ١٢٦ ، ١٦٣ ، ١٨٦ ، ٢٣٦ – ٢٣٧ . حول عمل الافطي ماطي ، المقتطع من الابسيق (ربما في عهد قسطنطين الخامس : ٧٤١ – ٧٧٥) الذي أخذ اسمه من أملاك الشخصيات الوجيهة الواقعة هناك ، انظر س . ديهل ، في تاريخ كمبريج للقرون الوسطى ، ج٤ ، ١٩٢٣ ، ص ٣ . حول نظام الأعمال وتاريخها عامة ، انظر المراجع في استروغورسكي ، ذكر من قبل ، ص ١٢٥ ، حاشية ١

(٢٢٧٦) حدود العالم ، ١٥٦ ، مع اشارة اجمالية إلى بلد الروم وذكر مقدونية مسقط رأس ذي القرنين لاحظ بعض اختلافات الرسم ، خاصة طابلان عوضاً عن طافلا أما ترتيب عرض أعمال آسية الصغرى هنا فعلى الوجه التالي : ٧ ، ٣ ، ٢ ، ١ ، ٥ ، ٩ ، ٦ ، ١٠ ، ١١ ، ٤ ، ٨ .

(٢٢٧٧) قدامه ، ٢٥٦ آخرها – ٢٥٩ .

(٢٢٧٨) لاحظ الاختلاف طايلا عوضاً عن طافلا : يتبع وصف الأعمال الأخرى في أوربة بدقة كبيرة ماعرفناه من قبل .

(٢٢٧٩) لايرد هنا ذكر « عامل الدروب » ، لكن يرد لفظ درب (جمعه درب : انظر ماتقدم ، حاشية ٢٢٥١) .

(٢٢٨٠) إذا استبعدنا تراقية ، يصبح المجموع فعلا ٧٠٠٠٠ رجل ، ٧١٠٠٠ رجل إذا حسبناها ، استبعدنا الافطي ماطي ، نظراً لما يقال عنهم .

(٢٢٨١) كتب عام ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م . لايرد النص العائد إلى الاعمال في م ج ع ، لكن يعثر عليه في ياقوت معجم البلدان ، ج٣ ، ص ٩٨ – ١٠٠ (تحت اسم أحمد بن محمد الهمداني) . يرجى أخذ العلم بأن احالاتنا (اختصار ابن الفقيه) فيما يتعلق بهذا

البحث ، ترجع إلى هذه الطبعة (ويحيل الرقم الثاني إلى ترجمة بروكز ، ذكر من قبل ، ص ٧٢ وما يليها) .

(٢٢٨٢) بصرف النظر عن حدود العالم الذي يقلصها إلى الشيء الأساسي ، كما رأينا .

(٢٢٨٣) أو مباشرة مصنف مسلم .

(٢٢٨٤) ابن رسته أيضاً يستقي من هرون مباشرة أو عبر الجيهاني . لكنه لايتحدث عن الأعمال ، فلا يهمنا هنا . لا نشك البتة بنقل ابن الفقيه عن الجيهاني : انظر جغرافية ، ج١ ، ١/ج٢٧٣ ، حاشية ٥ . كتب ابن الفقيه حوالي ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م ، بالتالي يعود تأليف كتاب الجيهاني حوالي ٩٠٠ (انظر جغرافية ، ج١ ، ٣٨/١) ، تأليف كتاب هرون بن يحيى (المعروف خاصة ، فيما يبدو ، من خلال الجيهاني) إلى السنوات الأخيرة من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي : حول هذه المسائل، انظر حدود العالم ، ٤١٩ ، وكانار في فاسيليف ، ذكر من قبل ، ص ٣٨٠ – ٣٨٢ يحتمل وجود علاقة بين الجيهاني وقدامه ، إن لم تكن مرجحة تماماً : انظر مكي ، ذكر من قبل ، ص ٢٧٦ (لايقنع كثيراً والحق يقال) ، والمقدسي ، ترجمة ، ص ٤٥ .

(٢٢٨٥) تفسدها مع الأسف في معظم الأحيان ترددات هائلة في رسم أسماء العلم .

(٢٢٨٦) سيتكرر لفظ اسطرطيقوس هنا بانتظام ، ولا يرد أبداً في وصف أعمال ابن خرداذبه ، ويرد استثناءاً في وصف قدامه .

(٢٢٨٧) يمكن أن نقرأ أيضاً ابيدس ، وهذا مستبعد لأنها واقعة على طرف المضايق الآخر . والأرجح أن المؤلف خلط بينها وبين الاسم الشائع بندون (تقسيم رئيسي أو ثانوي عسكري : انظر المسعودي (ت) ، ٢٣٩ ، حاشية ١) : ابن الفقيه ، ٩٨ آخرها – ٩٩ / ٧٣ (وحاشية ٨) .

(٢٢٨٨) ايلاى تبقى غامضة . أما الصورة نيقوس (نبقوبوليس ، نيقية ، نيقوميديه ، مستبعده كلها) ، فلعله يجب قراءتها بيوفس او بوبوفس : وهي صيغة مختصرة لبومبيوبوليس (بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٦١٧ ؟ ويبدو لي أن جعلها نيفوس وسينوب مجازفة أكبر . أما ذكر سواس (سيباست) ، الشاذة جداً ، فليست من قلم ابن الفقيه : انظر ابن الفقيه ، ٩٩ / ٧٤ (حاشية ١٠) .

(٢٢٨٩) ولم تمسهم الحرب أبداً .

(٢٢٩٠) لاشك أنها صورة شاذة لنيفية : ابن الفقيه ، ٩٩ / ٧٤ (حاشية ٤) .

(٢٢٩١) يسمي النص العربي مقر الاسطرطيقوس حصن«الوارثون» ، حرفياً حصن أصحاب التركة ؟ لكن يقضي الأعراب ان يقال الوارثين . فاذا احتفظ بصيغة « ون » ، لأنها

تحفظ على وجه أفضل ذرى نهاية افسوس : افسيس ؟ اما ام الأسطرطيقوس ، فيمكن قراءته غايناس (اسم غوط) أو ، على الأرجح ، يعتبر قراءة سيئة (وخطأ) عوضاً عن كومس (كونت) : انظر مايلي بمناسبة استنتاجات ابن الفقيه .

(٢٢٩٢) (« مرج الشحم » أو برج التخم : حصن الحدود : ابن الفقيه ، ٩٩ / ٧٤ حاشية ٩) .
ش

(٢٢٩٣) ورد ذكر مدينة عمورية (الموصوفة بأنها مدمرة) وبرغوث (انظر ابن خرداذبه ، ١٠٧ آخرها — ١٠٨) ، بليس (برياليسوس)، حذار من الخلط بينها وبين بليسه : ماتقدم ، حاشية ٢٢٦٠) ، منبج هيرابوليس) ومرعش (جرمانيسه) الموضوعين هنا بتدخل ناسخ غير ملائم : انظر بروكز ، ذكر من قبل ، ص ٧٤ ، حاشية ١٠ . حول الطرمخانات ، انظر ابن حوقل ، ١٩٦ (ذكر في يلي ٢/٢١٣ — ٢١٤) .

(٢٢٩٤) انظر ماتقدم ، ٢/٤٣ — ٤٥ .

(٢٢٩٥) تلميح إلى لقب ال بروسوبو : انظر بروكز ، ذكر من قبل ، ص ٧٥ ، حاشية ٤ .

(٢٢٩٦) المركز قرة ومدن قونية ، ملقونية (عوضاً عن ملقوبية) (حول هذه المدن الثلاث ، انظر ماتقدم ، ٢/٤٣ و ٢/٤٥) وجرديلية (؟)

(٢٢٩٧) انظر ماتقدم ، ٢/٤٥ .

(٢٢٩٨) انظر فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٣ ، ص ٤٩ — ٥١ ، الذي يضعها في شمال الس .

(٢٢٩٩) ذكر ياقوت قبر امرىء القيس : انظر بروكز ، ذكر من قبل ، ص ٧٦ ، حاشية ٤ .

(٢٣٠٠) اماسية : انها موطن سترابون : انظر بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٤٠ .

(٢٣٠١) يرجح أن هذا الاسم مشتق من اكريتي ، لكنه يبقى غامضاً : انظر فاسيليف، ذكر من قبل ، ج٣ ، ص ٥٣ .

(٢٣٠٢) ابن الفقيه ، ٩٩ آخرها / ٧٦ آخرها .

(٢٣٠٣) انظر استروغورسكي ، ذكر من قبل ، ص ٢٧٧ .

(٢٣٠٤)انظر المرجع ذاته . بشأن الترقسيس ، ألاحظ بالفعل (مما يبدو كأنه يؤيد الفرضية

النهائية الواردة في الحاشية ٢٢٩١) ان الصيغة المستعملة (أسمه قانييوس) تذكر الصيغة التي يشار بها إلى وظيفة كليسوارخ في سلوقية : اسم صاحب هذا العمل كيليرج . في هذه الظروف ، يحتمل جداً أنه يتوجب وضع قانيوس (صورة شاذة لقومس ، كومس ، كونت : انظر ماتقدم ، حاشية ٢٠٦٣) على نفس مستوى كيليرج ، وبالتالي اعتباره لقباً لا اسماً علماً .

(٢٣٠٥) بروكز (ذكر من قبل ، ١/ ح٢٤٥) يفكر بالكومر كياريوس

(٢٣٠٦) حتى بالنسبة إلى الحصون ، التي ذكرها ابن خرداذبه وأهملها قدامه ، يعطي كما رأينا (ماتقدم ، حاشية ٢٣٩٧) ، اضافات هامة ، ويشير بانتظام إلى وجود هذه الحصون ، دون أن يذكر عددها .

(٢٣٠٧) انظر بروكز ، ذكر من قبل ، ص ٧٦ ، حاشية ٦ ، فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٣ ، ص ٥٣ .

(٢٣٠٨) يرى بروكز (ذكر من قبل ، ص ٧١) أن قائمة مسلم تحيل إلى فترة ٨٣٨ — ٨٤٨ .

(٢٣٠٩) سيشار إلى هذه التغييرات فيما يلي في الحديث عن المسعودي .

(٢٣١٠) انظر ماتقدم ، ٤٧/٢ . بالنسبة إلى آخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، لايذكر ابن حوقل أي عمل ، مع أنه مطالع جيداً جداً على الفتوحات الرومية في سورية (انظر ماتقدم ، ١٥٧/٢) : مع ذلك ، اعيدت انطاكية إلى مملكة الروم عام ٣٥٩هـ / ٩٦٩م ، وأصبحت عملا وحتى دوقية : انظر استروغورسكي ، ذكر من قبل ، ص ٣١٥— ، ٣٣٩ . كذلك لا أثر أيضاً للقيادات العسكرية التي أقامها جان تزيميسيس في البلاد المفتوحة (انظر المرجع ذاته ، ص ٣٢١ — ٣٢٢ ، فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٣ ، ص ٩٩) .

(٢٣١١) انظر فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج ٣ ، ص ٦٤ — ٨٠ .

(٢٣١٢) المسعودي (ت) ١٠٩ ، ٢٥٧ .

(٢٣١٣) المسعودي (ت) ، ٢٣٩ وما يليها . ترجمة اخرى ل م . كانار في فاسيليف ، ذكر من قبل ، ص ٣٩٩ وما يليها .

(٢٣١٤) انظر دي كاتج ، ذكر من قبل ، ذكر عند المسعودي (ت) ، ٢٣٩ ، حاشية ١ ، و ل . بريهيه ، مؤسسات الامبراطورية البيزنطية ، ذكر من قبل ، ص ٢٨٦ ، ٢٩٧ واماكن متفرقة .

(٢٣١٥) انظر استروغورسكي ، ذكر من قبل ، ص ١٢٥ .

(٢٣١٦) هرقليه طوروس (اليوم ايريغلي) تجاور كيبستره ، محسوبة عادة في قبذوقية . انظر استروغورسكي ، ذكر من قبل ، ص ١٣٦ — ١٣٧ . حول هيرقليه ، انظر احالة عند بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٢٤٧ ، وفاسيليف ، ذكر من قبل ، ج ١ ، ص ١١٠ .

(٢٣١٧) انظر كانار ، في فاسيليف ، ذكر من قبل ، ص ٤٠٠ ، حاشية ٢ . قراءة الكلمة مشكوك جداً فيها (انظر المسعودي (ت) ، ٢٤٠ ، حاشية ٣) . يمكننا ان نرى فيها اسم مدينة ابروستولا إلى شرق شمال شرق عمورية (انظر بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٣). يتفق الموقع ، على تخوم عمل الاناطوليق والابسيق ، مع ما يقوله المسعودي مباشرة بعده ، عن حدود عمل الابسيق . حول غصطوبلي فريجيه ، انظر بولي ويسوا ، Real-Ency clopadie ، ج ٢ ، ص ٢٣٦٩ ، و و . م . رامسي ، The Citiəs and Bishopries of Phrygia ج ٢ ، اكسفورد ، ١٨٩٧ ، ص ٧٥٤ .

(٢٣١٨) يقول المسعودي إلى اليسار .

(٢٣١٩) الاسم الاول طبعاً ترخيم الاسم الثاني : انظر المسعودي (ت) ، ٢٤٠ ، حاشية ٢ .

(٢٣٢٠) ذكر في حينه .

(٢٣٢١) انظر كانار ، ذكر من قبل ، ص ٤٠١ ، حاشية ٢ .

(٢٣٢٢) قراءة مشكوك فيها .

(٢٣٢٣) صحيح ان المؤلفين المذكورين سابقاً يستعملون لفظ عمل ليدلوا على التقسيم الاداري الرومي (ثيما) ، الا ان المسعودي ، كما رأينا ، يشير إلى الاعمال بلفظ البند الخاص (جمعه بنود) واحياناً بعمل كمرادف : ، الا ان بند يعود إلى الظهور بانتظام متى اريد تعيين عمل خاص في داخل العمل .

(٢٢٢٤) انظر بروكز ، ذكر من قبل ، ص ٦٩ (وحاشية ٢)

(٢٣٢٥) أو يدقسي . حول تفسير خاطىء إلى لاوذوكسيا ، انظر فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج ٣ ، ص ٤٧ ، حاشية ١٠ — ١٢ .

(٢٣٢٦) انظر كانار ، ذكر من قبل ، ص ٤٠١ ، حاشية ٣ آخرها .

(٢٣٢٧) انظر ما تقدم ، حاشية ٢٢٥٧ .

(٢٣٢٨) انظر ما تقدم ، حاشية ٢٢٦٢ .

(٢٣٢٩) انظر ما تقدم ، حاشية ٢٢٦٦ .

(٢٣٣٠) انظر فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج ٣ ، ص ٤٧ ، حاشية ٩ . حذار من الخلط مع توميسا ، الوقعة على ضفة نهر الفرات اليسرى ، في ناحية ملطية : انظر بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٧٧٦ .

(٢٣٣١) انظر ما تقدم ، حاشية ٢٢٣٤ ، حاشية ٢٢٥٩ .

(٢٣٣٢) قرب فوستينوبوليس : انظر فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج ١ ، ص ١١٦ ، حاشية ١ ، ج ٣ ، ص ٤٢ ، ٤٤ — ٤٥ واماكن متفرقة .

(٢٣٣٣) تفسير اسم السن اليوناني نهر الملح بالعربية . ويشير المسعودي إلى خاصة جريانه مما يلي الجنوب مستقبلا الشمال ،خلافاً لجميع انهار الارض ، ما عدا نهر انطاكية المعروف بالارنط ، ونيل مصر ومهران السند . وهذا الكلام غير صحيح بالنسبة إلى نهر مهران ، ونفسر وقوع المسعودي في هذا الخطأ بذهابه إلى النهاية في قبول التماثل التقليدي بين نهري مهران والنيل (انظر ما تقدم ، حاشية ٣٩٩) .

(٢٣٣٤) اطاقت الصفة الاولى على عمل الناطليق سابقاً .

(٢٣٣٥) ورد انه بحر الخزر (انظر ما تقدم ، حاشية ٢٢٢٢) ، أو أيضاً مايطس (بالوس مايطس ، بحر ازوف : انظر د . م . دناوب ، في الموسوعة الاسلامية (٢) ج ١ ، ص ٩٦٢) .

(٢٣٣٦) لاشك أنه لابد أن نقرأ اقروبلي ، ارجيروبوليس . إلا أن هذه الأخيرة واقعة على الشط الأوربي من البوسفورز ، وتقابلها كريزوبوليس على الشط الآخر : انظر جانين ، ذكر من قبل ، ص ٤٦٨ ، ٤٩٤ — ٤٩٥ ، والخريطة ١١ ، والمسعودي (ت) ، ١٩٢ ، حاشية ١ . وهناك تأويل آخر : اركلا ، جزيرة كريزوبوليس ، بها حصن كان احد طرفي سلسلة اغلاق البوسفور ، مثبتا فيه : انظر المرجع ذاته ، ص ٤٩١

(٢٣٣٧) على اليمين حسب المسعودي .

(٢٣٣٨) حرفياً : « بحر مايطس الذي يسميه كثير من الناس بحر الخزر ، وانما هو متصل به » .

(٢٣٣٩) انظر فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج ٣ ، ص ٤٤

(٢٣٤٠) انظر ما تقدم ، حاشية ٢٢١٠

(٢٣٤١) وان كان المسعودي لايذكر صراحة الكيبيريوتيس ، كما رأينا .

ذكر من قبل ص ٦٩ .

(٢٣٤٢) وهكذا يعود تقريبا،لكن بمعنى اصلي غلونط (اوتي ماتي:انظر دي غانج، Glossarium ad Scriptores mediae et infimae graecitatis ليون ، ١٦٨٨ ، ص ١٥٦ ، ٨٨٨ ، ١٠٤١) . المعنى العام لـ « نخبة » للفظ افطي ماطي . حول معناه الدقيق في اطار التاريخ البيزنطي ، انظر المسعودي (ت) ٢٤٠،حاشية ١ (مع احالة الى الطبعة الاولى لابن خرداذبه ، لبربيه دي مينار ، باريس ، ١٨٦٥ ، ص ٢٢٥ ، حاشية ٢) ، وما يلي حاشية ٢٢٧٥

(٢٣٤٣) تبقى الفوارق قائمة ، بأساليب أخرى ، إذا أخذنا بعين الاعتبار أعمالا أخرى (ماتقدم ، ١٧٠/٢) ، ذكرت في كتاب De Cerimoniis وكتاب De administrando Imperio : انظر بروكز ، ذكر من قبل، ص ٦٩، حاشية ٧ ، فاسيليف ،ذكر من قبل،ج٣،ص ٧٢، حاشية ٢ ، ٧٧ ، حاشية ٨، و ٧٩، حاشية ٣ . لكن لم يتسن للمسعودي أن يطلع على هذه المصنفات ، بالنظر إلى تاريخ تأليفهما De Administrando Imperio بين ٩٤٨ - ٩٥٩ (انظر فاسيليف،ذكر من قبل ، ج٣ ، ص ٧٥ ، وليمرل (المتحفظ جداً في التأريخ الصحيح) ، ذكر من قبل ، ص ٢٧٧ ، حاشية ١٣٦ . حول كتاب De Cerimniis ، انظر ماتقدم ، حاشية ٢٢١١ .

(٢٣٤٤) تشكل قلونية مثالا نموذجياً : فهي كيليسر ، حسب المسعودي ، في حين انها عمل في الواقع منذ عام ٨٦٣ (انظر فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج ٣ ، ص ٥٢) ، مع ذلك يدل ظهورها على تحقيق تقدم بالنسبة إلى قوائم أسلافه التي لاتتضمنها . كذلك قبذوقية ، كيايسر في تلك القوائم ، لكنها أصبحت بنداً عند المسعودي: انظر بروكز، ذكر من قبل ، ص ٧٠ - ٧١ (الذي يحدد تاريخ قائمة مسلم ب ٨٣٨ - ٨٤٨ وتاريخ قائمة المسعودي ب ٨٤٥ - ٨٦٣) .

(٢٣٤٥) انظر فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٣ ، ص ٥١ ، ص ٥٠ ، استروغورسكي ذكر من قبل ، ص ٢٣٧ . إلا إذا طرأ تجميع جديد ، ضمن بند الأرمنياق هذه المرة ولمدة محددة ! في جميع الأحوال ، لايرد عمل خرسيون ، في كتاب De Thematibus يرد على حاله في كتاب De administrando Imperio انظر فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٣ ، ص ٦٦ آخرها .

(٢٣٤٦) التفصيل في المسعودي (ت) ، ٢٤٤ . يكرر مجموع الخمسة بلا دقة اضافية ، المرجع ذاته ، ٢٤٨ .

(٢٣٤٧) مع تدوين مأخوذ من ابن الفقيه ، عن الاملاك والمراعي ، التي يملكها الملك والبطارقة .

(٢٣٤٨) التباس بين بيلوبس وبولوس وبوليس .

(٢٣٤٩) خرقيدية : لعلها خرقيدية جزيرة اوبه ، أو ، باحتمال ضعيف ، خرقيدية ايتوليه ، وقطعاً ليست خلقذونية . واضح أن المسعودي لايميز بين بندي اللاس وبلبونيسه . العمل بلبونيسه اقتطع من عمل الاس في آخر القرن الثامن أو مطلع القرن التاسع : انظر كاانار ، ذكر من قبل ، ص ٤٠٣ ج٣ ، استروغورسكي ، ذكر من قبل ، ص ٢٢٣ .

(٢٣٥٠) لاحظ الصيغة المختصرة (سالونيكة) عوضاً عن تسالونيكة .

(٢٣٥١) الواقع أنها أقدم منه . كان اسمها ترما في البدء ، ثم أصبح تسالونيكة ، باسم شقيقة ذي القرنين ، عام ٣١٥ ، أي قبل تسعة أعوام قبل بدء أعمال تأسيس القسطنطينية ،

وخمسة عشر عاماً قبل تدشينها دار مملكة : انظر بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٧٦٠ ، استروغورسكي ، ورد من قبل ، ص ٧١ .

(٢٣٥٢) في ٣١ تموز ٩٠٤ (انظر استروغورسكي ، ذكر من قبل ، ص ٢٨٤) . يحدد المسعودي هذا التاريخ بـ ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م . ويذكر أنه ينقل الأخبار عن لاون ذاته ، المروج ، ٣٠٥ . حول لاون الطرابلسي ، انظر فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٢ / ١ ، حاشية ٢ ، ص ١٦٣ .

(٢٣٥٣) كذلك يشير المسعودي في الختام (تنبيه ، ٢٤٤ آخرها – ٢٤٥) ، إلى ضغط البرغز على البنود الخمسة الرومية في أوربة : انظر ماتقدم ، ٥٥/٢ ، ٥٧/٢ ، ٥٩/٢ ، ٦٠/٢ .

(٢٣٥٤) انظر بركز ، ذكر من قبل ، ص ٦٩ ، حاشية ٤ ، الذي يبرز هذا النص في الدقة وفي المعطيات الموسعة ، عند مؤلفينا ، فيما يختص ببنود الروم في أوربه

(٢٣٥٥) بصرف النظر عن الأعمال البحرية (ايجيه ، ساموس أو سيفالينيا) ، نشير إلى اسقاط الأعمال التالية : ستريمون ، الاد ، نيكوبوليس ، ديراشيوم ، دلماسيا ، لونغوبرديا ، سقلية ، قبرس ، وشرسون (شرسون على حدة حقاً : انظر ماتقدم ، ح ٢٢٦٩) ، انظر ستروغورسكي ، ذكر من قبل ، ص ١٦٣ ، ١٨٦ ، بلبونيسة وسلونيكة ، بلا طافلا (طابلا) الذي لايرد في المصادر اليونانية) في القسم الأوربي من الروم نظرياً . حول سردينية ، انظر ماتقدم ، حاشية ٢١٨٠ .

(٢٣٥٦) المتبدل مع ذلك ، في التاريخ والمراجع : قسطنطين بورفيروجينيت ، الذي يذكر اثني عشر عملا في كتابه دي تيماتيبوس ، يغفل دلماسيا في هذا المصنف ، لكنه يذكره في دي سيريمونييس (وخاصة في دي ادمينيستراندو امبيريو ، ٢٩ – ٣٠ روماني ، على حد قول ج . دراغون) ، في حين يحصل العكس في قبرس . وقد اسقطت لونغوبرديا في دي سيريمونييس ، الخ . انظر حدود العالم ، ٤٢١ ، بروكز ، ذكر من قبل ، ص ٦٩ ، ح٧ .

(٢٣٥٧) انظر (ماتقدم حاشية ٢٣٤٤) حالة قبذوقية ، كيليسر حسب التقليد الذي نقله مسلم الجرمي ، وأصبحت عملا عند المسعودي : انظر فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٣ ، ص ٤٤ .

(٢٣٥٨) هكذا يبدو كتاب دي تيماتيبوس : انظر لومرل ، ذكر من قبل ، ص ٢٧٨ (وان كان نهج المؤلف يختلف جداً عما يعنيه لفظ مفصل عندنا على مستوى التنظيم والعرض) . بالنسبة إلى التاريخ ، مثالا على الوصول المحتمل إلى المراجع البيزنطية ، فيما تقدم ، حاشية ٢٢١٥ .

(٢٣٥٩) ابن حوقل ، ٨ ، ٦٣ ، ١٩١ – ١٩٤ . حول كرتوغرافية هذا المؤلف ، انظر ماتقدم ، حاشية ٣٠٣٩ .

(٢٣٦٠) اكمل الثلاثة أصلا ، وأخذ به كانارم . في تاريخ سلالة الحمدانيين في الجزيرة وسورية ، ج ١ ، الجزائر ، ١٩٥١ . يبرز المؤلف ، مثلنا ، ابهامات هذه الكوتوغرافية .

(٢٣٦١) انظر ماتقدم ، ٥٠ – ٥٣ .

(٢٣٦٢) لايتحدثون عن القسطنطينية ، الواردة بانتظام على الخرائط الثلاث .

(٢٣٦٣) يساوي الميل العربي ثلث الفرسخ ، ويساوي الفرسخ ٧٦٢٨ ، ٥ كم . نحصل على ٧٠٠ كم تقريباً ، إذا حصرنا بلبونيسية في مثلث تقريبي .

(٢٣٦٤) وايت (ذكر من قبل ، ص ٥٠) يطبق اسم كسميلي على بلبونيسية ، لكن يمكن تطبيقه أيضاً نحوياً طبعاً ، على الطرف الذي يتخذ شكل برزخ . في جميع الأحوال ، يقتضي المعنى الفهم بالصورة الأخيرة : ويؤيد ذلك بالنص المكتوب على الخريطة الأخيرة أصلا .

(٢٣٦٥) أو ٥ ، ١١ كم . إذا كان المقصود الميل القديم (= ١٠٠٠ خطوة أو ٨ ستاديوم . ستاديوم واحد = ٦٠٠ أو ٦٢٥ قدماً) ، أي مايعادل ٥ ، ١ كم ، يصبح المجموع حوالي ٦ ، ٨ كم . الواقع الطبيعي ٦ كم (طول القناة التي تخترق البرزخ ٥ ، ٦ كم) .

(٢٣٦٦) إذا استطعنا أن نعتمد على المواقع المحددة على الخريطة ، لن يكون المقصود هرقليه بنطس (انظر بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٣٥٩ – ٣٦٠) ، بالتالي البقلار ، بل هرقليه جبال طوروس ، اذن قبلوقية (انظر ماتقدم ، حاشية ٢٣١٦) .

(٢٣٦٧) تحيل البحيرة الأولى إلى عمل الأبسيق ، والبحيرة الثانية ، وهي خليج ازميت أو بحيرة سابنكا ، إلى عمل افطى ماطى .

(٢٣٦٨) يستعمل اللفظ بانتظام بهذه الصيغة في جميع الحالات الواردة هنا .

(٢٣٦٩) أو ناحية طرسوس : انظر ابن حوقل ، ١٩٠ ، ٢٠١ ، و م . كانار ، سيف الدولة ، نصوص مختارة الجزائر ، ١٩٣٤ ، ص ٦٨ ، ح٢ . يقول ابن حوقل ، ٢٠١ ، أن هذه الناحية بأيدي المسلمين ، مما يتنافى مع جميع المعلومات الواردة في المصادر الأخرى عن التقدم البيزنطي في هذه الأصقاع .

(٢٣٧٠) وردت أنطاكية على الخريطة ، إلا أن الناشر صحح على حق تام إلى انطالية (أتالية ادالية) : انظر ف . تايشنر ، في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج ١ ، ص ٥٣٣ .

(٢٣٧١) يقرأ هذا الاسم هنا الصرهوه ،إلا أن الرسم يبدو متردداً جداً،ويوحي لنا بتصحيحه إلى الرهوه (انظر م . كانار ، الحمدانيون ، ص ٢٥١) : سنعود إلى هذا الاسم في بحث ثالث وآخر خريطة لابن حوقل .

(٢٣٧٢) الاتصال بجبال الامانوس وارد في خريطة الجزيرة : ابن حوقل ، ٢٠٨ .

(٢٣٧٣) وليس في البحر الأسود (بنطس) ، كما في الواقع .

(٢٣٧٤) انظر كانار ، الحمدانيون ، ص ٢٥١ ، ٢٥٣ ، الذي يقترح تحديداً آخر هو ايريس : انظر بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٣٩٨ ، ٤٤٨ .

(٢٣٧٥)) مع الملاحظة ذاتها ، الواردة تقدم ، حاشية ٢٣٧٠ ، بالنسبة إلى الرسم .

(٢٣٧٦) يمكن ان تقرأ النهاية المشكوك جداً فيها ، ليس أوليف .

(٢٣٧٧) انظر بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٩٨ .

(٢٣٧٨) بالفعل كان تزيميسيس سليل أسرة أرمنية عريقة . حول هذا الصقع ، انظر فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٣ ، ص ٣٤٧ — ٢٤٨ ، وخريطة ١٨٤ ، بسنية ، ذكر من قبل ، ص ٧٩٥ .

(٢٣٧٩) انظر بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٢٢٦ ، كانار ، الحمدانيون ، ٢٥٣ .

(٢٣٨٠) هذا الاسم غامض بالنسبة لي . على مقربة من خلقدونية ، لاأرى أبداً ديمنسي أو ديمونيسي (جزر الأمراء ، عند مدخل البوسفور ، في بحر مرمره : انظر بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٢٦٦ ، جانين ، ذكر من قبل ، ص ٥٠٦) يمكن أن تذكر (من بعيد جداً حقاً) بالاسم الحالي . تبقى توموس (موش في تارون ارمينية : فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٣ ، ص٥٩،٩٨ ، فهرس ، ص ٢٥٩) . قد يقال أن هذا يعني أن ينسب إلى كرتوغرافية ابن حوقل نزوة مفرطة . لكن ماقيل عن الس وما سوف يقال فيما بعد عن البقلار يؤيد ان جيداً جداً هذه النزعة .

(٢٣٨١) نهر سنغاروس : انظر كانار ، الحمدانيون ، ص ٢٥٣ .

(٢٣٨٢) انظر ماتقدم ، حاشية ٢٣١٦ .

(٢٣٨٣) انظر بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٤٢ (لفظ « اميسوس ») .

(٢٣٨٤) مالم نعط تفصيلات اضافية ، نحيل اجمالا ، لمجمل هذا القطاع ، إلى دراسة م . كانار الدقيقة ، الحمدانيون ، ص ٢٤١ — ٢٨٦ .

(٢٣٨٥) يمكن أن نفهم عيسو وراء لفظ « الأصفر » ، حسب التقاليد (حول هذه الانساب ، ما تقدم ، ١٣٥/٢) أو الفلافيين : انظر ابن الفقيه ، ص ١٤٩ و ١ . غولدتهر ، في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج ١ ، ٧٠٨ – ٧٠٩ .

(٢٣٨٦) لم يسم .

(٢٣٨٧) « نهر الغريت » لكن يبدو ان الافضل شكل الغريت فيما يبدو (انظر كانار ، الحدانيون خريطة ، ص ٢٥٤) ، الذي يذكر ، ولو من بعيد باسم هذه المنطقة : هنغريت ونهر هنغريت رافد من روافد الفرات في الحقيقة بويك نشاي

(٢٣٨٨) مع مدينة قباقب ، عند ملتقى نهر قباقب والفرات ، وصعدا قليلا وراء ملطية : تشرموك ، كيبان ميدن ! انظر كانار ، الحمدانيون ، خريطة ، ص ٢٤٠ .

(٢٣٨٩) قراءة افضل من ألتي (ترجمة وايت ، ص ١٨٨) . حول القي (الكي) في المنطقة الجبلية إلى جنوب بحيرة فان ، انظر كانار ، الحمدانيون ، ص ١٩١ ، اطلس تايمس العالم ، ٣٧ ، ز / ٨ .

(٢٣٩٠) أو الصرهوه ، مع الترددات المشار إليها فيما تقدم ، حاشية ٢٣٧١. ربما رهوة مالك ، طبعاً غير مقبولة ، في حوض جيحان الأعلى : انظر فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٣ ، ص ٨٧ ، ح١ .

(٢٣٩١) مع تصحيح الصورة في المخطوطة ، إذا جاز التحدث عن تصحيح لصورة غامضة جداً : انظر كانار ، الحمدانيون ، ص ٢٥٣ – ٢٥٤ . حول تونوسا ، انظر بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٧٧٦ .

(٢٣٩٢) تصحيف رومانوبوليس ! حول هذا الكليسر في ناحية ملطية ، الذي أدخل فيما بعد في عمل الجزيرة الجديد ، انظر فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٣ ، ص ٧٠ – ٧٢ ، ٩٠ – ٩٢ وأماكن متفرقة

(٢٣٩٣) أرض تابعة إلى عمل قولونية ثم ضمت إلى عمل الجزيرة : انظر فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج ٣ ، ص ٦٩ وما يليها ، وأماكن متفرقة ، كانار ، الحمدانيون ، ص٢٤٥–٢٥١ .

(٢٣٩٤) أو اخلاط على شاطىء بحيرة فان الغربي : انظر ف . مينورسكي ، في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج١ ص ٣٣٩ .

(٢٣٩٥) بلد سوف يشتهر بانتصار الب ارسلان على رومانوس الرابع ديوجين عام ٤٦٣ : / ١٠٧١ .

(٢٣٩٦) تيودوسيوبوليس ، ارضروم .

(١٣٩٧) بتليس ، التي تشرف من الجنوب الغربي على مداخل بحيرة فان : انظر كانار ، الحمدانيون ، ص ١٨٤ وما يليها .

(٢٣٩٨) بلد لايمكن معرفة ما يقابله : انظا كانار ، الحمدانيون ، ص ٢٥٧ .

(٢٣٩٩) تضعها الخريطة على الضفة اليمنى من النهر الذي يحمل الاسم ذاته : انظر

فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٣ ، ص ١٨٣ ، ح٢ (حوض أعلى) ، و كانار ، الحمدانيون ص ٢٤٩ ، ٢٦٠ (تل ارسناس ، صعدا وراء ملطية) .

(٢٤٠٠) انظر ماتقدم ، حاشية ٢٣٩٨ .

(٢٤٠١) اوتاموزان : ربما مزور (طاغ) ، مزور ، مونتزاروم اوروس ، في عمل الجزيرة : انظر كانار ، الحمدانيون ، ص ٢٤٨ ، فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٣ ، ص ٥٤ — ٥٥ .

(٢٤٠٢) الواقع ، على الضفة اليمنى ، وعلى بضعة ١٥ كم من النهر .

(٢٤٠٣) اليوم حسن كيف ، على حوالي مائة كم من ديار بكر : انظر فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٣ ، ص ١٢ ، ١٨ ، ٢٦ ، وأماكن متفرقة ، أطلس تايمز للعالم ، ٣٧ ، ح / ٨ ، وبسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٦٦٨ .

(٢٤٠٤) انظر كانار الحمدانيون ، خرائط ، ص ٢٤٠ و ٢٥٤ .

(٢٤٠٥) وليس فونية ، كما فيما سبق في الحديث عن الأعمال (ماتقدم ، حاشية ٢٢٦٢) مع ذلك ، نظراً لعدم الدقة العامة ، نستطيع هنا أن نفكر في ايقونيون (قونية ، كونية) .

(٢٤٠٦) تزامندوس ، على زمنتي سو (كرملاس) ، رافد سيحان الرئيسي (ساووس) : انظر كانار ، الحمدانيون ، ص ٢٧٤ وما يليها ، فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٣ ، ص ٦٥ وما يليها .

(٢٤٠٧) سوزوبترا القديمة ، على بعد خمسين كم تقريباً إلى جنوب غرب ملطية : انظر كانار ، الحمدانيون ، ص ٢٦٧ .

(٢٤٠٨) على ١٣٠ كم تقريباً إلى غرب جنوب غرب ملطية : انظر كانار ، الحمدانيون ، ص ٢٦٤ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ (حاشية ٥٤٠)

(٢٤٠٩) قراءة اقترحها وايت (ابن حوقل ، ترجمة ، ١٨٨) .

(٢٤١٠) تاريخياً ، تصل المملكة البيزنطية إلى أبعد من ذلك — ويعرف ابن حوقل هذه الناحية جيداً — انظر ماتقدم ، ١٥٦/٢ — ١٥٧ — لكن ليس على الخريطة ، التي توقف بلد ولد الأصفر عند مستوى طرسوس .

(٢٤١١) انظر المجموعة عند ك . ميلر ، الخرائط العربية ، ٣ مجلدات ، ستوتغار ، ١٩٢٦ —١٩٢٧ . سوف يتحقق بالتأكيد تقدم ثابت مع الاديسي ، فيما يتعلق بالاسماء على الأقل .

(٢٤١٢) يقابلها ١٥ اسماً لايطالية ، وأربعة للأندلس بصعوبة . وينقلب المنظور في خريطة المغرب . على الرغم من تصريح ابن حوقل انه يستعمل هذا اللفظ بمعنى « بلدان المغرب » عامة ، يشاهد في هذه الخريطة قسم من بلاد الروم شبه صحراوي حيال ايطالية التي تشتمل على عشرين مدينة ونيف (انظر الفصل السابع) وخاصة حيال بلدان المسلمين المزدحمة بالسكان من النيل إلى الأندلس . ونشير أيضاً إلى أن تقديم الروم في هذه الخريطة افضل من تقديم الشام . إذن لا يقصد اعطاء أفضلية إلى بيزنطية في هذه الخريطة فالواقع ان المعلومات العائدة إليها احتفظ بها إلى خريطة « بحر الروم » ، مثلما احتفظ بمعلومات المغرب والشام إلى الخريطتين الخاصتين بهما . أما إيطالية ، فقد يعكس ذكرها متوسطة بين الخريطتين عكساً جيداً وضعها كبلد غريب ، خاضع في الوقت ذاته ، على الأقل في قسمه الجنوبي (انظر اسمه النوعي كالابره) إلى ضغط المسلمين . وجملة القول أن بيزنطية خصت باهتمام أكيد وحتى استثنائي في مجمل هذه الكرتوغرافية .

(٢٤١٣) يضاف إلى الاحالات المذكورة من قبل ، ابن رسته ، ١١٩ و ١٢٧ (اشارة مختصرة إلى نيقية وسالونيقية . حول كيترّوس ، انظر ماتقدم ، ٢/٦٦) .

(٢٤١٤) المسعودي (ت) ، ١٧٠ ، ٢٤٤ (انظر ماتقدم ، ٢/١٧٤) ، الاصطخري ٥١ ، ابن حوقل ، ٢٠٢ ، حدود العالم ، ١٥٨ .

(٢٤١٥) سنعود فيما بعد إلى قضية الثغور .

(٢٤١٦) درس هونغهام (باسيليف ، ذكر من قبل ، ج٣) وكانار (الحمدانيون) هذه المسالك مع مراحلها دراسة منهجية ، على الأقل بالنسبة إلى أقسامها الشرقية . انظر نموذج عن هذه المسالك عند ابن خرداذبه ، ٩٩ وما يليها .

(٢٤١٧) المسعودي (م) ، فقرة ١٢٩١ ، (ت) ، ١٩٢ .

(٢٤١٨) ترجم أيضاً بـ « خليج » ، نفضل نحن « قناة » ، ونتذكر أن لفظ خليج يدل أيضاً على قناة أخرى شهيرة ، نقصد القناة التي كانت تسحب مياه النيل نحو بحر القلزم . حول خليج القسطنطينية ، انظر ابن خرداذبه ، ١٠٠ ، ١٠٣ — ١٠٤ ، ابن الفقيه ، ١٤٥ ، ابن رسته ، ٨٥ — ٨٦ ، قدامة : ٢٣١ ، المسعودي (م) ، فقرة ٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٧٣٨ — ٧٣٩ ، (ت) ، ١٩٤ — ٢٤٣ ، الاصطخري ٥٠ ، ابن حوقل ، ١٩١ ، ٢٠٢ ، حدود العالم ، ٨٣ ، ١٥٦ ، ١٥٨ .

(٢٤١٩) طوله الحقيقي حوالي ٣٠٠ كم . قدامة (ذكر من قبل) يعطي ٢٦٠ ميلا (حوالي ٥٠٠ كم) .

(٢٤٢٠) ابن رسته ، ذكر من قبل .

(٢٤٢١) مايعادل ١١ — ١٩ كم . العرض الحقيقي : ٤ كم .

(٢٤٢٢) ٦٠ ميلا = ١١٤ كم . المسافة الحقيقية : ٣١ كم ٣ – ٤ ميل = ٧ ، ٥ – ٦و ٧ كم ، العرض الحقيقي : ٢ كم عند القسطنطينية ، وأقل بكثير صعدا . المسعودي (ت) ، ٢٤٣ ، يعطي مع ذلك ١ ميل (٩ ، ١ كم) عند اكروبوليس : انظر مايلي ، بحث ممرات المضايق .

(٢٤٢٣) ١٠٠ = ١٩٠ كم ١٢٠ ميلا = ٢٢٨ كم المسافة الحقيقية : ٢٤٠ كم .

(٢٤٢٤) فيسنة ٩٧ / ٧١٦ : انظر ج . ه . موردتمان ، في الموسوعة الاسلامية ، ج ١ ، ص ٨٨٩ . حول « غارات العرب على القطسنطينية في التاريخ وفي الأسطورة » ، انظر م . كانار ، المجلة الاسيوية ، ١٠٧ روماني (١٩٢٦) ، ص ٦١ وما يليها .

(٢٤٢٥) تساوي غلوة السهم ثمن ميل (انظر ماتقدم حاشية ٢٤٢٢) ، أي حوالي ٢٤٠ متراً . يتراوح عرض الدردنيل وسطياً في الواقع بين ١ و ٥ كم .

(٢٤٢٦) المسعودي (م) ، فقرة ٢٣٩ .

(٢٤٢٧) المسعودي (م) ، ذكر من قبل .

(٢٤٢٨) لعله اشارة إلى موروس مولوس (الحاجز أو المكسر الأسود) ، بعد مدخل المضايق بقليل ، على الضفة الأوربية ! حول هذا الموقع ، انظر جانين ، ذكر من قبل ، ص ٤٧٤ وخريطة ١١ . عرفت العصور القديمة في هذه الانحاء مدينة فينوبوليس (انظر بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٦٠٠) . دي خويه (انظر المسعودي (ت) ، ١٩٤ ، حاشية ١) يقترح هيرون ، مقابل الحاجز الأسود : انظر جانين ، ذكر من قبل ، ص ٤٨٥ . في جميع الأهوال ، المنطقة مراقبة جداً ، نظراً لموقعها الذي يتحكم بمدخل المضايق : انظر المرجع ذاته ، ص ٤٧٢ ، لفظ « كاتاسكيبه » (حارس ، حافظ) .

(٢٤٢٩) ابيدوس محصنة جداً ، ومنظرة في مملكة الروم ، بالفعل : انظر استروغورسكي ص ٢١١ ، ٢١٨ ، فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج ٢ / ١ ، ص ١٦٥ ، ٣٣٩ ، و ه . انطونياديس – بيبيكو ، أبحاث في المناظر في بيزنطية ، باريس ، ١٩٦٣ ، ص ٩١ وأماكن متفرقة . أما البرج ، فقد يكون من ذكريات برج اسطورة هيرو ولياندر .

(٢٤٣٠) المسعودي (م) ، فقرة ٧٣٨ ، (ت) ، ١٩٤ – ١٩٥ ، يتحدث عن السلسلة لكن بصيغة الماضي ، وبالصيغ ذاتها (« في الوقت الذي كانت المسلمين فيه مراكب)

(٢٤٣١) المسعودي (ت) ، ١٩٢ وما يليها .

(٢٤٣٢) حول هذا المكان ، انظر ماتقدم ، حاشية ٢٣٣٦ ، والمسعودي (م) ، فقرة ١٤٠٦ .

(٢٤٣٣) وربما أيضاً اسقاط في تاريخ سابق لحملات كسرى الثاني في آسية الصغرى وحتى خلقدونية ، في عهد فوقاس (٦٠٢ - ٦١٠) : انظر استروغورسكي ، ذكر من قبل ، ص ١١٥ .

(٢٤٣٤) المكان المذكور رأس يقع عند مدخل خليج نيقوميدية (خليج ازميت) ، على حوالي ٤٥ كم من الممر السابق (انظر جانين ، ذكر من قبل ، ص ٥٠٠ ، ٥٠١ ، وخرائط ١٣ - ١٤) . ورد في نصنا ٣٠ ميلا ، أي ٥٧ كم . أما عرض الممر (٩ أميال = ١٧ كم) ، فهو زائد ، إذا قصد الخليج وحده ، لكن ناقص كثيراً ، إذا كان المقصود الوصول من الشاطىء الأوربي إلى لوكاته .

(٢٤٣٥) التي يضعها المسعودي صراحة في هذه الأنحاء ذاتها .

(٢٤٣٦) على طريق سنغاريوس، انظر ابن رسته ، ١١٩، ماركار ، ذكر من قبل، ص ٢١٠ وما يليها عن سنغاريوس البحرية ، فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٢ / ٢ ، ص ٣٨٣ ، حاشية ٤ . المسافة بين رأس لوكاته وسنغاروس ، ٣٠ ميلا حسب المسعودي : أي ٥٧ كم ، أي المسافة بين هذا الراس وراس بوز تماماً . وراس بوز يفصل خليجي ازميت وجمليك. لكن أبعاد المضيق (١٢ ميلا = ٢٣ كم) ضئيلة جداً بالنسبة إلى طول الطريق البحرية إلى القسطنطينية . أخيراً نلاحظ أن مدينة أخرى تأخذ اسمها من سنغاريوس (سكاريا) : التي تدعى اليوم ادبازار إلى شرق ازميت . يتفق جيداً وصف ابن رسته ، ١١٩ ، لموقعها معها (« في صحراء ملساء ») . لكن نقع عندئذ في سلسلة من الصعاب : ماركار ، ذكر من قبل في حينه ، اعاد ترتيب نص مشوش جداً ، وكان على حق كبير . ج . وايت في ترجمته ابن رسته (ص ١٣٤) يتبع ترتيب ماركار . اما م . كانار ، في فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٢ / ٢ ، ص ٣٨٣ (و ح ٣ - ٤) فيحتفظ بترتيب الأصل عند ابن رسته (الذي يضع نيقية قبل سنقرة في طريق اضالية القسطنطينية) ، إلا أنه يشير إلى إلى أن سنقره هي لوكيه (لفكيه) ، وهذا يعاكس اتجاه الطريق : لذلك تشير الحاشية ٣ إلى إعادة الترتيب الذي أجراه ماركار . فيما بعد ، يبدو أن ماركار (ص ٤٣٤) عاد إلى الترتيب الأصلي ، إلا أنه يقترح أن يقرأ عوضاً عن نيقية ، ناكوليا (سيد غازي) ، إلى جنوب دوريله (حول نيكوليا ، انظر بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٥٠٩) .

(٢٤٣٧) ابن خرداذبه ، ١٠٩ آخرها - ١١٠ .

(٢٤٣٨) دوريله مشهورة بالفعل بينابيعها المعدنية : انظر ف . كينة ، تركيا الاسيوية ، ج٤ ، باريس ، ١٨٩٤ ، ص ٤١ .

(٢٤٣٩) هذا هو عرض بحر مرمره ، بين الشاطئين الجنوبيين لخليج جمليك والقسطنطينية .

(٢٤٤٠) انظر ماركار ، ذكر من قبل ، ص ٢١٤ . نمتنع ، لأسباب تحديد الموقع (قرب سنفاروس وفيلاس) ، عن التفتيش عن أبواب في مدينة بوغاز ، الواقعة إلى الغرب بعيداً ، مع اقرارنا بأن هذا التقارب مغر جداً بحد ذاته : بوغاز = خانق ، ومنه : فج (أو مضيق) . سنعود إلى بوغاز فيما بعد .

(٢٤٤١) حول هذا المقطع ، أعطيت المعلومات فيما تقدم ، ١٨١/٢ .

(٢٤٤٢) حول هذه الغارات ، انظر نظرة إجمالية لـ ج . هـ . موردتمان ، في الموسوعة الاسلامية ، ج١ ، ص ٨٨٩ — ٨٩٠ .

(٢٤٤٣) عند مصب النهر ، المؤلف من التقاء ماكستوس (سيماف ، سوسورلو) ورنداكوس (اورهانلي ، ثم مصطفى كمال باشا) . وانتقل الاسم بعد ذلك صعداً في النهر : فأطلقه الكسيس كومنين على مدينة تأسست قرب ميليتوبوليس (ميخالتش) للدفاع عن هذه المنطقة ضد الغارات الاسلامية . حول هذه اللوباديونات ، انظر ماركار ، ذكر من قبل ، ص ٢١٤ ، وكينه ، ذكر من قبل ، ج٤ ، ص ١٤٨ ، ١٥٠.

(٢٤٤٤) هذه هي المسافة الفعلية بين بوغاز والشواطىء الجنوبية لخليج جمليك . أما فيما يتعلق بعرض المضيق (٢٠ ميلا = ٣٨ كم) ، فهو أقل كثيراً من الواقع طبعاً . نشير لكي ننهي تحديد هذه الأماكن ، إلى أن بوغاز تقع على خمسين كم تقريباً إلى شرق سيزيك ، وأن المسعودي لايدقق في اعطاء المسافة بين هذا الممر الخامس وبين الأخير ابيدوس .

(٢٤٤٥) ابن خرداذبه ، ١٠٤ (ذكر فيما تقدم ، ١٣٥/٢) ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٧٣ ، ٧٣٤ ، (ت) ١٩١ — ١٩٢ . لابد من تدقيق مفهوم دار المملكة على ضوء المصنف الأساسي لـ ج . راغون ، نشوء عاصمة : القسطنطينية ومؤسساتها من ٣٣٠ إلى ٤٥١ ، باريس ، ١٩٧٤ . ابن خر اذبه (ذكر من قبل ، ص ١٠٤) يقول : دار ملكهم : مركز ، مقر سلطتهم الملكية (ملوك الروم) . ويقول المسعودي في التنبيه ، ١٩١ ، أن القسطنطيين اختار بيزنطية دار مملكة له : مركز مملكة له ، وبعد قليل (المرجع ذاته ، ص ١٩٢) تسمى القسطنطينية دار الملك : مقر السلطة الملكية .

(٢٤٤٦) ابن الفقيه ، ٦ ، ابن رسته ، ٩٨ ، الهمداني ، ٩ ، اسحق بن الحسين ، ٤١٦ (انظر الخوارزمي (ص) ، ٣١ ، وابن سيرابيون ، ناشر فون مزيك ، ص ٣٩) يقول بدقة ؛ ٤٥ درجة عرض (شمالية) و ٤٩ درجة طول (غربية ، بالنسبة إلى خط طول أجين ، المعروف أنه يمر بسيلان) . الحقيقة : ٤١ عرض شمالي و ٤٧ فرق بالطول بين القسطنطينية واجين (٥٢ مع سيلان) . لانستطيع أن تستخلص أي استنتاج ، بشأن الموقع الممتاز على الأرض ، من هذا التدريج الذي يضع القسطنطينية في منتصف الطريق بين خط الاستواء والقطب ، وتقريباً على منتصف الطريق بين خط الطول الأوسط والأقصى

الغربي . فالمنطقة الوحيدة المعتبرة وسطى وممتازة هي ، كما رأينا الاقليم الرابع (ماتقدم ، ١١٥/١ وما يليها) .

(٢٤٤٧) المسعودي (م) ، فقرة ٧٤٠ ، (ت) ، ١٩٥ .

(٢٤٤٨) المسعودي (م) ، فقرة ٤٧٣ .

(٢٤٤٩) المسعودي (ت) ، ١٩١ – ١٩٢ .

(٢٤٥٠) حول هذه الخطوط الدفاعية (أسوار وأبواب) ، انظر ابن خرداذبه ، ١٠٤ – ١٠٥ ، ابن رسته ، ١١٩ ، المسعودي (م) ، فقرة ٧٣٩ – ٧٤٠ ، (ت) ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ ، اسحق بن الحسين ، ٤١٦ – ٤١٧ ، المقدسي ، ١٤٧ .

(٢٤٥١) ابن رسته ، ١١٩ ، يقول بدقة أن الفرسخ اليوناني نصف الفرسخ العربي ، لأنه يساوي ميلا ونصف ميل وليس ثلاثة أميال .

(٢٤٥٢) المفرد باتوره : بريخ ، أو في الأغلب باب متعرج : انظر دوزي ، ذكر من قبل ، ج١ ، ص ٨٩ ، وك . ا . س . كريسول ، « باب » ، في الموسوعة الاسلامية(٢) م١ ، ص ٨٥٤ .

(٢٤٥٣) حسب ابن خرداذبه ، ذكر من قبل ، المسعودي يقول « عدة أسوار » ، ويذكر حصناً .

(٢٤٥٤) انظر ماتقدم ، ١٦٧/٢ ، حاشية ٢٣٤٧ . حول الجدار الطويل ، انظر ابن خرداذبه ، ١٠٥ ، ابن الفقيه (عند ياقوت ، ذكر من قبل ، ج٣ ، ص ٩٨) ، المسعودي (ت) ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ ، وجانين ، ذكر من قبل ، ص ٢٦٢ – ٢٦٣ .

(٢٤٥٥) انظر جانين ، ذكر من قبل ، ص ٢٦٣ وما يليها . يصعب أن نعرف ، خصوصاً عندما نتحدث عن سورين خارجي وداخلي ، إذا كان المقصود سوري تيودوز وقسطنطين (إلا أن السور الأخير تخرب بعد بناء جدار تيودوز : انظر المرجع ذاته ، ص ٢٦٣) ، أو سوري الجدار التيودوزي ، أو السور التيودوزي والجدار الطويل .

(٢٤٥٦) اسحق بن الحسين ، ٤١٧ .

(٢٤٥٧) اسحق بن الحسين ، يتحدث عن ثلاثة فقط ، ربما عن أربعة ، لأن نصه غير دقيق : هذا التقليل يبدو استثنائياً في جميع الأحوال في النصوص الجغرافية. ويقول الواقع حوالي خمسين (جانين ، ذكر من قبل ، خريطة ١ ، وأماكن متفرقة) .

(٢٤٥٨) الباب الأول (باب سيليبريا ، سيليفري كابو) إلى شمال باب الذهب ،

والباب الثاني (باب بوتيا ، جبالي كابوسي) على شاطىء قرن الذهب . انظر ، كانار ، في فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٢ / ٢ ، ص ٣٨٤ ، ج١ ، ماركار ، ذكر من قبل ، ص ٢٢٤ — ٢٢٥ ، جانين ، ذكر من قبل ، ص ٢٦٨ ، ٧٥ — ٢ — ٢٧٦ ، ٢٨٩ — ٢٩٠ ، وخريطة ١ .

(٢٤٥٩) عند ابن رسته ، ١١٩ ، يبدو أن وجود الحافظ مرتبط بقيمة هذا الباب ذاتها « المسمى باب الذهب » لأنه من « ذهب » .

(٢٤٦٠) المقصود في الواقع قوس نصر تيودوز » ، وتمثل جماعة الفيلة هذه الحيوانات المكدونة بعربته (كانار ، ذكر من قبل ، ص ٣٨٣ ، حاشية ٦) ، انظر ماركار ، ذكر من قبل ، ص ٢٢٤ ، وجانين ، ذكر من قبل ، ص ٢٦٩ وما يليها .

(٢٤٦١) المسعودي (م) ، فقرة ٧٤٠ ، وخاصة ابن رسته ، ١٢٦ — ١٢٧ ، الذي نأخذ عنه المعطيات التالية .

(٢٤٦٢) ومثلما يلاحظ م . عز الدين (في م . عز الدين و ب . تيريا ، « اسير عربي في بيزنطية في القرن التاسع ، هارون بن يحيى » ، في مجلة الدراسات الاسلامية ، ١٩٤٧ ، ص ٤١ وما يليها ، ذكره كانار ، ذكر من قبل ، ص ٤٣٦) ، قد يكون مونس فقط صيغة جرلفظ«موني»(دير)الذيظن أنه اسم علم.في جميع الأحوال،لايمكن أن نفكر بكنيسة القدسين ميناس وميناوس ، لأنها تقع في حي هبدومون ، في غرب المدينة : انظر جانين ، ذكر من قبل ، ص ٤٤٦ . بالمقابل ، بوسعنا أن نفكر ، عبر مونس في تصحيف من نوع قوسموس ، الذي يحيل إلى كوم وداميان (قزما ودميان) ، الذي يقع ديرهما الشهير بالفعل إلى شمال المدينة : انظر المرجع ذاته ، ص ٤٦١ — ٤٦٢ .

(٢٤٦٣) دير ساطره ، طبعاً يحيل اللفظ الثاني إلى اليوناني سوتر . وما دام يقال لنا بأن هذا الدير يتلقى أحد فروع قناة (قناة والنس ، التي تدخل في المدينة قرب باب خاريسيوس المسماة باب اندرينوبل : انظر جانين ، ذكر من قبل ، ص ٢٠٠) ، فلا يمكن أن يقصد إلا دير المخلص من خورا (كهريه جامع) ، في شمال المدينة ، بين جداري قسطنطين وتيودوز : انظر المرجع ذاته ، ص ٣٨ . وورد بأن الدير يقع على باب القسطنطينية ، بلا تفصيل اضافي ، إلا أنالقناة لاتتشعب إلا بعد دخولها المدينة ، لذلك لايمكن أن يكون الدير المقصود ، حسب نص ابن رسته ذاته ، الا داخل السور .

(٢٤٦٤) حول مونس ، انظر ماتقدم ، حاشية ٢٤٦٢ . في الواقع ، لا أجد أي ذكر القديسين ميناوس وميناس في الضواحي الشرقية القسطنطينية (الاسيوية) حيث يقال بأن هذه الأديرة واقعة (بدقة على بعد أربعة فراسخ من المدينة ، أي أقل من ٢٤ كم تقريباً) . بالمقابل كانت توجد كنيسة ماماس (حرفت إلى مونس) على الضفة الأوروبية

من البوسفور ، إلى شمال شرق القسطنطينية ، في الحي الحالي لبيشيكتاش : انظر جانين ، ذكر من قبل ، ص ٤٧٣ ، ٤٧٥ . فسادر : إذا أخذنا المقطعين الأخيرين قد يكون اللفظ تحريف ساتيروس ، في الضاحية الآسيوية من دير مارميخائيل : انظر كانار ، ذكر من قبل ، ص ٣٩٤ ، ح١ ، و ٤٣٦ (حسب عز الدين ذكر من قبل) ، وجانين ، ذكر من قبل ، ص ٥٠٥ . اميل إلى الاعتقاد بأن قوقياي تصحيف كيكونيون ، قرب كريزوبوليس، مع أحد الاديرة: انظر المرجع ذاته ، ص ٤٨٧. أخيراً ، يمكن أن يحيل اسم ماري إلى أحد الأديرة الكثيرة أو الكنائس العديدة للثوتوكس على الشاطىء الآسيوي : انظر المرجع ذاته ، ص ٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩٢ ، ٤٩٨ ، ٥٠١ .

(٢٤٦٥) إذا كان تحديد الموقع في الغرب صحيحاً ، أمكن أن نفكر بديري ثيوتوكوس وكنستريسيون ، قرب باب بيجي (انظر جانين ، ذكر من قبل ، ص ٤٥١) يمكن التفتيش عن أديرة أخرى (لكنهم ثلاثة ربما أربعة ، وليس اثنين ، كما جاء في النص) في مكان أبعد إلى الجهة الغربية : أديرة كلوبس ، كيكلوبيون (اوسترونجيلون) وريزيون (انظر المرجع ذاته ، ص ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٣) .

(٢٤٦٦) ابن رسته ، ١٢٦ .

(٢٤٦٧) انظر ماتقدم ، حاشية ١٨٠٦ ، حدود العالم ، ٤١ (ح١) ، ٢٢١، ٢٢٣ (ح٢) .

(٢٤٦٨) انظر جانين ، ذكر من قبل ، ص ١٩٨ .

(٢٤٦٩) يبدو أن هذه الكلمات الأخيرة تلطف الصفة العامة الصرفة للقناة . في الواقع : يحتمل أن تتخفى وراءها مستودعات توزيع المياه على الأحياء (انظر جانين ، ذكر من قبل ، ص ٢٠٠) . لعل في ذلك أخيراً تموين الأفراد مباشرة بالمياه وحتّى منازلهم ، وهو تموين ممنوع من قناة جوستينيان .

(٢٤٧٠) انظر جانين ، ذكر من قبل ، ص ٢٠٠ .

(٢٤٧١) كتاب سير البطارقة ، ذكر في المرجع ذاته ، ص ١٩٢ .

(٢٤٧٢) حدود العالم ، ٧٩ ، ٢٢١ . جبال بلغاري هي طبعاً البلقان (رودوب) .

(٢٤٧٣) انظر جانين ، ذكر من قبل ، ص ٢٠١ وما يليها .

(٢٤٧٤) ابن رسته ، ١٢٢ .

(٢٤٧٥) يقول ابن رسته فقط : « في يوم العيد » . الشمانين تدقيق من القزويني ، ذكر من قبل ، ص ٤٠٧ . تدخل القبة في أبنية ملحقة بكنيسة يقال لها « كنيسة الملك » ،

تحدد بأنها كنيسة باسيل الأول ، أو على الأصح ، كنيسة القديس اصطفان في دفنه : انظر كانار ، في فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٢ / ٢ ، ص ٣٨٦ ، حاشية ١ ، عز الدين ، ذكر من قبل ، ص ٤٣٥ ، ماركار ، ذكر من قبل ، ص ٢٢٨ ، جانين ، ذكر من قبل ، ص ١١٣. تذكرنا التماثيل الاثنا عشر بالتماثيل التي كانت تزين الحوض المبعوث إلى الخليفة الأموي في الأندلس عبد الرحمن الثالث : انظر عز الدين ، ذكر من قبل ، ص ٤٣٣ ، ٤٣٥ . نلاحظ أنه يوجد بين هذه التماثيل على الأرجح رموز الأنجيليين الأربعة : رجل (ملك) ، ثور ، عقاب (بازي) وأسد (مرتين : أسد ولبوة) . مؤشر تفضيل مرقس الذي عرف رومية ، حيث شارك بولس بالنفي! حول خزانات الأحياء البلاطية في القسطنطينية ، انظر جانين ، ذكر من قبل ، ص ٢١١ ، وخريطة ٧ .

(٢٤٧٦) نبيذ ، حرفياً شراب روحي مصنوع من التمر أو الأعناب ، وأيضاً خمر : انظر دوزي ، ذكر من قبل ، ج٢ ، ص ٦٣٥ .

(٢٤٧٧) ورد في النص : حمل دابة ، أي (انظر دوزي ، ج١ ، ص ٣٢٧) كمية كبيرة .

(٢٤٧٨) المقصود حوض الرخام تحت التماثيل الاثني عشر : سنلقاها مجدداً فيما بعد في بحث كنائس القسطنطينية .

(٢٤٧٩) اسحق بن الحسين ، ٤١٧ .

(٢٤٨٠) المسعودي (م) ، فقرة ٧٤٠ ، اسحق بن الحسين ، ٤١٧ ، ٤٥٩ .

(٢٤٨١) ابن رسته ، ١٢٣ آخرها ، يسميها « الكنيسة العظمى التي للعامة » . تعرض على أنها نهاية موكب ملكي ، ومعروفة فقط بالأبنية الملحقة (ابن رسته ، ١٢٥ — ١٢٦) : سنتحدث فيما بعد عن الموكب وعن هذه المباني .

(٢٤٨٢) « كنيسة الملك » حرفياً : ابن رسته ، ١٢١ — ١٢٢ . انظر الاحالات فيما تقدم ، ح ٢٤٧٥ .

(٢٤٨٣) انظر ماتقدم ، ص ٩٨ ، حاشية ٤٩٠ .

(٢٤٨٤) المسعودي (ت) ، ٢٢٨ . انظر جانين ، ذكر من قبل ، ص ١٣١ .

(٢٤٨٥) انظر ابن رسته ، ١٢٠ (سطر ١ ، ٣ ، ١٠ — ١٢) ، المقدسي ، ١٤٧ . لعل ابن رسته يميز بين القصر (مبنى حصين) والدار (كاثيشما ، منصة ملكية ، يحضر منها الملك ألعاب السبق) : انظر كانار ، ذكر من قبل ، حاشية ٢١٩٩/٤ ، وجانين ، ذكر من قبل ، ص ١٠٧ ، ١٨٤ ، ١٨٨ — ١٨٩ .

(٢٤٨٦) ابن رسته ، ١٢٠ ، كانار ، ذكر من قبل ، ص ٣٨٤ .

(٢٤٨٧) ابن رسته ، ١٢٠ — ١٢١ ، ١٢٣ . انظر كانار ، ذكر من قبل ، ص ٣٨٤ — ٣٨٥ ، ٣٨٩ (و ح ٤) ، ٤٣٤ (مع تصحيحات عز الدين) .

(٢٤٨٨) انظر جانين ، ذكر من قبل ، ص ١٠٨ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٨٧ .

(٢٤٨٩) حول القضايا التي تثيرها ، انظر كانار ، ذكر من قبل ، ص ٤٣٥ .

(٢٤٩٠) تصحيح الناشر إلى منكبه . يبدو الاسم واضحاً : المقصود المنغان ، على طرف شبه الجزيرة الشرقي ، لكن هنالك خطأ بتحديد الموقع ، فما يقال عن السجون يحيل بالأحرى إلى خلقه (انظر كانار ذكر من قبل ، ص ٣٨٤ ، ح ٥ ، ماركار ، ذكر من قبل ، ص ٢٢٥ وما يليها ، عز الدين ، في كانار ، ذكر من قبل ، ص ٤٣٤ آخرها) . يبدو لي أن حلا يمكن ايجاده انطلاقاً من اتجاه الأبواب : بالنسبة إلى القصر يشغل البدروم موقعاً يتجه من الجنوب الغربي إلى الشمال الغربي (انظر جانين ، ذكر من قبل ، لوحة ١) والبحر (اتجاه الباب الثالث) موقعاً جنوبياً . إذن يجب أن نفتش عن باب المنكنا نحو الشرق الشمال شرق : لكن ، تقع في الشمال الشرقي ، وراء طرف البدروم « الكرسيريس (المسماة منغانا في القسطنطينية) التي تخرج منها العربات والحيوانات المتوحشة » (المرجع ذاته ، ص ١٨٦) . يبدو أن هذا الوضع ينطبق مع موقع خلفه ، التي تطل على اوغستيون والقديسة صوفيا ، أي نحو الشمال الشرقي (انظر المرجع ذاته ، ص ١١١) .

(٢٤٩١) حول هذه السجون ، انظر كانار ، ذكر من قبل ، ص ٣٨٥ ، ح ١ (الذي يشير في حديثه عن الطرسوسيين ، إلى الدعوة للأسرى ، عام ٣٣٤ — ٣٣٥ / ٩٤٦ ، كي يحضروا مأدبة على شرف السفراء المسلمين) ، ابن رسته ، ترجمة ، ١٣٦ ، ح ١ (مع الاستشهاد بابن حوقل ، ١٨٣) . تقع هذه السجون في خلفه أو في هذه الأنحاء (انظر ماركار ، ذكر من قبل ، ص ٢٢٦ ، جانين ، ذكر من قبل ، ص ١٦٩ وما يليها) ماعدا السجن الخامس المسمى سجن القصر (انظر مايلي) الذي لعله مقر الحاكم حول هذه المحكمة ، انظر كانار ، ذكر من قبل ، ص ٤٢٣ ، ح ٢ ، وجانين ، ذكر من قبل ، ص ١٦٥ — ١٦٩) .

(٢٤٩٢) ابن حوقل ، ١٩٥

(٢٤٩٣) هذه النبذة من المقدسي ، ١٤٨ .

(٢٤٩٤) في بوكوليون ، مرفأ القصر : انظر كانار ، ذكر من قبل ، ص ٣٨٤ . ح ٥ ، جانين ، ذكر من قبل ، ص ٢٩٧ .

(٢٤٩٥) انظر جانين ، ذكر من قبل ، ص ١١٥ وما يليها . ماركار (ذكر من قبل ، ص ٢٢٧ — ٢٢٨) يميل إلى الاعتقاد أن الكلمات التي تدل على مدخل القصر بهذا النفق ، غير محلها ، وأنه يجب التفتيش عن هذا المدخل بالنفق الخاص بالباب السابق . من ناحية أخرى ، إذا تقيدنا بحرفية النص ، تصبح الكنيسة الملكية ، بالنسبة لمن يأتي من هذا الباب الأخير ، كنيسة القديسين سرج وباخوس ، وليست كنيسة القديس اصطفان في دفنه .

(٢٤٩٦) ابن رسته ، ١٢٢ .

(٢٤٩٧) حول شتى المباني التي يمكن أن يشار إليها بهذه التسمية ، انظر كانار ، ذكر من قبل ، ص ٣٨٧ ، ح ١ ، عز الدين ، المرجع ذاته ، ص ٤٣٥ ، جانين ، ذكر من قبل ، ص ١١٢ ، ١١٦ .

(٢٤٩٨) خلنج ، انظر ماتقدم ، حاشية ١٣٣٠ .

(٢٤٩٩) يقول النص في حديثه عن الملك : قعد على مائدة الذهب : يشير إلى تريكلينيوم (سرير المائدة على الطريقة الرومانية ، وذكر مائدة الذهب ، بداهة إلى القاعة المسماة قاعة التسعة عشر سريراً : انظر جانين ، ذكر من قبل ، ص ١١٢ ، ماركار ، ذكر من قبل ، ص ٢٢٨ — ٢٣١ ، كانار ، ذكر من قبل ، ص ٢٨٧ ، ح ٣ ، ٢/٢٠٥ .

(٢٥٠٠) ابن رسته ، ١١٩ آخرها ، يذكر قرب باب بيغاس ، مكاناً يتنزه فيه الملك : يقصد القصر والحديقة الواقعين قرب بيله تيس بيجيس . انظر كانار ، ذكر من قبل ، ص ٣٨١ ، ٣٨٤ ، ح ١ ، وجانين ذكر من قبل ، ص ١٤١ — ١٤٢ ، حيث توصف الأماكن الملاصقة هذا القصر ، « كنوع من الحديقة بها أشجار السرو والعيثام والمروج الخضراء » .

(٢٥٠١) ابن خرداذبه ، ١٠٩ . حول البذروم والسبق ، انظر أيضاً المرجع ذاته ، ١١٢ ، ابن رسته ، ١٢٠ ، المقدسي ، ١٤٧ — ١٤٨ ، وجانين ، ذكر من قبل ، ص ١٨٣ وما يليها .

(٢٥٠٢) دكة مدرجة في وسط البذروم : المقدسي ، ذكر من قبل .

(٢٥٠٣) انظر ماتقدم ، حاشية ٢٤٨٥ .

(٢٥٠٤) هذه النبذة تتناقض مع ماقيل من قبل ، حاشية ٢٤٩٠ آخرها .

(٢٥٠٥) حول تزيين سبينا ، انظر جانين ، ذكر من قبل ، ص ١٨٩ وما يليها .

(٢٥٠٦) هكذا ترجم بعد كانارم . (ذكر من قبل ، ص ٤٢٣ آخرها) ، فكرة

صيحة الانضمام ، والشعار ، التي يشير إليها الأصل العربي بالاسم فقط . ويبين المقدسي بعد ذلك أن نتيجة السبق يمكن أن تؤول كنذير نتيجة النضال بين الروم ودار الاسلام : سنعود إلى هذه القضية فيما بعد ٢/١٨٢ .

(٢٠٠٧) المقدسي ، ١٤٨ . هذا مثال ، لم ترجع فيه الأبنية العامة إلى نموذج أو نموذجين بليغين خلافاً لما قد يكون قد لوحظ فيما يتعلق بالأقنية ، والخزانات ، والكنائس أو القصور ومع ذلك نرى أن النص يظل غامضاً جداً . لعل السجون (بسبب الاهتمام بالمسلمين الأسرى) استثناء خر ، لكن مضمنا كما رأينا في وصف القصر .

(٢٠٠٨) اسحق بن الحسين ، ٤١٧ .

(٢٠٠٩) نجد أثرها عند المقدسي ، ١٤٧ ، الذي يبالغ في ذكر أبعاد المقر المسمى دار البلاط الذي تحدثنا عنه سابقاً في الكلام عن السجون . لايجوز الخلط بين هذا الجامع والجامع الذي يفترض أن مسلمة بناه في ابيدوس . حول هذه التقاليد ، انظر ج . ه . موردتمان ، في الموسوعة الاسلامية ، ج١ ، ص ٨٨٩ . ربما دفع اغفال الاشارة إلى المسجد في أخبار هرون بن يحيى (كررها ابن رسته) إلى تنصر هذا الأسير : انظر كانار ، في فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٢ / ٢ ، ص ٣٨٠ ، ح٢ ، وعز الدين ، المرجع ذاته ، ص ٤٣٤ .

(٢٠١٠) سنرى تماثيل أخرى فيما بعد ، في دراسة المراسم الملكية .

(٢٠١١) ابن رسته ، ١٢٥ — ١٢٦ .

(٢٠١٢) هذا طبعاً عمود جوستينيان . نستطيع التحقق من صحة عدد من السمات (خصوصاً رفع اليد اليمنى ، التاج الذهبي ، والموقع بالنسبة إلى كنيسة القديسة صوفيا) بمقارنتها بجانين ، ص ٧٤ — ٧٥ . م . كانار (ذكر من قبل ، ص ٣٩٢ ، ح١) يشير إلى أن العمود سيصفه فيما بعد الهروي والقزويني .

(٢٠١٣) حول هذه الساعة ، انظر كانار ، ذكر من قبل ، ص ٤٣٦ ، وجانين ، ذكر من قبل ، ص ١٠٢ — ١٠٣ .

(٢٠١٤) لاريب أن المقصود في الواقع الخيول الأربعة من الصفر المأخوذة من شيو في عهد تيودوز ، والتي تزين اليوم واجهة كنيسة القديس مرقس في البندقية : انظر عز الدين ، في فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٢ / ٢ ، ص ٤٣٦ ، وجانين ، ذكر من قبل ، ص ١٨٦ . لعله أيضاً وارد عند المقدسي ، ١٤٨ . لاحظ أن السمة النهائية تتناقض مع تأكيد المسعودي المذكور فيما تقدم ، ٢/١٨٧ .

(٢٥١٥) ماركار ، ذكر من قبل ، ص ٢٣٦ ، يظن أن لدينا هنا ذكرى عمود سربنتين ، بشأنه ، انظر جانين ، ذكر من قبل ، ص ١٩١ — ١٩٢ . م . عز الدين ، ذكره م . كانار (في فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج٢ / ٢ ، ص ٤٣٦) ينازع في هذا التأويل . ج . دراغون لفت نظري إلى اسطورة الحيات حليفات القسطنطينية ، التي يرويها هيسيخيوس ميليتوس .

(٢٥١٦) حرفياً : سوق .

(٢٥١٧) لابد بلا ريب أن نفهم : قبل البدء بتحضير تسييرهم . مالم يجب فهم لفظ فرج (حرفياً : انفراج) لابمعنى التحرير المطلق ، بل بالمعنى النسبي لتلطيف حالة السجناء .

(٢٥١٨) حول فورم امستريانوم ووظيفة يدي العدالة على المبنى المعني ، انظر كانار ، ذكر من قبل ، ص ٣٩٣ ، حاشية ٢ ، وجانين ، ذكر من قبل ، ص ٦٨ — ٦٩ .

(٢٥١٩) سنعود إلى هذا الموضوع ٢٣٧/٢ .

(٢٥٢٠) المسعودي (م) فقرة ٧٧٢ . يلاحظ الناشر والمترجم ش . بيلا ، أن المدة في الواقع ٦٣٧ سنة ، من ٣٠٦ بعد الميلاد إلى ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م ، ويعين المسعودي ذاته هذا التاريخ (انظر ما أشير إليه سابقاً حاشية ١٠) . ويدل الرقم ٤٢ على عدد الأباطرة الاجمالي المعطى في مروج الذهب (انظر القائمة التالية) . فاذا حسبنا ، على حد قول المسعودي ، ارمنوس الأول و « ابن ارمنوس » ، نصل لا إلى ٤٢ كما يقول بل إلى ٤٤ .

(٢٥٢١) المسعودي (م) ، فقرة ٧٣٤ وما يليها و ٧٥٥ وما يليها . (ت) ، ١٩٠ وما يليها ، و ٢١٤ وما يليها (انظر أيضاً حول قسطنطين ، مغالطة تاريخية صارخة في (م) ، فقرة ١١١) . نجد أيضاً بعض الأسماء (بعضها الغاز) عند ابن الفقيه ، ١٣٩ — ١٤٠

(٢٥٢٢) يترافق ذكره بانتظام مع ذكر هلاني .

(٢٥٢٣) يفرق التنبيه بين قسطنطين (الثاني ، قسطنطين ، في الواقع امبراطور الغرب) ، الذي يجعله يرث القسطنطينية ، وقسطنس (قسطنس للشرق) ، وقسطوس (في الغرب) .

(٢٥٢٤) في الواقع ملك الغرب من ٣٦٤ إلى ٣٧٥ ، عند ملك والنس على الشرق . يلاحظ أن مدة ملك والنس في التنبيه تنطبق تقريباً مع المدة التي تفصل وفاته عن وفاة والنطيوس الأول .

(٢٥٢٥) والنطيانوس الثاني ملك الغرب من ٣٧٥ إلى ٣٩٢ نظرياً لاعملياً . كان شقيقه البكر ، غراطيانوس يدير المملكة الغربية من ٣٧٥ إلى ٣٨٣ . يشير كتاب التنبيه إلى أن غراطيانوس مات قبل والنطيوس .

(٢٠٢٦) انظر حاشية ٢٠٢٥ .

(٢٠٢٧) تخصص مروج الذهب تدويناً خاصاً لبلخاريا زوجة مرقيانوس ، وشقيقة تيودوسيوس .

(٢٠٢٨) انقطاع لصالح بسيليسكوس (٤٧٥ — ٤٧٦) الذي نجد بعض الآثار عنه في كتابي المروج التنبيه .

(٢٠٢٩) لم تعد مروج الذهب تعطي مدة الملك إلا استثناء .

(٢٠٣٠) باسم قيصر بن فوقاس . لم يعين بدقة تاريخ الهجرة في ملكه . ويذكر المسعودي بغموض لا يصدق نظريات تضع أوائل الاسلام في عهد أباطرة (ملوك) اخر : المسعودي (م) فقرة ٧٥٥ .

(٢٠٣١) في أول سنة من ملكه ، كانت الهجرة ، على وجه الدقة كما أعطي .

(٢٠٣٢) ابن قيصر ، أي هرقل : قسطنطين الثالث .

(٢٠٣٣) ابن قيصر ، أي بلا ريب هيرقلياناس (ابن هرقل وشقيق قسطنطين الثالث)

(٢٠٣٤) ابن هرقل ؟ أو هيرقليوناس ؟

(٢٠٣٥) ناقص السنتان الأوليان من خلافة عثمان (عهد هرقل) .

(٢٠٣٦) ابن مورق .

(٢٠٣٧) ثم يعين لنا بدقة ، بشأن قسطنطين الرابع ، أن ملكه بدأ في أواخر عهد معاوية

(٢٠٣٨) الملقب بالأخرم .

(٢٠٣٩) بلا شك لاون (الايسوري ، إذ ان الامبراطور التالي يسمى « ابن لاون » . هذا الجرجس ربما ملك من ٧١٧ إلى ٧٣٦ ، وهذا لايتفق مع بدء الملك التالي في جميع الأحوال .

(٢٠٤٠) هذا لايتفق البتة مع التواريخ السابقة ، إلا إذا اعتبرنا « إلى أيام » يتعدى كثيراً أوائل ملك هارون الرشيد .

(٢٠٤١) يقال بأن قسطنطين هذا « ابن بوغونا » .

(٢٠٤٢) يعتبر كتاب التنبيه أن هذا الملك ثاني ملك لميخائيل الأول الذي انتزعت منه السلطة على يد ليون الخامس .

(٢٠٤٣) خطأ واضح في التواريخ : انتهى ملك المستعين عام ٨٦٦ لا ٨٧٠ كما يقال لنا .

(٢٠٤٤) عرف بأنه « ابن مخائيل بن توفيل » دون تدقيق اضافي .

(١٠٤٥) انظر حاشية ٢٠٤٣ .

(٢٠٤٦) تلي في (م) ، فقرة ٧٧١ بعض المعلومات الغامضة جداً عن آل ليكابين (أسرة ارمنوس الأول) .

(٢٠٤٧) انظر ماتقدم ، حاشية ٢٠٢٠ .

(٢٠٤٨) نظراً لنقص المعطيات التاريخية الموثوقة عند الجغرافيين(تاريخ الهجرة بالنسبة للتاريخ البيزنطي) ، نحصل على الرقم الأول من اضافة مدد الملك (هرقل يحسب سنة واحدة : انظر ماتقدم ، حاشية ٢٠٣٠، ٢٠٣١) . ويستخرج الرقم الثاني من طرح اجمالي بين تاريخ الكتابة (٩٤٣) وتاريخ الهجرة (٦٢٢) :

(٢٠٤٩) انظر المسعودي (م) ، فقرة ٥٠٤ (مذكورة ومشروحة فيما تقدم في بحث جبل القبق ، ٢ / ٢٠ – ٢١ نذكر لهذا البحث المقطع : « ... فانخرقت هيبة المسلمين وانتصر الروم عليهم ... ») و ٧٣٨ (مذكورة فيما تقدم ، ص ١٨٢/٢ .

(٢٠٥٠) سنرجع إلى هذه المسألة في آخر الفصل .

(٢٠٥١) للصفحات التالية ، يراجع ل . بريهيه ، مؤسسات الامبراطورية البيزنطية ، باريس ، ١٩٧٠ .

(٢٠٥٢) ابن خرداذبه ، ١٦ ، ١٠٩ ، المسعودي (م) ، فقرة ١٣٠ .

(٢٠٥٣) ابن خرداذبه ، ١٠٩ ، المسعودي (ت) ، ٢٣٤ (حيث يرد ذكر الخف الأسود والأحمر أيضاً كشمائر من يشارك في الحكم) ، ٢٤٦ ، وصيف شاه ، ١٢٦ .

(٢٠٥٤) ابن خرداذبه ، ١٠٩ .

(٢٠٥٥) المسعودي (ت) ، ٢٣٤ – ٢٣٥ .

(٢٠٥٦) ابن خرداذبه ، ١٠٩ ، المسعودي (ت) ، ٢٣٤ .

(٢٠٥٧) نعرف بأن القصة واردة في خبري السفارة إلى القسطنطينية وإلى التورمان انظر ماتقدم ، ٢ /١٠٧ وما يليها . الحق يقال أنني أصبحت ، فيما يتعلق بوجود رواية سفارة إلى القسطنطينية كتبها الغزال ، أقل ثقة مما كنت من قبل (انظر جغرافية ، ج١ ، ١ / ١٨) . فلعل معطيات هذه السفارة تدونت في الأصل في أعمال مؤرخي

الأندلس الاسلامية انطلاقاً من نص شفهي . في جميع الأحوال ، يجب أن نسلم بوجود قصة كتبها الغزال في نص المقري مثلا ، نلاحظ أيضاً تدوين المسعودي (ت) ، ٢٣٤ : ومن ملوك الروم الا بجلس معهم في مجلسهم أحد .

(٢٥٥٨) اي من عيد الميلاد إلى عيد الغطاس . انظر ابن رسته ، ١٢٢ — ١٢٣ ، مترجم ومعلق عليه في مركار ، ذكر من قبل ، ص ٢٣٢ — ٢٣٣ ، وكانار في فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج ٢/٢ ، ص ٣٨٧ — ٣٨٩ ، ٤٣٥

(٢٥٥٩) ما تقدم ، ١٩٤/٢

(٢٥٦٠) والمائدتان الاوليان مرصعتان بالدر والياقوت . حول شخص قارون (القرآن ، ٢٨ ، ٧٦ — ٨٢ ، ٣٨/٢٩ ، ٢٥/٤٠) ، رمز الثروة والمعرفة الكافرتين ، انظر د . ب . مكدونلد ، في الموسوعة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٨٢٧ — ٨٢٨ . بالنسبة إلى الاحتفالات المعنية ، انظر تعليق كانار (ذكر من قبل ، حواشي) ، مستوحى من كتاب في الاحتفالات . ينطوي نص ابن رسته على بعض الغموض في تسلسل الاحتفال .

(٢٥٦١) ابن رسته ، ١٢٣ — ١٢٥ ، مركار ، ذكر من قبل ، ص ٢١٩ — ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، كانار ، ذكر من قبل ، ص ٣٨٩ — ٣٨١ و ٤٣٥

(٢٥٦٢) حول الرتب والهيئات التي يمكن ان تتمثل في هذا الموكب ، انظر بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ١٠٩ — ١١٤

(٢٥٦٣) هذه الطبرزينات مجنحة (انظر احالة إلى ابن رسته ، ترجمة، ١٣٩ ، ح ٦) ، مما يدفعنا إلى التفكير في فرقة الورنك ، وهم « جنود عمالقة ، مسلحون بفأس مجنحة ، يشكلون حاجزاً منيعاً في الاحتفالات على طريق مرور الملك وحاشيته » . (بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ٢٨٧ ، لكن انظر المرجع ذاته ، ص ٢٩٩ : فأس بحد واحد) . الا ان احداث فرقة الورنك اقدم كثيراً من عهد هرون بن يحيى ، اخباري ابن رسته . مع ذلك الطبرزينة عدة أساسية في الاسلحة البيزنطية التقليدية (انظر المرجع ذاته ، ص ١١٧٨ . إذن يجب التفتيش عن فرقة المحاربين المعنية بين جيوش الملك الخمسة « بظاهرها العسكري وواقعها الاحتفالي فقط » (المرجع ذاته ، ص ١١٣) .

(٢٥٦٤) انظر ما تقدم حاشية ٤٩٠

(٢٥٦٥) انه المسكت طبعاً . حول المعضلة التي يشيرها لفظ رحون ، انظر كانار فكر من قبل ، ص ٣٩٠ ، حاشية ٦ و ٤٣٥

(٢٥٦٦) فيه تلميح إلى ان هرون بن يحيى ، الذي يكرر ابن رسته قصته ، لم ير

الملك الرومي بنفسه بل رأى شخصاً يشاركه السلطة : حول هذه القضية ، انظر كانار ، ذكر من قبل ، ص ٣٨٢ ، وما يلي ، حاشية ٢٥٦٧

(٢٥٦٧) يبدو ان هذه الصيغة تؤيد (انظر الحاشية السابقة) ان الامر يتعلق بالا شتراك بالسلطة . انما تنتج الصعوبة عن ان الا شتراك لا ينطبق على الشخص الذي يدل خفاه الاسود والاحمر على انه مقلد هذه السلطة المشتركة .

(٢٥٦٨) يدخلون أيضاً في الكنيسة ثلا ثة خيول : سنجدهم أيضاً في حديث ممارسات التنجيم عن النزاع بين الروم ودار الاسلا م .

(٢٥٦٩) ما عدا احتمال تنصر هرون بن يحيى (انظر ما تقدم ، حاشية ٢٥٠٩) . يجوز ان نتساءل مع ذلك اذا كان هرون شاهداً عيانا لجميع ما يصف : فوجوده في القسطنطينية لا يعني انه امتنع عن تدوين معطيات تلقاها شفاها (انظر كانار ، ذكر من قبل ، ص ٣٨٢) .

(٢٥٧٠) ابن الفقيه ، ١٤٠ آخرها (تقع السفارة في خلافة ابي بكر أو عمر ، نظراً لمروره في بلاط الغساني جباله بن الايهم) . توجد قيد النشر ترجمة (تنشر بعد الوفاة) لابن الفقيه لـ هـ . ماسيه .

(٢٥٧١) ابن الفقيه ، ١٣٧ — ١٣٩ . حول هذا الشخص ، انظر الا حالات التي اعطاها الناشر في ابن الفقيه ، ١٣٧ ، حاشية هـ

(٢٥٧٢) ثلاث مرات من الانتظار الثاني ، ام ثلاث مرات جملة : لا يسمح النص بالقطع .

(٢٥٧٣) امر بالقيام (ابن الفقيه ، ١٣٩) : النبذة (اعطاء الامر بالوقوف) يجب ان يفهم بأنه ينهي السجود ، اذا عدنا لما يقال عند المسعودي (ت) ، ذكر فيما تقدم ، حاشية ٢٥٥٧ آخرها

(٢٥٧٤) انظر جانين ، ذكر من قبل ، ص ١١٧ . يجب ان نضيف إلى هذه العجائب موضوع الطيور المعدنية (انظر المرجع ذاته ، وص ١١٥) ، الذي ينسبه مؤلفونا بالاحرى إلى رومية ، كما رأينا : انظر ما تقدم ، حاشية ٢١٦٨

(٢٥٧٥) غاية السفارة رسمياً دعوة ملك الروم إلى اعتناق الاسلام (ابن الفقيه ، ١٤٠) .

(٢٥٧٦) انظر القرآن ، ٦/١٠٩ : لكم دينكم ولي ديني

(٢٥٧٧) هنا يثار سؤالان قصيران جداً عن نقاط مؤسساتية : تراث وصيام وصلاة

(٢٥٧٨) انظر ما تقدم ، حاشية ٢٥٧٥

(٢٥٧٩) يلاحظ انه لا يحتج البتة عندما يلمح الملك الرومي إلى انه احب لو ان تلك الصيغة كانت من حيلة الناس كغيرها .

(٢٥٨٠) قارن بما يجري اثناء الانتفاضات : موقف ملك الروم معادي (عند الانتفاضة الاولى) ، ويهتم فقط بالاحداث الاجتماعية (في الانتفاضة الثانية . كذلك تطرح الاسئلة عن الصوم والصلاة والتركات في اطار شكلي وعلماني) .

(٢٥٨١) سنبحث موضوع الروم اعدى اعداء دار الاسلام ٢ / ٢٥٣ وما يليها .

(٢٥٨٢) ابن خرداذبه ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ابن الفقيه ، ١٤٦ . سندرس حرس القصر والمدينة بمزيد من التفصيل مع قدامه (ما يلي) . فيما يتعلق بحرس الملك الشخصي ، يمكن ان نفكر في الاسخلارية أو الخشف (انظر بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ٢٧٢ — ٢٧٣) ، وبالنسبة إلى الاعدامات ، في الايبارخوس (رئيس المدينة) أو عارض الكتب (انظر المرجع نفسه ، ص ١٥٣ — ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٨٥ آخرها) . اما الاربع مائة رجل ، وهم لمشورة الملك ، فيمكن ان نرى فيهم مجلس الشيوخ ، عندئذ يصعب التمييز بينهم وبين المجلس الملكي(انظر المرجع ذاته ، ص ٨٦ — ٨٧ و ١٤٩ — ١٥١)

(٢٥٨٣) قدامة ، ٢٥٦ ، حول هذه الجيوش ، انظر ه . غليكاتزى — اهرويلر ، ذكر من قبل .

(٢٥٨٤) غالباً ما يظهر دمستق الاسخلارية قائداً عاماً للجيش . حوله وحول الاسخلارية انظر جانين ، ذكر من قبل ، ص ١١١ — ١١٢ ، استروغورسكي ، ذكر من قبل ، ص ٢٧٧ ، بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ٢٧٣ ، ٢٨٥ — ٢٨٦ ، ٢٩٦ واماكن متفرقة .

(٢٥٨٥) اذا كان الترتيب الذي اتبعه قدامه هو فعلا الترتيب الذي يلاحظ في اصناف الطغمات الاربع المرابطة في القسطنطينية أو في نواحيها، فان الجيش الثاني هو (الخشف) (يعني اسمه اليوناني امضى الليل خارج البيت، وبالتالي سهر وحرس) . حول الخشف ، انظر بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ٢٨٥ — ٢٨٦ بقي ان نعرف ان الكلمة العربية المقصودة بالصورة غير المنقوطة الواردة في النص : ه (ج ، خ) — س (ش) — ف (ق) . حول الجمع على فعل أو شبه الجمع على فعل ، يمكن ان نفكر في « خشف » : واحد معانيه مشى في الليل . والامكانية الاخرى اقل قبولا ، « جشر » ، اخرج المواشي للرعي ، انظر جاشر : من يحرس (المواشي) التي لا ترجع إلى اصحابها عند المساء .

(٢٥٨٦) ورد في النص لفظ غير منقوط ، يمكن قراءته ارموس . لا ريب البتة في ذلك:

فالمكان في مراتب الطغمات ، ولقب صاحب (عدم الخلط مع طرنجار الاسطو) ومهمة الرجال المناطة بهم الحراسة (حراسة القصر) كل ذلك يحيل إلى ارثموس : انظر بريهية ، ذكر من قبل ،ص ٢٨٦

(٢٥٨٧) الغموض كثير هنا . فمهمة هذه الفرقة في الواقع احدى المهام المناطة بالارثموس . ثم ان اللفظ الوارد في النص العربي ، وان كان بلا نقط ، لا يمكن قراءته الا فيدارطيين . الا ان « فرقة الفيدارطيين ، المؤلفة من اربعة اقسام خيالة والمكلفة بالدفاع عن القسطنطينية « زالت » قبل عهد ميخائيل الثالث » (٨٤٢) ، واعقبها حرس هيتيريا ، اي حرس الملك الخاص (المرجع ذاته ، ص ٢٨٦) .

(٢٥٨٨) قراءة مشكوك فيها جداً . حول فرقة الافطيماط ، انظر المرجع ذاته ، ص ٢٧٤ ، و هـ . غليكاتزي – اهرويلر ، ذكر من قبل ، ص ٢٥ ، حاشية ٢

(٢٥٨٩) هنا ورد في النص العربي لفظ يبدو انه يحتمل شكاً كبيراً ايضاً . حول فرقة المشاة نوميره ، الناشئة عن الحشف ، انظر بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ٢٨٦

(٢٥٩٠) ابن خرداذبه ، ١١٢ (مكرر عند ابن الفقيه ، ١٤٧)

(٢٥٩١) ابن الفقيه ، ١٤٧ ، جعله ايضاً لغثيط . نفكر طبعاً بلغثيط الدواوين ، لكن يبدو ان احداث هذه الوظيفة لاحق فميا يبدو (انظر بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ١١٩)

(٢٥٩٢) دي خويه يترجم على هذا النحو لفظ المرقب الوارد في النص العربي (انظر ابن خرداذبه ، ٣ شرح الكلمات ، وترجمة ، ٨٤ ، حاشية ٣)

(٢٥٩٣) ورد في النص المشكوك به فملا ، عرض الكتب ، يمكن ان نفكر بصاحب العرائض (انظر بريهيه ، ذكر من قبل ، ١٠٣ ، ١٤٠)

(٢٥٩٤)انظر المرجع ذاته ، ص١٠٣ واماكن متفرقة يفصل به تواريخ و تاريخ هذه المناصب ، وفيها يتعلق بالتمييز ات المحتملة بين المهام الحقيقية والمناصب (حالة رئيس التشريفات وخصوصاً كوروبالات ؟)

(٢٥٩٥) انظر المرجع ذاته ، ص ٨١

(٢٥٩٦) انظر د . سورديل ، الوزارة ، ص ٥٨٩ وما يليها واماكن متفرقة ، و ا . ا . دوري ، « ديوان » ، في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج ٢ ، ص ٣٣٤ : ديوان الخراج ، ديوان الرسائل ، حاجب ، ديوان البريد ، قاضي القضاة ، حرس ، ديوان الاحشام (أو ديوان الموالي والغلمان) .

(٢٥٩٧) ابن حوقل ، ١٩٥ – ١٩٦

(٢٥٩٨) لا شك ان الدمستق هو دمستق الاسخلارية . ولا ريب ان لفظ زراوره (مفرده زروار) مشتق من الفارسي سرفر (امير ، رئيس ، سيد) او سر – هزار (رئيس الف) : انظر شرح الالفاظ م ج ع ، ج ٤ ، ٢٥٣ (ذكره كانار ، ورد من قبل ، ص ٤١٢ ، حاشية ٤) . نظراً لذكر الالف ، المقصود الطرنجار (انظر بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ٢٩٧) ، لكن عندئذ تصبح المراتب خاطئة عند ابن حوقل ، اذا ان الطومرخ يجب ان يأتي قبل الطرنجان مبدئياً (الطرنج = ثلث طومرخ) .

(٢٥٩٩) حول تناء (مفرده تانء) ، انظر كانار ، ذكر من قبل ، ص ٤١٣ ، حاشية ١

(٢٦٠٠) او طرنجار (في الواقع رتبة ادنى) وبطريق (في الواقع ، منصب) .

(٢٦٠١) المسعودي (ت) ، ٢٢٩ ، ٤٣٧

(٢٦٠٢) حدود العالم ، ١٥٧

(٢٦٠٣) انظر ما تقدم ، ٢/١٦٦ – ١٨٦ (حيث يظهر الطومرخ أيضاً حسب ابن الفقيه)

(٢٦٠٤) المسعودي (ت) ، ٢٣٤ . ليس اقتران الشخصين ، الذي لا يجادل به ، قاطعا إلى الحد الذي يريده المسعودي : انظر بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ٣٤٦ – ٣٤٨. حول حقيقة الوظيفة والسلطات ، وشارات البطريرك ، انظر عرضاً هاماً في المرجع نفسه ، ص ٣٦٩ – ٤٠٢

(٢٦٠٥) انظر ما تقدم ، ٢ / ٢٠٦

(٢٦٠٦) حتى لو صدف ان شارة المنصب ارتبطت بهذا المنصب أو ذاك في جهاز المملكة .

(٢٦٠٧) ابن خرداذبه ، ١١٢ ، ابن الفقيه ، ١٤٧

(٢٦٠٨) ابن خرداذبه ، ١٠٩

(٢٦٠٩) حول صقيلية ، انظر ما تقدم ، حاشية ٢٣٥٥ . حول سردينية ، ما تقدم ، حاشية ٢١٨٠

(٢٦١٠) كما في الحدود : ما تقدم ، ٢/٢١٤

(٢٦١١) ابن خرداذبه ، ١١١ (ابن الفقيه ، ١٤٧ ، قدامة ، ٢٥٥ آخرها – ٢٥٦ ، المقدسي ، ج ٤ ، ٦٣ – ٦٤)

(٢٦١٢) الاسماء منقولة : بطريق ، طرماخ ، طرنجار ، قومس ، قنطرخ ، داقرخ . حول هذه الرتب والارقام انظر بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ٢٩٧ . حول المؤسسة العسكرية (سنعود فيما بعد إلى هذا الموضوع) ، انظر مقالا اساسياً لـ هـ . غليكاتزي – اهرويلر ، ذكر من قبل ، ص ٣ واماكن اخرى

(٢٦١٣) طرنجار بليمون ، « رئيس الاسطول المقيم في العاصمة » : انظر هـ . اهرويلر ، بيزنطية والبحر ، ص ٧٣ – ٧٦ . انظر أيضاً بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ٣٢٨ . المقطع المذكور من المسعودي (ت) ، ٢٣٤

(٢٦١٤) تحتفظ كل طائفة « بشرائعها وعاداتها الداخلية مع زعمائها الخاصين » (كاهين في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج ٢ ، ص ٢٣٤) ، هذا ما يجب الا ننساه

(٢٦١٥) انظر وجوده على رأس المراتب الصابئة من الحرانيين ، الموروثة عن اليونانيين : المسعودي (م) ، فقرة ٢١٠ .

(٢٦١٦) انظر ا . كاوار ، في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج ١ ، ص ١٢٨٧ – ١٢٨٨ . يتردد المسعودي (م) فقرة ١٢٩١ (نص عربي ، حاشية ٥) بين الكلمتين ليدل على بطاركة رومية ، القسطنطينية والاسكندرية وانطاكية وبيت المقدس . ولا شك انه يجب تفسير ابن الفقيه ، ١٤٥ بمعنى البطريرك : « وانطاكية . . . وفيها مجمع البطارقة » (مفرده بطريق) : تلميح إلى اهمية كرسي انطاكية ، « مدينة الله ، وعاصمة المشرق قبل ازدهار القسطنطينية » ، وإلى « اصل كنيستها الرسولي اذ اسسها القديس بطرس ، فصارت شقيقة كنيسة رومية » (بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ٣٦٢)

(٢٦١٧) ابن خرداذبه ، ١١١ – ١١٢ ، ابن الفقيه ، ١٤٠ ، ابن حوقل ، ١٩٦ – ١٩٧ (انظر كانار في فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج ٢ / ٢ ، ص ٤١٤ ، ح ٢ ، ٤٣٦ – ٤٣٧) . اختلاف طفيف عند ابن خرداذبه ، ١١٢ (سطر ١٠ – ١٤) : اعطيات الرؤساء ما بين ثلاثة ارطال ذهب إلى رطل . وانما يقبض الروم في ديوانها الغلمان المردان ، فيأخذ الغلام في السنة الاولى ديناراً وفي الثانية دينارين وفي الثالثة ثلاثة دنانير حتى يتم اثني عشر سنة ، فيأخذ اثني عشر ديناراً . حول الاعطية ودفعها ، انظر غليكاتزي – اهرويلر ، ذكر من قبل ، ص ٧ – ٨

(٢٦١٨) انظر سورديل ، الوزارة ، ص ٥٨٧ – ٥٨٨ ، س . كاهين ، « عطاء » في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج ١ ، ص ٧٥١ – ٧٥٢ . « الافراط » (القسوة) المشار إليه ، ليس خاصاً ببيزنطية طبعاً . الا ان الخطر اعظم كلما كان العطاء ضعيفاً بالمقارنة مع اعطيات العالم الاسلامي : س . كاهين (ذكر من قبل) يحدد ٧٠ ديناراً للماشي و ١٤٠ للفارس

(٢٦١٩) تتضمن هذه الاعطيات طبعاً اعطيات الرتب العسكرية، التي لا يفصلها الجغرافيون عن سائر الادارة كما رأينا ، و لا يمكن ان نفهم ال ١٢ إلى ١٨ ديناراً سنوياً الا انها تنطبق على الجند في جميع الاحوال . وسنعود إليها فيما بعد في بحث الجيش .

(٢٦٢٠) انظر سورديل ، ذكر من قبل ، ص ٦٩٤ (من ١٠ إلى ٧ الاف دينار شهرياً . حول اعطيات الادارة البيزنطية ، انظر بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ١٣٤ — ١٣٥

(٢٦٢١) انظر د . سورديل ، « بريد » في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج ١ ، ص ١٠٧٧ — ١٠٧٨ ، وبريهيه ذكر من قبل ، ص ٢٦٦ وما يليها .

(٢٦٢٢) ابن خرداذبه ، ١٠٢ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ابن رسته ، ١١٩ ، ابن حوقل ، ١٩٥ ، ٢٠١ آخرها حول الفرسخ ، انظر و . هنز ، « فرسخ » في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج ٢ ، ص ٨٣٢ . فالتقدير « اليوناني » لهذا القياس ، الذي يعطيه ابن رسته (انظر ما تقدم ، ح ٢٤٥١) يقوي ايضاً انطباع الكثافة اذا قبلنا به . مسافات البريد في دار الاسلام ، انظر المقدسي ، ترجمة ١١٥ (و ح ٢٠) . تقع ملاجنه بين دوريله ونيقيه . انظر ابن خرداذبه ، ١١٣ ، بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ٣٠١ آخرها — ٣٠٢ . حول سرعة البرد الملكية ، انظر المرجع ذاته ، ص ٢٦٤ — ٢٦٥ ، ٢٦٧

(٢٦٢٣) ابن خرداذبه ، ١١١ (ابن الفقيه ، ١٤٧) ، انظر بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ٢١٣ — ٢١٤

(٢٦٢٤) دينار واحد عند ابن الفقيه ، ذكر من قبل

(٢٦٢٥) ابن حوقل ، ١٩٧ — ١٩٩

(٢٦٢٦) رئيس البند البحري الهام جداً كيبيريتس : انظر بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ١٧٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٣٢٩ . ه . اهرويلر ، بيزنطية والبحر ، ص ٨٢ واماكن متفرقة ، وما تقدم ، ح ٢٢٧٥ . يفكر م . كانار (في فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج ٢ / ٢ ، ص ٤١٤ ، ح ٦) في المردابيت ، اللبنانيين الذين كان لهم ضمن بند الكيبيريوتيس ، زعيمهم الخاص (كاتيبانو) المعين مباشرة من قبل ملك بيزنطية : انظر بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ٣٣٠ ، اهرويلر ، ذكر من قبل ، ص ٨٢ — ٨٣

(٢٦٢٧) يقول ابن حوقل ، ١٩٧ آخرها — ١٩٨ انه تم الانتقال من نظام الجباية إلى فرض الضريبة المباشرة بعد انحطاط الثغور الاسلامية : انظر كانار ، ذكر من قبل ، ص ٤١٤ ، ح ٧ ، ٤١٥ ح ٢ و ٤٣٧

(٢٦٢٨) ابن الفقيه ، ٧٦ (مصر ، ابن حوقل ، ١٩٧ (المغرب = فاطمي) ، المقدسي ، ٦٤ (اي ناحية من دار الاسلام . حول هذا اللفظ ، انظر جغرافية ، ج ١ ، ٢/١٣٨)

(٢٦٢٩) ابن الفقيه ، ١٣٩

(٢٦٣٠) ابن الفقيه ، ١٤٠

(٢٦٣١) انظر بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ٣٠ ، ٦٦ ، ٨٠ ، ٨٤ — ٨٥ ، ١٠٥ — ١٠٦ ، ١٠٩ — ١١٢ ، ١٤٤ — ١١٥ ، ٢١٧ آخرها — ٢١٨ ، ور . غيلاند ، ابحاث عن المؤسسات البيزنطية ، برلين ، ١٩٦٧ ، ج ١ ، ص ١٦٥ — ١٩٧

(٢٦٣٢) المسعودي (م) ، فقرة ٧٧١ ، ج ٨ ، ١٤٨ ، (ت) ، ٢٣٤ ، المقدسي ، ٢٤٢

(٢٦٣٣) انظر سورديل ، الوزارة ، ص ٦٧٠ — ٦٧١ واماكن متفرقة ، و « غلام » في الموسوعة الاسلامية (٢) ح ٢ ، ص ١١٠٤ — ١١٠٦

(٢٦٣٤) ش . بيلا ، في ترجمته الجزئية للمقدسي (وصف المغرب المسلم في القرن الرابع هـ / العاشر م، الجزائر ، ١٩٥٠) ، ص ٥٧، ترجم كنائس بـ « اديرة » و «محابس الاديرة »

(٢٦٣٥) انظر بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ٤٠٣ — ٤٠٨ ، و ٤١٩ وما يليها (حول نذر الاولاد منذ ولادتهم للاديرة ، انظر ص ٤٤٦)

(٢٦٣٦) بهذه المناسبة، نذكر اننا نؤيد الجغرافيين في قولهم بوجود اسلام متوسط ، اذ تبدو الصوفية والزهد في هذا الدين وفي غيره من الاديان تجارب خارقة. ويجب ان نلاحظ ايضاً في الفترة التي عاش فيها المؤلفون المشار إليهم (٤ هـ / ١٠ م) ، ان الصوفية الاسلامية وخاصة التجمعات في رهبانيات ، لم تبلغ بعد ازدهارها الكامل . حول مثال عن رفض تطرفات الزهد ، انظر ما تقدم ، ١/١٧٥ . حول موقف السنة المعتدل من الزهد ، انظر ل . ماسينيون ، في الموسوعة الاسلامية ، ج ٤ ، ص ١٣١٠ ، ولاوست كتاب الشرح والابانة على اصول السنة والديانة لابن بطة ، ذكر من قبل ، ص ١٥٩ — ١٦٠

(٢٦٣٧) ابن خرداذبه ، ١١١ ، ابن الفقيه ، ١٤٧ ، المقدسي ، ج ٤ ، ٦٣ ، اليعقوبي ، ٣٢٣ ، ينزل الرقم إلى ٤٠٠٠٠

(٢٦٣٨) انظر بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ٢٧٦ (للفترة القديمة) ، ٢٩٧

(٢٦٣٩) انظر ما تقدم ، حاشية ٢٦١٧

(٢٦٤٠) صفة تتفاقم من جراء احتفاظ البيزنطيين بسرية ارقام عساكرهم : انظر هـ . غليكاتزي — اهرويلر ، ذكر من قبل ، ص ٤ . تضم جيوش نيسيفور فوقاس ٤٠٠٠٠٠ رجل حسب المؤرخين العرب : انظر احالة عند بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ٥٣٥ ، حاشية ٢٢٠٦ . ويعلن اليعقوبي (ذكر فيها تقدم، ح ٢٦٣٧) ان لا احد يتلقى اعطية : إذن يمكن اعتبار الـ ٤٠٠٠٠ رجل الوارد عنده حداً اقصى ، ضعيفاً هذه المرة بلا ادنى شك .

(٢٦٤١) ابن خرداذبه ، ١٠٩ آخرها

(٢٦٤٢) عدم الخلط بينه وبين بند آخر ، وحدة اساس صغيرة . انظر هـ . غليكاتزي – اهرويلر ، ذكر من قبل ، ص ٣ (ح ١) واماكن متفرقة ، بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ٢٩١ آخرها – ٢٩٢ وما تقدم ، حاشية ٢٣١٤

(٢٦٤٣) اللفظ الاخير يعوزه الوضوح : شاجرد ، من الفارسي شاجرد (انظر شرح الكلمات عند ابن خرداذبه ٤) : متمرن ، خادم . يعني اللفظ الاول مرتزق : « يتصرف بموارد» ، لكن من أي شيء ؟ قد يحيل اللفظ قبليا إلى اعطية او إلى عدة الفارس ، أو إلى نفقات جماعة ارضية أو إلى نفقات خاصة : اميل إلى الحل الاخير ، اذ يبدو لي ان مرتزق ترجمة اللفظ اليوناني اوبوروس (مرفه ، لديه موارد) : حول اوبوري ، انظر بريهيه ذكر من قبل ، ص ٢٩٢ – ٢٩٣ ، و هـ . غليكاتزي – اهرويلر ، ذكر من قبل ، ص ٥ – ٦ . يبدو ان هذا التفسير يتأيد بما سوف يقال فيما بعد ، في الحديث عن تمويل الغارات الارضية .

(٢٦٤٤) حول ملاجنه (ما تقدم ، حاشية ٢٦٢٢) ، المذكوره في احد مسالك ابن خرداذبه ، يتحدث هذا الكاتب عن اصطبل الملك وعن «موضع ثقلة وميرته» حول اتصالات البريد والجيش ، انظر بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ٢٦٣ ، ٢٦٥ ٢٦٧

(٢٦٤٥) ابن خرداذبه ، ١١٢ آخرها . حول الادارة العسكرية ، انظر بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ٢٧٩ – ٢٨٠ ، ٣٠٢ – ٣٠٣

(٢٦٤٦) خبز أو كعك : انظر دوزي ، ذكر من قبل ، ج ٢ ، ص ٤٧٤

(٢٦٤٧) ابن حوقل ، ١٩٨ – ١٩٩

(٢٦٤٨) ابن حوقل ، ١٩٩ . حول السياسة التي اتبعها فعلا نيسيفور ، انظر بريهيه ، ذكر من قبل ، ٢٩٢ – ٢٩٣ ، استروغورسكي ، ذكر من قبل ، ص ٢١٧ – ٢٢٠

(٢٦٤٩) ابن حوقل يقول : من ذهب . هنا يحيل لفظ دينار ، كما في المقاطع الاخرى ، إلى النومسما الذهبية ، عندما يطبقه مؤلفونا على بيزنطية .

(٢٦٥٠) انظر ما تقدم ، حاشية ٢٦٤٣ .

(٢٦٥١) بالفعل اثارت سياسة نيسيفور الانتقادات (انظر استروغورسكي ، ذكر من قبل ، ص ٢١٦ ، ٢٢٠ الا انه لقي حتفه في حربه مع البلغار ، عام ٨١١

(٢٦٥٢) المقدسي ، ٤١٧

(٢٦٥٣) يستعمل لفظ فداء افدية . ؟ : المسعودي (ت) ، ٢٥٥ وما يليها (نطاق تبادل الاسرى بين دار الاسلام وبيزنطية) . الا ان نص المقدسي لا يترك مجالا للشك ، فيما يبدو : لا يتناول هذا الشراء العبيد ، بل الاسارى فقط .

(٢٦٥٤) المسعودي (م) ، فقرة ١٣٨٢ - ١٣٨٤ ، بعلبك ودمشق (هيكل جوبيتر (المشتري) مذكورتان في فصل مخصص لشتى البيوت القديمة في العالم : المرجع ذاته ، فقرة ١٤١٣ (« والهياكل العظمية عند اليونانيين كثيرة ») و ١٤١٧

(٢٦٥٥) حول آثار انطاكية ، انظر م . روستروفزف ، تاريخ العالم الهلنستي الاجتماعي والاقتصادي ، ج ٣ ، اوكسفورد ، ١٩٥٣ ، ص ١٤٢٤

(١٦٥٦) المسعودي (م) ، فقرة ٧٣٧ ، (ت) ، ١٩١ . يذكر تركيب شارة دينية على الرماح ، يذكر المسلمين بما فعله معاوية في معركة صفين ، شكلياً على الاقل .

(٢٦٥٧) المسعودي (ت) ، ١٩٠ - ١٩١

(٢٦٥٨) المسعودي (م) ، فقرة ٧٣٤ ، الاصطخري ، ٤١٧ ، . نشر زوزيم هذه الرواية عن الاحداث .

(٢٦٥٩) عند المسعودي (م) ، فقرة ٧٧٢ ، نجد صفة اعطيت لـ قسطنطين : مظهر دين النصرانية : لا كما ترجمها الناشر « ناشر المسيحية ، بل المعلن عنه ، من يظهره للعيان رسمياً .

(٢٦٦٠) المسعودي (م) فقرة ٧٣٤ - ٧٣٥ (قارن بالمرجع ذاته ، فقرة ٧٥٣ : كنيسة الرها بناها يوسطانياس) ، (ت) ، ١٩٧ - ١٩٨.

(٢٦٦١) بداهة ، التباس بين سنودس وسيناتس : المسعودي (م) ، فقرة ٧٣٦ ، (ت) ، ١٩٥ وما يليها ، ٢١٨ - ٢١٩ . يبدو الالتباس الآخر في التماثيل بين السنودس (المحلي) والمجمع (المسكوني ، الشامل)

(٢٦٦٢) المسعودي (م) ، فقرة ٧٣٦ ، (ت) ، ١٩٥ - ١٩٧ . ٢٠١ آخرها . انعقد المجمع عام ٣٢٥ كما هو معروف .

(٢٦٦٣) حول واقع تمثيل رومية في المجمع ، انظر المسعودي (ت) ، ١٩٦ ، حاشية ٤

(٢٦٦٤) حدث ذلك في الواقع في مجمع خلقدونية ، الذي كرس تطوراً بداء في المجمع التالي . نظر بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠

(٢٦٦٥) المسعودي (م) ، فقرة ٧٣٦ ، ٧٤٧ ، (ت) ، ٢٠١ . انعقد المجمع عام ٣٨١

(٢٦٦٦) تطور مماثل لتطور كرسي القسطنطينية : وافق مجمع خلقدونية على اتجاه سابق : منذ مجمع نيقية ، اعترف لمطران بيت المقدس ببعض التشريفات الخاصة .

(٢٦٦٧) المسعودي (م) . فقرة ٧٣٦ ، (ت) ، ٢٠٤ – ٢٠٧

(٢٦٦٨) حول التاريخ الفعلي لاحداث بطريركية بيت المقدس ، انظر ما تقدم حاشية ٢٦٦٤

(٢٦٦٩) حول التاريخ الفعلي لاحداث بطريكية القسطنطينية ، انظر ما تقدم ، حاشية ٢٦٦٤

(٢٦٧٠) انظر هونغمان ، « نصيبين » في الموسوعة الاسلامية ، ج ٣ ، ص ٩١٨ (٢) ، « دير برصومه والبطريركية اليعقوبية في انطاكية وسورية » ، لوفين ، ١٩٥٤

(٢٦٧١) في الواقع ، يؤول رفض النساطرة قبول مريم كثيوطوكوس ، لا إلى اقتران الطبيعتين بل إلى اتحادهما . نشير ، بالنسبة إلى النسطورية ، إلى خطاء المقدسي ، ج ٤ ، ٦٤ ، الذي جعلها دين الروم

(٢٦٧٢) المسعودي (م) ، فقرة ٧٣٦ ، ٧٥٠ – ٧٥١ ، (ت) ، ٢٠٧ – ٢٠٩ . عقد المجمع عام ٤٥١ ، وحرم انصار الطبيعة الواحدة ، لكن يعقوب البراذعي عاش في القرن السادس .

(٢٦٧٣) كتب المسعودي سهواً في التنبيه (انظر المروج ، فقرة ٧٥١) : من القسطنطينية

(٢٦٧٤) يعارض القول بطبيعة واحدة في الاسكندرية القول بطبيعتين في مدرسة انطاكية التي يمثلها نسطوريوس

(٢٦٧٥) يرتبط « دير مكاريوس » بالقسم الجنوبي الشرقي من مجموعة الاديرة المشادة في منخفض وادي النطرون ، في غرب شمال غرب القاهرة . حول هذه الاديرة ، انظر ه . س . ايفيلين وايت ، اديرة وادي النطرون مجلدان ، نيويورك ، ١٩٢٦ – ١٩٣٣

(٢٦٧٦) على نهر الخابور ، رافد الفرات . حول هذه المدينة التي كانت فعلا مركزاً يعقوبياً هاماً ، انظر ا . هونغمان ، في الموسوعة الاسلامية ، ج ٣ ، ص ١١٩٧ – ١١٩٩

(٢٦٧٧) المسعودي (م) ، فقرة ٧٣٦ ، (ت) ، ٢٠٩ – ٢١٠ . تاريخ انعقاد المجمع : ٥٥٣

(٢٦٧٨) حول اوريجين والاوريجينية ، انظر ب . هادو ، في الموسوعة العالمية ، ج ١٢ ، ص ٢٣٠ – ٢٣٣

(٢٦٧٩) المسعودي (م) ، فقرة ٧٣٦ ، (ت) ، ٢١٧ – ٢١٨ . تاريخ انعقاد المجمع : ٦٨٠ – ٦٨١

(٢٦٨٠) المسعودي (ت) ، ٢١١ – ٢١٢ ، الذي يضيف ان اكثرهم بجبل لبنان وسورية الشمالية (الصحيح الوسطى) . حول « المشيئة الواحدة » (وحدة مشيئة المسيح) ، انظر

نظرة اجمالية جيدة عند هـ . لوغران ، « لبنان ، الكنيسة المارونية » في الموسوعة العالمية ، ج ٩ ، ص ٩٧٣ . لمزيد من التفاصيل ، انظر ب . ديب ، تارين الكنيسة المارونية ، بيروت ، ١٩٦٢ .

(٢٦٨١) بشأن المجامع ، يقارن الجدول العام ، الوارد عند المسعودي ، بالجدول عند ب . د . دوبوي في الموسوعة العالمية ، ج ٤ ، ص ٨٢٧

(٢٦٨٢) المسعودي (ت) ، ٢٠٨ ، ٢١٢ — ٢١٣

(٢٦٨٣) المسعودي (م) ، فقرة ٤٤٨ ، ٧٤٤ — ٧٤٥ ، ٧٤٨ ، (ت) ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ . حول اضطهادات اليهود ، النادرة جداً ، في تاريخ بيزنطية ، انظر اوسترو غورسكي ، ذكر من قبل ، ص ١١٤ ، ١٨٩ . حول نتيجة الاضطهادات في عهد رومانوس الاول ، انظر ما تقدم ، ٢/ ٤٥ . بالنسبة إلى العهد الروماني ، ذكر ابن ديصان ومرقيون عند المسعودي (م) ، فقرة ٢١١ و (ت) ، ١٤٥ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٨

(٢٦٨٤) المسعودي (م) فقرة ٢١١ الذي يضيف : « لأن المشارقة ، وهم العباد والملقبون بالنسطورية واليعاقبة ، عن هؤلاء تفرعوا ومنهم تبددوا) » .

(٢٦٨٥) بالمعنى الذي نفهمه نحن اليوم ، وليس بما يعينه المسعودي باليعاقبة والنساطرة بالنسبة إلى الملكية : انظر ما تقدم ، ص ١٣٨/٢ — ١٣٩ و (حاشية ٢١٤٠)

(٢٦٨٦) تعطى بعض الرفعة التاريخية ، كما سوف نرى فيما بعد .

(٢٦٨٧) بالفعل ذكر في قائمة الشهداء الرومية ، كاحد الـ ٧٢ تلميذاً للمسيح ، وهو ثاني مطران لا نطاكية وشهيد .

(٢٦٨٨) المسعودي (م ت) ، فقرة ١٢٩١ ، (ت) ، ٢٠١ — ٢٠٢ ، ٢١٩ ، ابن حوقل ، ٢٠٢ ، وما تقدم ، ١٣٨/٢ — ١٣٩ . ذكر بولس أيضاً (مروج ، ذكر من قبل) في بحث انطاكية .

(٢٦٨٩) لمسعودي (ت) ، ٢٠٢

(٢٦٩٠) انظر ما تقدم ، ٢١٤/٢ (وحاشية ٢٦٠٤)

(٢٦٩١) المسعودي (ت) ، ٢٣٤ — ٢٣٥

(٢٦٩٢) مفرده حبس : وقف خيري (نلاحظ من هذه الكلمة الاحالة إلى الاسلام)

(٢٦٩٣) حول العلاقات بين الكهنوت العلماني والاديرة ، انظر بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ٩١٤ وما يليها

(٢٦٩٤) حرفيا : في كل بند

(٢٦٩٥) «مقيم في قصبة ولاية مدينة قديمة» : «يعني اسمه رئيس المدينة» (المسعودي (م)، مذكور فيما بعد، حاشية ٢٦٩٤)

(٢٦٩٦) المسعودي (م) فقرة ٢١٠ ، (ت) ، ٢٢٤ ، لا يفصل المراتب التسع ، لكنه يضم لها مرتبة فوقها جميعاً ، هي مرتبة البطرك . ويستعمل لفظ طغمات ، مفرده طغم ؟ (« في السريانية التي هي اللغة الاولى ») ، طغماتوس (« بلغة الروم ») : طبعاً صيغة المضاف لطغمه) وطغم (« بالعربية ») وعلى الاصح طغمة : انظر دوزى ، ذكر من قبل ، ج ٢ ، ص ٤٧) . تعطي المروج اسماً غير موثوق (طاعات) نرى فيه تصحيف طغمات . انظر أيضاً تكرار هذه المواضيع عند وصيف شاه ، ١٢٥ — ١٢٦

(٢٦٩٧) المسعودي (م) ، فقرة ٧٣٤

(٢٦٩٨) انظر ما تقدم ، ٢/٢٢٥

(٢٦٩٩) انظر ما تقدم ، ٢/١٩١ ، ٢/٢٥٥

(٢٧٠٠) المسعودي (ت) ، ٢٢١

(٢٧٠١) المسعودي (ت) ، ٢١٨ (مع مقطع طويل عن جوانب النصرانية عامة) . في مكان آخر ، المسعودي (م) ، فقرة ٧٥١ ، يقول ان اليعاقبة لا يعترفون بمجمع خلقدونية : في الواقع لا تعترف الكنائس القبطية والارمنية والسريانية التي تؤمن بالطبيعة الواحدة ، بخلاف الكنائس الأخرى الارثوذكسية والكنيسة الرومانية .

(٢٧٠٢) اعتبار البتّر الشرعي (انظر بريهيه ، ذكر من قبل ، ص ١٩٧) كالثار ؟ المعطى مأخوذ عن ابن الفقيه ، ١٣٦ آخرها ، يكرر فيه من جهة ثانية احد نصوصه السابقة (المرجع ذاته ، ص ٧٧ آخرها) الذي يقول بأن الروم نصارى ملكانية (اللفظ الصحيح ملكي ، الوارد قبل ثلاثة اسطر) ويقرؤون الانجيل بالجرمقانية : حول الجماعة الفرس الجراجمة ، الذين هاجروا إلى ناحية الموصل ، وشمال شرق سورية ، انظر الاحالة في بلاشير — شويمي — دينيزو ، معجم ، ج ٢ ، ١٤٦٢٩ . قبليا ، لا نرى ما يلمح إليه ابن الفقيه . مع ذلك ، تتضح جميع الامور فيما يبدو ، اذا لم نرجع إلى الجماعة ، بل إلى الناحية التي يسكنونها ، حيث استقرت جماعات قوية من اليعاقبة والنساطرة ، ممن يتكلمون اللغة الارامية (الشرقية : السريانية) . ونفكر أيضاً بالارامية (لكن لا تقبل الفرضية ، نظراً لاصل ابن الفقيه الفارسي ، اذا اعتبرنا جرمق (انظر ياقوت ، معجم البلدان ، اللفظ ذاته) اسم وادي قرب صيدا (صيدون : قاومت اللغة الارامية مدة طويلة في حمى جبل لبنان ، كما نعلم . في جميع الاحوال ، على الرغم من الاحالة الصريحة إلى الروم ،

يتحدث ابن الفقيه عن النصرانية اكثر مما يتكلم عن الكنيسة البيزنطية ، باحد الاشكال : والنص مخصص اصلا ، في بحث النوبة ، للطوائف الصرانية : فلعل الخصائص النصرانية المنسوبة لنصرانية الروم عائدة فقط إلى ضرورات التصنيف في تركيب نماذج .

(٢٧٠٣) وصيف شاه ، ١٢٦ ، مع تدوينين آخرين : نصيب المرأة في التركة ضعف نصيب الرجل ، والطلاق غير مقبول .

(٢٧٠٤) عبادتهم بالنية

(٢٧٠٥) حول ضرورة النية قبل كل فعل يلزم المؤمن ، انظر لاووست ، كتاب الشرح والابانة على اصول السنة والديانة لابن بطة ذكر من قبل ، ص ٤ (ج ٢)، ٧٨ (ج ١) . ابن قدامة ، دمشق بيروت ، ١٩٥٠ ، ص ٧ ، ٢٢ ، ٢٣٦، ابن تيمية ، دمشق بيروت ، ١٩٤٨ ، ص ٥١ ، ٥٢ (وح ٥٠) .

(٢٧٠٦) ابن الفقيه ، ١٤٢ — ١٤٣

(٢٧٠٧) عظيم الاليتين . تدل الالية على القسم اللحمي من ربلة الساق ، والفخذ ، والردف ، احياناً الابهام

(٢٧٠٨) سبطه كثيرة : نص مهم . تفسير آخر اقل قبولاً في نص لا يقدم سوى اشخاص منفردين : سبط (احدى قبائل اسرائيل) عديد

(٢٧٠٩) المسعودي (م) ، فقرة ٣٤٥ — ٣٤٨

(٢٧١٠) انظر ما تقدم ، حاشية ٧١٠

(٢٧١١) ما تقدم ، ٢٠٨/٢ (س ٧) و ٢٠٩/٢ (س ٢١ وما يليها)

(٢٧١٢) ابن الفقيه ، ١٤٠ آخرها .

(٢٧١٣) مع ذلك ، لابد ان يتأمن مسبقاً الالمام الصحيح بالفاظ الالوان العربية ومعانيها .

(٢٧١٤) انظر القرآن ، ٢٣ ، ٣٧ وما يليها ، ٥ ، ٧٦ وما يليها ، واماكن متفرقة

(٢٧١٥) انظر ما تقدم ، ٢١٠/٢

(٢٧١٦) ابن الفقيه ، ١٤٣ اخرها (المرجع ذاته ٣٢ ، و ٤ روماني)

(٢٧١٧) ابن خرداذبه ، ١٠٦ — ١٠٧ ، ١١٠ — ١١١ ، ابن الفقيه ، ١٤٧ ، المسعودي (م) ، فقرة ١٢٥ ، ٧٣٠ ، ٧٤٦ ، (ت) ، ٢٠٢ — ٢٠٣ اسحق بن حسين ، ٤١٧ ، المقدسي ، ١٥٣ — ١٥٤

(٢٧١٨) حسب المسعودي (م) فقرة ٧٤٦ . يقظتهم في عهد ثيودوز آكثر شيوعاً .

(٢٧١٩) انظر القرآن ، ١٨ ، ٨ وما يليها (ترجمة بلاشير ، ذكر من قبل ، ج ٢ ، ص ٣٢٧ — ٣٢٨) . ج . ماسينيون ، « تكريم اهل كهف افسيس » ، وس . موليت ، « تقليد اهل كهف افسيس عند . ل . ماسينيون في ل . ماسينيون ، باريس ، ١٩٧٠ (مع المراجع) ، ر . باريه ، « اصحاب الكهف » في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج ١ ، ص ٧١٢ — ٧١٣ (انظر أيضاً مقالا قديماً لـ ا . ج . ونسنك ، في الموسوعة الاسلامية ، ج ١ ، ص ٤٨٥ — ٤٨٦) ، المقدسي ، ترجمة ، فقرة ١٢٣ ، حاشية ٥٩

(٢٧٢٠) استعادة لصالح دار الاسلام (في بلد ما وراء نهر الاردن) عند المقدسي ، ١٧٥ — ٧٦ (مع تبدلات هامة في الموضوع) .

(٢٧٢١) او محمد بن موسى بن شاكر : انظر جغرافية ، ج ١ ، ٣٠/١

(٢٧٢٢) انظر ما تقدم ، حاشية ٢٧٢٠

(٢٧٢٣) الجاحظ (ت) ، ١٥٨ — ١٥٩ ، المقدسي ، ١٤٧ يتحدث عن اقمشة صوف وكتان تمر بآمد متجهة إلى الجزيرة . ويذكر كتاب حدود العالم ، ١٥٦ ، الديباج ، والحراير ، والبسط ، والاخفاف والسراويل الخشنة النسيج .

(٢٧٢٤) المقدسي ، ٢٤٢ ، يسميهم « صقالبة » .

(٢٧٢٥) ابن خرداذبه ، ١٠٢ ، ١١١

(٢٧٢٦) انظر ما تقدم ، ٩٠/٢ (خاصة حاشية ١٩٤٣) ١٢٢/٢ . انظر أيضاً ص ٣٠٢ (حول العلاقات التجارية بين بيزنطية والمجغرية) .

(٢٧٢٧) انظر ما تقدم ، ٢١٧/٢ حاشية ٢٦٤٤

(٢٧٢٨) تبدو التدوينات المماثلة لتدوينات الحاشية ٢٧٢٥ ، استثنائية .

(٢٧٢٩) ما تقدم ، ١٨٧/٢

(٢٧٣٠) الخاصة المذكورة فيما تقدم حاشية ٢٢٢٢ ، نموذج مأخوذ عن لائحة « عجائب الارض » .

(٢٧٣١) نشير أيضاً إلى الحيوانات الاليفة (ابقار ، خيول ، اغنام) التي تدخل في قائمة تقليدية لشتى خصائص الروم (ابن الفقيه ، ١٤٨) . حول البزاة ، انظر ما يلي ، حاشية ٢٧٤٥

(٢٧٣٢) نفصل هنا ما لمحنا إليه فيما تقدم ، ٢/ ١٥٧ — ١٥٨

(٢٧٣٣) ابن خرداذبه ، ١٥ ، ١٥٥ ، ابن الفقيه ، ٤ — ٥ ، المسعودي (ت) ، ١٢٠

(٢٧٣٤) المقدسي ، ٦٢ (احالات اخرى فيما تقدم ، حاشية ٢٩٤) ، المسعودي(م) ، فقرة ١٣٦٧

(٢٧٣٥) يدور موضوع مستقبل النزاع بين القسطنطينية وبين دار الاسلام ، حول موضوع ثروة بيزنطية : سنعود إليه فيما بعد . حول تقدير القوة ، على المستوى العالمي ، بمقارنة المساحة والسكان ، انظر ما تقدم ، ١٠٦/١ ، و حاشية ١٢٠٤ ، و حاشية ١٣٧٣ و ٧٦/٢ .

(٢٧٣٦) حول عنوانه ، انظر ما تقدم ، ٢/ ٢٠٤ . حول موضوع ملوك العالم ، انظر ما تقدم ، ١٠٤/١ — ١٠٥

(٢٧٣٧) ابن الفقيه ، ١٣٦

(٢٧٣٨) المقصود خليفة بغداد : ومنه احالتنا عن لفظ مال، عوضاً عن « ثروة » عامة ، اي « نعم » .

(٢٧٣٩) اكسير ، اختلاف : السيمياء : الكيمياء

(٢٧٤٠) المسعودي (م) ، فقرة ٣٤٤ (مذكور جزئيا فيما تقدم ، ١٠٥/١) قوره من اجل بيزنطية فقط ، المرجع ذاته ، فقرة ٣٩٧

(٢٧٤١) قيل بالنسبة إلى الصين الناس . هنا المقصود الذكور : الرجال

(٢٧٤٢) ابن الفقيه ، ١٣٦ — ١٣٧ (كرره وصيف شاه ، ١٢٧) .نتذكر أيضاً ، كمثال على هذه المهارة ، ما قيل من قبل عن شتّى ابنية القسطنطينية وعن صور الانبياء .

(٢٧٤٣) ابن الفقيه ، ١١٤ ، ١٤٨ ، المقدسي ، ج ٤ ، ٦٤ (الذي يصف الروم بأنهم صهب) ، اسحق بن الحسين ، ٤١٧

(٢٧٤٤) انظر ما تقدم ، حاشية ٣٠٧

(٢٧٤٥) ابن خرداذبه ، ١٥٦ ، ابن الفقيه ، ١١٤ ، ١٣٦ اخرها ، ١٤٨ ، ١٦٢ ، ١٩٧ ، ٢٥٢ (جسور أو مراكب) ، ابن رسته ، ٧٩ (ليس يقدر اهلها على اتخاذ الدجاج مع كثرتها (البزاة) . ١٢٦ ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٧٥ ، (ت) ، ٩ ، المقدسي ، ج ٤ ، ٦٤ ، الثعالبي ، ١٢٥ ، وصيف شاه ، ١٢٧ (مع اسماء اطعمة) . حول حجم الحجارة (رخام) ، والرى والحراثة ، انظر ما تقدم ، ٢٣٤/٢ ابن الفقيه ، ١٤٨ ، يشير إلى محصول البساذ .

(٢٧٤٦) ابن رسته ، ١٢٦ ، المقدسي ، ج ٤ ، ٦٤ ، اسحق بن حسين ، ٤١٧

(٢٧٤٧) ابن رسته ، ١٢٣ (ترجمة ١٣٨) مع ذكر الصنج أيضاً . حول الارغن والموسيقى ، انظر أيضاً المسعودي (م) ، ج ٨ ، ٩١ – ٩٢ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، وصيف شاه ، ١٢٧

(٢٧٤٨) ابن الفقيه ، ١٣٩ ، ٢٥٢

(٢٧٤٩) ابن الفقيه ، ١٣٦ آخرها ، ١٣٨ (مع امثلة عن ادوية طبيعية ، محفوظة في القصر الملكي لشفاء الخراج ، والحرق ، والجراحات أو تسهيل الهضم) ، المقدسي ، ج ٤ ، ٦٤ ، وصيف شاه ، ١٢٧

(٢٧٥٠) الفلك مذكور مع الحساب كاختصاص هندي : ابن الفقيه ، ٢٥٢ ، المقدسي ، ج ٤ ، ٦٤

(٢٧٥١) انظر ما تقدم ، ١٦٨/١ ، المقدسي ، ذكر من قبل ، يعتبرها من مفاخر الروم

(٢٧٥٢) ابن الفقيه ، ١٣٧

(٢٧٥٣) المسعودي (م) ، فقرة ١٢٩٧ ، (ت) ، ٢٦٥ في (ت) ٢٨٧ ، جعلت شهور السريان شهور الروم .

(٢٧٥٤) يضاف إليها احياناً ، عامة وبصورة غامضة ، العلوم والادب ، ربما أيضاً حسن التصرف ، أو الفلسفة : ابن الفقيه ، ١٣٦ آخرها ، ٢٥١ آخرها ، المقدسي ، ج ٤ ، ٦٤ ، المسعودي (ت) ، ٩ ، وصيف شاه ، ١٢٧

(٢٧٥٥) ابن الفقيه ، ١٤٨ – ١٤٩

(٢٧٥٦) انظر ما تقدم ، ١٣٥/٢ – ١٣٦

(٢٧٥٧) ابن الفقيه ، ١٦٠

(٢٧٥٨) المسعودي (م) ، فقرة ٧٤١ . يستعاد أيضاً ذكر اثينا : المسعودي (م) ، فقرة ٦٦٧ ، ابن حوقل ، ٢٠٢ ، حدود العالم ، ١٥٨

(٢٧٥٩) ابن الفقيه ، ١٩٦ آخرها – ١٩٧

(٢٧٦٠) ابن الفقيه ، ٣٣٠

(٢٧٦١) ما تقدم ، ١٣٥/٢

(٢٧٦٢) ابن الفقيه ، ١٣٨

(٢٧٦٣) ابن الفقيه ، ١٤٩

(٢٧٦٤) ابن الفقيه ، ١٤٣ — ١٤٥

(٢٧٦٥) لتأويل هذه الجملة الاخيرة ، انظر ابن الفقيه ، شرح الالفاظ ، ص ٣٧ روماني . انظر خاتمة النص ، في حاشية ٢٧٧٠)

(٢٧٦٦) المسعودي (م) ، فقرة ٦٩٩ (فصل خاص يبرز وجوده على علاته الانقطاع الناشىء عن موت ذي القرنين .

(٢٧٦٧) المسعودي (م) ، فقرة ٧١٧ ، (ت) ، ١٦٢ ، ٢٤٧

(٢٧٦٨) ابن الفقيه ، ١٤٤

(٢٧٦٩) ابن النديم ، ٢٤٣

(٢٧٧٠) المسعودي (م) ، فقرة ٧٤١ . انظر أيضاً ابن الفقيه ، ١٤٥ الذي يختم بهذه الالفاظ الجواب المذكور من قبل ، عن سؤال عن الطلسمات : « . . . قبل مخرج عيسى . فأما اليوم فقد ذهب من يدعيها وبطل من يعملها » .

(٢٧٧١)«الحركة الانسانية البيزنطية الاولى» ، ذكر من قبل ، ص ٣٠٠ ، ٣٠٤ ، واماكن متفرقة

(٢٧٧٢) في الرد على النصارى ، ذكره ش بيلا ، « الجاحظ ، الامم المتحضرة والمعتقدات الدينية » في المجلة الاسيوية ، ٢٥٥ ، ١٩٦٧ ، ص ٧١ .

(٢٧٧٣) كتاب الملل والنحل ؛ بولاق ، ١٢٦٣ و/ ١٨٤٧ ، ص ٢ — ٣ (ذكر عند ج . صليبا ، مستقبل التربية في الشرق العربي ، دمشق ، ١٩٦٢ ، ص ٦٢) . . ادين بالحصول على هذا النص إلى تلطف جاك برك

(٢٧٧٤) كتاب الاخبار وكيف تصح ، ش . بيلا ، مقال ذكر

(٢٧٧٥) نكتفي بأن نشير إلى ان الفلسفة الاسلامية اعطت ، بين القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي والقرن الذي يكتب فيه شهر ستاني (قرن سادس هجري / ثاني عشر ميلادي) ، ابن سينا والغزالي ، ولا نسمي غيرهما — .

(٢٧٧٦) « العلاقات السياسية والاجتماعية بين بيزنطية والعرب » ، اوراق دنبرتون اوكز ، ج ١٨ روماني (١٩٦٤) ، ص ٣٥ — ٥٦

(٢٧٧٧)انظر ابن رسته ، ٢٢٦ (عن الهجرة إلى بيزنطية لآخر امير غساني ، جبلة بن الايهم ، الذي اعتنق الاسلام فترة من الزمن) ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٩٥ (١٢٠٠٠

فارس اعتنقوا النصرانية،وهم مسلحون بالرماح على الطريقة العربية) ، (ت) ، ٢٣١ (انتقل الخرميون في الجبال واذربيجان إلى طاعة ملك الروم) ، ٢٣٦ (باتجاه بيزنطية دار الاسلام ، ثم دار الاسلام بيزنطية، في شخص امير بيزنطي ثم ابنه) ، ابن حوقل ، ٢١١ – ٢١٢ (الهجرة إلى الاراضي البيزنطية ل ١٠٠٠٠ فارس من قبيلة بني حبيب) .

(٢٧٧٨) لا تحول المنازعات أو المظنة دون لباقة الاستقبال ، المشار إليه بانتظام : انظر ابن الفقيه ، ١٣٨ (س ٣ – ٦) ، ١٤٢ (٧ – ٨) ، ١٤٩ (٥ ، لكن ليس متأكداً انه رسول) ، ابن النديم ٢٤٣

(٢٧٧٩) المسعودي (ت) ، ٢٤١ ، ٢٥٥ – ٢٦٣ . انظر أيضاً كانار ، الحمدانيون ، ص . ٧٦٠ ، ٨٢٤ ، فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج ١ ، اماكن متفرقة ، وما تقدم ، حاشية ٢٦٥٤

(٢٧٨٠) حدد في الفداء الثاني عشر فقط الذي حضره المسعودي شخصياً . كان رسول الملك يوانس الانسيبطوس البطريقوس (منصب بلاطي) المسدقوس (امين سر)

(٢٧٨١) عنوان الفصل (ص ٢٥٥) : « ذكر الافدية بين المسلمين والروم » ، ص ٢٥٦ : « وكان عدة من فودي من المسلمين . . . » . انظر أيضاً الحاشية التالية .

(٢٧٨٢) فعوضوا مكانهم عدة « اعلاج » ، اذ كان الفداء لا يقع على نصراني ولا ينعقد » (ص ٢٥٨) . حول لفظ اعلاج ، انظر ما تقدم ، حاشية ١٤٤٨ ومايلي، حاشية ٢٨٤٤

(٢٧٨٣) طلب منهم في عهد الخليفة الواثق (الفداء الثالث الكبير ، ص ٢٥٧ اخرها – ٢٥٨) ان يعترفوا بالعقيدة المعتزلة لخلق التلاوة (القرآن)

(٢٧٨٤) المقدسي ، ١٤٨ . انظر كانار في فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج ٢ / ٢ ، ص ٤٢٤ ، حاشية ٤ ، وما تقدم ، ١٩٤/٢

(٢٧٨٥) المسعودي (ت) ، ٢٣٢ اخرها – ٢٣٣ ، المقدسي ، ذكر من قبل

(٢٧٨٦) ابن خرداذبه ، ١٠٩ ، وما تقدم ، ١٩٦/٢ آخرها – ١٩٧/٢

(٢٦٨٧) اسحق بن حسين ، ٤١٧ ، ٤٥٩ ، ابن حوقل ، ١٩٥ آخرها ، المقدسي ، ذكر من قبل،وما تقدم ١٩٤/٢، ١٩٥/٢ وحاشية ٢٥٠٨ – ٢٥٠٩ ، ٢/ ٢٠٥، ٢٠٦/٢

(٢٧٨٨) المقدسي ، ١٤٨ : « الحازم الذي اذا سئل عن صنعته لا يقربها »

(٢٧٨٩) المسعودي (ت) ، ٢٣٩ آخرها ، مع تصحيح رسم ارمانية إلى رومانية

(٢٧٩٠) انظر مثلا المسعودي (م) ، فقرة ٤٥٦ ، ٤٩٤ وما يليها

(٢٧٩١) اليعقوبي ، ٣٢١ ، ٣٦٢ ، ابن الفقيه ، ١١٥ – ١١٦ ، ١٣٧ ، ١٤٣ اخرها ، ١٩٩ ، قدامه ، ٢٥٢ ، المسعودي (م) ، ٦٣٩ – ٦٤٠ ، ١٤٠٦ ، (ت) ، ١٨٤ ، ١٩٢ ، ٢٠٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٥ – ٢١٦ ، ٣٣٨

(٢٧٩٢) انظر قدامه ، ٢٥٢ (سنعود إليه في ٢٥٣/٢ ، وفصل ١١ في بحث المملكة) ، وما تقدم ، ١٨٣/٢

(٢٧٩٣) انظر من بين مؤلفين عديدين ، ابن خرداذبه ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ابن رسته ، ١٩٣ ، ابن الفقيه ، ١١٣ ، ١٤٠ اخرها – ١٤١ ، المسعودي (م) ، فقرة ٧٣٨ ، ٧٥٦ وما يليها ، ٧٦٠ وما يليها ، (ت) ، ٢١٦ – ٢٢٦،١٧ ، ٢٢٧ آخرها ، ٢٣٠ – ٢٣١ ، ٣٢٨ وما يليها ، اسحق بن حسين ، ٤١٧ ، ابن حوقل ، ١٩٧ – ١٩٨ ، ٢٠١ ، المقدسي ، ١٤٧

(٢٧٩٤) انظر ما تقدم ، حاشية ٢١٩٥

(٢٧٩٥) ابن خرداذبه ، ١٠٩

(٢٧٩٦) ابن رسته ، ١١٩ ، ١٢٧ ، ابن الفقيه ، ١٣٦ آخرها ، ١٤٨ (مطلعها) ، حدود العالم ، ١٥٦ – ١٥٧ ، ابن حوقل ، ٢٠١ – ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، المقدسي ، ١٤٨

(٢٧٩٧) انظر ما تقدم ، حاشية ٢٦٢٨

(٢٧٩٨) حدود العالم ، ١٥٧

(٢٧٩٩) المسعودي (ت) ، ٩

(٢٨٠٠) ابن حوقل ، ٢٠٠ – ٢٠١

(٢٨٠١) هنا تدخل المقارنة بين الضرائب العقارية عند الروم وفي المغرب (ما تقدم ، حاشية ٢٦٢٨) وذكر الغارات الاسلامية على ايطالية الجنوبية (ما تقدم ، حاشية ٢١٠٢)

(٢٨٠٢) ما تقدم ، ٢١/٢ ، ١٨٢/٢

(٢٨٠٣) ابن حوقل ، ١٧٨ اخرها – ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٨ – ١٨٩ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ – ٢٠١ ، ٢٠٣ – ٢٠٥ ، ٢١١ ، ٢١٣ – ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ (تذكير بالمثل الاعلى المسلم ، ص ٢١٢ ، ٢٢٣)

(٢٨٠٤) بحر الوافر ، حول ناظم هذه الابيات ، انظر ابن حوقل ، ترجمة ، ١٩٣ ، حاشية ٩٤٨

(٢٨٠٥) اذرع : انظر م ج ع ، ٤ روماني ، ٢٤٢

(٢٨٠٦) في كل بلية يشرع : انظر دوزى ذكر من قبل ، ج ١ ، ص ٧٤٧

(٢٨٠٧) عفا : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ص ٣٠٢

(٢٨٠٨) حول تاريخ هذه الحدود ، انظر هونغمان ، في فاسيليف ، ذكر من قبل ، ج ٣ ، كانار ، الحمدانيون و هـ . ارويلر ، « اسية الصغرى » والغارات العربية » في المجلة التاريخية ، ٢٢٧ (١) ، ١٩٦٢ ، ص ١ — ٣٢

(٢٨٠٩) قدامه ، ٢٥٤

(٢٨١٠) انظر مثلا ابن خرداذبه ، ٩٧ ، ٩٩ وما يليها ، ١١٠ ، ١١٣

(٢٨١١) الاصطخرى ، ٤٣ (ابن حوقل ، ١٦٨)

(٢٨١٢) انظر خاصة اليعقوبي ، ٣٢٧ ، ابن رسته ، ١١٩ ، المسعودي (م) ، فقرة ٨٧٩

(٢٨١٣) ابن حوقل ، ٣٤٣ — ٣٤٤ ، ٣٥٠ — ٣٥١ ، المقدسي ، ٣٧٣ ، وما تقدم ص ٢/١٧ آخرها — ٢/١٨

(٢٨١٤) ابن خرداذبه ، ٩٩ — ١٠٨ ، ابن الفقيه ، ١١١ آخرها ، ١٧٦ ، قدامه ، ٢١٦ ، ٢٥٣ وما يليها ، المسعودي (ت) ، ٨٧ ، ١٩٤ ، ٢٤٨ ، ابن حوقل ، ١٧٧ ، ١٨١ — ١٨٤ ، ٢٠٩ وأماكن متفرقة ، ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٦ ، ص ٢٥٢ . يفسر تحفظ اليعقوبي في هذا الموضوع (مع ذلك انظر ص ٣٦٢ — ٢٦٣) اما بخرم هام في المخطوطة (انظر ص ٣٢٣) واما كما يقول لأنه احتفظ بهذا الموضوع لمصنفه التاريخي . (ترجمة ، ص ١٦٨ ، حاشية ٥٣) .

(٢٨١٥) قدامه ، ٢٥٣ وما يليها ، ابن حوقل ، ١٧٩ ، انظر . كانار في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج ١ ، ص ٧٨٣ — ٧٨٤

(٢٨١٦) خاصة عند المقدسي ، ج ٤ ، ٧٢

(٢٨١٧) ما تقدم ، حاشية ٢٢١٦

(٢٨١٧) ما تقدم ، حاشية ٢٢١٦

(٢٨١٨) انظر ما تقدم ، ص ٤٢٤ (عن اهمية انطرسوس في الصراع ، انظر ابن حوقل ، ١٨٤) . حول النزاعات المبينة هنا ، انظر المسعودي (م) ، فقرة ٢٨٣ ، ٧٥٣ ، (ت) ، ٢٤٨ ، ابن حوقل ، ١٧٦ – ١٧٩،١٧٧ – ١٨٨،١٨٤ ، ٢٠١–٢٠٢، ٢٠٩ ، ٢١١ – ٢١٣ ، ٢٢١ – ٢٢٢ ، ٢٢٦ – ٢٢٧ ، المقدسي ، ١٤٨ ، ١٥٢ آخرها ، ١٦٠ ، ٢٤٢

(٢٨١٩) انظر ما تقدم ، حاشية ٢٨٠٨

(٢٨٢٠) قدامه ، ٢١٦ ، ٢٥٣ وما يليها ، ٢٥٩

(٢٨٢١) ابن خرداذبه ، ١٠٢ – ١٠٣

(٢٨٢٢) ابن حوقل ، ١٨٨ يعلن بأن العملية مستحيلة .

(٢٨٢٣) ابن خرداذبه ، ٩٩ – ١٠٠ (ترجمة مستوحاة من ترجمة دي خويه) ، بحر الرجز

(٢٨٢٤) ابن حوقل ، ١٨٤ ، استشهاد بالقرآن ، ١٩ ، ٩٨ (عن الاجيال التي بادت بإذن الله) .

(٢٨٢٥) ابن الفقيه ، ٢٥٨ ، انظر أيضاً النص المترجم فيما يلي (٢/ ٢٦٣ آخرها)

(٢٨٢٦) المسعودي (ت) ، ٢١٦ . مع ذلك يلاحظ ان بعض التفسيرات الاخرى ممكنة : فالموضوع يتعلق بسورية ، لذلك قد يكون الغلام المشؤوم ، في الجو الشيعي لمصنف المسعودي ، هذا او ذاك من الامويين ، وخصوصا يزيدبن معاوية ، الذي هلك في عهده الحسين والذي ولد عند وفاة هرقل (٦٤٢) . يمكن أيضاً ان نفكر بالمسيح الدجال . اخيراً تؤخذ بعين الاعتبار معاني حتّى المحتملة (انظر ا . ميكيل ، « حتّى في القرآن (في مجلة الدراسات الشرقية ، ٢١ روماني (١٩٦٨) ، ص ٤١١ – ٤٣٦) . في جميع الاحوال ، تدل كلمات هرقل على وداع ابدي .

(٢٨٢٧) ابن رسته ، ١٢٥

(٢٨٢٨) المقدسي ، ١٤٨

(٢٨٢٩) قدامه ، ٢٥٢ ، كمدخل إلى جدول الثغور حيث يتكرر لفظ عدو عدة مرات (ص ٢٥٣) في الكلام عن الروم . سنعود إلى هذا النص في الفصل الاخير ، في بحث تعريف لفظ المملكة (استشهد بنص قدامه أيضاً فيما تقدم في حاشية ٢٧٩٢)

(٢٨٣٠) ، انظر ما تقدم ٢/٢١٠ – ٢١١

(٢٨٣١) القرآن ، ٣٠ ، ١ / ٢ – ٣ / ٤ (ترجمة بلاشير ، ذكر من قبل ، ج ٢ ، ٤١٩ – ٤٢٠) . يعتبر مقطع آخر (ابن الفقيه ، ١٩٦) مطبقاً على الروم (٨ ، ٢٦ : واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس) .

(٢٨٣٢) يبدو ان فرح المؤمنين يمكن تفسيره بطريقتين في النسخة الاولى : اولا : في الضيق سيتلقون عون الله مرة أخرى ، ثانياً وهو اعم ، في جميع الاحوال ، الله الحكم وسيخلصهم في النهاية في المستقبل الاخروى .

(٢٨٣٣) انظر ا . ج . ونسنك ، مفصل التقليد المحمدي القديم لا يدن ، ١٩٦٠ ، ص ١٠١ ٢٠٧

(٢٨٣٤) ابن الفقيه ، ١٩٦

(٢٨٣٥) ابن رسته ، ١٢٧ ، ابن الفقيه ، ١٤٥ ، المسعودي (م) ، فقرة ١٤٢٧ . الالتباس مع رومية (عند ابن الفقيه) وضح ، لكن المقصود بيزنطية ، كما يثبت نص ابن الفقيه الذي نذكره فيما بعد . نتذكر بهذه المناسبة ان رومية ملعونة هي أيضاً (انظر ماتقدم، ٢/١٤٤ اخرها) : قد يكون ذلك لسبب مماثل .

(٢٨٣٦) ابن الفقيه ، ١٤٦ – ١٤٧ . حول كعب الاحبار ، انظر م . شميتز في الموسوعة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٦٢٠ – ٦٢١

(٢٨٣٧) خمر وخمير (حرفياً : كل مادة متخمرة وخاصة المعجنات ، السكاكر او مستحضرات التجميل : انظر خمرة وجذر خمر عند دوزى ذكر من قبل ، ج ١ ، ص ٤٠٣ آخرها – ٤٠٤) . يمكن أيضاً ان نفكر ، للفظ الاول ، في خمر (جيش كبير) او في خمر (جمهور ، حشد) وان كان هذا التأويل لا ينسجم مع السياق .

(٢٨٣٨) اضيف « كفة » ؟ لا يضاح الترجمة . يمكن أيضاً ان نفكر في ترجمة فؤوس بـ « بالمر » او « المجرفة » ، الا ان وجود الترسة يدفعني إلى البقاء في حدود الآلات الحربية .

(٢٨٣٩) نفخة (انظر ابن الفقيه ، ٦ . روماني و ١٤٧ ، حاشية د) : حرفياً : ضربة صوت (هنا : في بوق القيامة ، المتوقع في هذا الجو من نهاية العالم . لكن هذه نهاية كاذبة ، نفخة لا غاية لها ، نظراً لتهديد الرب : « قبل يوم القيامة ») .

(٢٨٤٠) ابن الفقيه ، ٣٧

(٢٨٤١) ابن رسته ، ٢٠٦

(٢٨٤٢) التعبير شائع : انظر كانار في اوراق دمبرتون اوكزز ذكر من قبل، ص٤٧ ، توجد عند المقدسي ، ١٥٣

(٢٨٤٣) انظر كانار ، ذكر من قبل ، والمقدسي ، ١٤٧

(٢٨٤٤) علوج او اعلاج ، المفرد علج (ذكر فيما تقدم في حاشية ٢٧٨٢) : المسعودي (م) ، فقرة ٧٦٥ – ٧٦٦ : حمار الوحش ، ومنه : رجل جلف ، بلادين . لم اعثر ابداً على وصف الروم باهل الكتاب ، اذا لم اخطىء .



حـواشي

الفصل التاسع

(٢٨٤٥) انظر ما تقدم ، ١/٦٩ — ٧٠

(٢٨٤٦) مع التباينات التي ذكرناها من قبل ، في مطلع الفصل الثالث .

(٢٨٤٧) سوف يقال بأن سلام الترجمان ذهب إلى نواحي جدار الصين العظيم ، « سد » ياجوج وماجوج . لكن يتجاوز قوم ياجوج وماجوج ووصفهم الرحلة ذاتها ، وينطبق الكلام ذاته على بعض جزر البحر الهند ، ولو كان الملاحون المسلمون عرفوه .

(٢٨٤٨) مع بعض الاختلافات الدقيقة في داخل كل قطاع. يشاهد مثلا في ايطالية (انظر استذكار رومية) بجلاء يفوق ظهوره في الاندلس المسيحية ، وفي جزائر الزابج اوضح من الصين . ولا غرابة في ذلك ، فهو يعوض عن المعرفة الحقيقية متى مالت إلى التلاشي .

(٢٨٤٩) يبرز ابراهيم بن يعقوب صراحة هذه المطابقة للواقع في حديثه عن مدينة النساء ، نقلا عن الملك اوتون ، مثلما سيرد ذكرها بعد .

(٢٨٥٠) اتيحت لنا من قبل فرصة اعطاء بعض الامثلة : انظر على وجه التخصيص ما تقدم ، ١/١٢٩ ، ١/١٤٠ — ١٤١ ، ١/٢٤٤ — ١/٢٤٦

(٢٨٥١) انظر ما تقدم ، ١/١٢٤ مع احالة إلى جغرافية ج ١ ، ١/٢٢٦ — ٢٢٧

(٢٨٥٢) انظر ما تقدم ، ١/١٧١ وما يليها (انظر خاصة الصيغة المذكورة في حاشية ٦٩٨)

(٢٨٥٣) المقالة الطوباوية وقصة الاصول » ، في حوليات الاقتصاد والاجتماع والتجارة ، ج ٢٦ روماني (٢) اذار نيسان ١٩٧١ ، ص ٢٩٧ و ٣١٥ (مقالة ذكرت من قبل ، بآخر الفصل الخامس) .

(٢٨٥٤) انظر ما تقدم ، ١/١٢٩

(٢٨٥٥) انظر ما تقدم ، ذكر من قبل (حاشية ٣ و ٤) ، عجائب الهند ، ٢٦٨ ، ٢٩٣ ، وصيف شاه ، ٥٧

(٢٨٥٦) ابن خرداذبه، ٩٣ ،ابن رسته ، ٨٥ (درجة عرض الحبشة) ، ابن الفقيه ، ٧ ، ٨٨ ، (لم يذكر الاسم صراحة ، لكن يقصد جزائر السعادة بدليل موقع الجزر ووصفها) ١٤٥ ، قدامه ، ٢٣١ ، المسعودي (م) ، فقرة ١٨٧ – ١٨٨ ، حدود العالم ، ٥٨ ، ١٨٨ . الحق يقال ان الاندلس الاسلامية عرفتها : انظر جغرافية ، ج ١ ، ٤٨/١ ٢٤٢/١ –٢٤٤ ، ود . م . دنلوب ، « بحر المحيط » ، في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج ١ ، ص ٩٦٢ – ٩٦٣

(٢٨٥٧) في حدود العالم ، ٥٨ (خالية عوضاً عن خالدة)

(٢٨٥٨) ابن رسته ، ٨٣ آخرها ، حدود العالم ، ٥٨ ، ١٨٨ – ١٩٠ ، وما تقدم ٣٧/١

(٢٨٥٩) حدود العالم ، ٥٦ – ٥٧ ، ١٨٦ – ١٨٧ . يذكر الكتاب ذاته ، بعنوان « الجزر » شبه جزيرتين جبليتين ، يظن انهما رأسا نوسيون وساتير عند بطلميوس : حدود العالم الاحالة ذاتها . نشير أخيراً إلى جزيرتي الذهب والفضة في بحر الروم . انظر ما تقدم ، حاشية ٢١٨٠)

(٢٨٦٠) حدود العالم ، ٥٨ – ٥٩ ، ١٩١ . ذكر اثنتي عشرة جزيرة تقع بعدها برطينية وتوليه .

(٢٨٦١) امثلة اخرى ، ما تقدم من ١٢٦/٢ ، ٢٥١/١

(٢٨٦٢) وهكذا تتأيد ، بالموضوعات ذاتها ، الخيارات المحتفظ بها ، ص ٤٨٤ : وصف حسب الاقاليم الاسطورية أو الاعمال .

(٢٨٦٣) عامة القسم الجنوبي من بحر القلزم (انظر س . هـ . بيكر ، و س . ف . بكنغهام ، « بحر القلزم ، في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج ١ ، ص ٩٦٠ ، لكن يرجح ان التعبير يعني هنا حتماً على وجه العموم، البحر الهندي مقابل جزيرة العرب : سنعود بعد قليل إلى هذه النقطة .

(٢٨٦٤) وصيف شاه ، ٤٥ – ٥٤ ، ٧١ – ٧٤

(٢٨٦٥) المقدسي ج ٤ ، ١٩١ ، يعطي وصفاً ماثلا يتحدث فيه عن نسناسات البامير التي يصيدها الناس ويأكلونها .

(٢٨٦٦) يمكن مقارنة هذه الاغوال بغيلان مجموعة نوادر العجائب لـ س . يوليوس سولينوس ، المجمع الروماني من القرن الثالث الميلادي . انظر أيضاً ج . لوغوف ، حضارة الغرب في القرون الوسطى ، باريس ، ١٩٦٥ ، ص ٤١٧ وصورة ١٥١

(٢٨٦٧) لعلها تصحيف مليان ، جزيرة بين سيلان ومضيق ملاقة ، او في الواق واق : انظر حدود العالم ، ص ٤٧٣

(٢٨٦٨) مبدئياً جمع ارود : مشى ذهاباً واياباً ، بلا عجلة ، لكن بلا انقطاع .

(٢٨٦٩) انظر غميس (مشكوك فيه ، غامض) . لفظ غامس (مشتق من غمس : غطس : غمر) يشير إلى صفة الحيوان البرية البحرية .

(٢٨٧٠) حول هذا الشخص ، انظر ا . ج . ونسنك في الموسوعة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٩١٢ — ٩٢٦

(٢٨٧١) ذكرى صيدون (صيدا بالعربية) : انظر سفر الملوك ١ ، ١١ ، ١ — ٥

(٢٨٧٢) « لكن يا صديقتي سنذهب معاً في يوم من الايام إلى بلد السعادة الذي لا يرجع منه احد . ففيه ينتصب قصر مبني من الرخام الابيض . وقد اضيئت شمعة على كل نافذة من نوافذه الالف . وعند كل نافذة يلعب شاعر وينشد لحناً لا ينتهي ويغنيه . ولا تسطع فيه الشمس . مع ذلك لا يأسف احد على النور . انه بلد الاحياء السعيد » (ج . بيديه ، رواية تريستان وايزوت ، باريس ، ١٩٤٦ ، ص ٦٦) .

(٢٨٧٣) وصيف شاه ، ٦٦ — ٦٨

(٢٨٧٤) احالات فيما تقدم ، حاشية ٢٨٦٣

(٢٨٧٥) لا اثر لها عند اخصائي بجزيرة العرب مثل الهمداني

(٢٨٧٦) انظر : صرف : نحى ، ابعد

(٢٨٧٧) انظر سندروس : « صمغ عطري » ، يسحب من thuya aphylla أو Cupressoides » (ليتريه)

(٢٨٧٨) وصيف شاه ، ٦٩ — ٧١

(٢٨٧٩) « مشابهة »

(٢٨٨٠) ربما وجبت المقارنة بشوران : دار حول (انظر الجزيرة التالية) .

(٢٨٨١) « المسافرة »

(٢٨٨٢) السعلاة

(٢٨٨٣) وتنتمي ايضاً إلى هذا «البحر الكبير» ، جزيرة مر بها ذو القرنين (الجزيرة البيضاء).

فصلنا ، زيادة في وضوح العرض ، التحدث عنها من قبل ، مع الجزر المفروض ان هذا الفاتح زارها . لذلك المقصود دوماً المحيط باسماء مختلفة ، مثلما قلنا .

(٢٨٨٤) انظر Das Steinbuch des Aristoteles ، ناشر ج . روسكا ، هيدلبرغ ، ١٩١٢ ، ص ١٧٨ — ١٧٩ ، القزويني ، طبعة وستنفيلد (عجائب ، ج ١) ، غوتنجن ، ١٨٤٩ ، ص ٢٠٤ — ٢٠٨ . يلاحظ ان النحاس والذهب والفضة والحديد خصت باحالة مقدسة (قرآن ، ٥٥ ، ٣٥) . اشكر شكراً جزيلا مكسيم روبنسون الذي اعطاني عن بلد المدن هذا ، عدداً من الاحالات استخدمتها جميعاً في هذه المرحلة من التأليف .

(٢٨٨٥) ابن الفقيه ، ٧١ (رواية مختلفة عند ابن رسته ، ١٧٧ آخرها)

(٢٨٨٦) ابن خرداذبه ، ١١٦ ، ابن رسته ، ٢٧٨ ، ابن الفقيه ، ٧٢ ، المسعودي (م) فقرة ١٤١٩

(٢٨٨٧) سنبحث هذه الحدود فيما بعد في الفصل ١١

(٢٨٨٨) ابن رسته ، ٨٠

(٢٨٨٩) ابن الفقيه ، ٧١ ، ٨٤ وما يليها ، ٨٨ وما يليها ، المسعودي (م) فقرة ٤٩ ، ١٤٢٣ . الف ليلة وليلة (« مدينة النحاس » و « ابو محمد الخامل ») . يتخلى اكسيد الحديد عن مكانته ليس إلى النحاس وحده ، بل أيضاً إلى الصفر (نحاس اصفر أو برونز)

(٢٨٩٠) انظر أيضاً المسعودي (م) فقرة ١٤٢٣ : « في مفاوز الاندلس » .

(٢٨٩١) هذا التفصيل من المسعودي

(٢٨٩٢) باللغة الحميرية (كما هي الحال بالنسبة إلى مكان اخر من طرف العالم ، على تخوم الاسطورية من دار الاسلام الغربية : انظر ما يلي الفصل الحادي عشر) ، على حد قول ياقوت (معجم البلدان ، طبعة بيروت ، ج ٥ ، ص ٨١) . مع ذلك ، يسمح نص ابن الفقيه بهذا التفصيل ، لأنه يتحدث (ص ٩٠) عن كتابة بالعربية كان لا بد من استنساخها .

(٢٨٩٣) حول النبي سليمان والجن ، انظر القرآن ٢١ / ٨٢ ، ٢٧ / ١٧ ، ٣٤ / ١١ — ١٢ ، ٣٨ / ٣٦ ، ٣٧ — ٣٨ / ٣٨

(٢٨٩٤) « قصر البهت » موضوع من المواضيع الكبرى في اسطورة ملك توران ، افراسياب ، في شاهنامة الفردوسي . انظر أيضاً الثعالبي ، طبعة روتنبرغ ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ وما يليها .

حول دور الغرب الخفي في موضوع المهدي ، انظر ا . ابيل ، « رؤيا بحيرة ومفهوم المهدي الاسلامي » في حوليات معهد فقه اللغة والتاريخ الشرقيين ، بروكسيل ، ج ٣ ، ١٩٣٥ ، ص ٩

(٢٨٩٥) اشير إليه سابقاً

(٢٨٩٦) المسعودي (م) فقرة ١٤٢٣ (في طرف مفازة الهند) . لاحظ أيضاً المرجع ذاته ، فقرة ٤٨٠ (في اقاصي بلد الترك) .

(٢٨٩٧) المسعودي (م) فقرة ٧٩٥ و ١٤١٩ . لا شك أن سر المدينة ينطبق مع حقيقة وضع اقتصادي : هجر الطرق التجارية ، الذاهبة مباشرة ، عبر الصحراء ، من مصر إلى بلدان النيجر : انظر المسعودي (م) فقرة ٧٩٥ وخصوصاً ابن حوقل ، ٦١ ، ١٥٣

(٢٨٩٨) عجائب الهند ، ٢٠١ - ٢٠٧ (ذكر فيما تقدم ، ١/١٢٧ ، ٢/١٥٦). انظر أيضاً وصيف شاه ، ٢٧ (بلد النساء الطويلات المعطرات والشهوانيات) .

(٢٨٩٩) تتكسر الامواج على النواقىء ليلا ، فتظهر ناراً هائلة تشبه الشمس : وتصبح الجزيرة على هذا النحو مركز الشمس الثابت ، التي تبقى دوماً فيه ، ويزول على طرفها مفهوما المشرق والمغرب : العجائب ، ٢٠٦ - ٢٠٧

(٢٩٠٠) تجري القصة العائدة إلى الجزيرة فعلا في الطرف الشرقي من العالم : عجائب الهند ، ٢٠١

(٢٩٠١) واقعة تؤيدها عبادة الشمس .

(٢٩٠٢) انظر ما تقدم ، ٢/٢٦٣ ، ٢/٢٦٧ ، والاحالات المعطاة في حاشية ٢٨٦١

(٢٩٠٣) ابن الفقيه ، ٦

(٢٩٠٤) الهمداني ، ٣٨ ، (س ٥ - ٦ و ٢٢) ، ٣٩ (١٨ - ٢٤) ، ذكر فيما تقدم ص ١/٨٠ و١/٨١ كان يظن فيما نعلم ان السورماطية ينحدرون من تزاوج الاسقوتية والامزانوس : انظر بسنيه ، مشار إليه سابقاً ، ص ٦٧١

(٢٩٠٥) الخوارزمي (ص) ، ٨٩ (ابن سيرابيون ، ٧٠ - ٧١) ، لكن بلا التفاصيل الواردة في حدود العالم (ما تقدم ، ٢/٢٦٣) .

(٢٩٠٦) على الاصح « بحر المغرب الخارج » : ابن خرداذبه) أو البحر المغربي والشمالي الخارج : ابن سيرابيون : « خارج » بالنسبة إلى بحر الروم (بحر المغرب : أنظر د . م . دنلوب ، « بحر المحيط » و « بحر الروم » ، في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج ١ ، ص ٩٦٣) ، يتحدث كتاب الحدود عن محيط المغرب .

(٢٩٠٧) الواقع ان النقط وحده (تترك المخطوطات لنا الخيار بين ر و ز وبين ت و ن) يمكن ان يسمح بالتمييز بين اسمي الجزيرتين ، الا ان الناحية الاساسية هي ان امزانوس صورة محتملة لاسم الجزيرة الثانية .

(٢٩٠٨) حدود العالم ، ١٩١

(٢٩٠٩) يمكن ان يضاف إلى هذه القرائن عن الموقع باتجاه الشمال ، وجود قوم سيتون الذين تحكمهم امرأة في سكانديا القديمة : انظر بسنيه ، مشار إليه من قبل ، ص ٧٠٩ (ارجع إلى : تاسيت جرمانية ، ٤٥) .

(٢٩١٠) ابراهيم بن يعقوب (ص) ، ٥ / ١٦٩ وما يليها

(٢٩١١) الخوارزمي (ص) ، ٨٤ — ٨٩ (ابن سيرابيون ، ٦٨ — ٧١) . تنتهي قائمة الجزر ذاتها بجزيرتي الرجال والنساء اللتين تحدثنا عنهما من قبل .

(٢٩١٢) لعل منظر هذه الجزر العام يشاهد من سواحل كنتبره . وقد يشير اسم هارا إلى جزيرة اران (ارانا) ، واسم اخر إلى البيون (الويون) أو إلى جزر الوسية . انظر بطلميوس جغرافية ، طبعة س . مولر ، ج ١ ، باريس ، ١٨٨٣ ، ج ٢ ، ٢ (١٠) ، ٣ (١٤) و ١١ (١٦) .

(٢٩١٣) تولية ، تولي ، ثولي .

(٢٩١٤) خوارزمي (ص) ، ٨٧ — ٨٨ (سيرابيون ، ٧٠) ، ابن خرداذبه ، ٩٣ ، ابن الفقيه ، ٨ ، ١٣٩ ، ١٤٥ ، المسعودي (م) فقرة ١٨٨ ، ٢٩٧ ، (ت) ، ٤١ ، ٩٨ (ح ٢) ، حدود العالم ، ٥٩ (باسمي طوس (طواس) وتولي) ، ١٩١

(٢٩١٥) انظر بسنيه ، مشار إليه سابقاً ، ص ٧٦٦

(٢٩١٦) ما تقدم ، ٦٤/٢ ح ١٨٠٢

(٢٩١٧) البحار الثلاثة الاخرى ، هي بحر الهند ، وبحر الروم وبحر قزوين .

(٢٩١٨) وبين ٢٠ ٣٢° و ٢٠ ٢٦° طول غربي

(٢٩١٩) انظر المسعودي (م) ، ٩٨ ، حاشية ٢ ، وحدود العالم ، ١٩١

(٢٩٢٠) اعتبره كتاب التنبيه بحر مليطس ، وكتاب المروج ، بحيرة ولا شيء سوى ذلك.

(٢٩٢١) انظر ج . دراغون و ل . مارين ، ذكر من قبل ، ص ٣١٦

(٢٩٢٢) القرآن ، ١٨ ، ٩١ / ٩٢ — ٩٨

(٢٩٢٣) القرآن ، ٢١ ، ٩٥ — ٩٦

(٢٩٢٤) سفر التكوين ، ١٠ . المسعودي (م) ، فقرة ٩١٠ يقول بان ياجوج وماجوج من ولد يافث

(٢٩٢٥) انظر ا . ج . ونسنك في الموسوعة الاسلامية ، ج ٤ ، ص ١٢٠٤ — ١٢٠٥

(٢٩٢٦) حول هذه النقاط المختلفة ، انظر في الموسوعة الاسلامية ، ذكر من قبل ، و م . كانار ، في ابن فضلان ، ترجمة ، ١٠٩ ، حاشية ٢٥٢ (مع المراجع) . نذكر بان الغرب المسيحي هو أيضاً وحد بين ياجوج احياناً وبين البربري ، القوط في هذه الحالة : انظر Do Fide ad Gratianum augustum

للقديس اغسطينوس (٢ ، ١٦ ، في المجلد ١٦ من آباء الكنيسة اللاتين) ، مع احالة إلى حزقيال (٣٨ — ٣٩ روماني : انظر ما يلي ، ص ٥٠٨ ، حاشية ٣٠٠٢) .

(٢٩٢٧) حول هذا الموقع الاخير ، انظر الطبرى ، تفسير (ذكر في الموسوعة الاسلامية ، ورد من قبل) . نذكر بمناسبة ما يقال هنا ، ان الاتراك (انظر ما يلي) يعتبرون احياناً تابعين لياجوج وماجوج .

(٢٩٢٨) انظر الاحالات في الموسوعة الاسلامية ، ذكر من قبل ، وحزقيال ، ٣٩ ، ١٢

(٢٩٢٩) ابن خرداذبه ، ١٦٢ — ١٧٠ ، ابن رسته ، ١٤٩ (اكتفى دي خويه في طبعة ابن خرداذبه ان يشير إلى اختلافات نص ابن رسته ، دون ان يكرر النص بكامله . انظر ابن رسته ، ترجمة ، ١٦٧ — ١٧٢) . ابن الفقيه ، ٣٠١ (الملاحظة ذاتها على تحيز دي خويه : انظر ابن الفقيه ، ذكر من قبل ، حاشية ب) ، المقدسي ، ٣٦٢ — ٣٦٥ . لن نبين في الحواشي الا الاختلافات الهامة أو الاضافات ، النادرة جداً ، بالنسبة إلى نسخة ابن خرداذبه (لن نذكر الحذف) .

(٢٩٣٠) ابن رسته « الذي ترجم للواثق بالله الوثائق التركية التي تصل إلى دواوينه » .

(٢٩٣١) حكم هذا الخليفة العباسي من ٢٢٧ / ٨٤٢ م إلى ٢٣٢ هـ/ ٨٤٧ م

(٢٩٣٢) ذو القرنين : انظر ا . متوخ في الموسوعة الاسلامية ، ج ١ ، ص ٩٨٧ — ٩٨٨

(٢٩٣٣) حول هذا الزعيم التركي ، المتوفى عام ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م (مما يحدد نهاية ملائمة لتاريخ رحلة سلام) ، انظر سورديل ، الوزارة ص ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨

(٢٩٣٤) يلمح المقدسي هنا بان الخليفة حاول قبل هذه المرة ان يستعلم عن ياجوج وماجوج : فقد وجه الخليفة إلى طرخان ، ملك الخزر ، المنجم محمد بن موسى الخوارزمي . حول القضية التي يثيرها هذا الشخص ، انظر جغرافية ج ١ ، ١/٣٠ .

(٢٩٣٥) لتجنب تأثير الجبال الممغنطة ، مثل التأثير الذي تحدثنا عنه فيما تقدم ١٣٩/١ (مع احالة إلى عجائب الهند ، ٢٤٧ ، الذي يتكلم عن ركب من خشب) .

(٢٩٣٦) يلي وصف الرحلة عبر امارات نواحي جبل القبق (ار مينية ، السرير ، اللان ، فيلان) حتىالوصول إلى الخزر .

(٢٩٣٧) اختلافات في المخطوطة والمقدسي : سبعة وعشرون

(٢٩٣٨) شعب أو شعبة

(٢٩٣٩) كتاتيب . المقدسي : المكاتب

(٢٩٤٠) مات الواثق وعمره ٣٢ ، او ٣٤ او ٣٦ سنة

(٢٩٤١) ايغو ، اليوم هامي (كومول) في سنكيانغ : ابن خرداذبه ، ١٦٤ ، حاشية ز

(٢٩٤٢) خاصة تميز المدينة الصينية : انظر ما تقدم ، ١٦٩/١

(٢٩٤٣) الفارق : ابن رسته والمقدسي : « املس ليس عليه خضراء » . وسنرى ان ابن خرداذبه يضع هذا التدوين (وهو اطول عنده) في نهاية روايته .

(٢٩٤٤) المؤلفان نفسهما : « بواد عرضه مائة وخمسون ذراعا » .

(٢٩٤٥) حرفياً : لبن ، لبنة

(٢٩٤٦) ابن رسته ، « شبر »

(٢٩٤٧) رغم ان الصياغة غامضة جداً ، يمكننا ان نتصور ان كل شرفة كانت مزودة من جانبيها بقرنتين تنثنيان على قرنتي الشرفة المجاورة لها ، وبذا تغلق القرنات الفواصل بين النوافذ .

(٢٩٤٨) يضيف النص هنا مغلقين (ربما تذكيراً لما قيل عن ابواب مدينة ايكا ، وهذا لا ينسجم مع الوصف اللاحق) . تعطي بعض النسخ مغلاقين .

(٢٩٤٩) ابن الفقيه والمقدسي : « خمسون »

(٢٩٥٠) حرفياً : قدر

(٢٩٥١) لا يحتضنها رجلان ، حرفياً : لا يستطيع رجلان ان يحيطا به ، ان يأخذاه بايديهما

(٢٩٥٢) تصحح الترجمة (ابن رسته ، ١٨١ ، الذي يضيف : « دندانكه من حديد . فاذا لم اكن مخطئاً ، لا ارى ما يبرر هذه الاضافة .

(٢٩٥٣) ابن رسته والمقدسي : « كدستج اعظم ما يكون من الهواوين » . يقول المقدسي حرفياً كيد عوضاً عن كدستج

(٢٩٥٤) حرفياً : بالامتداد (بسط) . عند ابن رسته والمقدسي السمك . يتفق الرقم جيداً مع غرض المصراعين الاجمالي : ٢ × ٥٠ ذراعاً .

(٢٩٥٥) اي ما يعادل ٥٤٠٤ ، ٥ م . انظرو . هنز ، « ذراع » في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ — ٢٣٩

(٢٩٥٦) حول عدد الاشجار على باب كل حصن (او حصنين) ، انظر التباين المشار إليه مع ابن خرداذبه ، ١٦٧ ، حاشية ١

(٢٩٥٧) اختلاف بين المخطوطات : « أكبر ما يكون . . . » .

(٢٩٥٨) في البلد الذي يسبق الوصول إلى السد .

(٢٩٥٩) في باقي النسخ : « لا جمعة » ثم « في عشرة فوارس » .

(٢٩٦٠) في باقي النسخ : « من حديد ، في كل واحدة خمسون منا » .

(٢٩٦١) نتذكر ان هذا السؤال الذي اثاره حلم الخليفة الواثق بالله

(٢٩٦٢) المقصود هنا طبعاً درهم الوزن : ما يعادل بضعه غرامات ، انظر ج . س . مايلز في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج ٢ ، ص ٣٢٨ — ٣٢٩

(٢٩٦٣) لغة القرآن ، الذي يلي الاستشهاد به (انظر ما تقدم ٢٧٧/٢) ، او لغة أخرى اشتهرت بقدمها ، ويجهلها سلام ، والكلمات المكتوبة ترجمة الآية القرآنية .

(٢٩٦٤) يعني من الجانب الآخر لجدار الصين

(٢٩٦٥) بتعبير آخر ، شديد الانحدار ، كما سنرى (قائم : حاد ، حرفياً متعامد) اذا اخذنا بعين الاعتبار ما قيل من قبل عن شكل الجبل المستدير ، لا بد انه اسطواني تقريباً ينتصب على احدى قاعدتيه .

(٢٩٦٦) تضم القصة بضعة اسطر تتحدث عن رحلة الاياب ، عن طريق سمرقند وخراسان ، وتعطي بعض التفاصيل عن مجمل الرحلة) والوصول إلى سر من رأى ، التي سنتكلم عنها هنا بالذات .

(٢٩٦٧) يحرص ابن رسته على القول بانه « وجده موافقا للاصل » .

(٢٩٦٨) النوافذ قرينة رصينة . كذلك على الارجح ، تنوع المواد المستعملة : حجارة أو طين ، الملحوظة من خلال تبدلات لون النحاس والحديد . كذلك أيضاً يحتمل ان يكون الباب المشاهد باب كيايو ، الواقع على الطرف الغربي من الجدار العظيم ، بالنسبة إلى الشخص

القادم من هاني (كومول ، ايكا) . انظر الموسوعة الايطالية ، ج ٢٤ (١٩٣٤) ، ص ٤٧ — ٤٨ (مع المراجع ، واطلس تايمس العالمي ، ٢٢ ، جـ/ ٥ ، د/ ٧

(٢٩٦٩) لم نرسم في القسم العلوي الـ ٣٧ شرفة ، يساوي اعلى الجدار ٣٧ شرفة + ٣٦ فاصل × ٥ = ٣٦٥ ذراعاً .

(٢٩٧٠) حول موقف ابن فضلان من العجيب ، انظر جغرافية ، ج ١ ، ١/٢٣٢ — ٢٣٣ . سنعود إلى هذا الموضوع في حديثنا عن ياجوج وماجوج .

(٢٩٧١) انظر المظاهر الحسية الحسية لرضى الخليفة عند ابن خرداذبه ، ١٧٠

(٢٩٧٢) يحترس ابن رسته نفسه كثيراً من تكرار القصة ، على الرغم من تحفظاته.حول احتمال تبرير العجيب في الادب الرسمي ، انظر جغرافية ، ج ١ ، ١/٢٣٣ (س ١١—٢٠).

(٢٩٧٣) انظر ما تقدم ، ٢/٢٠ — ٢١

(٢٩٧٤) انظر ما تقدم ، ١/٢٩٤

(٢٩٧٥) المسعودي (م) ، ٧٣٠ ، (ت) ، ٤٣ ، ١٦٣ ، ابن فضلان ، ١٣٩ ، وصيف شاه ، ١١٤ — ١١٥

(٢٩٧٦) ابن فضلان ، ٢٩٨

(٢٩٧٧) ابن فضلان ، ٢٩٩

(٢٩٧٨) الطور ، لكن قد يدل هذا اللفظ أيضاً على طور سيناء أو جبل الزيتون : انظر ا . هونغمان في الموسوعة الاسلامية ، ج ٤ ، ص ٩١٣ — ٩١٤

(٢٨٧٩) ابن فضلان ، ٩٥ ، ١٠٤

(٢٩٨٠) ابن رسته ، ٨٣ ، ابن فضلان ، ٢٩٨ — ٣٠٠ ، المسعودي (م) فقرة ٧٣١

(٢٩٨١) ابن الفقيه ، ٢٩٨ ، ابن فضلان ، ١٣٨ — ١٣٩ (هؤلاء الصقالبة هم البلغار ، ولعل البحر المقصود بحر خوارزم . من جهة أخرى ، تحد الجبال بلد ياجوج وماجوج .) . ابن حوقل ، ١٢ ، يعطي اربعين يوماً من البلغار والصقالبة .

(٢٩٨٢) ابن رسته ، ٩٨ ، المسعودي (ت) ، ٣٩ — ٤٠ ، ٥١ — ٥٢ (في توزيع نجمي للأقاليم : انظر الشكل ١٤) ، الهمداني ، ٦ (سطر ٨ و ٢٠) ، ابن حوقل ، ٩ (خريطة) و ١٤ : في اقصى الشمال .

(٢٩٨٣) تقسيم الارض إلى سبعة اقاليم (المفرد : اقليم) (بالمعنى العام غير الجغرافي

لابالمعنى الضيق) خصت . خصصت الاقاليم الاخرى على التوالي ، للعرب ، والروم ، والحبشة والهند ، والترك ، والصين ، لا يدخل هؤلاء ارض هؤلاء ولا هؤلاء إلى ارض هؤلاء : ابن الفقيه ، ٥ (ذكر فيما تقدم ١٠٤/١) .

(٢٩٨٤) ابن الفقيه ، ٣٠٠ (ذكر فيما تقدم ، ١٠٧/١ ، مع ابن حوقل ، ٥٢٧ ، الذي سنعود إليه لاحقاً) .

(٢٩٨٥) ابن الفقيه ، ٣ (ذكر فيما تقدم ، ٥٤/١ ، ١١٦/١) .

(٢٩٨٦) المقدسي ، ج ٢ ، ١٧٧ ، ابن حوقل ، ٥٢٧

(٢٩٨٧) انظر ما تقدم ، ١٠٧/١ ، ١٤١/١-١٤٢ ، ١٦٧/١ آخرها ، ١٩/١ ، ١٩٩-٢٠٠ ، ٢٦١/١-٢٦٢ ، ٢٩٣/١ و ٢٣٧/٢ اخرها - ٢٣٨/٢

(٢٩٨٨) المقدسي ، ذكر من قبل ، ابن الفقيه ، ٣ ، ٢٩٨ اخرها - ٢٩٩ ، وصيف شاه ، ١١٤-١١٥ يتحدث عن ٤٠ امة .

(٢٩٨٩) اختبار : لا يرد في الارقام التي قدربها (بالفراسخ) المسعودي (م) فقرة ١٣٦٦ - ١٣٦٧ جميع الممالك الكبرى أو غيرها من المجموعات البشرية . الواقع ان سعة ياجوج وماجوج الهائلة تقارن بسعة آسية في اسطورة ذي القرنين (حولها انظر قدامه ، ٢٦٣ وما يليها) .

(٢٩٩٠) ابن حوقل ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ - ١٥ (يحتمل تماماً أيضاً ان يشير ذكر جبال البلاد واهلها إلى الترك) ، ١١٠ ، ١٦٩ (بداية سلسلة الجبال العالمية الكبرى - انظر ما تقدم ، شكل ٢١) . ٢٠٢ ، ٣٩٢ ، ٤٨٢

(٢٩٩١) انظر م . كانار ، عند ابن فضلان ، ترجمة ، ص ١٠٩ ، حاشية ٢٥٢ (مع المراجع) ، وما يلي ، حاشية ٣٠٠٧

(٢٩٩٢) وصيف شاه ، ٢٩ - ٣٠ ، المقدسي ، ج ٢ ، ٦٤ (جابلسه ، عوضاً عن جابرصه) (مذكوران فيما تقدم ، ح ٦٣) .

(٢٩٩٣) يذكر نص وصيف شاه وجود باب كل فرسخين : إذن يجب ان نفهم ان « طول » المدينة يمثل في الواقع نصف محيطها .

(٢٩٩٤) انظر النص المستشهد به ، ح ٢٨٧٢

(٢٩٩٥) انظر ف . بهل في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج ١ ، ص ١٧٤

(٢٩٩٦) وصيف شاه ، ١١٥

(٢٩٩٧) انظر ما تقدم ، ٢٩٢/١ ، ٢٨٥/٢

(٢٩٩٨) المقدسي ، ج ٢ ، ٦٤ . تاويل تضفي الغموض على هذا الجدول ، مثلما سوف نرى . : لا شك البتة ان المقدسي اورد هنا ليشكل مزدوجة صوتية مع هاويل .

(٢٩٩٩) ٢٤ (ومنهم الاتراك الذين يحسبون امة واحدة : انظر ما تقدم ، ح ٢٩٩٧) ، ٤٠ أو ٤٠٠٠٠ : ابن الفقيه ، ٢٩٩ ، وما تقدم ، حاشية ٢٩٨٨

(٣٠٠٠) ابن الفقيه ، ٢٩٨ خرها — ٢٩٩ (كذلك المقدسي ، ج ٢ ، ١٧٧ : منسك ، تاويل وتدريس) .

(٣٠٠١) ما تقدم ، ٢٨٦/٢

(٣٠٠٢) انظر ابن الفقيه ، ٢٩٩ ، حاشتين ا — ب (مع تأويل تاريس تأويلا لايرضي ، فيما يبدو) ، قوي ، معجم التوراة ، لفظ « موزوخ » و « توبلكين » ، الموسوعة اليهودية ، ج ١٢ ، ص ٦٥ (لفظ « ترشيش») ، حزقيال ، ٣٨—٣٩روماني. انظر أيضاً رؤياالقديس يوحنا ، ٢٠ روماني ، ٨. يلاحظ ان لفظا مأخوذا من جذر نسك (منسك) وتاويل يمكن تحميله صورتين تتضمنان معنيين احدها سيء والآخر جيد ، حسب ما نقرنه بياجوج وماجوج ام لا.

(٣٠٠٣) ابن الفقيه ، ٢٩٨ — ٢٩٩ ، المسعودي (م) فقرة ٣٦٩ ، (ت) ، ٣٩ آخرها — ٤٠ (انظر ما تقدم ، حاشية ١٣٧٦) ، المقدسي ، ج ٤ ، ٦٠ ، الاخوان ، ج ١ ، ١٧٥ ، وصيف شاه ، ١١٤ يتحدث عن الشجاعة .

(٣٠٠٤) الهمداني ز ، ٣٨ (ذكر فيما تقدم ، ٨٠/١) ، المسعودي (ت) ، ٤٠

(٣٠٠٥) ابن الفقيه ، ٢٩٩ — ٣٠٠ (صيغة يتداعون) ، ابن فضلان ، ١٣٨

(٣٠٠٦) حول هذه الخصائص ، انظر ابن الفقيه ، ٢٩٩ ، ابن فضلان ، ١٣٧ ، المقدسي ، ج ٢ ، ١٧٧ ، وصيف شاه ، ١١٤ — ١١٥ ، وما تقدم ، ٢٨٢/٢

(٣٠٠٧) ابن فضلان ، ١٣٦ — ١٣٧ ، ١٣٩ — ١٤٠ . انهم الويسو (قوم فنيون نازلون على سواحل بحيرة اونيغا : انظر ما تقدم ، ٨٨/٢) ، الذين سئلوا عن رأيهم كتابة ، فاعلنوا انه رجل من ياجوج وماجوج .

(٣٠٠٨) يصحح الرسم قفا بطفا

(٣٠٠٩) قفيز : كيل مواد جافة (حبوب ، طحين أو ثمار) يساوي ٢٥ إلى ٥٠ ليتر تقريباً : انظر ا . فون زمبور في الموسوعة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٦٦٢

(٣٠١٠) انظر ما تقدم ، ٢٨٩/١ و ٣٥/٢

(٣٠١١) يقول المقدسي ، ج ٤ ، ٦٠ ، ان حياة ياجوج وماجوج بائسة ، وغذاءهم فقير . وسنرى بأن سائر المؤلفين يتحدثون عن سمك عجيب وعن التنين : ابن الفقيه ، ٢٩٩ – ٣٠١ ، ابن فضلان ، ١٣٦ – ١٣٧ ، المسعودي » (م) فقرة ٢٨٦ – ٢٨٨

(٣٠١٢) معارضة موضوع المفازة الكلاسيكي هنا ، لا تنشاء البداوة عن ماء (السماء) بل عن الماء الذي يغادر (الارض) .

(٣٠١٣) حول موضوع التنين ونشوئه ، انظر م . كانار ، في ابن فضلان ، ترجمة ، ١٠٩ ، حاشية ٢٥٢ انظر ما تقدم ، ١٧/٢ . نذكر أيضاً ان دم الافعوان ، الذي غمس هرقل اسهمه به ، يسبب جراحاً مميتة (انظر ما قيل من قبل عن الام البطن ، المميتة أحياناً أيضاً) .

(٣٠١٤) المسعودي (م) ، فقرة ٢٨١ – ٢٨٥ (قارن بمرو ، ٢١٥)

(٣٠١٥) ابن الفقيه ، ٧

(٣٠١٦) المقدسي ، ج ٤ ، ٥٧ ، ٩١ (يضيف النص الثاني ان هؤلاء الناس من اكلة لحوم البشر ، وان لا احد منهم يعرف اباه ، لأنهم لا نظام زواج عندهم ») . ونشير إلى ان الناس يعيشون في انفاق ليتقوا الحر ، انظر ما تقدم ، ٢٩٠/١ (في آسية الوسطى) ، حاشية ١١٨٦ (افريقية) . يعثر على ذكر من لا يعرف اباه أيضاً في افريقية : ما تقدم ، ٢٢٢/١ . حول الانفاق لا تقاء الحر في شرق الصين ،انظر أيضاً وصيف شاه ، ١٣٠

(٣٠١٧) انظر ما تقدم ، ١٨٧/١ – ١٨٨ ، وابن رسته ، ٨٨

(٣٠١٨) انظر ج . غبرييل فران في الموسوعة الاسلامية ، ج ٤ ، ص ١١٦٤ – ١١٦٨ ، رحلات ، ج ١ ، ص ٣ – ٤ روماني ، و « هل الواق واق اليابان ؟ » ، في الصحيفة-الاسيوية ، نيسان ١٩٣٢ ، ص ١٩٣ – ٢٤٣ ، م . بتنر و و . توماشيك ، Die topographischen Capiel des Indischen seespiegels Mohit فيينة ، ١٨٩٧ ، لوحة ١ ، ٢ ، ٢٨ ، ديفيلك ، افريقية الزنج ، ذكر من قبل ، ٨٨ وما يليها ، ج . فوبليه وم.اوربين فوبليه ، « مدغسقر كما يراها المؤلفون العرب قبل القرن الحادي عشر » ، في ستاديا (مركز الدراسات التاريخية لما وراء البحار) ، لسبونه ، ١١ روماني ، (كانون الثاني ١٩٦٣) ، ٤٤٨ وما يليها وما تقدم ، ١٤٠/١، ٢٣٢/١ . يلاحظ ان « بلد الذهب » قد يكون بلد الزنج ، او بلداً غير محدود من الشرق الاقصى (عجائب الهند ، ١٩٢ – ١٩٤) . يجب أخيراً ان نربط بالواق واق ، بعض البلدان الواقعة في هذه النواحي من الجنوب واالشرق الاقصيين . انظر المسعودي (ت) ، ٥١ (بلد التوابل : انظر أيضاً ابن الفقيه ، ٥) ، وصيف شاه ، ١٣٠ (بلد وراء الصين مع اناس يعيشون في انفاق (ما تقدم ، حاشية ٣٠١٦) ، وآخرين صلع ،

وآخرين بيض شعرهم اصهب ، وعندهم النساء ملكية مشتركة) . يقول ابن الفقيه ، ٣ ، ان خلف . . . ياجوج وماجوج من الامم ما لا يعلمها الا الله » .

(٣٠١٩) انظر ابن خرداذبه ، ٦٩ – ٧٠ ، ابن الفقيه ، ٣ – ٧ ، المسعودي (م) فقرة ٢٤٦ ، ٨٤٧ – ٨٤٨ عجائب الهند ، ١٩٤ – ١٩٦ ، ٢٢١ ، ٢٣٠ – ٢٣١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ – ٣٠١ ، ٣٠٩ ، اسحق بن الحسين ٤٦٠ ، خوارزمي (م) ، ٢١٦ ، وصيف شاه ، ٢٦ – ٢٧ ، ٣٨ ، ٥٧ ، ٦١ – ٦٢ ، ابن حوقل ، ٢٧٦ ، حدود العالم ، ٥٢ ، ٨٣ – ٨٤ ، ١٨٧ ، ٢٢٨ ، ٤٧٢ . ورد الواق واق أيضاً في الف ليلة وليلة (رحلة سندباد الاولى) . لكي لا نكثف الحواشي ، ونظراً لاهمية الكبرى لعجائب الهند في معلوماتنا (لا تذكر بقية المصنفات الا معلومات اجمالية مقتضبة) ، لن نشير في الحاشية ، ما عدا الاستثناءات ، الا إلى الا حالات إلى غير عجائب الهند : فيصبح الباقي مأخوذاً منها .

(٣٠٢٠) حدود العالم ، ٨٤ (مع ذكر مدينة اسمها مقيس) ، المسعودي (م) ، فقرة ٨٤٧

(٣٠٢١) نلاحظ بهذه المناسبة ان السكان المعنيين في هذه الاستيرادات ، (هم الرقيق خصوصاً يسمى زنج) هم من مدغسقر بلا شك : وهم الذين هاجموا زنجبار : انظر ما تقدم ، ٢٣٤/١

(٣٠٢٢) ابن خرداذبه ، ٦٩ – ٧٠ ، ابن الفقيه ، ٧ ، حدود العالم ، ٨٤ ، وصيف شاه ، ٥٧ ، عجائب الهند ، ١٩٦ تذكر هنا بالمقابل التمر والشيء اليسير .

(٣٠٢٣) المسعودي (م) ، فقرة ٨٤٧ (عجائب عديدة) ، وصيف شاه ٥٧ (تماثيل عجيبة) ، حدود العالم (زعماء يلبسون اطواقاً من قرن الكركدن) .

(٣٠٢٤) ابن خرداذبه ، ٦٩ ، ابن الفقيه ، ٧ ، المسعودي (م) ، فقرة ٨٤٧ ، حدود العالم ، ٨٤ ، وصيف شاه ، ٥٧

(٣٠٢٥) موضوع اصله صيني : انظر ج . فران في الموسوعة الاسلامية ، ج ٤ ، ص ١١٦٦

(٣٠٢٦) انظر اضافة إلى عجائب الهند ، حدود العالم ، ٨٤ ، وصيف شاه ، ٢٦ – ٢٧

(٣٠٢٧) الجاحظ (ح) ، ج ١ ، ١٨٩ (الذي يذكر معهم النسانيس : انظر ما تقدم ، ٢٦٥/٢) ، تزاوج الانسان والحيوان العجيب المسمى شق ، والكائنات وراء جدار ياجوج وماجوج من تزاوج الانسان والنسانيس والشق وياجوج وماجوج) ، ج ٧ ، ١٧٨ (ذكر بسيط)

(٣٠٢٨) وصيف شاه ، ٢٦ – ٢٧ (وعند فران ، رحلات ، ص ١٣٨ ، ٦٧٧ –

٦٨٨) ، . نلاحظ بالنسبة إلى ابراهيم بن وصيف شاه ، انه يتردد في النهاية ، بالنسبة إلى الواق واق ، بين المظهر البشري وطبيعة الانسان الشجرة .

(٣٠٢٩) تطورات جديدة أيضاً بعد العام الف : انظر ج . فران في الموسوعة الاسلامية ، مقال ذكر

(٣٠٣٠) انظر ما تقدم ، ١/١٤٩

* * *

حـواشي

الفصل العاشر

(٣٠٣١) ابن خرداذبه ، ٧٠ (سيلا . مع ذلك مبهم جداً : استقر فيها تجار مسلمون) ، ١٦٣ آخرها — ١٦٥ (قصة سلام الترجمان : جماعات مسلمة في آسية الوسطى) ، اخبار الصين والهند ، فقرة ١٢ (خانفو) ، ٢٥ (مملكة بلهرا : حول موقعها انظر المرجع ذاته حاشية ١) ، ٤٠ (الصين) ، ابن رسته ، ١٢٣ (قمار) ، ١٣٩ — ١٤٠ (خزر اتل) ، ابن فضلان ، ١٧٢ (خزراتل ، المسعودي (م) فقرة ٢١٥ ، ٢٤٤ ، ٨٧٢ (زنجبار) ، ٢٢٣ (المجرى الاسفل من جيحون) ، ٣٣٠ (خانفو) ، ٤٤٧ و ٤٥٠ وما يليها (خزر اتل) ، ٤٩٥ (تجار عند اللان ، وفي دربند ، وعند الخزر ، ويبدو ان وجود هؤلاء يدل على قيام مستوطنات اذا اعتبرناهم احالة لمجمل المدينة) ، ٥٠٠ (جبل القبق ، غير اكيد ، الارجح ان المقصود اقوام متنوعة) ، ٥١٥ (صيمور في الهند : حول تحديد الموقع ، انظر ما يلي في حدود العالم) ، ١٨٧٧ (بحر القلزم : زيلع ، دهلك ، وباضع (مصوع) ، ٨٨٣ (بلاق : فيله) ، عجائب الهند ، ٢٧٩ — ٢٨٠ (صيمور : انظر فيما يلي حدود العالم) ، ٢٩١ (الهند) ، الاسواني ، ٢٥٣ (جنوب اسوان) ، ٢٦٣ (في سوبه ، في النوبة) ، ٢٦٥ (اغراب في دنقله في النوبة) ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ بالبجة ، المهلبي (م) ، ترجمة ، ج ٢ ، ١٣١ (نص في ج ١ من جغرافية ابي الفداء ، ذكر من قبل ، ص ٣٧٥ : ماليزية) ، ابن حوقل ، ٣٢٠ (خزر ، جبل القبق ، افريقية الغربية ومملكة بلهرا) ، ٣٩٠ (خزر) ، ٥١٢ — ٥١٣ (المجرى الاسفل من جيحون) ، حدود العالم ، ٨٨ (صيمور ، سندان ، سوباره وكمبايه : حول تحديد المواقع ، انظر المرجع ذاته ، ٢٤٤ — ٢٤٥) ، ٩٣ (لهسا في تبت) ، ١٦٤ (زابج : صومطره وجاوه : انظر المرجع ذاته ، ٤٧٢ — ٤٧٣) .

(٣٠٣٢) بلا ريب ، لأن التجارة ، كما قلنا ، ليست بايدي المسلمين .

(٣٠٣٣) انظر ما تقدم ، ١٢٣/١

(٣٠٣٤) ترك لهم حد ادنى من حرية العبادة (مع مسجد) ، لكنهم حرموا فيما يبدو ، الا في حالات استثنائية ، من الحد الادنى من حرية التنقل في هذه المستوطنات ، وكل مايقال لناعنهم يحيل إلى امر واقع لا إلى حالةقائمة رسمياً حسب الاصول : انظر ما تقدم ، ٢٤٨/٢

(٣٠٣٥) اخبار الصين والهند ، فقرة ٤٣ ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٥٢ ، ٥٠٠ ، ٥١٥ ، الاسواني ، ٢٥٣ ، ٢٧٤ ، حدود العالم ، ١٦٤

(٣٠٣٦) المسعودي (م) ، فقرة ٤٥٢ ، ٥٠٠

(٣٠٣٧) اخبار الصين والهند ، فقرة ١٢ . يلاحظ ان هذا « التجمع » يشير إلى اقامة ثابتة وإلى قاعدة انطلاق في البلاد

(٣٠٣٨) وايضاً يبدأ الدعاء إلى السلطة المسلمة الحاكمة ، كما يثبت من بقية الحديث

(٣٠٣٩) ابن حوقل ، ٣٢٠

(٣٠٤٠) انظر ابن فضلان ، ١٧٢ ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٥١ (الخزر : قاضيان)

(٣٠٤١) عجائب الهند ، ٢٧٩ — ٢٨٠ ، ٢٩١ ، المسعودي (م) ، فقرة ٥١٥ (حزماء يجب حتماً التصحيح إلى هنرمن ، كما يميل الناشر إلى ذلك فيما يبدو : ذكر من قبل ، حاشية ٦

(٣٠٤٢) عجائب الهند ، ٢٩١ ، المسعودي (م) ، ٤٥١

(٣٠٤٣) حول هذه الحالة الاخيرة ، انظر ابن فضلان ، ١٧٢ ، عجائب الهند ، يقول : ان سرق مسلم ببلاد الهند ، رد الحكم في امره إلى هنرمن المسلمين ليعمل فيه بما يوجبه حكم الاسلام .

(٣٠٤٤) المسعودي (م) ، فقرة ٨٧٢

(٣٠٤٥) يتضح هذا الدور جيداً من عجائب الهند ، ٢٧٩ — ٢٨٠

(٣٠٤٦) عجائب الهند ، ٢٨٠

(٣٠٤٧) اخبار الصين والهند ، فقرة ٤٠ و ٤٣ . حول التقيد باصول الادب ، انظر عجائب الهند ، ٢٨٦ — ٢٨٧

(٣٠٤٨) حول المساجد ، انظر ما يلي

(٣٠٤٩) الاسواني ، ٢٧٤ ، ٢٧٧

(٣٠٥٠) الاسواني ، ٢٩١ . بشأن البقط ، انظر ما تقدم ، ٢١٣/١

(٣٠٥١) المسعودي (م) فقرة ٨٧٧ ، ابن حوقل ، ٥١٢

(٣٠٥٢) ابن فضلان ، ١٧٢ ، وما تقدم ، حاشية ١٦٩٣

(٣٠٥٣) حدود العالم ، ٩٣ ، ١٦٤

(٣٠٥٤) الاسواني ، ١٥٣

(٣٠٥٥) المسعودي (م) ، فقرة ٨٨٣ ، المهلبي (ف) ، ذكر من قبل (ما تقدم ، حاشية ٣٠٣١) ، المسعودي (م) ، فقرة ٥١٥ ، ابن حوقل ، ٣٩٠ (يقترن هذا الرقم عشرة الاف بملاحظتين متناقضتين : « وفيهم خلق من المسلمين » ، و « اكثرهم مسلمون » : سنعود إلى هذا النص فيما بعد) . يمكن ان نستدل على حجم الجماعات من المساجد ، التي سنتحدث عنها فيما بعد .

(٣٠٥٦) انظر ما تقدم ، ٤٢/٢ (بشأن بلد الخزر ، لكن المسعودي (م) فقرة ، ٤٤٧ اقل وضوحاً). والمسعودي (م) ، فقرة ٣٣٠ (الصين) اوضح قليلا : يكمل بالمعلومات التي يوردها سوفاجيه في اخبار الصين والهند ، فقرة ١٢ ، حاشية . حول النوبة (مدينة علوى : ضاحية منعزلة) ، انظر الاسواني ، ٢٦٣ . قد يترافق الانفصال عن مجتمع الاستقبال مع مجاورة جماعات اخرى غير مسلمة : حالة الصين عند المسعودي، ذكر من قبل .

(٣٠٥٧) حدود العالم ، ٨٨ (الهند) ، المسعودي (م) ، فقرة ٢٤٤ (نسخة مختلفة بعض الشيء ، فقرة ٢١٥ : الزنج في الواقع مستعبدون ، وهذا بحد ذاته لا يتناقض اصلا مع « اختلاط السكان » الوارد في الفقرة ٢٤٤) .

(٣٠٥٨) اخبار الصين والهند ، فقرة ٢٥ ، ٤٠ ، ٤٣ (هند وصين) . قد يخطر لنا ان لفظ العرب يقصد به المسلمين اجمالا . الا ان اخبار الصين والهند تتحدث أيضاً ، عند اللزوم ، عن المسلمين (انظر فقرة ١٢) . لعله اريد على الاقل ابراز قيمة العرب الخاصة بين الجماعات المسلمة في الصين : حول دور العرب ومكانتهم في تجارة الشرق الاقصى ، انظر سوفاجيه ، في اخبار الصين والهند ، ٣٧ – ٣٩ روماني .

(٣٠٥٩) المهلبي ، ذكر من قبل ، الذي لا يوضح مع ذلك ما اذا كان هؤلاء الهنود اعتنقوا الاسلام أم لا .

(٣٠٦٠) المسعودي (م) ، فقرة ٥١٥ . بشأن البياشرة (مفردها بيشر أو بيشري) ، انظر بلاشير – شويمي – دنيزو ، ذكر من قبل ، ج ٢ ، ص ٩٤٠

(٣٠٦١) فيما عدا حالة الاضطرابات المحلية ، كما في الصين (انظر ما تقدم ، ح ٣٠٣٣)

(٣٠٦٢) ابن حوقل ، ٣٢٠ (حالة جماعات قليلة الاهميه) .

(٣٠٦٣) ابن رسته ، ١٣٣

(٣٠٦٤) عجائب الهند ، ٢٨٧

(٣٠٦٥) ابن رسته ، ذكر من قبل ، (كره شرب الخمر عام عند الهنود) : لا يشرب الهنود الخمر ، ديانة منهم . مع ذلك ، من رأوا من اهل الاسلام يشرب الشراب ، فهو عندهم خسيس ، لا يعبأو ن به ، ويزدرونه ، ويقولون هذا رجل ليس له قدر في بلاده . وتعني هذه النظرة ، كما نرى ، ان الهنود يؤيدون المنع على انه من خصائص الحضارة الاسلامية .

(٣٠٦٦) اخبار الصين والهند ، فقرة ٢٥ (وحاشية ٥) – ٢٦ (ملفق عند المسعودي (م) ، فقرة ٤٢٥ . نذكر أيضاً بما قيل عن النوبة والبجة (ما تقدم ٣٠١/٢ . يضاف بالمعنى ذاته ، الاسواني ، ٢٥٣ ، الذي يشير إلى حرية عمل المسلمين في نواحي جنوب اسوان ، والمسعودي (م) ، ذكر فيما يلي في حاشية ٣٠٧٧) .

(٣٠٦٧) انظر ما تقدم ، ٤٤/٢ – ٤٥

(٣٠٦٨) ترجمة كانار ، ١٤١ – ١٤٢ (نص غير وارد عند الدهان)

(٣٠٦٩) في اي بلد ؟ السؤال غامض ؟ انظر ترجمة ، ص ١٤٢ ، حاشية ٣٨١ . يذكر ، في الحديث عن هذه الواقعة ، الواردة هنا ، ان ملك الخزر يهودي كما قلنا في الفصل السادس .

(٣٠٧٠) انظر ما تقدم ، حاشية ٣٠٥٥

(٣٠٧١) بصرف النظر عن المضاعفات الداخلية (موقف فرق المسلمين في الجيش) .

(٣٠٧٢) طبعاً ، لا يتبدل شيء من هذه السياسة بالذات ، سواء كانت حماية الديانة اليهودية صادقة أو ذريعة سياسية بسيطة .

(٣٠٧٣) ابن رسته ، ١٤٠ ، ابن فضلان ، ترجمة كانار ، ١٤١ ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٢٥ ، ٤٥٢ ، ٨٨٣ ، الاسواني ، ٢٧٤ ، ٢٩١ ، ابن حوقل ، ٣٢٠ ، ٣٩٠ ، حدود العالم ، ٨٨ ، ٩٣

(٣٠٧٤) ابن حوقل ، ٣٢٠ (الهند)

(٣٠٧٥) اخبار الصين والهند ، فقرة ١٤

(٣٠٧٦) اخبار الصين والهند ، فقرة ٧٢ (وحاشية ٦ التي تميز بين هذه الحالة واعتناق الاسلام السابق) . طبعاً يلاحظ ان لفظ « الهند » لا يشمل ولاية السند المسلمة (وادي الهندوس) . حول الموقف الصيني ، انظر ما تقدم ، حاشية ٧١٠

(٣٠٧٧) الاسواني ، ٢٥٣ ، المسعودي (م) فقرة ٨٨٥ – ٨٨٦

(٣٠٧٨) انظر ما تقدم ، ١/٢٢٤ – ٢٢٧

(٣٠٧٩) انظر ما تقدم ، ١/٢٥٥

(٣٠٨٠) المسعودي (م) ، فقرة ٢١٥

(٣٠٨١) هذا معنى الكلمة على الاقل في الفصحى . اما اليوم ، فيعني فقط المستوطنة بالمعنى الذي حددناه في البداية

(٣٠٨٢) هذا الاستثناء شكلي : لأن التجار ومسالكهم ، يدعمون في الغالب تغلغل قيم الاسلام في مجتمع الاستقبال ، احتمالا .

(٣٠٨٣) اخبار الصين والهند ، فقرة ١٢

(٣٠٨٤) عجائب الهند ، ٢٧٩ – ٢٨٠

(٣٠٨٥) في الحد الاقصى ، انظر مسعر (آ) ، ١٥ – ١٦ : تقيم في نواحي تبت جماعا يمنية وثنية يتكلمون لغة عربية قديمة .

* * *

حـواشي

الفصل الحادي عشر

(٣٠٨٦) انظر ما تقدم ، ١/٣٠-٣١

(٣٠٨٧) الجاحظ (ا) ، ١٨١

(٣٠٨٨) ما تقدم ، ١/٦٨

(٣٠٨٩) قدامة ، ٢٣٤ ، مثال اخر ، المرجع ذاته ، ٢٤٩

(٣٠٩٠) قدامة ، ٢٥٩

(٣٠٩١) قدامة ، ٢٥٢ ، ذكر فيما تقدم ، حاشية ٢٧٩٢ ، و حاشية ٢٨٢٩

(٣٠٩٢) هذا هو الشرح الذي اختاره قدامه ، من بين شرحين ، وضعها الفقهاء للآيات ١ - ٤ من السورة ٣٠ المسماة سورة الروم : انظر ر . بلاشير ، قرآن ، ج ٢ ، ص ٤١٨ - ٤٢٠ ، وما تقدم ٢/٢٤٢

(٣٠٩٣) قدامة ، ٢٣٤ : قصبة مملكة الاسلام بلد العراق . ويدل لفظ قصبة بدقة تامة هنا على النقطة الوسطى التي تتوزع حولها الجهات الاربع الاصلية على الخريطة وفي وصفها .

(٣٠٩٤) الاصطخري ، ١٥ ، ابن حوقل ، ٥

(٣٠٩٥) الاصطخري ، ١٥ - ١٩ ، مع تعابير مملكة فارس ومملكة ابرانشهر . وردت هذه الاخيرة في جملة لابد ان يجري لها تحليل يشابه تحليلنا عن قدامه . كرره ابن حوقل ، ٩ - ١١ . قارن أيضاً بالمسعودي (م) فقرة ١٣٦٦ - ١٣٦٧ ، الذي يستعمل في جدول ممالك العالم الكبرى لفظ « عمل » العام : دائرة خاضعة لسلطة .

(٣٠٩٦) ما تقدم ، ١/١١٣

(٣٠٩٧) لا شك انه يتقبل تحفظ المستوطنات الاسلامية في الخارج . ومن هنا بعض

الاستطرادات في افريقية السوداء (خاصة رقيقها) وفي الروم وآسية الوسطى أو الهند (لكن ليس عملياً في الشرق الاقصى) . الا ان هذه النواحي قليلة ، والتساهل بها محدود ، يرفض في الغالب اصلا : انظر ، ص ١٥٢ آخرها : « وقد اعرضنا عن ذكر طرسوس واعمالها لأنها بيد الروم » .

(٣٠٩٨) المقدسي ، ٥٨ — ٦٢

(٣٠٩٩) المقدسي ، ٦٢ — ٦٦

(٣١٠٠) لا يكلف المقدسي نفسه عناء اعادة وضع دار الاسلام في عرض مجمل الاقاليم الارضية ، التي يسبق وصفها .

(٣١٠١) المقدسي ، ٦٥

(٣١٠٢) امثله اخرى عن المملكة بالمعنى المطلق : المقدسي ، ١١، ١٩ . الاحظ طريقة اخرى لصياغة هذه الطرافة الاسلامية ، المرجع ذاته ، ١ ، الذي يتحدث عن الاقاليم الاسلامية ، ويقصد بوضوح ان يعارض ، بمعنى الولاية الاسلامية الجلية تماماً ، في مصنفه ، بين لفظ اقليم بمدلوله اليوناني القديم ،وبين لفظ « اقليم » في وصف الارض التامة، المستعمل في المرجع ذاته ، ٥٨ — ٦٢

(٣١٠٣) انظر ما تقدم ،١/١١٤–١١٦ .لاحظ في هذا الحديث ان تسمية عراق (عجمي وعربي ، شائعة بين هذين البلدين : لذلك استطاع ابن عبد ربه ان يكتب (العقد ، ج ٦ ، ٢٤٨) ان اصفهان « سرة العراق » .

(٣١٠٤) ابن خرداذبه ، ترجمة ، ٣ — ٤ ، قدامة ، ٢٣٤ ، ابن رسته ، ١٠٤ ، اصطخري ، ١٥ ، ابن حوقل ، ٩ ، ٢٣٤ ، المقدسي ، ٣٢ — ٣٣ ، ٦٦ (حيث يبرز التساهل بهذا النوع من الاطراء) ، ١١٣ ، المقدسي ، ج ٤ ، ٧٧ و ٩٢ — ٩٣ ، الهمداني ، ١ و ٦ ، الخ انظر ايضاً ، جغرافية ، ج ١ ، ١/١١٨ — ١٢٢

(٣١٠٥) الثعالبي ، ١٠٢

(٣١٠٦) الاصطخري ، ١٩ ، كرره ابن حوقل ، ١٧

(٣١٠٧) ابن الفقيه ، ٣

(٣١٠٨) المسعودي (م) ، فقرة ٧٧٣ وما يليها (خصوصاً ٧٧٧) ، (ت) ، ٣٣ — ٣٦ ، ٥٥ وما يليها ، ابن حوقل ، ١٣٥ ، المقدسي ، ٣٦ ، ١٩٣ . تنهيج تمجيد مصر عند وصيف شاه ١٦١٤ وما يليها .

(٣١٠٩) لا نتحدث هنا عن البحار الا باعتبارها حدوداً . سنعود إلى موضوع البحر فيما بعد ، في وصف دار الاسلام في مجلد آخر .

(٣١١٠) كان بحر بنطس في هذا العصر خارج دار الاسلام .

(٣١١١) في افضل الاحتمالات ، تتوقف السفن الصينية في سيراف : اخبار الصين والهند ، فقرة ١٣

(٣١١٢) المقدسي ، ١٥ – ١٦

(٣١١٣) الهمداني ، ١٢٧ ، المقدسي ، ١١ – ١٢

(٣١١٤) الجاحظ (١) ، ٢٠٢ ، المقدسي ، ١٤

(٣١١٥) يجعلونه يتصل احياناً ببحر الخزر : المسعودي (ت) ، ٩٦ ، (م) ، ٢٢٣ ، فيبالغون باتساعه ، شهر ملاحة ، يغالي المسعودي في المبالغة أيضاً في (ت) ، ذكر من قبل . للاصطخري أيضاً رأي مماثل ، ١٧٠ ، يناقشه ابن حوقل ، ١٣ ، ٤٨١ . قدامة ، م ٦٢ ، يبدو انه يخلط بينه وبين بحر الخزر .

(٣١١٦) انظر مثلا ابن حوقل ، ٤٥١ (حيث ورد ان « بحيرة خوارزم » تسمى أيضاً بحيرة جيحون » ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ و ٤٨١

(٣١١٧) الاصطخري ، ١٦٣ ، ابن حوقل ، ٤٦٧ وما تقدم ، الفصل الخامس

(٣١١٨) يطلق هذا الاسم ، تجوزا أو التباساً ، احياناً على بحر بنطس ، الذي لم يكن داخلا في دار الاسلام في تلك الفترة : انظر خاصة ابن خرداذبه ، ١٠٣ – ١٠٤ ، وما تقدم حاشية ٢٢٢٢ حاشية ٢٣٣٥

(٣١١٩) ابن خرداذبه ، ١٢٤ ، ١٥٤ ، ابن الفقيه ، ٧ ، ابن رسته ، ٨٣ ، المسعودي (م) ، ٢٨١

(٣١٢٠) يميز ابن حوقل ، ٣٧٦ ، ويعزل « ما يلي الاسلام من بحر الخزر » (ترجمة ٣٦٦) . حول هذه البلدان ذاتها ، وسكانها المحاربين ، غير العرب وأحياناً غير المسلمين الا قلة منهم ، انظر الاصطخرى ، ١٢١ (يؤيده ابن حوقل أيضاً ، ٣٧٧) . يسمى المسعودي (م) ، فقرة ٢٨١ ، بحر الخزر « بحر الاعاجم » .

(٣٢٢١) المسعودي (م) ، فقرة ٤٤٢ وما يليها ، ابن حوقل ، ٣٨٦ وما يليها ، وما تقدم ، الفصل السادس في بحث جبل القبق .

(٣١٢٢) الاصطخري ، ١٢٨ ، ابن حوقل ، ٣٨٨

(٣١٢٣) الابعاد الوسطية الحقيقية : ١٢٠٠ × ٣٠٠ كم . ابن خرداذبه ، ١٥٤ : ٥٠٠ فرسخ القطر (= حوالي ٣٠٠٠ كم) ، ابن رسته ، ٨٦ : ١٨٠٠ × ٦٠٠ ميل (= حوالي ٣٥٠٠ × ١٢٠٠ كم) ، ابن الفقيه ، ٨ : ١٠٠ فرسخ القطر (= حوالي ٦٠٠ كم) ، المرجع ذاته ، ٢٨٩ — ٢٩٠ : ٣٠٠ × ٣٠٠ فرسخ (= حوالي ١٨٠٠ × ١٨٠٠ كم) ، المسعودي (م) ، فقرة ٢٨١ ، (ت) ، ٩٠ : ٨٠٠ × ٦٠٠ ميل (= حوالي ١٥٠٠ × ١٢٠٠ كم) .

(٢١٢٤) المسعودي (م) فقرة ٩٦ ، ٤٦٣ ، الاصطخري ، ١٢٥ (ابن حوقل ، ٣٨٢ — ٣٨٣) ، ١٢٨ (ابن حوقل ، ٣٨٨) ، ابن حوقل ، ٣٤٧

(٣١٢٥) المسعودي (م) ، فقرة ٢٩٥ — ٢٩٦ ، ٤٦٢ ، الاصطخري ، ١٢٨ (ابن حوقل ، ٣٨٨)

(٣١٢٦) المسعودي (م) ، فقرة ٤٥٥ وما يليها ، الاصطخري ، ١٣٠ (ابن حوقل ، ٣٩٣) ، ابن حوقل ، ٣٨٩

(٣١٢٧) ما عدا الغارات أو الاماكن الحصينة مثل جبل القلال . وصف جيد لبحر الروم عند ابن حوقل ، ١٩٠ — ٢٠٥

(٣١٢٨) هذا صحيح إلى حد دفع ، على الاقل على مستوى الرسم الكرتوغرافي ، إلى جمع المغرب ومملكة الروم : ابن حوقل ، ٦٠ . انظر أيضاً ما سيقال فيما بعد في الحديث عن الحدود والثغور .

(٣١٢٩) المقدسي ، ١٥

(٣١٣٠) المقدسي ، ذكر من قبل .

(٣١٣١) انظر ما تقدم ، حاشية ٦٦

(٣١٣٢) فيما عدا بعض المفاهيم ، النظرية كلياً ، الموروثة عن بطلميوس (مثلا عند المسعودي (ت) ، ٤١ ، ٤٣ ، ١٠٠ وما يليها ، ٢٤٧) ، يعثر عند ابراهيم بن يعقوب (ا) على بعض التدوينات النادرة ، ٣٦٩ ، ٣٨٨ — ٣٩٠ ، او في ذكريات الغارات النورمانية : المسعودي (م) ، فقرة ٤٠٤ . انظر أيضاً ما تقدم ، ١/ ٥٦

(٣١٣٣) الارض الوحيدة المقدر وجودها (أو ربما المكتشفة) فيما بعد الاندلس ، هي ارخبيل الكناري (جزر السعادة) : المسعودي (م) ، فقرة ٢٧٤ ، والجريطي : ما تقدم ، ١/٥٣ - ٥٦

(٣١٣٤) في مضيق جبل طارق (مجاز هيرقليس) ، مقابل قادس أو في جزر السعادة : المسعودي (م) ، فقرة ٢٧٣ ، (ت) ، ١٠١ ، وصيف شاه ، ٣٢ (قارن بشاتوبريان ، ذكريات من وراء القبر ، طبعة ب . مورو ، باريس ، ج ١ ، ١٩٤٧ ، ص ٢٦٦) . حظر التجاوز ، الواضح في هذا الموضوع ، يعثر عليه مجدداً على البر : انظر ما يلي ، « الحدود والاسطورة »

(٣١٣٥) ابن الفقيه ، ٧٧ ، المسعودي (م) ، فقرة ٢٧٢ و ٤٠٨

(٣١٣٦) طبعاً ، ما عدا ما يتعلق بالمصنفات التي تدرج الجغرافية في منظورات تتجاوزها : ادارية أو موسوعية الخ . انظر مثلا الابحاث الفقهية عند قدامه في الباب السابع من كتاب الخراج . لكن ثبت ان مدرسة البلخي ، مدرسة اطلس دار الاسلام ، لا تأبه لهذه المفاهيم : الاستثناء الوحيد (المشكوك فيه اصلا) عند المقدسي ، ترجمة ، ١٥٢ ، حاشية ٤ ؛

(٣١٣٧) المقارنة بابن حوقل موضحة : انظر جغرافية ، ج ١ ، ٢/٥٦ – ٦٢ ، ٢/٨٠

(٣١٣٨) المقدسي ، ١٥٢ و ١٥٤

(٣١٣٩) المقدسي ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٦٠ – ٣٦١

(٣١٤٠) المقدسي ، ١٥ ، ٦٠ ، ١٥١ ، و ١٨٩ : ذكر الكلمة بلا شرح .

(٣١٤١) المقدسي ، ١٥١ ، ١٦٠ ، ٢٤٢

(٣١٤٢) المقدسي ، ٢٧٤ – ٢٨٦ ، واماكن متفرقة . كلمة ثغر اندر (ص ٢٧٤ : ٣ مرات) ، لكنها ترتدي هنا كل القوة التي يحبوها اياها النص

(٣١٤٣) المقدسي ، ٢٣٢

(٣١٤٤) المقدسي، ٢٣١ ، حيث وضع لفظ ثغر في اطار لا يترك شكاً حول تأويله

(٣١٤٥) المقدسي ، ٢٨٦ . مقارنة مزدوجة ، على مستوى الاخلاق والثروة التجارية (وصفت خوارزم بانها مطرح)

(٣١٤٦) مسعر (ا) ، ٢٦ – ٢٧ ، ابن حوقل ، ٣١٦ ، ٣٢١ – ٣٢٣ (الاصطخري ، ١٠٢ – ١٠٤) ، المقدسي ، ٤٧٤ ، ٤٧٩ – ٤٨٠ ، ٤٨٣ – ٤٨٥ . المسعودي (م) ، فقرة ٤١٧ و ٤٢٠ وابن رسته ، ١٣٥ – ١٣٦ ، يلحان الحاحاً كبيراً على المحاولات الهندية ، لكن بلهجة متفائلة فيما يختص بقدرة دار الاسلام على المقاومة .

(٣١٤٧) اليعقوبي ، ٣٥٩ – ٣٦٠ ، ابن حوقل ، ٨١ – ٨٢ ، ٩١ – ٩٣ ، ١٠٢ – ١٠٣ ، ٤٤٤ اخرها ، المقدسي ، ٢٤١ – ٢٤٢

(٣١٤٨) اليعقوبي ، ٣٤٣ — ٣٤٦ ، المسعودي (م)،فقرة ٨٩٤ ، ابن حوقل ، ٦١ ، ١٥٣ — ١٥٦ ، المقدسي ، ٢٠١

(٣١٤٩) ما تقدم ، الفصل الرابع ، الذي نحيل إليه اجمالا في كل ما يتعلق بهذه الفقرة

(٣١٥٠) فتذكر ان النوبة حالة شهيرة لدار الصلح ، هذه الفئة من البلدان الهامشية غير المفتوحة ، لكن المرتبطة بدار الاسلام بمعاهدة صلح (انظر قدامه ، ٢٦٥) و د . ب . مكدونلد — ا . ابل ، في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج ٢ ، ص ١٣٤ — ١٣٥) .

(٣١٥١) عرض منهجي عن الثغور عند قدامه ، ٢٥٢ وما يليها .

(٣١٥٢) المقدسي ، ج ٤ ، ٨٦ — ٨٧ ، مسعر (ب) ، ٣٠ ، المقدسي ، ٤٨٨ — ٤٩٣ ، ابن عبد ربه ، العقد ج ٦ ، ٢٥٤ . انظر أيضاً ابن حوقل ، ٨١ — ٨٢ (قبائل سواحل المغرب جنوب صالح : قارن بـ ٩١ اخرها ٩٣ و ٤٤ آخرها) .

(٣١٥٣) لفظ ثغر اقل استعمالا في الحديث عنها (مع ذلك انظر قدامه ، ٢٦٥) من لفظ رباط الذي يتكرر باستمرار على هذه السواحل وفي النقاط الساخنة الاخرى من الحدود

(٣١٥٤) ذكر من قبل

(٣١٥٥) اليعقوبي ، ٣٣٨ — ٣٣٩ ، ٣٥٠ ، ابن رسته ، ١١٩ ، قدامه ، ٢٢٥ ، المسعودي (م) فقرة ٨٢٨ ، اسحق ، ٤٤٦ ، ابن حوقل ، ١١٨ ، ١٧٩ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، المقدسي ، ١٥ ، ١٨٤ ، ٢٣٢

(٣١٥٦) انظر ما تقدم ، ٢/٢٤٥ — ٢٤٨

(٣١٥٧) اليعقوبي ، ٣٥٤ ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٠٤ الرازي ، ٩٧ ، ٩٩ ، ابن حوقل ، ١١٣ . حالة مماثلة على سواحل المغرب : آثار عند اليعقوبي ، ٣٦٠

(٣١٥٨) ابن خرداذبه ، ٩٠ ، اليعقوبي ، ٣٥٤ اخرها — ٣٥٥ ، ابن الفقيه ، ٨٢ ، المسعودي (م) ، فقرة ٤٠٣ ، الرازي ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٢ ، الاصطخري ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٥١ ، ابن حوقل ، ٦٢ ، ١٠٩ — ١١١ ، ١١٤ — ١١٥ ، ١٩٠ ، ٢٠٤ ، المقدسي ، ٢٢٢ — ٢٢٤ . انظر ا . ليفي بروفنسال في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج ١ ، ص ٥٠٤ — ٥٠٥ ، وما تقدم ، الفصل السابع ، اماكن متفرقة .

(٣١٥٩) انظر التحاليل الواردة في الفصل الخامس . حول ثغور بلد الترك ورباطاتهم ، انظر ابن خرداذبه ، ٣١ اخرها ، ٣٤ ، ٣٧ آخرها ، ١٧٣ ، ١٧٨ ، اليعقوبي ،

٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ابن الفقيه ، ٣٠٤ ، ٣١٦ ، ٣٢٥ ، ابن رسته ، ١٥٠ (ترجمة وايت ، ص ١٧٣ ، لا يميز فيها يبدو جيداً جداً بين « جدار » جرحان في الزاوية الجنوبية الشرقية من بحر الخزر ، والجدار الاشهر الواقع في الجهة الاخرى ، في باب الابواب) ، قدامه ، ٢٠٧ – ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢٤٣ ، ٢٦١ – ٢٦٣ ، الاصطخري ، ١٨٦ (ح ١) ، ١٨٧ ، ١٩٢ ، ابن حوقل ، ٣٨٣ ، ٤٤٥ (مع معلومات عن الحياة في احد "الرباطات) ، ٤٦٧ – ٤٦٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ اخرها ، ٥٠٤ – ٥٠٥ ، ٥٠٧ ، ٥٠٩ ، ٥١١ – ٥١٤ ، ٥٢٥ ، المقدسي ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ – ٢٧٥ ، ٢٨٢ – ٢٨٣ ، ٢٨٥ – ٢٨٦ ، ٢٩٤ ، حدود العالم ، ١٠٠ آخرها ، وعامة ، برتولد ، تركستان ، اماكن متفرقة .

(٣١٦٠) دليل عند ابن حوقل ، ٤٥٤ آخرها

(٣١٦١) قدامه ، ٢٦٢ و ا . ج . ونسنك ، كتاب في التقليد المحمدي القديم ، ليدن ، ١٩٦٠ ، ص ٢٣٢ (الترك والحبش)

(٣١٦٢) انظر ما تقدم ، ٢٦٩/٢ – ٢٧١

(٣١٦٣) نعرف انها تقعان على جانبي مضيق جبل طارق / انظر بسنيه ، ذكر من قبل ، ص ٣٦٢

(٣١٦٤) ابن خرداذبه ، ١١٦ ، سيرابيون ، ١٥٢ ، ابن رسته ، ٧٨ ، ابن الفقيه ، ٧١ – ٧٢ ، المقدسي ، ج ٤ ، ٨٨ ، ابراهيم (ا) ، ١٠٥٣م‌خرها – ١٠٥٤ ، يعين التمثال في بوردو

(٣١٦٥) يقول ابن خرداذبه : كان ، ذكر من قبل ، ابن الفقيه ، ٧١ ، يربط الموضوع بجولان ذي القرنين ، ويشير إلى وقوف صاحب الصور في اليوم الآخر .

(٣١٦٦) تردد في مخطوطة ابن خرداذبه ، ذكر من قبل ، : نمل أو نحل . لا شك ان الصورة الاولى افضل لاسباب سنذكرها

(٣١٦٧) المسعودي (م) ، فقرة ٢٧٣ . انظر أيضاً ا . هويسي ميرنده « جليقية في الموسوعة الاسلامية (٢) ج ٢ ، ص ٥٥٥

(٣١٦٨) انظر ما تقدم ، حاشية ٢٨٩٢ . صحيح ان وجود اللغة الحميرية يمكن ان يعتبر اشارة خفية ضمنية إلى الانساب التي كان يدعيها عرب الاندلس بطيبة خاطر . وفي طرف العالم الآخر ، نتذكر ان جزيرة العرب الجنوبية موجودة بواسطة المدينة الخرافية

جابلقه (ما تقدم ، ٢/ ٢٨٧) ، التي يقطنها من بقي من امة عاد ، المشهور عنهم عرفا بأن أصلهم من الجزيرة العربية الجنوبية : انظر ف . بهل في الموسوعة الاسلامية (٢) ، ج ١ ، ص ١٧٤ . بشأن النحاس ، نحيل إلى ما قبل في الفصل التاسع .

(٣١٦٩) القرآن ، ٢٧ ، ١٨

(٣١٧٠) انظر الجاحظ (ح) ، الفهرس ، لفظ « نمل »

(٣١٧١) انظر الادريسي ، ابن سعيد والدمشقي ، المذكورين عند فران ، رحلات ونصوص . . . ، ص ١٩٤ ، ٣٤٦ – ٣٤٧ ، ٣٧١ (تماثيل واقعة اعلى حدود سيلا) .

(٣١٧٢) مع العلم ان هذا التلاشي يراعي أيضاً ، وراء الحدود ، التحول المفاجيء : القفزة إلى الارض الغريبة (انظر ما تقدم ، ١١٩/١ .

الفهارس

١ ــ فهرس الجبال والصحارى والبوادي ونحوها

٢ – فهرس المياه والجزر ونحوها

٣ — فهرس الحيوان

٤ — فهرس النبات

٥ – فهرس اعلام الرجال والنساء

٦ — فهرس اعلام الأمم والقبائل والسلالات ونحوها

٧ – فهرس القارات والبلدان والمدن والقرى ونحوها

٨ — فهرس البروج والكواكب السيارة والنجوم والمجرات

٩ — فهرس الكتب الواردة في النص

١٠ - فهرس الأشكال

الفهرس التحليلي لقسمي الجزء الثاني

أولا ــ الجغرافية التنجيمية والفلكية

ثانيا – الجغرافية الحيوية

آ – الحيوان

الابل والنوق:

الأسد :

الثعلب وفراؤه :

الثور :

الحجر في آسية الوسطى :

حمار الزرد أو حمار الوحش :

الحيات :

الحيوانات :

في آسية الغربية : اليمن السعيدة : ١ / ٧٩
في آسية العليا : كثرة الحيوانات : ١ / ٢٧
في بيزنطية :

– الابقار : ٢ / ح ٢٧٣١
– الخيول : ٢ / ٢٣٥ – ٢٣٦
– البزاة : ٢ / ١٨٧ ، ٢ / ٢٣٧
– البغال : ٢ / ٢٠٨ ، ٢ / ٢١٧ ، ٢/٢٣٧
– الاغنام : ٢ / ح ٢٧٣١

في اوربة الشرقية :

– عند بلغار اتل : ٢ / ٢٥ – ٢٦ ، ٢ / ٢٨ ، ٢ / ٣٢ ، ٢ / ٣٤
– في جبل القبق : ٢ / ١٩ ، القبق الغربي : ٢ / ١٥ ، ٢ / ١٧ ، القبق الشرقي : ٢ / ح ١٤٩٥ ، ٢ / ح ١٥٠٥
– في بلدان الصقالبة : ٢ / ٧٤ ، ٢ / ٧٧ ، ٢ / ٧٩

في اوربة الغربية : في مالطة : ٢ / ح ٢١٨٧
في الشرق الاقصى : ١ / ١٣٥ ، ١ / ح ٥٣٦ ، ١ / ١٥٦

الختو أو الكركدن الشمالي أو الماموث : ١٨/١

في افريقية السوداء : ١ / ٢٣٧ ، ١ / ٢٤٠ – ١٤٢
في آسية الوسطى : تصدير قرن الختو الى دار الاسلام : ١ / ٢٨٩
في اوربة الشرقية : في بلد البلغار : ٢ / ٣٥
في الشرق الاقصى : ١ / ١٤٣

– قرن الكركدن : ١ / ١٤٤ ، تجارته : ١/١٥٤ ، فائدته : ١ / ١٤٣ ، ١ / ١٧٠
– لحم الكركدن : ١ / ح ٤٥٦ ، ١ / ح ٦٧٢

انظر اللوحة الثانية في آخر الكتاب

الخريس :

انظر ديك الخلنج

رباعيات القوائم الأهلية أو الممكن تأهيلها :

رباعيات القوائم الوحشية :

ب – المواد والمفرزات الحيوانية

ادهان أو زيوت حيوانية :

في بلد البلغار : ٢ / ٣٢

في الشرق الاقصى : دهن سقنقور : ١ / ١٤٣

اسنان فرس النهر :

١ / ٢٤٣

اعفاج فرس النهر :

١ / ٢٤٣

بول الزبرق :

١ / ١٤٦

بيض النعام :

١ / ٢٤٠

الجلد :

انظر « الجغرافية البشرية » ، الحياة الاقتصادية ، الحرفية . . . الجلد

جلود الحيوانات :

في افريقية السوداء :

– جلد دابة البحر : ١ / ١٠٥٨

– جلود بقرية ملمعة : ١ / ١٠٦٢

– جلود النمور : ١ / ١٣٤ ، ١ / ٢٤٢ ، ١ ، ١ : /ح ١٠٦٢

الذبل والصدف :

ريش الطاووس :

سلح الحمام :

شمع النحل :

الصوف :

في الامبراطورية البيزنطية : تصدير الصوف : ٢ / ٥٤ ، واقمشة الصوف الى دار الاسلام : ٢ /ح ١٧٣٨

في اوربة الشرقية :

– في جبل القبق الشرقي ، اقمشة صوف ليزان : ٢ /ح ١٥٥٠

– استيراد بلد الكجغرية لبسط الصوف : ٢ /ح ١٧٣٨

في اوربة الغربية : صوف قطعان الغنم في اوترخت : ٢ / ١٢٥

العاج :

في افريقية السوداء : ١ / ١٤٦ ، ١ / ١٨٩

– في قنبلو : ١ / ٢٣٤

– تجارة العاج : ١ / ١٨٣ ، ١ /ح ١١٠٧ ، ١ / ٢٦١

– تصديره الى الصين : ١ / ١٥٤ ، ١ /ح ٦٣٤

في بيزنطية : مائدة من عاج : ٢ / ١٩٥

في الشرق الاقصى : ١ / ١٤٦

– في الصين والهند : ١ / ١٣٥

– استيراده : ١ / ١٥٤ ، ١ /ح ٦٣٤

– استعماله في الصين : مناطق : ١ /ح ٦٣٤ اعمدة العاج : ١ / ١٧٠

في واق واق : استيراد العاج : ٢ / ٢٩٤

العسل :

انظر « الجغرافية البشرية » ، الحياة اليومية ، الغراء

العنبر (الحيواني)

انظر مايلي ، المواد النباتية

غراء السمك :

١ / ٣٠٩

الفراء :

القرون :

ـ قرن الماموث : ١ / ٢٨٩

ـ تصدير القرون الى دار الاسلام : ١ / ٢٨٩ ، ١ / ٣٠٩

في الشرق الاقصى :

ـ قرن الكركدن في الهند : ١ / ١٤٣

ـ قرن الكركدن في الصين : مناطق من القرن : ١ / ١٧٠ ، استيراد القرون : ١ / ١٥٤

في واق واق (زعماء يلبسون اطواقا من قرن الكركدن) : ٢ /ح ٣٠٣٤

اللآلىء :

في بيزنطية :

ـ الدر والياقوت على تاج يوستنيانس : ٢ / ١٩٦

ـ سروج النجب المرصعة بالدر والياقوت : ٢ / ٢٥٣

ـ مسند الامبراطور مرصع بالدر والياقوت : ٢ / ١٩٢

ـ ثياب الغلمان مرصعة باللؤلؤ : ٢ / ٢٠٦

ـ مائدتان مرصعتان بالدر والياقوت : ٢ /ح ٢٥٦٠

في اوربة الغربية : الكؤوس مرصعة بالجوهر ، والمراوح بالدر والياقوت ، والطيالسة بالدر في كنائس رومية : ٢ / ١٤٢

في الشرق الاقصى :

ـ في سيلان : ١ / ١٣٩

ـ في الصين : ١ / ١٥٧ ، ١ / ١٧٠ ، ١ / ١٧٢ ، ترصيع سرير الامبراطور بالجوهر والدر : ١ / ١٥٩

اللبن :

انظر « الجغرافية البشرية » ، الحياة اليومية ، الغذاء

اللحم :

انظر « الجغرافية البشرية » ، الحياة اليومية ، الغذاء ، لحم الرخ : ١ / ١٤١

المسك :

في آسية الوسطى : تصديره الى دار الاسلام : ١ / ٣٠٩

في الشرق الاقصى : ١ / ١٤٤ ، ١ / ح ٤٧٦ ، المسك المستورد من التبت الى السند : ١ / ح ٥٢٩

المفرزات :

مفرزات ظبي المسك : ١ / ١٤٤

مفرزات جباه الفيلة : كالمسك : ١ / ١٤٦

مفرزات الغزجاف : ١ / ١٤٤

ملح النشادر :

تجارته في آسية الوسطى ، تصديره الى دار الاسلام : ١ / ٣٠٩

* * *

ج ــ النبات

الابنوس :

الاترج :

الإجاص :

الأرز :

الارطاسية :

الأزهار :

الأشجار :

الثمار :

الصبر والعود :

في افريقية :

- في جزيرة سقطرة : ١ / ٢٣٣ ، ١/٢٤٨ ، ١ / ٢٦١
- تجارته : ١ / ٢٦١

في الامبراطورية البيزنطية :

- تبخير العود في المجامر : ٢ / ٢٠٦
- تغطيه اصحاب الكهف بالصبر : ٢ / ٢٣٤

في الشرق الاقصى : العود : ١٣٥ ، ١ / ١٤٩

الصمغ :

١ / ح ١٠٩٥ ، ٢ / ح ١١٩٨

الصندل (خشب) :

١ / ١٣٥ ، ١ / ١٤٩ ، استيراد دار الاسلام له ١ / ح ٥٣٥

الصنوبريات الافريقية :

١ / ح ١٠٨٨

طاغ ، طاغة :

في آسية الوسطى : ١ / ٢٨٨ ، ١ / ح ١٣٣٠

العرعر :

١ / ح ١٠٩٠

العقاقير :

انظر مايلي ، « الجغرافية البشرية » ، الحياة اليومية ، ديمغرافية

العلس (الخندروس) :

١ / ٢٨٨

العنب ، الاعناب ، والزبيب :

في افريقية السوداء : ١ / ١٤٨ ، الزبيب المستورد من المغرب : ١ /ح ١١١١

في اسية الوسطى : في غذاء الخرلخ : ١ / ٢٧٠

في الامبراطورية البيزنطية : العنب في تركيب النبيذ : ٢ /ح ٢٤٧٦

في اوربة الشرقية : نبيذ شبيه بشراب العنب : ٢ /ح ١٩٦٣

في الشرق الاقصى : عنب الصين : ١ / ١٥١

انظر الكرمة

العنبر :

١ / ٢٤٨ ، ٢ / ١٢٤ ، الاسمر : ٢ / ١٩٤

العنبية :

في بلد البلغار : ٢ / ٣٤

العود :

١ / ١٤٩

الغبيراء (ثمر) :

(ثمر) : في الصين : ١ / ١٥١

غلنقة :

تابل في بلد الفرنج مستورد من الشرق الاقصى : ٢ / ١٤٦

الغياض :

١ / ٢٤٨ ، ١ / ١٤٣ ، في افريقية : ١ / ٢٣٧

في بلد الشراكسة : ٢ / ١٦
في آسيه الوسطى : ثياب الكتان عند الترك : ١ / ٢٩٦ ، والغز : ١ / ٢٨٥
في الامبراطورية البيزنطية : تصدير ثياب الكتان الى دار الاسلام : ٢ /ح ٢٧٢٣
في اوربة الشرقية : تجارة الكتان في جبل القبق الشرقي : ٢ / ١٢ ، قراطق الكتان عند الصقالبة : ٢ / ٧٧
في اوربة الغربية : غنى قبرس بالكتان : ٢ / ١٥٩ ، ثياب الكتان في نابل : ٢ / ١٣٣

الكرسنة

في افريقية : ١ /ح ١٠٩٨

الكرمة :

في افريقية : ١ /ح ١٠٨٨ ، ١ /ح ١١٠١ : البجة ١ /ح ١١٢٧ ، النوبة : ١ / ٢١٥ ، ١ / ٢١٩ ، ١ / ٢٢٠
في اوربة الشرقية : من سمندر الى جبل القبق الشرقي : ٢ / ١٣ ، ٢ / ٤٢
في اوربة الغربية : في مايانس : ٢ / ١٢٦ ، قلة الكرمة في روان : ٢ / ١٢٥
انظر الاعناب

الكمثرى :

في الصين : ١ / ١٥١ ، في غذاء الصقالبة : ٢ / ٧٧ ، ٢ /ح ١٤٨٤

اللوبياء :

في افريقية : ١ / ٢٤٨

في امريكة : ١ / ١٥١

اللوز :

في الصين : ١ / ١٥١

الموز :

في افريقية : ١ / ٢٤٨



ب — المواد النباتية

الأخشاب :

– خشب بناء وحرق في بروفانس : ٢ : ١٤٨

في الشرق الأقصى :

- العود الصنفي : ١ / ح ٥٢٩

– خشب البناء : ١ / ٤٩ ، ١/١٥١ ، و ح ٦٢٠

– العود : ١ / ١٣٥ ، ١٤٩ ، ١٥٧

– العود : ١ / ١٣٥ ، ١/١٤٩ ، ١/١٥٧

– الراتنجات الطبية : ١ / ١٣٥

– الراتنجات الصبغية : ١ / ١٣٥

– خشب الجزر الاسطورية : ٢ / ٢٦٣ – ٢٦٤

تجارة الخشب : ١ /ح ٥٣٠ ، ١/١٥٦،١/١٥٧،بيوت خشب :١ / ١٢٢ ، ١/١٥٧ ،

مراكب خشب : ١ / ١٤٠ ، ١/١٥١ ، وح ٦١٢ ، الركب الخشب لاعضاء بعثة استكشاف سد ياجوج وماجوج : ٢ / ٢٧٨

الافاوية : ٩/١

في العربية السعيدة : ١ / ٧٩

في بيزنطية : تطييب النبيذ والعسل الابيض في الاعياد : ٢ / ١٩١

في اوربة الغربية : استيراد الفرنج : ٢ / ١٢٦

في الشرق الاقصى : تصدير الافاوية الى دار الاسلام : ١ / ١٥٥ ، ١/١٥٦

في البلدان الاسطورية : بلد البخور : ٢ /ح ٣٠١٨

البخور :

طلب الصين البخور : ١ / ١٥٤

التوابل في افريقية :

١/٢٤٨

العنبر (حيواني ونباتي) :

في افريقية : ١ / ٢٤٨ ، في جزرها: جزيرة سقطرة : ١ / ٢٣٣ ،جزيرة قنبلو ١ / ٢٣٤ ،تجارة العنبر : ١ / ٢٦١

في جزيرة العرب : ١ / ٨٠

في آسية الغربية : ١ / ٨٠

في اوربة الغربية : جمع محصول العنبر : ٢ / ١٢٤

في الشرق الاقصى : ١ / ١٢٠،١/١٣٩ ، تجارة العنبر : ١ /ح ٥٣٠ ،١/١٥٧

استيراد العنبر الاسمر في واق واق : ٢ / ٢٩٤

صمغ غلقة :

١ / ح ١٠٩٥

النيلة :

١ / ١٤٩



ثالثا — الجغرافية الطبيعية

آ — العناصر ، المياه ، علم المحيطات ، التضاريس

الآبار :

آجام :

الارخبيل :

الارض (بر) :

الأرض (عنصر) :

الأنهار :

البحر :

البحيرات :

البراري :

الجزر :

جنادل النيل :

الخضرة :

الخلجان :

الخليج :

دلتا النيل :

الرمل ، الرمال :

الرؤوس :

الريف :

الغابات :

النار :

ب ــ المناخ والاقاليم

الاعتدال :

١ /ح ٢٦ ، ١ / ١٠١

الاقاليم :

الا قاليم السبعة : ١ / ٤٩ ، ١ / ١٠٠ ــ ١٠٤ ، ١ / ١٠٩ ــ ١١١ ، ٢ / ٢٣٧ ، ٢ /ح ٢٩٨٣

تصحيح التصنيف الى سبعة اقاليم : ١ /ح ٨٣٣

الا قليم الا ول : الحبشة : ١ / ٢٢٧ ، ٢ /ح ٢٩٨٣ ، وادي النيل : ١ / ٢٠٨

الا قليم الا ول والثاني : افريقية الشمالية : ١ / ١٩٠ ، ١ / ٢٣٦ ، الهند : ١ /ح١٠٤٠

الا قليم الرابع : ٢ /ح ٢٤٤٦ ، بابل : ١ / ١٠٩ ٢ / ٧٥ ــ ٧٦ ، العراق : ١ / ١٠٩ ، ٢ / ٣١٣

الا قليم الرابع والخامس : ٢ / ٢٣٨ ، رومة : ٢ / ١٣٩

الا قليم الرابع الى السابع : امبراطورية الروم : ٢ / ١٤٩ ، ٢ /ح ٢٩٨٣

الا قليم الخامس : الصقالبة : ٢ / ٦٤

الا قليم الخامس أو السادس : بيزنطية : ٢ / ١٨٧

الا قليم الخامس والسادس : الفرنج : ٢ / ١٢١ ، الخزر : ٢ / ٤١

الا قليم السادس : النساء الفارسات : ٢ / ٢٧٣ ، بلغار نهر دنبه : ٢ /ح ١٧٥٦

شمال الا قليم السادس : هيبيريا : ٢ / ١١١

الا قليم السادس والسابع : بلا د ياجوج وماجوج « (ستة اسباعه) : ٢ / ٢٨٧

الا قاليم الا خيرة افريقية السوداء : ١ / ٢٠٠ ، ١ / ٢٣٧

الا قليم السابع : بلغار نهر اتل : ٢ / ٢٤ ٩ ٢ /ح ١٦٣٤

دار الاسلام والاقاليم السبعة : ٢ / ٣١١ ، ٢ / ٣١٠٠

التبر :

١ / ٢٣٦

التجمد :

في اوربة الشرقية :

ــ في انهار بلد الخزر : ٢ / ٤١ ، ٢ / ٤٢

الخريف

المطر :

المناخ :

الموسميات :

جـ ـ المعادن واستعمالاتها

ارض المعادن :

الجوهرتان العتيقتان

حجارة البناء :

- دنانير ذهب : ٢ / ٢١٧ ، ٢ / ٢٦٤٩
- مكافأة الفائزين بسباق الخيل : رطل ذهب : ٢ / ١٩٥
- رواتب الرؤساء بارطال الذهب : ٢ / ٢١٦

في اوربة الشرقية :
- مناجم الذهب في بوهيمية : ٢ / ٩٥
- حلي الذهب عند الروس : ٢ / ٩٤ ، ٢ / ٩٥
- في بلد الصقالبة : تجارة المقايضة : الذهب مقابل الوشاحات الهلالية: ٢/٧٢، ذهب المعابد : ٢/٨٢ ، ٢ /٨٣ - ٨٥ .

في اوربة الغربية :
- في الاندلس : عرض الاكليروس الذهب على الملك : ٢ / ١١٣
- في بلد الفرنج : مفاوضة الجلاء عن الارض مقابل الذهب : ٢ / ١٢٣ ، اواني عبادة من ذهب في فلدة : ٢ / ١٢٦
- في جزائر السعادة : مناجم الذهب : ٢ / ٢٥٣
- في البلدان الاسطورية : الذهب في جزرها : ٢ / ٢٦٤ ، ٢ / ٢٦٦ ، ٢ / ٢٦٧
- في واق واق : ١ / ٢٣٢ ، ٢ / ٢٦٧ ، وفرته : ٢ / ٢٩٤ ، تجارته واوانيه الذهبية : ٢/٢٩٤
- ذهب كوكب زحل : ١ / ح ٨٠٩
- اصل الذهب : ١ / ٢٣٦
- احالة مقدسة الى الذهب في القرآن : ٢ / ح ٢٨٨٤

الرخام :

في بيزنطية : ٢ / ١٩١ ، ٢ / ١٩٢ ، ٢ / ١٩٣ ، ٢ / ١٩٥ ، ٢ / ١٩٦ ، نحت الرخام : ٢ / ٢٣٩

في رومة : ٢ / ١٣٩ ، ٢ / ١٤٠

الرصاص :

في افريقية : مناجم الرصاص : ١ / ٢٣٥

في الامبراطورية البيزنطية : لوح مكتوب في قبة من رصاص : ٢ / ٢٤١ ، قبة من رصاص في بيزنطية : ٢ / ١٩٢ ، ٢ / ٢١٨

في اوربة الشرقية : تصدير الروس للرصاص الى بيزنطية : ٢ / ٨٩

في اوربة الغربية : قبة من رصاص في رومة : ٢ / ١٤٤

في الشرق الاقصى : ١ / ١٤٠

النحاس :

النفط :

الياقوت :

رابعاً – الجغرافية البشرية

آ – الارض وشعوبها

١ – الكرتوغرافية

الابعاد :

(بالفراسخ عامة)
في افريقية : انظر المسافات
– في مصر : ١ / ١٩٠
– في بلد الزنج : ١/١٠٦ ، ١٩٠/٠ ، ١/١٩٨ – ٢٠٠ ، ١ / ٢٠٨ اتساعه الهائل : ١ / ٢٦٢ ، ٢ / ٢٣٧ ، بلد البجة : حدوده : ١ / ٢٢٢ ، جزيرة سقطرة : ١ / ٢٣٣ ، النوبة : حدودها : ١ / ٢٣٠ ، اتساع بلد زغاوة الهائل : ١ / ٢٠٣
في آسية الوسطى :
– بلد الكيماك بمسيرة ايام : ١ / ٢٧٥
– بلد التغزغز : ١ / ٢٦٩
– نطاق الاتراك : ١ / ١٠٩ ، ١ / ٢٩٣ ، انظر المساحات

في آسية الغربية :
– بلاد العرب : ١ / ١٠٩
– فارس : ١ / ١٠٨

في امبراطورية الروم : ١ / ١٠٨ ، ١ / ١٠٩ ، ١ /ح ٩٠٨ ، ٢ / ١٥٠ – ١٥١ ، ٢ / ١٥٨ – ١٥٩ ، ٢ / ٢٣٧ ، بيزنطية : ٢ / ١٨٧ ، قناتها بالاميال : ١ / ١٨٢ ، مضيقها بالاميال : ٢ / ١٨٦ ، برزخ لوكاني : ٢ / ١٨٤
في اوربة : ١ / ١٠٩
في اوربة الشرقية :

– بلد بلغار نهر دنبه : ٢ /ح ١٧٧٦
– مملكة البرجان : ٢ / ٥٨
– القبق : ١ / ١٠٩ ؛ الجبل : ٢ / ١٩ .
– القبق الاوسط ، قلعة الافر : ٢ / ١٥

– القبق الشرقي ، سور دربند : ٢ / ١٢
– ارياف الخزر حول اتل : ٢ / ٤٢
– جنوب روسية : ١ / ١٠٩
– بلد الصقالبة : ٢ / ٧٦ ز ، بمسيرة ايام : ٢ / ٦٤
– الانهار : دنبة بالفراسخ : ٢ / ٦٤ – ٦٥ ، تنيس بالاميال : ٢ / ٦٥
– بحر الخزر : ٢ /ح ٣١٢٣

في اوربة الغربية :
– قرشقة بالاميال : ٢ / ١٤٧
– بلدان الفرنج : لم يذكرها المسعودي : ١ /ح ٢٠٨٢
– ايرلندة بالأميال : ٢ / ١٠٩
– بلاطيس دار مملكة الانكبرديين : ٢ / ١٢٩
– الامبراطورية الرومانية : ٢ / ١٣٧ رومية : ١ / ١٣٩
– سردينية : ٢ / ١٤٧

في الشرق الاقصى :
– قمار بمسيرة اشهر : ١ / ١٢٥
– الصين : ١ / ١٠٩ ، ١ /ح ٩٠٨ ، ١ /ح ١٢١٣
– الهند : ١ / ١٠٩ ، ١ / ١٢٥، ١ /ح ٩٠٨، ١ /ح ١٢١٣ ، اتساع الزابج الهائل : ١ / ١٢٥

في بلدان دار الاسلام : ١ / ١٠٩ ، ١ /ح ٩٠٨ ، ١ /ح ١٢١٣

في البلدان الاسطورية :
– اتساع ياجوج وماجوج الهائل : ٢ / ٢٣٧ ، طول سد ذي القرنين الهائل : ٢ / ٢٧٧ – ٢٨٠
– نوليه : ٢ / ٢٥٣
– مدن جابلقا وجابرصا : ٢ / ٢٨٨

ثغور دار الاسلام :

في آسية الوسطى : دهستان : ١ / ٢٧٩ – ٢٨٠
في آسية الغربية : مع الشام والجزيرة : ٢ / ١٨٤ ، ٢ /ح ٣١٤٢
في جبل القبق : ٢ / ٩ ، تفليس : ٢ / ١٦ ، ٢ / ١٨ ، ٢ / ٣٢٦
في الشرق الاقصى : ٢ / ٣٢٣
انهيار الثغور : (١ / ٤٤) ، ١ / ٤٧

خريطة صورة الطائر

السرّة :

سرة العالم

الطول :

العالم :

٢ ــ امزجة الشعوب وطبائعها

ابناء :

الاثنيات :

الاغراب عن دار الاسلام :

الانسانية :

الأنف :

تفوق الاسلام :

الجنسية (الصفات) :

خصائص الشعوب :

السياسة :

شعوب آسية الغربية :

العرب :

شعوب آسية الوسطى

شعوب افريقية السوداء :

شعوب اوربة الغربية :

شعوب بحر الروم :

الشعوب والسكان :

شعوب وسكان اوربة الشرقية :

شعوب الشرق الاقصى

شعور :

طبائع الشعوب عند الهمداني حسب بطلميوس :

لون البشرة :

لون البشرة (على الاجمال) :

مزاج الشعوب :

المستوطنات :

ب — الحياة اليومية

١ — الديمغرافية

النبات الطبي :

نقل يهود بيزنطية الى بلد الخزر :

الهجرة :

الوباء :

الوفاة :

٢ – التغذية

الابازير :

الاشربة :

أكل لحوم البشر :

أكلة لحوم البشر :

الالبان :

التغذية :

التموين :

الزيت :

في بيزنطية في غذاء الجيش : ٢ / ٢٢٢

السمك :

في افريقية : ١ / ٢٤٣ ، ١ /ح ١١٠١ ، ١ / ٢٥٠ ، في الحبشة : ١ / ٨٦
في آسية الوسطى : ١ / ٢٩٠ ، ١ / ٢٩٦
في آسية الغربية : استهلاك كبير : ١ / ٨٦
في اوربة الشرقية : التغذية بدهن السمك عند بلغار اتل : ٢ / ٣٢ ، استهلاك الخزر دهن السمك : ٢ / ٤٢
في اوربة الغربية : الصومون في بلد الفرنج : ٢ / ١٢٥

الشاي :

استهلاكه في الشرق الاقصى : ١ / ١٥٠ — ١٥١

شراب العسل :

في اوربة الشرقية : عند بلغار اتل : نصيب الملك منه : ٢ ط /٣٠ ، شراب العسل في المآدب الملكية : ٢ / ٣٢
شراب الصقالبة : ٢ / ٧٧ ، ٢ / ٨٠
في الشرق الاقصى : استهلاك الصينيين شراب العسل : ١ /ح ٦٤٦

شراب النبيذ في المآتم :

عند الروس : ٢ / ٩٦ ، ٢ / ٩٨
عند الصقالبة في ذكرى الوفاة : ٢ / ٨٠

الطريدة :

في افريقية السوداء : غذاء فقراء البجة : ١ / ٢٥٠
في آسية الوسطى : ١ /ح ١٣٤٣ ، غذاء في التركستان : ١ / ٢٨٨ ، ١ / ٢٩٦
في اوربة الغربية : غنى بلد الفرنج بالطرائد : ٢ / ٣٠ ، الطرائد في بروفانس : ٢/ ١٤٨

العسل :

في افريقية : مزج العسل بالنبيذ : ١ /ح ١١٣٩ ، تجارة العسل : ١ / ٢٦١ ، استيرداه من السودان النيجيري : ١ /ح ١١١١ ، العسل في غذاء الزنوج : ١ / ٢٤٨
في اسية الوسطى : تصدير العسل الى دار الاسلام : ١ / ٢٨٧
في بيزنطية : جرار مليئة بالعسل لعيد الشعانين : ٢ / ١٩١

في اوربة الشرقية : العسل عند بلغار اتل : في غذائهم : ٢ / ٣٢ ، في تجارتهم : ٢ / ٢٥ ، العسل في بلد البرطاس : ٢ / ٣٧ ، استيراد العسل الى بلد الخزر : ٢ / ٨٨ ، مرور العسل باتل : ٢ / ٤٤ ، العسل في مملكة مشقو (بولونية) : ٢ / ٧٢ ، العسل عند الصقالبة : ٢ / ٧٦ ، ٢ / ٧٩

في اوربة الغربية : كثرته في بلد الفرنج : ٢ / ١٢٣ ، وفي جزيرة مالطة : ٢ /ح ٢١٨٧

القحط :

في افريقية : ١ / ٢٤٩

اللحم :

استهلاك النورمان لحم الحوت المجفف : ٢ / ١١١
نكهة لحم الدجاج البري في بلد الصقالبة : ٢ / ٧٤ .
في افريقية : استهلاك الحبشة الكبير : ١ / ٨٦ ، اللحم في غذاء الاثيوبيين : ١ /ح ١١٠٢ اللحم في غذاء الزنج : ١ / ٢٤٨
في آسية الوسطى : استهلاك الكيماك : ١ / ٢٧٤ ، استهلاك التركستان : ١ / ٢٨٨ ، استهلاك اللحم المجفف : ١ / ٢٩٦ ، ١ /ح ١٤٢٦
في آسية الغربية : استهلاك كبير في عدن واليمن : ١ / ٨٦
في بيزنطية : امتناع البطرك عنه : ٢ / ٢٣٠ ، امتناع الاسرى المسلمين عن لحم الخنزير ٢ / ٢٠٦ ، ٢ / ٢٤٨

في اوربة الشرقية : عند بلغار اتل : استهلاك لحم الماعز والخيل : ٢ / ٣٢ ، اللحم في اصول الاستقبال : ٢ / ٣٣ ، عند الروس : تقديم اللحم الى الاصنام : ٢ / ٩٥ ، والاموات : ٢ / ٩٨ ، اللحم في غذاء الصقالبة : ٢ / ٧٤ ، ٢ / ٧٧ ، وفرة اللحم في مملكة مشقو : ٢ / ٧٢
في الشرق الاقصى : ١ / ١٤٠ ، امتناع البراهمانيين عنه : ١ / ٧٦ ، استهلاكه في الهند والصين : ١ / ١٧٣ ، اللحم غذاء الامراء في الصين : ١ / ١٧١

٣ ـ العادات والتقاليد

الأب :

الأباحية في سيلان :

الأبناء :

الأثرياء :

الأخلاق :

الاسعار :

الأشقاء :

الاعتدال :

الاعياد :

انظمة العادات :

الاواني :

الاولاد :

البتر :

التضحية :

التطهر :

التطير :

تعدد الازواج :

التعويض في العراق :

التقاليد :

حرق الميت :

الحلي ، الزينة :

الحياة :

الدم :

الذهنيات :

الرق الرقيق :

الرموز :

نفقة الملك لتربية الاولاد :

الهدايا :

الوجبة :

الولادة :

الحمامات :

٤ ـ الملابس

الاحذية :

الاخفاف واحذية الران :

بستين الاتراك :

الثياب :

في اوربة الغربية : الفرنج : ٢ / ١٢٥ ، الانكبرده : ٢ /ح ٢٠٩١ ، النورمان : ٢ / ١١١ ، ثياب الطقوس الدينية : في رومة : ٢ / ١٤٢
في الشرق الاقصى : في الصين : ١ / ١٧٠ — ١٧١ ، في الهند : ١ / ١٧٠ ، في جزر لا كديف ومالديف ١ /ح ٦١١ ، ١ / ١٧٠ ، في ماليزية : وجزائر الزابج : ١ / ١٧٠ في التبت : ١ / ١٥٣ ، ثياب تستوردها دار الاسلام : ١ / ١٥٥ ، ١ / ١٥٦
ثياب مسلمي الاستكشاف في آسية الوسطى : ٢ / ٢٧٧
في البلدان الاسطورية : من الاوراق : ٢ / ٢٦٨ ، ٢ / ٢٩٣ ، موشاة بالذهب : ٢ / ٢٩٤
انظر الاخلاق ، العري

الخفتان :

في آسية الوسطى : لبس الخفتان : ١ / ٢٩٦
في اوربة الشرقية : خفتان ديباج الميت الروسي : ٢ / ٩٧

السروال :

في افريقية : لباس الملوك : ١ /ح ١١٣٩
في آسية الوسطى : لبس الاتراك السراويل : ١ / ٢٩٦

السيور :

في آسية الوسطى : لباس الاموات : ٢ / ٩٢
في اوربة الشرقية لبس الروس سيور الجلد : ٢ / ٩٣
في الشرق الاقصى : ١ / ١٤٣ ، ١ / ١٧٠ ، ١ / ١٧١

القراطق :

في آسية الوسطى : قرطق الاتراك اللباد : ٢ / ٩١
في اوربة الشرقية : عند البلغار : ٢ / ٢٦ ، ٢ / ٤٢ ، عند الخزر والبجناك : ٢ / ٩ ، عند الروس : ٢ / ٢٦ ، ٢ / ٤٢ ، ٢ / ٨٩ ، الاموات : ٢ / ٩٨ ، عند الصقالبة : ٢ / ٧٧
في الشرق الاقصى : ١ / ١٧٠ — ١٧١

القلانس :

في افريقية ١ / ٢١٢
في آسية الوسطى : البرنس : ١ / ٢٩٦
: عند البلغار : تجارة القلانس : ٢ / ٢٥ ، لبس القلانس : ٢ / ٣٢
في الشرق الاقصى : برنس الصينيين : ١ / ١٧١ ، برنس الهندوس : ١ / ح ٦٤٠
عمامة المسلمين : ١ / ١٧١ ، ٢ / ٢٠٨

اللباس :

عند اهالي آسية الكبرى : ١ ظ / ٨١

الهندام :

الهندام ١ / ٧٥ ، ١ / ٧٦

٥ ـ السكن

اكواخ الخشب أو اللباد :

في آسية الوسطى : ١ / ٢٨١ ، ١ /ح ١٢٩٦ ، ١ /ح ١٣٢٢ ، ١ /ح ١٣٨٢ ،
عند القرلق : ١ / ٢٧٠ ، عند التغزغز : ١ / ٢٦٩ ، عند التخس : ١ / ٢٧٢
في اوربة الشرقية : البرطاس : ٢ / ١٦٨٢

البيوت :

في افريقية : ١ / ٢٥٠ ، ١ / ٢٦٠
في آسية الوسطى : مدينة مبنية بالحجارة ، الخشب ، القب : ١ / ٢٨٤
في اوربة الشرقية : عند البلغار : ٢ / ٢٦ ، عند الروس : ٢ / ٩٥ ، عند الصقالبة (الاسبا) : ٢ / ٧٧
في اوربة الغربية : ٢ / ١٦٥ ، ٢ / ١٢٦ ، في رومة : مباني حجرية ورخامية : ٢ / ١٣٩ – ١٤١
في الشرق الاقصى : ١ / ١٣٦ ، ١ /ح ٦١١ ، ١ /ح ٦٢٠ ، ١ / ١٧٠

الخيام :

في افريقية : من جلد : ١ / ٢٤٩ ، القباب للعراف : ١ / ٢٥٨ ، لبد الخيم : ١ /ح ١٠٩٩

في آسية الوسطى : ١ / ٢٩٧ ، عند القرلق : ١ / ٢٧٠ ، التغزغز : ١ / ٢٦٩ القباب: ١ /ح ١٢٩٦ ، ١ / ٢٨٧ – ٢٨٨ ، ١ / ٢٩٦

في آسية الغربية : الأكراد : ٢ / ١٢

في اوربة الشرقية : بلغار اتل : ٢ / ٢٥ ، ٢ / ٢٦ ، ٢ / ٣٢ ، خيمة الملك : ٢ / ٣٠، خيمة الميت : ٢ / ٣٣ ، في جبل القبق : ٢ / ١٣٠ ، عند الخزر : ٢ / ١٣ ، ٢ /ح ١٥١٢ ، ٢ / ٤٢ ، بحناك دنبه : ٢ / ٥٣ ، خيمة الميت الروسي : ٢ / ٩٦ – ٩٩

في أوربة الغربية : الانكبردة : ٢ / ١٢٩

القباب : (الخيم المستديرة) : في آسية الوسطى : ١ / ٢٨٧ – ٢٨٨ ، ١ / ١٣٨٢، عند البلغار : ٢ / ٣٢ .

السكن :

في آسية الوسطى : ١ / ٢٧١ ، ١ / ٢٧٥ ، ١ / ٢٨٤

الاصلي عند فندر ، وهم قوم بلغار : ٢ / ٦٠

المنازل :

في افريقية : بيوت اوداغست : ١ / ٢٥٠ ، النوبة : ٢١٩ ، ١ / ٢٦٠ ، قصر الملك : ١ / ٢١٢ ، ١ / ٢٥٣ الجفار المدورة : ١ /ح ١١٨٦

في آسية الوسطى : ١ / ٢٦٩ ، ١ / ٢٧٠ ، ١ / ٢٧١ ، ١ / ٢٧٢ ، ١ / ٢٧٤ ، ١ / ٢٧٢ ، ١ / ٢٧٤ ، ١ / ٢٧٥ ، ١ / ٢٨١ ، ١ / ٢٨٤ ، ١ /ح ١٣٤٨ ، ١ / ٢٩٦ ، ٢ /ح ٣٠١٦ ، انارة المنازل : ١ / ٢٩٧ ،

فى آسية الغربية : خيمة الاكراد : ٢ / ١٢٩

فى الامبراطورية البيزنطية : في بيزنطية : ٢ / ١٦٠ ، القصر : ٢ / ١٩١ –.٢١٧ ، في قبذوقية ٢ / ١٦٠

في اوربة الشرقية : بلغار اتل : ٢ / ٢٦٠ ، البرطاس : ٢ / ٣٧ ، الخزر : ٢ / ١٣– ١٤ ، ٢ / ٤٢ ، ماوكهم ٢ / ٤٣ ، ٢ / ٥٠ ، الازواج والخايلات : ٢ / ٥٢، الروس : بيوت خشب : ٢ / ٩٥ ،

في اوربة الغربية : الصقالبة : اسبا : ٢ / ١٢٥ ، ٢ / ١٢٦ ، في رومة ، القصور المباني الحجرية : ٢ / ١٣٩ — ١٤١

في الشرق الا قصى : البيوت : في الصين : ١ / ١٧٠ ، جدران خشب : ١ / ١٢٠ ، في الهند ، منازل خشب وسقف قش : ١ / ١٣٧ . في جزر لا كديف ومالديف : ١ /ح ٥٣٦ ، بيوت خشب عائمة في جزر الزابج : ١ /ح ٦١٥

في بلدان الا ساطير : الحجار الجوفبة في واق واق : ٢ / ٢٩٣

في سيراف : ١ / ح ١٠٨٨

جـ — النشاط الاقتصادي

١ — الزراعة

البداوة :

في افريقية : ١ / ٢٤٣ — ٢٥٠ ، البجة : ١ / ٢٢٢ ، ١ / ٢٢٥ — ٢٢٦ ، ١ / ٢٥١ ، ١ / ٢٥٤ ، ٢ / ٣٢٤

في آسية الوسطى : ١ / ٢٦٤ ، ١ /ح ١٣٢٢ ، ١ / ٢٩٤ ، ١ / ٢٩٥ ، ٢ / ٢٧٦ ، الغز : ١ / ٢٨٣ — ٢٨٤ ، ١ / ٢٨٥ ، الكيماك : ١ / ٢٧٤ ، القرغيز : ١ / ٢٧٣ ، البجناك : ١ / ٢٧٨ ، ١ / ٢٩٢ ، الجنس شبه العربي : ١ /ح ١٤٦٥

في آسية الغربية : جزيرة العرب : ١ / ٢٥١ ، الا كراد : ٢ /ح ٢٠٩٣

في اوربة الشرقية : بداوة نسبية عند بلغار دنبة : ٢ / ٥٨ ، بلغار اتل : ٢ / ٢٥ ، بقاء البداوة : ٢ / ٣٠ ، ٢ / ٣٢ ، ٢ / ٣٣ ، البرطاس : ٢ / ٣٧ ، نصف بداوة الجرز : ٢ / ٤٢ ، ٢ / ٨٧ ، بداوة رعي المجغرية : ٢ / ٥٤ ، ٢ / ٨٧

في اوربة الغربية : الا نكبردة : ٢ /ح ٢٠٩٣ ، ٢ / ١٣٠

الا سطورية : ٢ / ٢٨٥

البدو :

في سهوب آسية ٢ / ٢٨٤ ، الا مم الحامية البدوية : ٢ / ٥٠

البساتين :

البساتين : ١ / ٥٣ — ٥٤ ، ١ / ٦٥

في افريقية : في النوبة ١ /ح ١٠٩٨

في آسية الغربية : في سامراء : ٢ / ١٤٤ ، في الشام : ١ / ٤٧

الحيوانات الاهلية :

الرعاة :

الري :

الزراعة وزرع الأرض :

الصيد :

القطعان :

المراعي ، والمروج :

في افريقية : ١ / ٢٤٩ : في بلد البجة : ١ / ٢٢٢ ، في الاودية : ١ / ح ١٠٩٦
في آسية الوسطى : مراعي الشتاء للكيماك عند الغز : ١ / ٢٧٤
في الامبراطورية البيزنطية : ٢ / ١٦٨ ، ٢ / ح ٢٣٤٧
في اوربة الشرقية : عند بجناك دنبة : ٢ / ٥٣

المزارعون :

في افريقية السوداء : في البجة : ١ / ٢٤٩
في اوربة الشرقية : البلغاري : ١ / ٣٠٧

المزروعات :

المزروعات : انظر عناوين الجغرافية الحيوية : النبات وموادة

الهندسة الزراعية والخبراء الزراعيون :

في الامبراطورية البيزنطية : ٢ / ٢٣٥ ، ٢ / ٢٤٠

٢ ـ الحرف والتقنيات والصناعة

الاحذية :

صنعها في عدن : ١ / ٢٦١

الادوات :

في افريقية : الادوات الزراعية : ١ / ٢٤٩ ، ادوات الخشب : ١ / ح ١٠٨٨
في آسية الوسطى : ١ / ٢٨٩

الادوات الحديدية في جبل القبق :

٢ / ح ١٥١٥

الحرفيون :

الحياكة :

دباغة الجلود في عدن

الركائب :

الرخام :

– في بيزنطية : صهريج : ٢ / ١٩١ ، ١٩٢ ، اعمدة الكنيسة الملكية : ٢ / ١٩٢ ، تبليط اروقة القصر : ٢ / ١٩٦

– في رومة : التبليط : ٢ / ١٣٩ ، اسوار مزدوجة : ٢ / ١٤٠

الحجر :

– في بيزنطية : ٢ / ١٨٦ ، ٢ / ١٩٢

– في اوربة الشرقية : الحجارة المكلسة : ٢ / ٧٢

– في اوربة الغربية : ٢ / ١٢٥ ، ٢ / ١٢٦ ، ٢ / ١٤١

– في الشرق الأقصى : ١ /ح ٦٢٠

– في جدار الصين : ٢ /ح ٢٩٦٨ ، ٢ / ٢٨٧

الجص في الشرق الاقصى :

١ /ح ٦٢٠

الطين :

– في افريقية : ١ / ٢٦٠

– في الشرق الا قصى : ١ /ح ٦٢٠

– في جغدار الصين : الطين : ٢ / ٢٨٧

مهندسو الروم :

٢ / ٢٢٤

النباتات النسيجية :

انظر الجغرافية الحيوية ، النبات : قطن كتان

النواعير :

في افريقية : لمياه النيل : ١ / ٢٥٠

في بيزنطية : ٢ / ٢٣٩

هياكل السفن وحبالها :

هياكل السفن :

٣ ـ التجارة وموادها وطرقها

الأسواق التجارية :

البحارة :

التجار (حسب المناطق) :

التجار (حسب البلدان والنشاط) :

التجار (حسب جنسيتهم)

التجار الراذانيون اليهود :

التجارة :

تجارة الاحذية :

تجارة الاسلحة (حسب النماذج) :

تجارة الاسلحة (حسب البلدان) :

تجارة الالبسة :

تجارة الاقمشة والثياب :

في الامبراطورية البيزنطية : صادرات الديباج واقمشة الصوف والحرير الى دار الاسلام : ٢ /ح ٢٧٢٣ ، تصدير الديباج الى بلد المجغرية : ٢ / ٥٤ ،

في اوربة الشرقية : تجارة الكتان في القبق الشرقي : ٢ / ١٢ ، استيراد المجغرية الديباج البيزنطي : ٢ / ٥٤

في الشرق الاقصى : تصدير الاقمشة النفيسة الى دار الاسلام : ١ / ١٥٥ ، ١ / ١٥٦

تجارة البخور في الشرق الاقصى :

١ / ١٥٤

تجارة التوابل :

في الشرق الاقصى : تصديرها الى دار الاسلام : ١ / ١٥٤ ، ١ / ١٥٦، ١ / ح ٥٣٦

تجارة الجلد :

تصديره من آسية الوسطى الى دار الاسلام : ١ / ٣٠٩

تجارة جوز الهند :

في الشرق الاقصى : ١ /ح ٥٣٠ ، ١ /ح ٥٣٦

تجارة الحجارة الثمينة :

تصديرها من الشرق الاقصى الى دار الاسلام : ١ / ١٥٥ ، ١ / ١٥٦
انظر الجغرافية الطبيعية : المعادن

تجارة الحيوانات (انواعها) :

الماشية في آسية الوسطى : تصديرها : ١ / ٢٨٤ ، الى دار الاسلام : ١ / ٣٠٩
تصدير بلغار اتل الابقار : ٢ / ٢٥ ، مروره في بلد الخزر : ٢ / ٤٤
تصدير الابل من افريقية : ١ / ٢٦١
الخيول : تصديرها من الامبراطورية البيزنطية الى دار الاسلام : ٢ / ٢٣٥ ، في اوربة الشرقية تصدير الابطرانية لها : ٢ / ٧١ ، في الشرق الاقصى : تصديرها الى

تجارة الحيوانات (حسب البلدان) :

تجارة الخشب :

تجارة الخمر :

تجارة غراء السمك :

تجارة القلنقة :

تجارة الفراء والجلود (انواع)

تجارة الفراء والجلود : (حسب البلدان)

تجارة المعادن (الانواع) :

الفضة : في اوربة الشرقية : الصقالبة ، المقايضة : ٢ / ٧٢ ، في الشرق الا قصى : ١ / ١٤٠ ، ١ / ١٥٥ ، ١ / ١٥٦

النحاس : في الا مبراطورية البيزنطية : تصدير اواني النحاس : ٢ / ٢٣٥ الى دار الا سلا م . استيراد الصين له : ١ / ١٥٤

القصدير : في اوربة الشرقية : في بلدان الصقالبة : ٢ / ٧٢ في الشرق الا قصى : ١ / ح ٥٣٦

الحديد : في الشرق الا قصى : ١ / ١٤٠ ، ١ / ح ٥٣٠ ، ١ / ١٥٦ ، مقايضة الحديد بالذهب في جزيرة الذهب : ٢ / ٢٦٤

الزئبق : تصدير الروس : ٢ / ٨٩

الذهب : ٢ / ٣٠٥ : في افريقية : ١ / ١٨٣ ، ١ / ١٨٩ ، ١ / ٢١٠ ، ١ / ٢١٥ ، ١ / ح ٩٩٥ ، ١ / ٢٣٥ ، مقايضة الذهب : ١ / ح ١٠١٤ ، ١ / ٢٦١ . في الا مبراطورية البيزنطية : تصدير اواني ذهب وعملة ذهبية الى دار الا سلا م : ٢ / ٢٣٥.
في اوربة الشرقية : تصديره الى دار الا سلا م : ١ / ١٤٠ ، ١ / ١٥٥ — ١٥٦ .
في البلدان الا سطورية : في جزيرة الذهب : ٢ / ٢٦٤ ، في واق واق : تصديره : ٢ / ٩٤

الرصاص : تصدير الروس الى بيزنطية : ٢ / ٨٩

انظر الجغرافية الطبيعية : المعادن

تجارة المعادن (حسب البلدان) :

(حسب البلدان) :

في افريقية السوداء : الذهب : ١ / ١٨٣ ، ١ / ١٨٩ ، ١ / ٢١٠ ، ١ / ح ٩٩٥ ، ١ / ٢٣٥ ، ١ / ٢٦١

في اوربة الشرقية : القصدير في بلد الصقالبة : ٢ / ٧٢ ، تصدير الروس للزئبق والرصاص : ٢ / ٨٩

في الشرق الا قصى : استيراد الصين النحاس : ١ / ١٥٤ ، تصدير القصدير الى دار الا سلا م : ١ / ح ٥٣٦ تصدير الحديد الى دار الا سلا م : ١ / ١٤٠ ، ١ / ح ٥٣٠ ، ١ / ١٥٦ ، تصدير المعادن الثمينة : ١ / ١٤٠ ، ١ / ١٥٥ ، ١ / ١٥٦
تجارتها الدولية : ٢ / ٢٦٧

في بلدان الا ساطير : مقايضة الذهب : ٢ / ٢٦٤ ، تصدير الذهب من واق واف : ٢ / ٢٩٤

الخصيان :

دروب التجارة :

رجال الاعمال :

الرحلات والرحالة

الرق :

الرقيق :

الزوارق :

السلع :

السفن والزوارق :

٤ – المدن والقرى

التمدين :

تنظيم المدن في الصين :

العواصم :

في قشمير : ١ / ١٣٥
في جبل القبق : ٢ / ١٥
في دار الاسلام : ١ /ح ٣٩٥

المدن :

مدينة البهت : ٢ / ٢٦٧ – ٢٦٩
في افريقية : ١ / ١٨٤ ، ١ / ٢٠٦ ، ١ / ٢١٠ – ٢١١ ، ١ / ٢١٥ – ٢١٦ ،
١ / ٢١٢ – ٢١٣ ، ١ /ح ٩٣٨ ، ١ / ٢٢٧ ، ١ / ٢٣١ – ٢٣٢ ، ١ /ح ٩٨٦ ،
١ / ٢٣٥ ، ١ /ح ١٠٨٨ ، ١ / ٢٥٠ ، ١ / ٢٥٢ ، ٢ / ٣٢٣
في جرمانية : ٢ /ح ١٨١٥ ، البرجان ٢ / ١١٩
في ارمينية : ٢ / ٢٢٧
في آسية الوسطى : ١ / ٢٦٧ ، ١ / ٢٦٩ ، ١ / ٢٧٠ ، ١ / ٢٧٠ ، ١ / ٢٧٩ ،
١ / ٢٨٠ ، ١ / ٢٨١ ، ١ / ٢٨٤ ، ١ / ٢٩٦
في بريطانية العظمى : ٢ / ١١١
عند البلغار : ٢ / ٢٥ ، ٢ / ٢٦ ، ٢ / ٣٢ (انعدام المدن في الأصل) ، ٢ / ٥٩ - ٠٦
المدن البيزنطية : ٢ / ١٥٤ ، ٢ /ح ١٦٥١ ، ٢ / ١٦٠ ، ٢ /ح ٢٢٣٤ ، ٢ / ١٦٢ ،
٢ / ١٦٢ ، ٢ / ١٦٤ ، ٢ / ١٦٦ ، ٢ / ١٦٨ ، ٢ / ١٧١ ، ٢ / ٢٧٢ - ١٧٣ ،
٢ / ٢١٥ ، ٢ / ٢١٧ ، ٢ / ٢٤٩ ، ٢ / ٢٥٢ ، ٢ / ٢٥٥
في جبل القبق : الاوسط : ٢ / ١٦ ، الغربي : ٢ / ١٦ ، ٢ / ١٨ ، الشرقي : ٢ / ١٠-
٢١٢ ، ٢ / ١٣
في الصين : ١ / ١٢٥ ، ١ / ١٦٣ – ١٦٤ ، ١ / ١٧٠ ، ٢ /ح ٢٩٤٢
القرم : ١ / ٢٤٠
في مصر : ٢ / ١٢١
في اسبانية : ٢ / ٢١٣ ، ١ / ٣١٤ ، في الاندلس المسلمة : ٢ / ١٠٩ ، ٢ / ١١٩ ،
٢ / ١٢١ ، ٢ / ١٢٢
مدينة النسا : ٢ /ح ٢٨٢٩
مدن الفرنج : ٢ /ح ٢٠١٥ ، ٢ / ١١٩ ، ١ / ١٢٠ ، ١ / ١٢١ ، ١ / ١٢٢ ،
٢ / ١٢٥ – ١٢٨ ، ٢ / ١٣٣
ياجوج وماجوج : ٢ /ح ٢٨٨٠ ، ٢ / ٣١٦٧ ، خربها ياجوج وماجوج : ٢ / ٢٧٧
مدن الهند : ١ / ١٢٥ ، ١ / ١٧١ ، ١ /ح ٩٨٤ ، ٢ / ٣٠٢ ، قشمير : ١ / ١٣٥
العراق : انظر بغداد وسامرا

المدينية في الصين :

الموانىء :

انظر التجارة

٥ — المقاييس والعملات

التقويم :

العملات :

الغنومون (آلة قياس):

الليبرة : البيزنطية :

المقاييس :

الفرسخ : ١ / ٥٠ ، ١ / ٥٢ ، ١ / ١٠٨ ، مقارنة الفرسخ العربي واليوناني : ٢ / ٢٤٥١ ٢ / ح ٢٧٥٢
البريد : ١ / ٥١

النقد :

في آسية الوسطى : اقراض التجار المسلمين نقدا : ١ / ٣٠٩
في آسية الغربية : ملك جزيرة العرب ملك النقد : ١ / ٧٨
في اوربة الغربية : الجلاء عن ارض الفرنج لقاء النقد : ٢ / ١٢٣
احتقار النقد : ١ / ٧٨

النوميسما البيزنطي :

البيزنطي : ٢ / ح ٢٦٤٩
وحدة العملة في تجارة الفراء على ضفاف نهر اتل : ٢ / ٢٤ – ٢٥.

د – الحياة السياسية

١ – الملوك

الآداب :

في الامبراطورية البيزنطية : ٢ / ح ٢٥١٠ ، ٢ / ٢٠٦ – ٢٠٨ ، الآداب الامبراطورية : ٢ / ٢٠٦ – ٢١٠ ، ٢ / ٢٣٢ – ٢٣٤ ، في المآدب : ٢ / ح ٢٤٩١ ، أهمية آسية الوسطى في الآداب : ٢ / ح ٢٢٣١
في اوربة الشرقية : اصول سلوك ملك بلغار اتل : ٢ / ٣٠
في الشرق الاقصى : ٢ / ح ٣٠٤٧

الآداب الملكية :

الآداب الملكية : ١ / ١٦٢

القاب الملوك :

في افريقية : في مصر : بطليموس (بطلميوس) ، فرعون : ١ / ١٠٥
في افريقية السوداء : كابيل : ١ / ٢٠١ ، ١ / ٢٥٤ ، كوغة : ١ / ٢٥٤ ،

الامبراطور :

بغبور :

فغفور : لقب امبراطور الصين : ١ / ١٠٦ ، ١ /ح ٢٩٠ ، ١ / ١٢١ ، ١ / ١٢٣

بغره خان :

لقب ملك قبائل قره خان : ١ / ٢٨٦

بلهرا :

لقب ملوك الهند : ١ / ١٠٦ ، ١ / ١٣٣ ، ١ / ١٦١، التبعية له : ١ / ١٦٢ ، دوله ٢ /ح ٣٠٣١ ، سياسته حيال العرب : ١ / ١٦٥ ، ٢ / ٣٠٠

التاج :

الا مبراطور البيزنطي : ٢ / ٢٠٥ ، ٢ / ٢٠٦ ، اسطليانوس : ٢ / ١٩٦
ملك اسبانية : ٢ / ١١٥

تبع :

لقب ملك اليمن : ١ / ١٠٦

التنصيب :

في اوربة الشرقية : ملك الخزر على يد الخاقان او نائب الملك : ٢ /ح ١٧١٢
في الشرق الا قصى : ملك الهند : ١ / ١٦١

توران شاه :

لقب ملك الا تراك حسب التقليد الفارسي : ١ /ح ١٣٥٥

جالوت :

لقب ملوك فلسطين : ١ / ١٠٦

فرعون :

١ / ١٠٦ ، ضريح الفراعنة : ١ / ٢٣٥

فغفور :

لقب امبراطور الصين . انظر بغبور وملوك .

القصر :

في افريقية : الكوكو : ١ / ٢١٢
في بيزنطية : ٢ / ١٤٤ ، ٢ / ٢٠٦ ، ٢ / ٢٠٨ ، ٢ / ح ٢٥٨٦ ، ٢ / ٢٣١ ،
٢ / ٢٣٤ ، ٢ / ٢٤٠
في آسية الوسطى : ايغرخان : ١ / ٢٦٩
في اوربة الشرقية (بلد الخزر) : خاقان : ٢ / ٤٤ ، ٢ / ٥٠
في رومة : ٢ / ١٣٩

القيصر :

لقب امبراطور بيزنطية : ٢ / ٢٠٥

قيصر روسية :

انظر العواهل

كابيل :

لقب ملوك النوبة : ١ / ١٦١

كرسكون :

لقب ملوك الصنارية في القبق : ٢ / ١٨

كركنداج :

لقب ملوك اللان : ٢ / ١٥

كسرى :

لقب ملوك فارس : ١ / ١٠٦ ، ١ / ١٠٧

كوغة :

لقب ملك افريقية السوداء : ١ / ٢٥٣

لذريق :

انظر رودريك

لمكلولجاو :

انظر مكولو نجولو

ليزان شاه :

لقب ملك في القبق : ٢ / ٨

ملجيك :

لقب ملك ولتز : ٢ / ٦٧

مكلو نجلو :

لقب ملك افريقي : ١ / ٢٥٣ ، ١ / ح ١١٧٠

الملكة :

في افريقية السوداء : ١ / ٢٢٧
في مصر : ١ / ح ١١٤٤
في اوربة الشرقية : ملكة بلدان الصقالبة : ٢ / ٨٠
في اوربة الغربية : ملكة الفرنج : ٢ / ١٢٣
في الشرق الاقصى : في الجزر : ١ / ١٢٦ ، ١ / ١٣٤ ، ١ / ١٧٢ ، في الهند : ١ / ح ٦٧٧

الملكية :

الملوك :

الممالك :

مهراجا الزابج :

النجاشي :

وفليمي :

يبغو :

٢ — الادارة والسلطة السياسية

الاحزاب في بيزنطية :

الادارة :

احصاء الذكور في الصين :

امبراطورية بيزنطية :

امبراطورية دار الاسلام :

الامبراطورية الرومانية :

الامبراطورية القرلمانية :

الامبراطورية الرومانية الجرمانية المقدسة :

الامير ، الامارات :

البريد :

البطارقة في بيزنطية :

بنود الروم :

التبعية ، الاتباع :

التجسس :

التحالفات :

التحالفات السلالية :

التقسيمات الادارية :

الجمعية في بيزنطية :

الحق في الشرق الاقصى :

الحكام (الولاة) :

الحكومة :

الحلف :

حلفاء دار الاسلام :

دول اوربة الغربية :

الدولة البيزنطية :

الدول السبع في بريطانية الكبرى :

الدول السوداء في افريقية :

دول الشرق الاقصى :

الزعماء :

السيطرة :

الشرطة في الصين :

الضرائب :

الطرماخوس البيزنطي :

العدالة :

العقوبات :

العلاقات :

الفقهاء في دار الاسلام :

القاضي :

القاضي الشرعي :

القانون :

القضاة :

كليسورس ، كليسورا رخس (الامبراطورية البيزنطية) :

الوالي : (عامل) :

الولاية (العمل) :

الوزير :

٣ ـ الجيش والحرب

الاساطيل :

الاسلحة :

الأعداء :

الاقواس :

انتصار جيوش دار الأسلام :

التحصينات :

التروس :

الجنود :

الجنود العبيد المرتزقة :

الجيش ، الجيوش :

الحبوس :

الحراب :

الحرب المقدسة :

الحروب :

الحسام :

الحصار :

اسرى الحرب :

السلب :

السهام :

اسهم هرقل : ٢/ح ٣٠١٣ .

انظر الاقواس ايضا .

السيوف :

في افريقية : سيوف النوبة : ١/ ٢٥٤ .

في بيزنطية : حمل السيوف محظور على البطارقة : ٢/ ٢٣٠ .

في أوربة الشرقية : عند الروس : ٢/ ٩٣ ، تجارة السيوف : ٢/ ٧١ ، عند الصقالبة : سيوف الابطرانة : ٢/ ٧١ .

في أوربة الغربية : عند الفرنج : ٢/ ١٢٣ .

الغارات :

في افريقية السوداء : غارات ماليزية : ١/ ٢٣٤ .

عند الامم التركية حتى غالاطيا : ٢/ ٦٠ ، ٢/ ١١٨ .

في بيزنطية : ٢/ ١٣٤ ، ٢/ ١٥٤ ، ٢/ح ٢٢٢٣ ، ٢/ ٩ ٣١ ، غارة الاسطول البيزنطي على سواحل دار الاسلام : ٢/ ٢١٧ — ٢١٨ ، ٢/ ٢٢٢ ، ٢/ ٢٥٠ ، ٢/ ٣٢٠ ، ٢/ ٣٢٥ عند أمم أوربة الشرقية : ٢/ ٣٢٦ ، حتى الاندلس : ٢/ ١٧٢٩ ، ٢/ ١٤٠ ، الافر على الخزر : ٢/ ٤٢ ، بلغار دنبة : على بيزنطية : ٢/ ٥٦ ، ٢/ ٥٩ — ٦٠ ، على الصقالبة : ٢ ٦٥ ، حتى غالاطية : ٢/ ٥٦ ، ٢/ ٥٧ ، ٢/ ١١٨ ، ٢/ ١٥٨ ، بلغار اتل على البرطاس : ٢/ ٣٧ ، البرطاس على البجناك : ٢/ ٥٣ ، البرطاس و البلغار : ٢/ ٣٦ — ٣٧ ، الخوارزميو؟ على البلغار : ٢/ ٤٤ ، الاضرار بتجارة الخزر : ٢/ح ١٦٨٨ ، الخزر على البجناك : ٢/ ٤٧ ، ٢/ ٥٣ ، البولياط : ٢/٦٦ ، المجغرية على الصقالبة : ٢/ ٥٤ ، البجناك حتى الاندلس : ٢/ ٥٣ ، الروس : ٢/ ٩٢ ، ٢/ ٣٢٦ ، على البلغار : ٢/ ٨٨ — ٨٩ ، والبرطاس : ٢ / ١٤٤ ، على الخزر : ٢/ ١٣ ، ٢ : ٣٧ — ٣٨ ، تخريبهم : ٢/ح١٦٨٧ ، ٢/ح ١٧٨٠١ على البجناك : ٢/ ٥٣ .

الغزو السلب :

غزوات القوط :

الغنائم :

الفاتحون

الفرسان الروس :

القواد :

القواد العسكريون :

اللواء :

بين بيزنطية ودار الاسلام : ٢/ ١٥١ ، منتزيكرت : ٢/ح ٢٣٩٥ ، معطى : ٢/ح ٢١٩٦

في أوربة الشرقية : الولندر : ٢/ ٥٩ — ٦٠ .

في أوربة الغربية : سيمنكاس : ٢/ ١١٧ ، و/ ٢٠،٢٧ .

صفين : ٣/ح ٢٦٥٧ .

الفأس :

في بيزنطية وامبراطوريتها : ٢/ ٢٥٥ ، ذات الحدين السلاح التقليدي عند البيزنطيين : ٢/ ح٢٥٦٣ الفأس المذهبة للخدم في الاحتفالات الإمبراطورية : ٢/ ٢٠٦ .

هـ ـ الحياة الفكرية والدينية

١ ـ مظاهر الثقافة والحضارة

الآثار :

الاخلاق (علم)

الاساطير :

الاسطورى :

الالسنية :

التأثير :

التاريخ :

٢/ ٢٩٨ ــ ٣٠٠ ، التاريخ القرآني : ٢/ ١٩ ، الأماكن الشهيرة في تاريخ الاسلام : وقبله : ٢/ ٢٦٧ ــ ٢٦٨ ، دار الاسلام : ٢/ ٣١٠ ــ ٣٢٧ ، علاقات دار الاسلام ببيزنطية : انظر تاريخ بيزنطية .

تاريخ الشرق : ١/ ٢٦٥ ، الشرق الاقصى (الصين) ، ثورة هوانغ تشان و : ١/ ١٢٢ ١/ح ٥٧٨ ، ١/ح٥٩٧ ، ١/ ١٧٨ ، أمم الشرق الاخبرة : ٢/ ٢٧٦ ، آثار الشرق : انظر الفنون ، الادب والعلوم .

التعلم الرسمي في الشرق الاقصى :

في الشرق الاقصى : ١/ ١٦١ .

الثقافة :

١/ ١١٩ ، ١/ ١٢٠.

في آسية الوسطى : عند الاتراك : ١/ح ١٣٦٥ ، ١/ ٢١٤ ، ٢/ح ١٤٨٣ ، في نظام الكون الثنائي : ١/ ٣٠٣ ــ ٣٠٤ .

في آسية الغربية : العربية والفارسية : ٢/ح ١٤٨٣ .

في بيزنطية : ٢/ ٢٣٧ ، اليونانية : تراثها : ٢/ ٢٣٨ ــ ٢٣٩ ، ٢/ ٢٤٠ ، تقليدها : ٢/ ١٨ ، ٢/ ٢٤١ .

الثقافة المسيحية : ٢/ ٤٦ .

في أوروبة الشرقية : بلد الخزر : ترافق الثقافتين المسيحية والمسلمة :أ٢/ ٤٦ .

في أوروبة الغربية : الرومانية : ١/ ٣١٧ .

في الشرق الاقصى : ١/ ١٥٣ ، قمار : ١/ ١٣١ .

الحضارة والمتحضّرون :

الزمن :

العالم :

العصور القديمة :

الكتابة :

اللغات :

المبادىء الاخلاقية :

المدارس :

الوحدة :

٢ — الفنون و الادب و العلوم

الآثار :

اخبار الرحلات :

الادب :

الأدباء :

الاساطير الفالاسية :

الاسطوری :

الأطباء ، الطب :

الأغاني :

الاقنية في الامبراطورية البيزنطية :

٢/ ١٦٠ ، ٢/ ١٩٩ — ٢٠١ ، ٢/ ٢٠٢ ، ٢/ح ٢٥٠٧

الامثال :

بيزنطية والامثال : ٢/ ١٨٧ .
أمثال عن النوبة : ١/ ٢٢٠
انظر اسماء المؤلفات (كليلة و دمنة)

تاريخ غزو القوت الروماني :

١/ ٣١٧ .

التقاليد : انظر الحياة اليومية :

الاخلاق و العادات

الجسور (بناؤها)

(بناؤها) : في القبق الاوسط (باب اللان) : ٢/ ١٦ .
في الامبراطورية البيزنطية : ٢/ ٢٣٩ .
جسور الخشب في بلدان الصقالبة : ٢/ ٧١ ، ٢/ ٧٢

الجغرافية :

على النهج القديم : ١/ ٧٣ ، ٢/ ٢١٠٣ / ٢٦٤ وما يليها ، ٢/ ٢٧٣ وما يليها
ج . العصور القديمة الرومانية : ٢/ ١١٩ .
ج . عربية : ١/ ٣٣ ، ١/ ٣٤ ، ١/ ٤٩ ، ١/ ١٠٠ ، ١/ ١/ ١٨٦ — ١٨٩ ، ١/ ١/ ٢٠٩ ، ١/ ٢١٠ ، ٢/ ١٣٣ ، ٢/ ٢/ ١٥١ — ١٥٢ ، ٢/ ١٦٠ — ١٦١ ، عن بيزنطية : ٢/ ١٥١ — ١٥٢ ، الموسوعية : ٢ /ح ٣١٣٦ ، جغرافية العصور الاولى : ٢/ ٣١٨ ، تقاليد الجغرافية : ٢/ ٣٢٧ .
ج . عربية اسلامية : ٢/ح ١٤٧٣ ، ١/ ٣١٧ ، ٢/ ١٠ — ١١ ، المسالك والممالك : ١/ح ٣٤٤ ، ١/ح ٧١١ .

الجغرافية السياسية :

الحساب :

الحكم :

الرقص :

الرياضيات :

الشخصيات الأدبية :

السيمياء :

الشعر :

العجائب :

العجيب :

العلماء :

العلوم :

عناوين الكتب :

فسيفساء القصر الامبراطوري في بيزنطية :

الفلسفة والفلاسفة :

الفلك والفلكيون :

فن العمارة :

الفنون

القباب :

القصص :

الكتب :

الموسيقى :

الموسوعة والموسوعيون :

النبات :

النبات الطبى :

النحت ، التماثيل :

الفروسية عند الاتراك :

٣ — الدين

الاسلام :

الاله :

اماكن العبادة :

الاماكن المقدسة :

الامتناع والتقشف :

انانا :

الناقوس :

النبوءة :

النصارى والنصرانية :

النصرانية :

الوثنية :

الوثنيون :



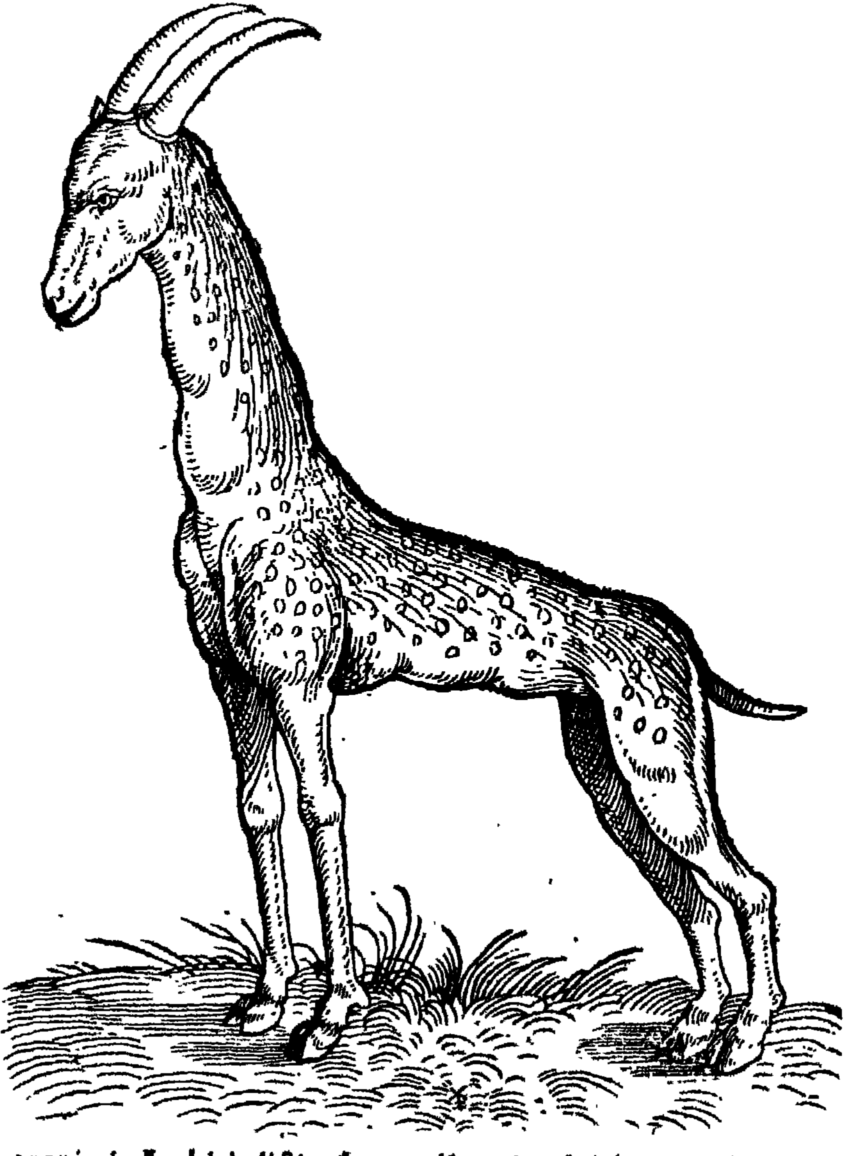


NAVTAE IN DORSA CETORVM, QVAE INSVLAS PVTANT, anchoras figentes sæpe periclitantur. Hos cetos Trolual sua lingua appellant, Germanicè Teüffelwal.

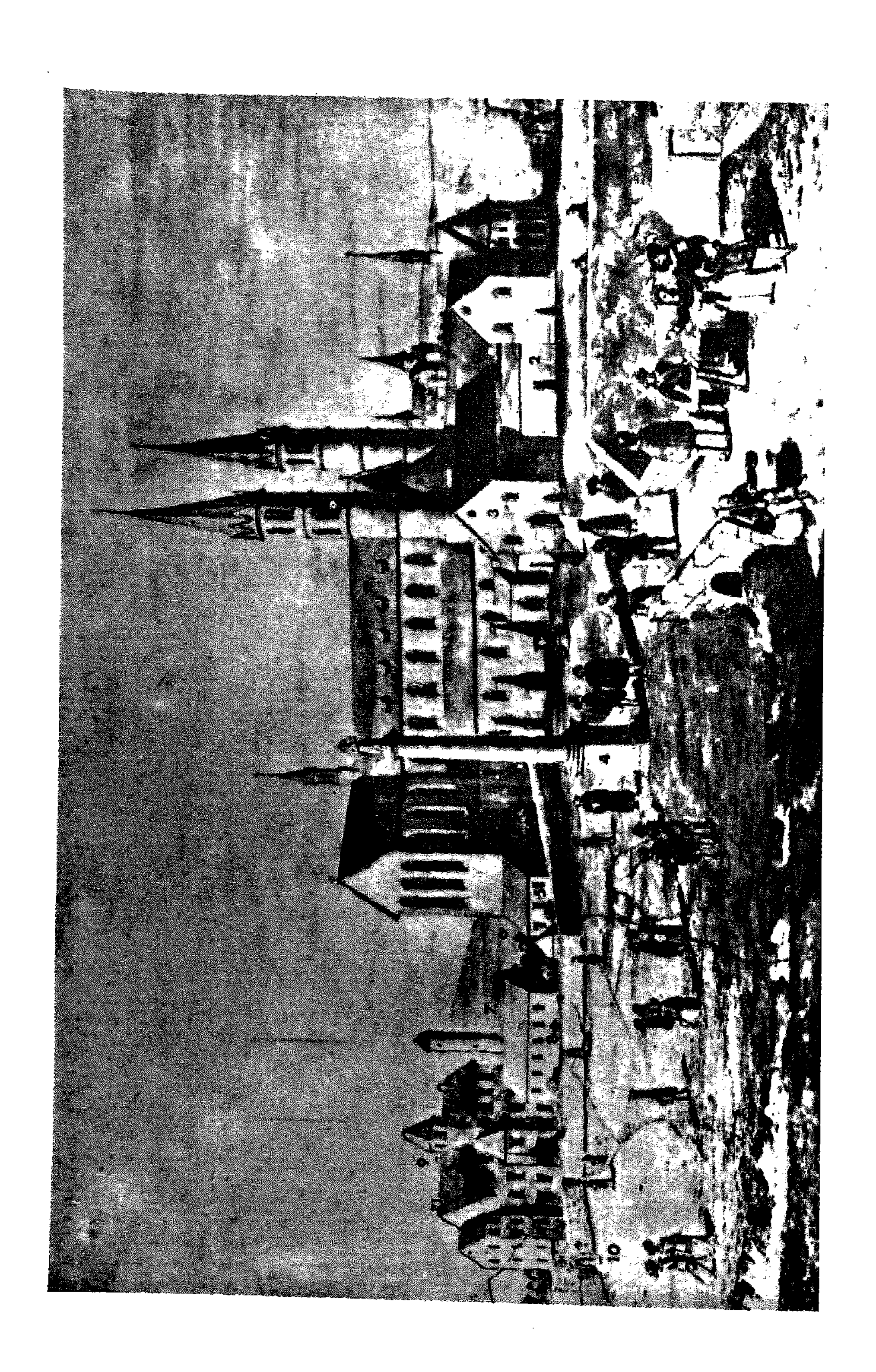


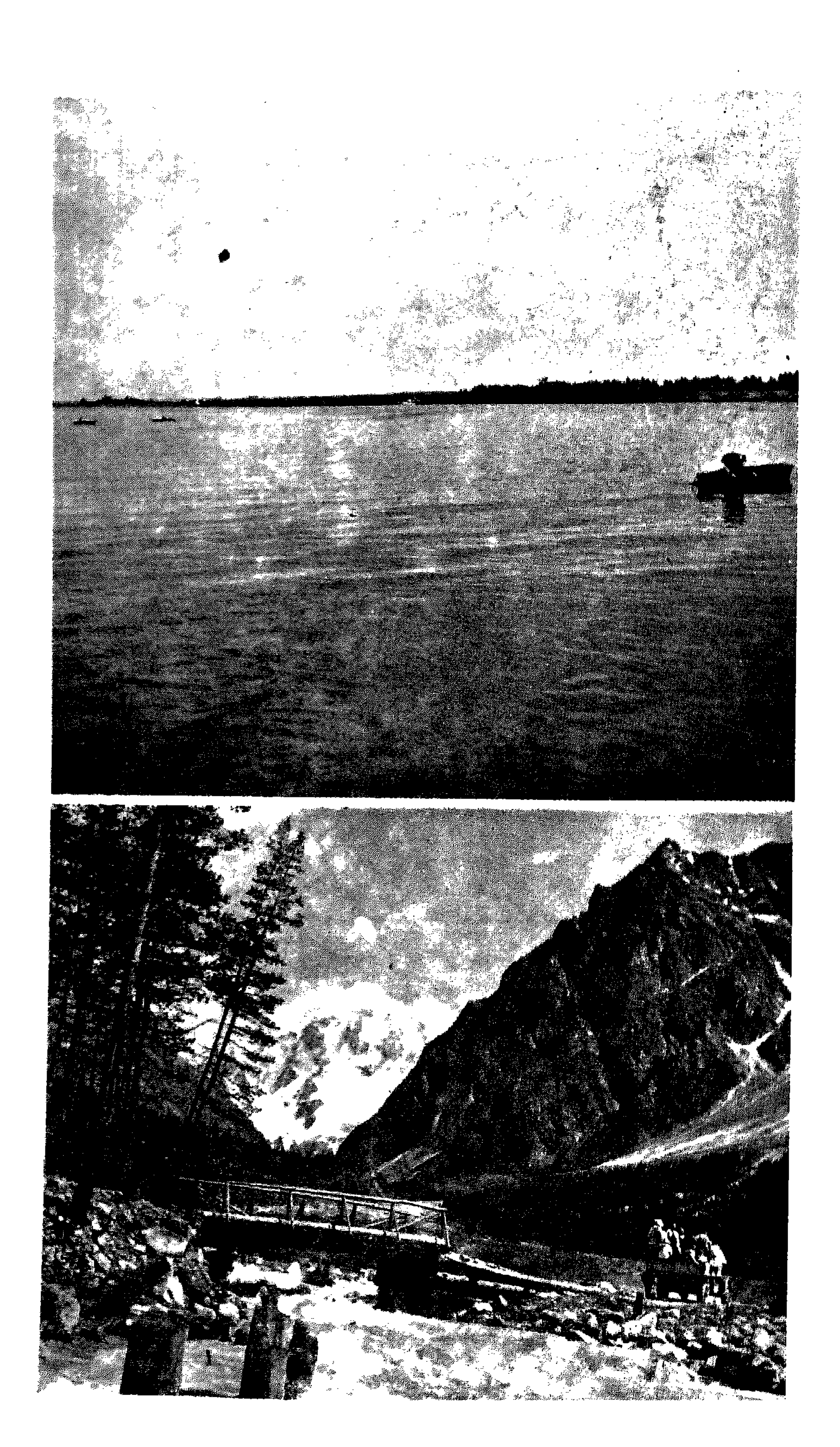
DE CAMELOPARDALI.

OPARDA
'æ literæ uo
זמר zamer,
ron. 14. ubi
slatio habet
bica זראפה
:a זרפה fera
nta καμηλο-
'nymus ca-
auid Kimhi
r Rabi Ionã
animal Ara
pha. In tan-
m intepre-
nihil moue-
tiores, siue
o magna re
nscitia labo-
i rupicaprã
'am uocem
it. Alces e-
grinæ sunt,
aliud Ebrai-
ent, ut suo
Numeratur
er animalia
oncessa: nec
neloparda-
ibum uenis
tas enim &
t ut cibo eã
. Camelo-
opes nabin
ce recentio
rtus & alij,

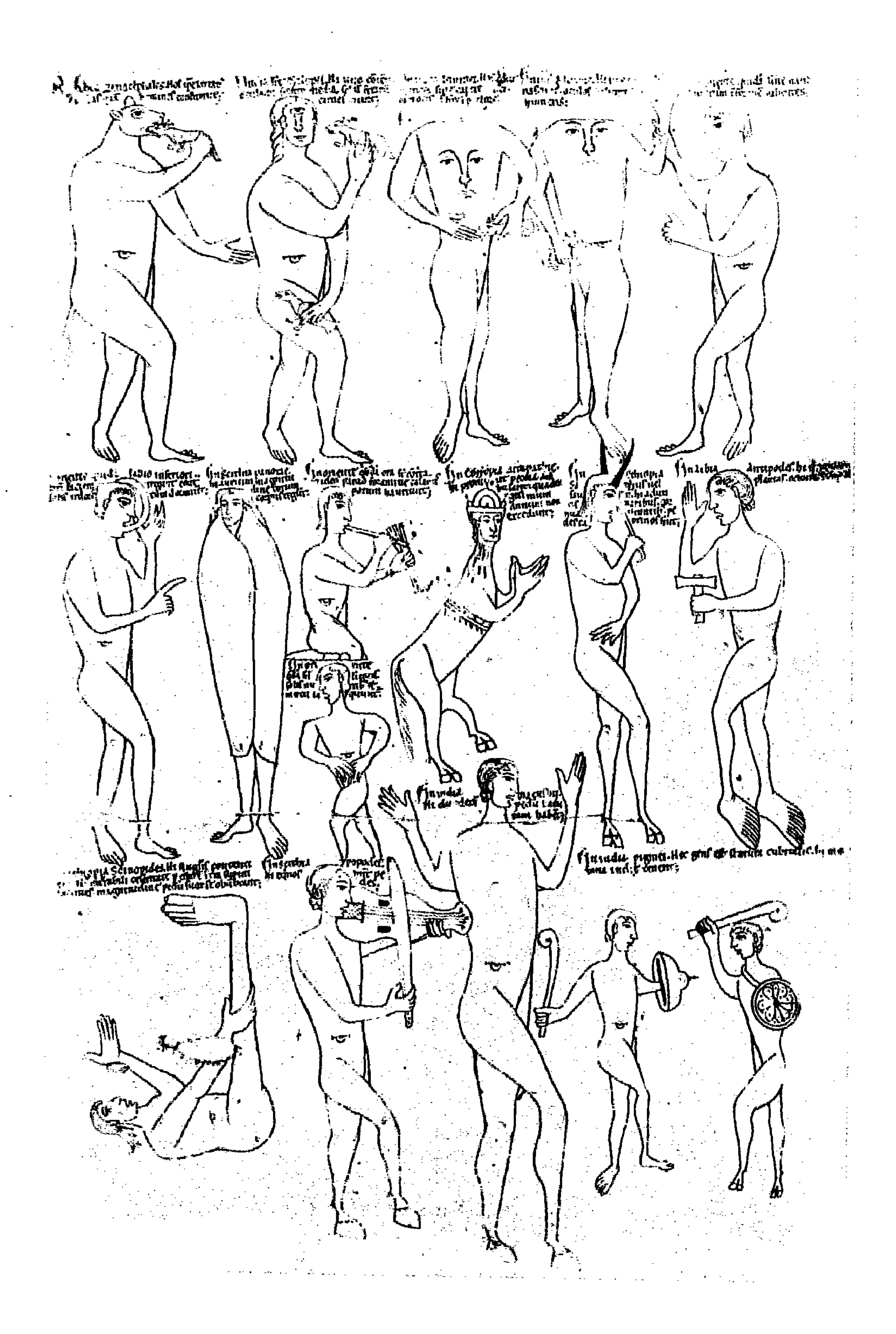


torserunt: sæpe enim in Arabicis dictionibus a uel ha prima syllaba articuli ratione
ias camelum Indicam uocat, Reliquæ gentes, quod sciam, omnes non alia quàm
Arabica











الفهرس

الفهرس التحليلي لقسمي الجزء الثاني

جدول تصويب اخطاء طبع النص

القسم والصفحة والسطر	الخطأ	الصواب
١ ـــ ٦، ٢١	احد	احدى
١ ـــ ٦، ٢٢	الواحد تلو الاخر	الواحدة تلو الأخرى
١ ـــ ٩، ١٣	ويصي	ويصير
١ ـــ ١٠، ٢٢	تقييم	تقويم
١ ـــ ١٦، ١٣	اعلم	علم
١ ـــ ١٩، ٧	ونظيمها	وتنظيمها
١ ـــ ١٩، ١٥	ترديد	ترداد
١ ـــ ٢١، ٢٢	الحدية	الحديثة
١ ـــ ٤٠، ٣	اللفلك	الفلك
١ ـــ ٤٦، ١٨	للمصائع	للمصانع
١ ـــ ٥١، ٥	اكثر	اكثر
١ ـــ ٥٢، ١١	اخرا	اخيرا
١ ـــ ٥٢، ١٥	المتني	المثني
١ ـــ ٦٨، ٦	غصون	غضون
١ ـــ ٧٠، ١	تلطبق	تطابق
١ ـــ ٧٣، ٥	لببوا	ليبو
١ ـــ ٧٦، ٩	ويرس	قبرس
١ ـــ ٧٧، ٢٢	تآ نيث	تأنيث
١ ـــ ٨٢، ٩	سرق وبذال	ترف وبذلة
١ ـــ ١١٩، ١٠	تخوم العالم دار الاسلام	تخوم دار الاسلام

القسم والصفحة والسطر	الخطا	الصواب
١ ـــ ١٢٥، ١٧	حدوده	حدودها
١ ـــ ١٢٦، ٨	الديبحات	الديباجات
١ ـــ ١٣٠، ٣	الزايج	الزابج
١ ـــ ١٣١، ٤	اليبجات	الديباجات
١ ـــ ١٥٦، ٢٠	سمطرة	شمطرة
١ ـــ ١٣١، ١٢	سمطرة احتمالى	شمطرة الشمالية
١ ـــ ١٣١، ١٤	الزليج	الزابج
١ ـــ ١٣٣، ٨	الزايج	الزابج
١ ـــ ١٣٤، ٧	الزايج	الزابج
١ ـــ ١٣٥، ١٦	الزايج	الزابج
١ ـــ ١٣٦، ٣	الزايج	الزابج
١ ـــ ١٣٧، ٣	هطول	تُهطال
١ ـــ ١٣٧، ٦	ليك التيفون	اليك الطوفان التيفون
١ ـــ ١٤١، ٢	أجنحة	أجنحة
١ ـــ ١٤١، ٤	شاطىء . . . التاحية	شاطىء . . . الناحية
١ ـــ ١٤٢، ٩	من بلاد الاو	من بلاهرا
١ ـــ ١٤٢، ١٩	الزايج	الزابج
١ ـــ ١٤٣، ١٠	نيام	نيام (يقصدالنوم)
١ ـــ ١٤٣، ٢٠	غرغاف	غزغاف

القسم والصفحة والسطر	الخطأ	الصواب
١ — ١٩،١٤٤	الزايج	الزابج
١ — ١٦،١٥٠	قطع	قطع (٤٩٥)
١ — ٧،١٥٠	٤٩٩	٤٩٧
١ — ٢،١٥١	قصبسكو	قصب السكر
١ — ١٢،١٥٢	الحنوب	الجنوب
١ — ٥،١٥٣	ايدانهم	ابدانهم
١ — ١٠،١٥٣	الزايج	الزابج
١ — ١٦،١٥٤	الزايج	الزابج
١ — ٢٢،١٥٥	اياها	اياه
١ — ١٦،١٥٧	الديبجات	الديباجات
١ — ٥،١٦٢	الاريع	الازبع
١ — ١٦٨، ١—٢	ذلك ذلك	ذالك
١ — ١٦٩، ١٧	٦٢١	٦٣١
١ — ٥،١٧٠	النصف	النصف
١ — ٢٠،١٧٠	والعظام	والعظماء
١ — ٨،١٧٢	التحيل	التحليل
١ — ١٢،١٧٢	النزويج	التزويج
١ — ١٣،١٧٢	وينزوج	ويتزوج
١ — ٤،١٨٩	سوق ترى	سوف ترى
١ — ٣،١٩٦	النيجران مهران	النيجرأو مهران
١ — ٢١،١٩٧	ولنخصر	ولنختصر
١ — ١٤،٢٠٧	وهوقصي	وهو أقصى
١ — ٨،٢٢٢	... البلدن	ويبدأ البلدان
١ — ٢٠،٢٢٨	مستنبيجي	مسنبيجي
١ — ٦،٢٤٣	الجفون	الجنون

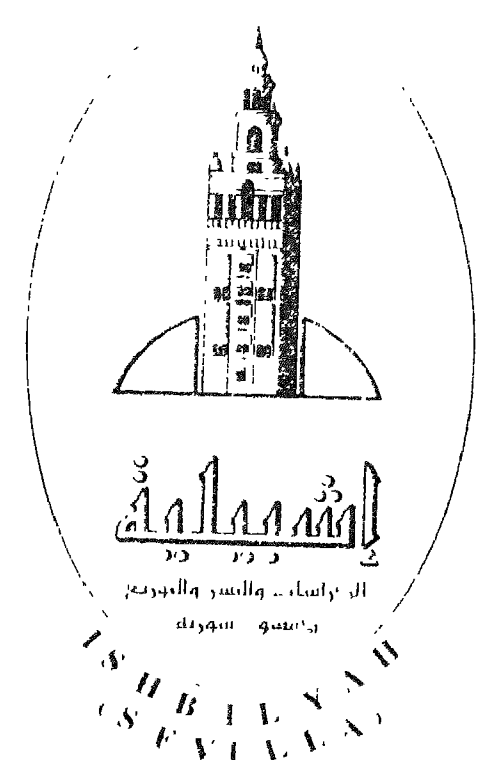
القسم والصفحة والسطر	الخطأ	الصواب
١ — ٢٠،٢٤٦	خرطوم	خطم
١ — ٢،٢٤٩	عنن	عن
١ — ٤،٢٥١	بدرا	بدار
١ — ١٦،٢٥١	مرزننا	فرزنا
١ — ٨،٢٥٣	السمااك	الممالك
١ — ١،٢٥٦	الخشبية	الحبشية
١ — ٩،٢٦٦	لجغرافية	الجغرافية
١ — ٨،٢٧٨	بحر شمال موطيس	شمال بحر موطيس
١ — ٩،٢٧٩	لأمم	الامم
١ — ١٨،٢٧٩	من يصلون	ويصلون
١ — ١٣،٢٨٦	وخان	ووخان
١ — ٢٩٣، ٣	وما هو قد أنزلها	رماهافأنزلها
١ — ١٧،٢٩٦	التقليد العائلي	حذف
١ — ٨،٢٩٧	اخباريه	اخبارييه

القسم والصفحة والسطر	الخطأ	الصواب	القسم والصفحة والسطر	الخطأ	الصواب
٢ ــ ١١،٧	فبعدان وضعنا	فبعد وضعنا	٢ ــ ١٠٦،٧	١٩٨١	١٩٨٢
٢ ــ ١٢،١٠	ملكها المسلمة	ملكها المسلم	٢ ــ ١٠٧،٦	الكرتوعرافية	الكرتوغرافية
٢ ــ ٢٠،١٠	فم تعد	فلم تعد	٢ ــ ١٠٩،١٧	جوتلاند	جوتلند
٢ ــ ٤،١١	انساهم جميعا	انساها جميعا	٢ ــ ١١٣،٣	التيحس	التيمس
٢ ــ ٥،١٤	برزيان	مرزبان	٢ ــ ١١٩،٦	ننقصاها	نتقصاها
٢ ــ ١٠،٢٣	ويضيفان اليهما	ويضيفان اليها	٢ ــ ١١٩،٢١	ان يحتلون الصقالبة	ان الصقالبة يحتلون
٢ ــ ١٨،٢٣	الفتك	الفنك	٢ ــ ١٥٢،١٤	وانتظماتها	وانتظامها
٢ ــ ٤١ ــ ١٨	بلد الخرز	بلد الخزر	٢ ــ ١٥٩،٣	دياس	دراس
٢ ــ ٤٣ ــ ٨	من غربي	غربي	٢ ــ ١٥٩،١٣	احتهلتها	احتلتها
٢ ــ ٤٧،٢	في لا علم	في ما لا علم	٢ ــ ١٦١،١٣	تتفضح	يتفضح
٢ ــ ٥٠،٩	الخاقاق	الخاقان	٢ ــ ١٦٢،١	تيزيل رماق	تيزيل أرماق أرهاليس
٢ ــ ٥٠،٢٢	تعرل	تعزل	٢ ــ ١٦٥،٢٠	يلبونيسة	بلبونيسة
٢ ــ ٥٥،٢٣	مراوى	مراوة	٢ ــ ١٦٧،٢	الفلظ	اللفظ
٢ ــ ٥٦،٢	مراوى	مراوة	٢ ــ ١٨٤،١٠	٢٤٢٤	٢٤٣٤
٢ ــ ٥٦،٢٠	ولايتها	ولايتهم	٢ ــ ١٩٤،٤و١٩	الاترسة	الترسة
٢ ــ ٥٧،١٩	لمألوفة	المألوفة	٢ ــ ١٩٨،١	لمولك	الملوك
٢ ــ ٦٠،٦	تدبير	تدبير	٢ ــ ٢١٢،١٨	الخسف	الخشف
٢ ــ ٦١،٨	بانت	بائت	٢ ــ ٢١٢،٢٠	فيدراطيين	فيدراطيي
٢ ــ ٦٥،٦	ويبلي	ويبلل	٢ ــ ٢١٣،١٦	يتزلى	يتزي
٢ ــ ٦٨،١١	برانجابين	برانجابين	٢ ــ ٢١٦	بطريق(بطريق	بطريق(بطريق)
٢ ــ ٧١،١٨	فراغة	الافراغ	٢ ــ ٢٢٢،٧	عش	عشر
٢ ــ ٧٢،٣	مراغة	الافراغ	٢ ــ ٢٥٢،٢٠	٢٨١٣	٢٨٢٣
٢ ــ ٧٨،١٨	اترسة	ترسة	٢ ــ ٢٥٥،١	لقيقي حا	الحقيقة
٢ ــ ٩٥،١٧	هذا الحال	هذه الحال	٢ ــ ٢٥٦،٣	بالغدقدونية	بالخلقدونية
٢ ــ ٩٧،١٣	يوتي	يؤتى	٢ ــ ٢٦٤،٤	يأتون	يأتون به
٢ ــ ٩٩،٤	صواحباتها	صويحباتها	٢ ــ ٢٦٦،٢٠	في بحر اليمن	عن بحر اليمن
٢ ــ ١٠١،٤	صواحباتها	صويحباتها	٢ ــ ٢٦٧،١	الجزة	الجزر

القسم والصفحة والسطر	الخطأ	الصواب
٢ — ٢٦٩، ٢٠	الاندلس	الاندلس ٢٨٩٠
٢ — ٢٧٦، ٢٠	مما يكن	مما يمكن
٢ — ٢٧٧، ٢٣	وهدفهم	ونهايتهم
٢ — ٢٨١، ١٢	٢٩٥٦٨	٢٩٥٦
٢ — ٢٨٨، ٢	بملكة	بمملكة
٢ — ٢٩١، ١٤	مفسلسا	مفلسا
٢ — ٢٩٣، ١٤	وننتطر	وتنتظر
٢ — ٣١٣، ١٦	اشرق جزيرة كان	الشرق ، جزيرة (العراق) ، كان
٢ — ٣١٥، ٣	هذه الحد	هذا الحد

* * *

٣٠٠٠ ط١ / ١٢ / ١٩٨٥



Studies, Publication & Distribution
DAMASCUS P. O. Box 4363 SYRIA



